

البراس كنون من الحونيك  
الليثاني

تاريخ

بابليون والإسكندرية

المجلد الثالث

دار ومكتبة الهلال  
بيروت











تاریخ  
نابولئون الأول



# تاریخ نابولپون الأول

لمؤلفه  
الیا سٹونس الحویک  
اللبانی

الجزء الثالث

منشورات  
دار ومکتبة الهلال  
ص ۱۵ - ۵۰۰۳

بِجَمِيعِ الْحَقَقِ مَحْفُوظَةٌ

١٩٨١



نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ  
 وَنَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ  
 وَنَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ  
 وَنَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ نَحْنُ

الباس طنوس المولد



## كلمة المؤلف

اصدرنا الجزئين الاول والثاني من تاريخ نابوليون الاول والآن نشرع في  
اصدار الجزء الثالث والاخير منه وهو يتضمن خاتمة حياة الامبراطور السياسية  
والحربية وما لقيه من المعارك في اواخر حياته . واضفنا الى هذا الجزء  
فصولا شتى في مختلف المواضيع مما له علاقة بتاريخ ذلك الرجل العظيم وافردنا  
فصلا خاصا للاحتفال بانقضاء مئة سنة على وفاته وكان اكبر احتفال واهم في  
مدينة أجاكسيو مسقط رأسه وقد أتيح لنا أن نشهد هذا الاحتفال الذي  
دام ثلاثة أيام متوالية . فكتبنا خلاصة ما شاهدناه وسمعناه وفي التاريخ  
فصل خاص أيضا اودعناه ترجمة ما كان يفوه به نابوليون الكبير من كلام  
الحكمة وخلاصة اعتقاده في الدين والآداب والحكم وعلاقات البشر بعضهم  
ببعض من دون أن نعلق شيئا على ذلك .

وغاية ما نأمله هو أن يروق كتابنا هذا القراء الكرام وأن يروا فيه عبرة  
وذكرى فالمعظمة والسكال لله وحده



## الفصل الأول

سقوط نابوليون وتنازله عن الملك - استقدام البوربون

وداع فنتنبلو - الشخصوس الى جزيرة البا

يارومية ويافينسا ويابرلين ويامدريد ويانابولي وياالشبونة وياموسكو  
ياعواصم أوروبا القديمة لقد انتقم لكن جميعا فباريس سقطت في نوبتها في  
قبضة الاجنبي ودخل الروسي والجرماني قصري اللوفر والتويلري وخيم  
الذوق في ساحة الثورة واوشك البوربون ان يعودوا الى عاصمة فرنسا .  
وقد ظن البربر انهم أصابوا نصرا مبينا وخيل لاعداء الثورة انهم ادركوا  
ضالتهم المنشودة ولكن ساء ما توهموا وضل شهم فكرهم عن المرمى .  
فالهجبة وعدوة الثورة لم تقهرا ولن تقهرا المدنية والديمقراطية ولا يكون  
احتلالها لتلك المدينة دليلا ساطعا على انتصارها . وهب أصبحت المحالفة  
صاحبة السلطة في باريس فسيظل الفرنسيون الى ما شاء الله أصحاب المجد  
الباذخ وسيستأنفون مع غزو اعدائهم لبلادهم التربية الحرة التي باسروها في  
فتوحهم وسيمعلمونهم الفنون والعلوم والصناعة والآداب والشرائع وافكار البلاد  
المنصوب فيها عرش الروح الديمقراطية ومبادئ الحضارة . وسينفض الشعب  
الفرنسوي العظيم باعباء مهمته في نشر هذه المبادئ وهذا لواء حمايته على غيره من  
الشعوب فيعود أولئك الاقوام الى مواطنهم وقد زاد تباهيهم بما اقتبسوه عن  
الفرنسيين على تباهيهم بما أصابوه من الانتصار في الحرب وهم لم يصيبوه الا  
بوفرة عددهم والصدفة والخيانة .

وليربع البوربون وانصارهم على ظلمهم فانهم وان وفقوا الى استعادة  
الصولجان فالامة الفرنسية تنظر اليهم بمقلة النفور وزداد اعتصاما بالمبادئ  
الجديدة وتشدد رغبة في السعي وراء المصالح الناشئة عن الثورة وتغلق أهمية  
عظمى على ما نالته الديمقراطية من الفتوح في المجتمع الانساني .  
وعليه أفضى ما بذله الملوك من العناء الى مناوأتهم : فمن الجهة الواحدة



نرى ان ذلك الرجل العظيم المنحدر عن العرش لا ينحدر عن المنزلة الرفيعة التي يحتلها في التاريخ وان هو فقد تاجه فلا يفقد مجده ودعاه وعظمته الادبية ومن الجهة الاخرى نجد ان ذلك الشعب العظيم سيمثل في اثناء تسلط الاجنبي وخصوصا الثورة عليه شديد الاستمسك بغرز مبادئه الثورية وشديد المحافظة على ماله من القوة على تمدن الشعوب ويظل سائدا العالم الراقي . هذه أعمال العناية . وقد قال الميسو بالانش في هذا الصدد « ان تحرير البشرية تحريرا تدريجيا وارتفاع الشعبية ارتفاعا مستطردا ومنح حرية العمل وتقديس حقوق الأهلية تقديسا منافيا لسواء وانشاء ارسطراطية الفضائل والمواهب والخدم أي انشاء الديمقراطية الحقيقية النهائي هي الغايات التي رمت اليها أفكارها الثابتة من نشأة العالم وصارت تلاحق تحقيقها المتتابع في العصور المتعاقبة وان يدها غير المضطربة تعمل بطرق تدريجية وحدها منمطفاتها ومنافذها لتعزيز ذلك المبدأ وتوجه الى تلك الغاية القوى المتمردة التي تصارع مصارعة عنيفة ما يأتي به المستقبل ولا يكون من مرد له وتعمل النفس الآن بانها امنت عودة الماضي » . واحتلت جيوش الاجانب عاصمة الامبراطورية الفرنسية ولم يرض الحلفاء ببقاء نابوليون أو أحد أفراد أسرته على العرش ولكن عاهل النمسا وحده افكر بملك رومية ووكيلة الامبراطورية . اما الاسكندر فانخذ لهجة الاعتدال وكرم الاخلاق وجاهر بانه يحترم ارادة الشعب الفرنسي ودعاه الى اختيار ما يلائمه من اشكال الحكومة وهي دعوة وهمية جعلت بعض نفر من الحزب الملكي يدعون انهم يعبرون عن اماني الامة وكان أولئك الاشخاص يذهبون مذهب تاليران . فتألف وفد كان الكونت فران المشهور في جملة اعضائه ومثل في حضرة عاهل روسيا : وقد زعم هذا الوفد انه لسان حال فرنسا وانه لبي دعوة القيصر وكان الكونت دي نسلرود يعلم افكار مولاه خافيه وباديهسا فقال للوفد ان رغبته موافقة لفكر سيده ، على ان مجاهرة الاسكندر بمنح فرنسا نوع الحكومة الملائمة لها وابداءه لتاليران ما قد يعترض عودة البوربون الى العرش لم يكونا سوى ستارستر به حقيقة مقاصده كما صرح بذلك فيما بعد الميسو دي بوريان احد ممثلي الرواية التي ابتغى عاهل الروس تمثيلها : فلم يحتاج الاسكندر الى تصريحات البرنس دي بنيفان ليعلم ان لويس الثامن عشر

كان المبدأ وان المخالفة لم تقا تل الا في سبيل هذا المبدأ . الا أنه جعل لوضعا موضع الاعتبار غاية وقف عندها من زمان طويل كأنها نتيجة لتظاهرات الرأي العام وشاء ان يخفي مطالبه الخاصة ومطالب حلفائه وراء سلطة مجلس من مجالس الدولة يعتبر لسان حال الامة الرسمي . وقد سهل له تاليران الوصول الى أمنيته بعد ما جعله يسمع مناداة بعض أنصار البوربون بطلب ارجاع هذه الاسرة الى عرش المملكة بتأكيده له أنه يجعل المجلس يقرر كل ما ينبغي : كسقوط نابوليون واستقدام لويس الثامن عشر مثلاً فان المجلس لم يكن في غابر الحين ينبذ شيئاً من مطالب نابوليون وهذا ما حمل الامة على ان تنظر اليها بعين الاحتقار . وقد حققت الحوادث ما أمله تاليران فقرر مجلس الشيوخ في ٢ ابريل سقوط نابوليون بونابرت وأسرته عن عرش فرنسا ثم انه وضع قراراً آخر دما به زعيم البوربون الى لبس ناج آبائه . ولكن لما كان أعضاء الاقلية في المجلس وهم الذين كانوا يعارضون نابوليون في بعض الاحيان وكاذ هو يتهم عليهم ويسمهم فكريين قد عضدوا الحزب الملكي رجاء الحصول على دستور أشد ملائمة للحرية العامة فقد كان يوم كانت لهم فيه الكلمة المسموعة في المجلس بعد ما كانوا حتى ذلك الحين بمثابة صفر الى يسار الرقم . وسهل لهم تاليران وضع قرار دستوري احتفظ به رجاء ان يتخذ في المستقبل سلاحاً يقا تل به لويس الثامن عشر

ولما كان تاليران بصفة كونه رئيساً لحكومة وقتية يتولى بمؤازرة بورنفيل وجوكور ودلبرغ والاب منتسكيو السلطة في العاصمة بالنيابة عن الاجانب والبوربون كان نابوليون في فنتنبلر وقد احاط به الحرس الامناء المتلهبون رغبة في الانتقام من العار الناشئ عن استسلام باريس وحف به ايضاً اركان حربه ولم يكونوا يشعرون بالحماسة والجزع اللذين كان يشعربهما أولئك الحرس الالباسل وجاء الدوق دي فيسنس بين ٢ ابريل و٣ منه وقال له ان الملوك الذين ابقى عليهم مرات كثيرة مع مقدرته على ذلك عروشهم بعد استرا نر واپانا ووغرام يأتون مفاوضته بشأن الصالح ويطلبون تنازله عن العرش فهاج هائجهم في ريق الامر لما صبح ذلك الكلام وخطر له ان يلجأ مرة أخرى الى القتال لبت المسألة بتأجازماً ولكنه رأى ان كل شيء حوله يسوده الصمت والسكابة فان

رفاقه القدماء في الجندية أصبحوا اصحاب مناصب عالية في امبراطورية متداعية ولم يبد أحد منهم ارتياحا حقيقية الى معونته على ابقائها قائمة أو لم يقل منتسكيو : « جد بالنعمة على انسان قاول امر يخطر له هو التذرع بجميع الذرائع التي تمكنه من المحافظة عليها » وقد اختبر نابوليون هذا الامر بذاته اختبار مؤلما بعثه على ان يخطط السطور الآتية :

« حيث أن الدول المتحالقات اعلن أن العاهل نابوليون هو المانع الوحيد لتوطيد اركان السلم في اوربا فالعاهل نابوليون البار بقسمه يعلن أنه مستعد للانحدار عن العرش ومغادرة فرنسا حتى والحياة نفسها في سبيل الوطن غير المنفصل عن حقوق ابنه وحقوق وكالة الامبراطورية والمحافظة على شرائع الامبراطورية كتب في قصرنا بفرننتينو في ٤ ابريل سنة ١٨١٤ نابوليون »

وفوض الى كولانكور حمل ذلك الصك الى باريس وصحبه ناي ومكدونال وأراد نابوليون أن يضم اليهم مرمون وان يكن استسلام باريس معزوا اليه . فهل كانت غاية العاهل أن يحول بهذا الفعل دون توغل ذلك الرجل في مجاهل الخيانة ومنعه إياه عن ارتكاب خطأ آخر فوق الخطأ الاول يكون أثقل جرما وأخف عذرا

وتوجه المارشالان مع الدوق دي فيسنس الى العاصمة ولما علم الامبراطور ما كان من خيانة مرمون وانحيازه الى الحلفاء وزع على الجيش نشرة يذكر فيها تلك الخيانة ويسود فيها صحيفة مجاس الشيوخ .

ولم ينجح مندوبو نابوليون في مهمتهم فان الوثيقة التي عقدها مرمون مع البرنس دي شوارتزنبرغ وانحياز جيشه الى الاعداء تحت جنح الدجى جرأ الحلفاء على الاكثار من مطالبهم بتصلف والمجاهرة مع تاليران بان لويس الثامن عشر مبدأ يسمى الملوكة المتحالقون لتأييده ولا يهلونه عندئذ منهم النصر وعليه لم يرجع الدوق دي فيسنس الى فرننتينو إلا بطلب جديد من الحلفاء ما له تنازل نابوليون عن العرش وحرمان ولي عهده وجميع أسرته حقوق الخلافة . فنبذ نابوليون بحق شديد ذلك الطلب العنيف المحقر وفكر بطريقة جديدة في استئناف القتال وعدد مآلديه من الوسائل في الشمال والجنوب والالب وإيطاليا إلا أن حسبانه وآماله ومقاصده لبثت شخصية : فاذا أجابه أحد

على سؤال وجهه اليه لم يكن جوابه موافقا لآقراحاته أو مشجعا اياه على مقاصده . فتوالت الاعتراضات عليه بكثرة ولم يحبسوا سنتهم عن التفوه بإمكان نشوب حرب أهلية فتردد العاهل ونجاذبت عوامل الشك فزاده ولكن ذكرى الحرب الاهلية أثرت فيه فما ابطأ أن صباح قائلا : « أما وقد قضي علي بألا أفكر في الدفاع عن فرنسا أفلا اتي في ايطاليا معتزلا يليق بي فهل يبتغون لحاقي اليها ... هلموا بنا الى الالب . »

وعند سماع الحضور ذلك الكلام اكفهرت وجوههم وخفقت افئدتهم فعلم نابوليون أنه لم يكن لديه أركان حرب لودي واركول ليندفعوا الى المسير وراءه ايان ذهب ولم يخف عليه ان الامراء الذين منحهم القاب الشرف المتوارثة في امبراطوريته تبرموا من طول تمرسهم بالحروب ولا سيما بعد ماذاقوا لذة الأبهة والعظمة في البلاط . وقال البارون فان في هذا الصدد : « لو كان نابوليون المستاء من قواده قد برح ذلك البهو ودخل الغرفة المقيم فيها الضباط للقي شبيبة مستعدة لتلبية طلبه ولو اوغل قليلا في التقدم لحياه جنوده عند أسفل الدرج وطبقوا الفضاء باصوات التهليل والتكبير ولأقال حماسهم عثار نفسه الخائرة ولكن نابوليون خضع لعادات ملكه وظن أنه يسقط ولا محالة ان هو انطلق الى الروع ولم يصحبه القواد الذين خاضوا معه غمرات الهيجاء »

وقد جنى الامبراطور ثمار الانحجاج الملوكي الذي سقط فيه : فكان يعوزه الآن القادة الصناديد الذين حلفوا له بحماسة في طولون على أن يصحبوه إلى مصر ولكنه لم يجدهم في تلك الساعة على مقربة منه مع كونهم القادة انفسهم الذين كانوا معه في طولون . والسبب في ذلك هو أن الجمهورية لما رفعت الى المنزلة السامية أعطته في الحين عينه حاشية من الابطال المدربين وصيرت الامبراطورية أولئك الابطال سادة عظماء تعوزهم الارادة والقوة للحمولة دون سقوطه . وكان هو أصل هذه الاعمال المتناقضة فان نابوليون كما قيل عنه « أصلح سرير البوربون » فلم يبق عليه والحالة هذه إلا أن يراجع امامهم وهم يدنون ويدعن لتقلبات الاقدار والحدثان وهذا ما صبحت عزيمته على فعله فتناول القلم وبعد بضع دقائق ناول كولانكور الصك الذي طلب منه الحلفاء توقيعه وهذا نصه :

« حيث ان الدول المتحالقات أعلن أن العاهل نابوليون هو المانع الوحيد لتوطيد اركان السلم في اوربا فالعاهل نابوليون البار بقسمه يعلن أنه هو واولاده يتنازلون عن عرشي فرنسا وايطاليا ولا يدخر أدنى تضحية حتي والحياة نفسها في سبيل مصلحة فرنسا .  
نابوليون »

فإذا يكون الآن مصير ذلك الذي ساد اوربا بعد ما نزع سلاحه من يده وخلع عن عرشه وماذا يكون حظ رجل نازل في مقام عال تستطيع ذراعه في كل حين أن تحرك العالم وفي أي مكان يحصر

وتردد الملوك المتحالفون في اختيار مكان يحصرونه فيه : أفى كورفو أم في كورسيكا أم في جزيرة البا واجمعت كلمتهم أخيرا على اختيار جزيرة البا وكتبوا وثيقة قرروا فيها ما يجب عمله بالاسرة الامبراطورية جمعا ولكن نابوليون اغتاز من ذلك الامر وانكر تلك المعاملة فقال : « ما الفائدة من ابرام هذه الوثيقة فهم لا يشاؤون أن يقرروا معي ما يتعلق بمصالح فرنسا . ثم انه انفذ رسولا الى كولانكور يوعز اليه بأن يسترجع صك تنازله ولكن كان الامر قد قضي .

ووقعت الدول المتحالقات في ١١ ابريل الوثيقة التي انكرها نابوليون وفي الغد دخل السكونت درطوي مدينة باريس . وافتح حاكمه باذاعة لشرة وعدها بالغاء القرعة العسكرية والحقوق المتحدة ولم يخف على البوربون ان نابوليون فقد ميل الشعب اليه بوضع ضرائب شتى باهظة وبتعميد أجل الحرب ولم يذهب عنهم أن ما أبداه القوم من تظاهرات الفرح والابتهاج في جنوب فرنسا ناشئ عن رجوع السلم والسكينة وعن آمالهم بتخفيف اعباء الضرائب ا كثر مما كان ناشئا عن سرورهم بعودة الاسرة المالكة القديمة . خذتهم سياستهم على الاستفادة من هفوات العاهل ولم يحجم اكبر كاتب في ذلك العصر عن تسديد سهام الطعن الى نابوليون مسهما في الشكاوي التي سودت صحيفة العاهل في انظار الامة فقال : لا نريد قرعة عسكرية ولا حقوقا متحدة . و اضافوا الى ذلك وعودهم بتعزيز المنشئات الحرة ومعاهدتهم الشعب على احترام مصالح فرنسا الجديدة المادية والادبية . ولم يسبق للثورة أن ظهرت بمثل ذلك المظهر من الشدة . وحين هوى الدهاء لاعراضه عن الاستناد اليها استنادا مطلقا بعد

ماصيرها مدة طويلة مجيدة وقوية كان اعداؤها وقد اخطأ من زعم أنهم قهروها مضطرين ان يسكنوا روعها ويعملوها بالآمال ويقدموا لها الضمان ويعدوها بنيل الاماني .

وفي الليلة التي تلت دخول السكنت درطوى مدينة باريس حدث في فنتنبلو حادث لم يكشف الزمان قناع الحقيقة عن محيا سره فقد رؤي في القصر اضطراب فائق العادة فكان خدام نابوليون يهرولون الى غرفته وقد دخل عليهم الذعر ودعي الاطباء وأوقف برتران وكولانكور وماره اصدقاء العاهل الصدوقون . وكان نابوليون المصر على نبذ توقيع وثيقة ١١ ابريل والمستفاد من أحاديثه انه يضمن مقاصد مجهولة مشؤومة ولا سيما منذ الحين الذي علم فيه أنهم ينعنون زوجته وابنه عن موافاته يشعر باوجاع معوية شديدة بحيث أنهم توهوا أنه تجرع سما . الا أن مبادرة أطبائه الى معالجته بالادوية اللازمة أدت الى تسكين اضطرابه تسكيناً كان من ورائه شفاؤه التام . على أن الكتبة المياليين الى الظن بأنه عاجل الانتحار يزعمون أنه قال وقت ماشفي : « ان الله لا يشاء هذا » ولكن المتقيدون بخدمته وفي جملتهم الذين صحبوه الى المنفى يقولون أن الآلام الحادة التي شعر بها نابوليون في تلك الليلة السرية لم تكن سوى نتيجة طبيعية للصدمة الادبية التي اصابته في العشرة الايام الاخيرة وقد انكروا كل الانكار ما ذاع عن محاولته الانتحار . ويقال أن الدوق دي باصانو أدى مثل هذه الشهادة . وكيفما كان الامر لم يدعهم الامبراطور يشعرون بشيء مما قاساه في الليل فانه نهض من رقاد في الاجل المعين وكان أشد اذعانا مما كان عليه في اليوم السابق وطلب الوثيقة التي أبى توقيعها فوقها .

اما ماري لويز التي زارها في رمبويه عاهلا النمسا وروسيا والتي حظر عليها الذهاب الى فنتنبلو فانها انتظرت ارنحال زوجها لتشخص الى فينا مع ابنها الامير الحدث الذي كان جده العاهل فرنسوى من اكبر العاملين على هدم صرح مستقبله . وفقد نابوليون كل شيء : التمتع بالعظمة السياسية والسلوان العذب الذي يلقاه في العيشة البيتية . ولم تكن جزيرة الباسوى سجن ضيق يحصره فيه الا أنه لم يلق له بدا من الاذعان للاقدار التي قيضت له المقام فيها . وجاء الكولونل منطولون وأكده له على غير جدوى ان الجنود والاهلين في شرق

فرنسا شديداً الاخلاص له . وقد قصد بذلك الكلام تشجيعه على مقارعة الخطوب بمجد البتار فاجابه نابوليون : « لقد قضي الامر ولا يكون ما تقدم عليه سوى حرب اهلية وعليه لاشيء يستطيع أن يجعلني اصرف همامة النفس الى هذا الامر » . واطلق المارشال سولت آخر قنبلة في ١٠ ابريل في معركة طولوز وهو لا يدري شيئاً مما هو جار في باريس وفنتنبلو وكان عمله هذا خاتمة للمجد المسطر في تاريخ الحرب الفرنسية .

وفوضت الدول المتحالقات الى بعض المندوبين امر المضي بنابوليون الى جزيرة البا وضرب اليوم العشرون من شهر ابريل موعداً للرحيل . وفي الليل السابق يوم الرحيل تحذا كنستان خادم نابوليون الخاص والمملوك رستان حذو كبار رجال الامبراطورية وهجرا سيدهما .

وانحدر العاهل الى ميدان « الحصان الابيض » في ٢٠ منه عند الظهر وقد اصطف فيه الحرس الامبراطوري ولم يبق عنده سوى بعض المخلصين وفي جملتهم الدوق دي باصانو والجنرال بليار . وخفقت قلوب الجنود عند دنوه واغرورت عيوسهم بالدموع فرفع العاهل يده مشيراً انه يريد أن يتكلم فصمتوا جميعهم ووقفوا كأن على رؤوسهم الطير وكل منهم يود أن يحفظ الكلمات الاخيرة التي يبتغي ذلك الرجل العظيم توجيهها الى نخبة رجاله الشجعان فقال لهم ما يأتي :

« ياقواد وياضباط وياجنود حربي القدمات اودعكم : فانا سررت منكم مدة عشرين سنة ووجدتكم دائماً على طريق الفخار .

« ان الدول المتحالقات جندوا علي اوربا جمعاء وقد خان قسم من الجيش واجباته وفرنسا نفسها شاعت تخير حظ آخر .

« يمكنني أن ابشر بكم والشجعان الباقين على ولائي حرباً أهلية تدوم ثلاث سنوات ولكنه أمر وخيم التبعة على فرنسا وهذا مخالف للغاية التي قوخت المسير اليها . أخلصوا الخدمة للملك الجديد الذي اختارته فرنسا لها ولا تولوا صفحكم وطننا العزيز السوء الطالع واحبوا هذا الوطن العزيز حباً شديداً مستمرا .

« لاترثوا الحالي فانا اكون سعيداً حين اعلم انكم سعداء .

« لقد كان الموت مستطاعا لي ولا شيء اسهل علي من ذلك ولكنني لا اتفك عن المسير على جادة الشرف . وقد بقي علي ان اكتب تاريخ ما فعلناه .  
« لا تنسني لي معانقة جميعكم ولكنني اعانق قائدكم ... تعال يا جنرال ...  
( يعانق الجنرال بي ) جيئوني بالراية ... ( يقبل الراية ) ايها الراية العزيزة فليكن لهذه القبة دوي في افئدة جميع الشجعان ... الوداع يا أولادي ...  
فلتصحبكم اماني دائما فاحفظوا ذكراي ! »

ولما سمع الجنود هذا الكلام عات اصواتهم بالنحيب وذرف الدموع جميع المحيطين بالعاهل ولم يقل تأثره عن تأثرهم فأمرع في الصمود الى المركبة وكان الجنرال برتران قد سبقه اليها وأعطيت علامة الرحيل في الحال وفصل نابوليون عن فنتنبلو يصحبه المارشال الاكبر والجنرالان دروو وكبرن وبعض اشخاص شاطروا أولئك الابطال المخلصين اخلاصهم . وكان في اثناء مروره على الطريق حتى آخر حدود البروفانس يسمع الشعب يهتف قائلا : فليحي الامبراطور ! فأثر فيه ثبات الشعب هذا وعزاه . وعلم أنه مع ما أتاه من الاعمال الجارة الى سقوطه لا يستطيع البوربون أن يمحووا من فرنسا عبادة اسمه .

ولقي العاهل بن ليون وفالنس اوجيرو فلامه هذا على قراره من الموت كجندي على ان نابوليون الذي جهل حتى ذلك الحين ما في كلام اوجيرو من معنى الاهانة القبيحة انحدر من المركبة ليعانقه ولما وصل اليه نزع قبعته عن رأسه وابقى المارشال قبعته على رأسه في اثناء محادثته لنابوليون وحين وداعه اياه . وبعد ساعة من الزمان وجد العاهل بعض فصائل من فيلق اوجيرو على الطريق خفيوه بمثل التحية التي كانوا يحبون بها وهو على العرش وصاح الجنود قائلين : يا صاحب الجلالة ان المارشال اوجيرو باع جيشك

واضطر العاهل الى تجنب المرور بافينيون لئلا يصيبه اذى من المتآمرين الذين بطشوا في السنة التالية بالمارشال برون .

ولما وصل الى مقربة من لوق في ٢٦ منه عند المساء بات عند عضو من أعضاء المجلس الاشتراعي فلقبي عنده الاميرة بولين ووصل الى فريمجوس في الغد . وبعد ما مكث في هذه المدينة اربعا وعشرين ساعة ركب البحر في الساعة الثامنة مساء شاخصا الى جزيرة البا .



## الفصل الثاني

الوصول الى برتوفراجو - الاقامة في جزيرة البا - العودة الى فرنسا -  
النزول في كان - الزحف الى باريس بانتصار - ٢٠ مارس سنة ١٨١٥

ما اعظم المقاربة بين ادوار حياة ذلك الجبار الفاتكة سواها في التأثير في  
ما يصحبها من التناقض ! ان فريجيوس شاهده يلقى عصاه فيها عند عودته من  
مصر محمولا بمرمون ومورات وبرتيه وغيرهم وهو آت لينزع السلطة العليا  
من ايدي ممثلي فرنسا ويبني اساس امبراطورية واسعة قوية : وبعد خمس  
عشرة سنة جاء الى فريجيوس وقد عراه من تلك السلطة الاجنبي المعجب به  
والخائف منه والمجالس الصامتة السلسة المقادة القائمة على انقاض المجالس الهالكة  
في عهد الجمهورية . ونزل هذه المرة ايضا في فريجيوس وهو لا يبتغي القبض بيديه  
على ازمة الاحكام في دولة عظيمة وترميم اكبر عرش في العالم ولكنه أسقطه  
عن ذلك العرش ودفعه عن سكان بلاده مجلس الشيوخ عينه واطاعا قبض  
بيده على مباخر التلق والتلف والمجلس الاشتراعي الذي جره في ثلاثة أشهر  
كؤوس المهانة وحله ولكن رفاقه الاقدمين والنسباء الاذنين خانوه وخذلوه  
كرمون ومورات وبرتيه وغيرهم ... فآله قد شاء هذا الامر والله لا يصنع شيئا  
عبثا فلتكن قدرته ومشيتته !

ووصل نابوليون الى ميناء برتوفراجو في ٣ مايو سنة ١٨١٤ وهو اليوم  
الذي وصل فيه لويس الثامن عشر الى باريس . فبادر رجال الحكومة في جزيرة  
البا الى استقبال عاهلهم على متن السفينة الحربية البريطانية التي قلته . وفي الغد  
صعد العاهل الى البر فأطلق اجلالا ونحية له مئة مدفع ومدفع وخف جميع السكان  
الى لقاءه وفي مقدمتهم المجلس البلدي ورجال الدين .

وقال شاهد عيان : « وتأثر العاهل وحاشيته من ذلك المشهد الغريب عند رؤيتهم  
علامات الفرح البسيط بادية على وجوه الالبين الفتيان ودلالات الحماسة ظاهرة  
على جباه أولئك المركبين البسطاء الذين كانوا من عهد بعيد يسرون بأن يرووا

للجنود الفرنسيين ما أثر خطيرة شتى وانتصارات مشهورة مقرونة باسم نابوليون .  
وفعلت شهرته بالنفوس فعل نكباته بها . وكانت الاسئلة التي يلقىها العاهل  
بسكينة وابتسام ثغر على الاهلين حتى على أحقر واحد منهم تزيد في حماسهم .  
وعني العاهل بتنظيم شؤون الادارة في جزيرة الباكا أنه يغوي أن يحكم فيها  
بطريقة جديدة ومدة طويلة وكأن قوة دهائه لا تضيق عنها حدود مثل هذه  
المملكة الصغيرة : فبحث عن اثناء الجزيرة وموارد الصناعة فيها وطاف في  
جميع انحاءها ومهد فيها جميع السبل المؤدية الى تحسين أحوالها .  
ووصل كبرن في ٢٦ مايو مع ابطال الحرس القدماء الذين اختاروا مشاطرة  
العاهل منفاه وجاءت بعد ذلك الاميرة بولين والسيدة لانيسيا لتقبا معه لانهما لم  
تشاء الانفصال عنه .

وانتظر نابوليون بفروغ صبر وصول الاخبار من فرنسا . وكما كان في غابر  
الحين وهو على ضفاف النيل يتصفح صحف اوربا بلهفة ليرى هل جاء الزمان  
الملائم لاجتياز البحر والعودة الى فرنسا لقلب هيئة حكومة الديركتورات  
الآن يتوق الى تدبر الصحف السيارة ومطالعة الرسائل الخاصة ليعلم كيف  
تتحمل الامة الفرنسية نير الاجانب والبوربون وكيف يتصرف هؤلاء الاجانب  
والبوربون مع الامة الفرنسية ولم يكترث لما تنشره الصحف في كل يوم من  
الانتقادات المرة الموجهة اليه وقال للجبرال برتران في ذات يوم وقد جاءه هذا  
بالجرائد الفرنسية : « وهل يبالغون اليوم في تمزيق بردة عرضي » فاجابه  
المارشال الاكبر : « ليس فيها شيء اليوم عن جلالتك . » فضحك نابوليون  
وقال : « ستكون اذن نوبي غدا فهي هي الغب ولكن ستنقضي نوبها . »

وكانت الحكومة التي انشأتها المحالفة لفرنسا تبدي انها جديرة بأصل  
نشأتها فقد بقيت مواعيد الكونت دي بروفس عرقوبية وبني لويس الثامن  
عشر منشورة على ارادته والحق الالهى وعاد النبلاء الى الظهور بمظهر الفطرسه  
والبذاءة ورجال الدين الى نبذ الهوادة . وصارت سحائب النعم تمطر من سماء  
العرش البوربوني على المهاجرين واصبحت صواعق نقمها واحتقارها تنقض على  
ابطال الجيش القديم . فنجح كادودال لقب شرف وبوانغ في الاطراء على مورو  
وأقيم تمثال لبيشغرو وجرع جنود فرنسا الامناء صاب الدل وعلقهم الصغار

وغسلين الفضاضة . وجميع الاعمال التي اتاها الشعب العظيم في عهدي الجمهورية والامبراطورية ألغيت من تاريخه ولم تذكر فيه الا موصومة بوصمة العار والحزابة من جراء الاختلاس والقتنة الناجمة عنهما . وان ذلك الامير الذي عاش في التحول بين ظهرائي اعداء فرنسا حين كانت جنودها تبحر اذبال النصر الباهر في فلوروش ولودي ومارنغو واسترلتز زعم انه كان صاحب الامر والنهي في فرنسا في عهد استرلتز ومارنغو فأرخ اعماله في السنة التاسعة عشرة من ملكه . على ان الصحافة القادرة على مناصبة هذه المبادئ الكاذبة ومقاومة هذه المزاعم الفاسدة وتسويد الاعمال المنكرة لم تكف الحكومة تعلن منحها الحرية حتى عادت فككت فاها وقيدتها بادام الاستبداد واعادت المراقبة غير مبالية بالمنشور الملكي .

ولما تنازل العاهل عن العرش رأى بعين البصرة ماسيأتيه البوربون من الهفوات وامكان رجوعه الى العرش . وتذكر مفكرات جزيرة القديسة هيلانة ما كان في ذلك الحين يحول في ذهنه من الافكار وتفسر لنا حقيقة المقاصد الجريئة التي سيضعها نابوليون عن قريب موضع الاجراء . ودونكم الكلام عينه الذي فاه به نابوليون عند تكلمه عن الايام الاخيرة التي قضاها في فنتنبلو .

« لو قصد البوربون الى انشاء اسرة خامسة لما احتاج القوم الى هنا ولكن دوري قد تم تمثيله ولكن اذا صروا على اعادة الاسرة الثالثة فلا البث ان اعود . ويمكن القول ان البوربون يستطيعون ان يتصرفوا على هواهم بتذكري وسيرتي : ولو اكتفوا بان يكونوا حكاما لامة عظيمة واراوا ذلك الامر لأى في سوقة الناس طماعا وطاغية ومشاغبا وآفة .

فما اعظم ما يحتاجون اليه من الفطنة ورباطة الجأش ليقدرني الثوم حق قدري وينصفوني ولكنهم شأؤوا ان يعيدوا تمثيل دور السادة الاقطاعيين وفضلوا ان يكونوا زعماء حزب تمقته الامة جماء .

واذا كان نابوليون قد جعل الناس يقولون عنه في سنة ١٨١٤ انه أصلح سرير البوربون فالبوربون في نوبتهم سيفتحون في وجهه الطريق المؤدي الى العرش وحالما عرف نابوليون موقف فرنسا ووقف على الحظ الذي يدخره له مؤتمر فينا عقد عروة عزمه على ما يجب عليه ان يفعله ولم يردد في اجرائه طرفة .

عين . وقد أكثر الناس من الكلام عن علاقاته بفرنسا وإيطاليا وبأنصاره وأحلافه وأعضاده وأرادوا أن يبينوا خروجه من جزيرة البا على دسيسة ولكن ثبت الآن أن الدسيسة المزعومة لم تخرج عن دائرة ذهنه وأنه لم يستشر احدا في ما نواه وأن جميع الناس في برتو فراجو كانوا يجهلون ذلك حتى الليلة التي سبقت مغادرته للجزيرة ما عدا دروو وبرتران

وفي ٢٦ فبراير سنة ١٨١٥ في الساعة الواحدة بعد الظهر أوعز نابوليون إلى حرسه بالاستعداد للرحيل فتم أولئك الشجعان في الحال بإسرار الخامسة الكامنة في صدورهم وكانت والددة الامبراطور وشقيقته الواقفتان في نافذة القصر تزيديان في تحريك ساكنات الاقدام والاخلاص في أفئدتهم . ولم يسمع في كل جهة غير هذه الكلمات . « باريس أو الموت »

وأذيعت على سكان جزيرة البا نشرة رسمية تنبئهم بأن العاهل نابوليون مصمم على مفارقتهم وقال الجنرال لابي حاكم الجزيرة في تلك النشرة : ان عاهلنا الاعظم دعته العناية الى خوض غمار المجد وقد اضطر الى مزايلة جزيرتكم وفوض الى قيادة الجند فيها واصار الى مجلس مؤلف من ستة أعضاء من الاهلين ادارة شؤونها والى اخلاصكم وبسالتمكم الدفاع عن قلعته . وهذا ما قاله نابوليون : « انطلق من جزيرة البا وفؤادي يفيض ابتهاجا من تضرب اهليها واني أكل اليهم الدفاع عن هذه البلاد التي اعلق عليها اهمية كبرى . ولا يمكنني ان اعطيهم برهانا اعظم من ابقائي والدتي وشقيقتي تحت حمايتهم . ويستطيع اعضاء المجلس وجميع الاهلين في هذه الجزيرة ان يتكلموا على انعطافي وحمايتي الخاصة » . وفي الساعة الرابعة مساء ركب متن السفينة (انكنستان) اربع مئة رجلا من الحرس القدماء وركب خمس سفن أخرى صغيرة ممتلئة من المشاة ومئة فارس بولوفي وفرقة أخرى من الجنود . وفي الساعة الثامنة مساء صعد العاهل الى السفينة « انكنستان » ومعه الجنرالان برتران ودروو . وفي الحال اعطيت علامة الرحيل باطلاق مدفع واحد فرفعت الفلوس فوق ذلك الاسيطيل

وكانت الريح في بدء الامر مؤاتية ولكنها ما عتمت ان صارت معاكسة فقذفت الاسيطيل الى ناحية الشاطئ فارتأى البحارة العودة الى برتو فراجو

ولكن العاهل نبذ ذلك الرأي وانشأ في اثناء السفر النشرات التي ابتغى توزيعها على الامة والجيش فنسخ عنها الجنود نسخا متعددة ودخل خليج جوان في أول مارس في الساعة الثالثة ونزع عنه علامة جزيرة البا قبل صعوده الى البر واوزع الى جنوده بنزعها عنهم ووضع بدلا منها العلامة المثلثة الالوان فطبقت اصوات الجنود القضاء قائلين : فليجي الامبراطور فلتجي فرنسا وصعدوا الى البر عند ساحة كان وكان العاهل اخر الصاعدين . وبينما اركان حربه يعنون بأمر اختيار الموقع الموافق لنزول الجيش الصغير على شاطئ البحر جعل هو يتنزه وحده على الطريق ويحدث الفلاحين ملقيا عليهم اسئلة شتى وفي الساعة الواحدة صباحا امر رجاله بمغادرة ذلك الخيم وسرى باقي الليل في مقدمتهم ناحيا غراس وحيث كان مقضيا عليه بالمسير ماشيا قسما من الطريق هوى الى الحضيض مرات كثيرة وحين ابصره احد جنوده ينهض باسم الثغر قال لرفاقه : « هنيئا لنا فلا ينبغي ان توثأ اليوم رجل جان دي ليه ( هذا الاسم كانوا يطلقونه فيما بينهم على نابوليون ) ويجب ان نسميه جان دي باريس »

ووصل العاهل الى دينيبي في ٤ مارس وطبع فيها النشرات البديعة التي انشأها على متن « الانكسنستان » وقد توقع منها تحريك ساكنات الحماسة والوطنية في افئدة الامة والجيش . ونشر هنا نشرتين من أهم تلك النشرات صادرتين عن خليج جوان في أول مارس وقد أودعهما نابوليون غاية ما تبلغ اليه فصاحته وبلاغته .

### نشرة الى الشعب الفرنسي

« أيها الفرنسيون ان خيانة الدوق دي كستليون سلمت اعداءنا مدينة ليون بغير مدافعة فالجيش الملقاة اليه مقاليد قيادته كان قادرا بمدده وبسالته ووطنيته على مقاتلة الجيش النمساوي الواقف بازائه ومهاجمة ميسرة جيش العدو المهدد باريس .

» وقد جعلت جيش العدو في موقف اليأس انتصارا تنافيا شمبوير ومنيرايل وشانوتيارى وفوشان ومورمان ومنطيرو وكران ورنس وارسس سور اوب

وسان ديزيه وعضدنا هيجان الفلاحين الاشداء في اللورين والشمبانيا والالزاس والفرنش كنته والبرغونه والمواقع التي اتخذناها عند ساقه جيش العدو بفضلنا إياه عن مراكز ذخائره ومؤنه وعدده ولم يكن الفرنسيون قبل ذلك الحين أشداء كما كانوا عليه حينئذ وكان يمكن ان يفقد نخبة جيش العدو على بكرة أبيه وأن يلقوا قبورهم في تلك البلدان الواسعة التي اكتسحوها بصورة همجية ولكن خيانة الدوق دي راغوزا سلمتهم العاصمة وضعضعت اركان الجيش حينئذ غير وجه الحرب ما لم يكن منتظرا من تصرف ذينك القائدين خائني وطنهما وطاهلهما والمحسن اليهما . وقد أصبح موقفنا مؤلما بحيث أنه حينما انتهت المعركة الناشئة أمام باريس لم يكن لدينا ذخائر من جراء انفصالنا عن مستودعها

« اجل ان فؤادي تصدع عند حدوث هذه الاور الخطيرة الجديدة ولكن نفسي ظلت ثابتة وغير متزعزعة فلم اعتبر الا مصالحة وطني وآثرت الاعترال مختارا على صخرة في وسط اللجة وقد كانت حياتي ولا تزال مفيدة لكم ولم ارض بان السواد الاعظم من الوطنيين الذين شاقوا مرافقتي يشاطروني نصيبي وقد ارتأيت ان وجودهم في فرنسا مفيد لهم . ولم آخذ معي غير العدد النزر من الشجعان الذين رأيتهم ضروريين لحراستي

« وقد وقع اختياركم علي فرفعتكموني الى العرش وكل ما صنع بدونكم لا يعتبر شرعيا : فنذ خمس وعشرين سنة أصبحت لفرنسا مصالح جديدة وانظمة محدثة ومجد طارف لاتصان الاعلى يد حكومة وطنية واسرة ناشئة في مثل هذه الاحوال الحديثة . فالملك الذي يتولى الحكم عليكم ويجلس على عرشي بقوة الجنود الذين اكتسحوا ارضنا وعاثوا فيها مفسدين يسمى علي غير طائل للاستناد الى مبادئ الامتيازات الاقطاعية ولا يمكنه أن يضمن الاكرامة العدد اليسير من اعداء الشعب الذ شجبه من خمس وعشرين سنة في جميع المجالس الوطنية وحقوقه فانتم تفقدون بته راحتكم في الداخل واحترام الناس لكم في الخارج .

« ابها الفرنسيون سمعت وأنا في المنفى شكوايكم وأمانيتكم فأنتم تطلبون الحكومة التي اخترتموها وهي دون سواها حكومة شرعية . ولقد شكوت من سبائي الطويل وانتنيتم علي باللام زاعمين اني ضحيت بمصالح الوطن العظيمة في سبيل راحتي .

« لقد اجتزت البحار في وسط المهالك على اختلاف انواعها ووصلت اليكم ابتغاء استعادة حقوق التي هي حقوقكم . وكل ما فعله الافراد أو كتبوه أو قالوه من سقوط باريس سأطوي عنه كشحي وهو أمر لا يؤثر البتة في ذكرى ما أحفظه لهم من الخدم الجليلة التي أدوها فليس من حوادث من طبيعتها أن تكون فوق الانظمة البشرية .

« أيها الفرنسيون ليس من أمة مهما استصغر أمرها الا ويحق لها التلمص من عار الخضوع الملك أقامه عليها عدو انتصر عليها انتصاراً وقتياً . ولما دخل شارل السابع مدينة باريس وقلب عرش هنري الخامس الوفي اعترف بأنه مدين بنيله العرش لبسالة شجعائه وليس للامير وكيل المملكة البريطانية وافتخر بان يكون لكم ولا بطل الجيش الفضل علي بكل شيء . »

### نشرة الى الجيش

« أيها الجنود لم تقهر . فقد خرج من صفوفنا رجالان خانا انتصاراتنا وبلادها وعاهلها والمحسن اليهما .

« أو هل تظنون أن الذين ابصرناهم مدة خمس وعشرين سنة محبوبون انحاء اوربا ليحرسوا الناس علينا ويقضون حياتهم في مقاتلتنا في صفوف الجيوش الاجنبية لاعتين فرنسا الجليلة يزعمون أنهم يتسلطون على اعلامنا ويقيدها وهم الذين لم يكونوا يطيقون النظر اليها وهل نطيع إن تراهم يجهنون ثمار اعمالنا المجيدة ويستولون على مفاخرنا وأموالنا ويسمعون بمجدنا وأحسابنا واذا دام ملكهم فقدنا كل شيء حتى تذكركم تلك الايام الخالدة .

« ولشد ما يفعلون لافساد حقيقتها ويمالجون الفض من كرامة ما يوجب به العالم . واذا بقيتمة من يدافع عن أعراضنا فيكون بين اولئك الاعداء انفسهم الذين قاتلناهم في ساحة الهيجاء .

« أيها الجنود لقد سمعت اصواتكم وأنا في المنى فأنتيت مذلا جميع المعاصب وغير مكثر للمهالك .

« ان قائدكم الذي اختارته الامة للجلوس على العرش وكنتم انتم من أقوى العوامل لشهرته عاد اليكم فهللوا الى موافاته .  
« انزعوا هذه الرايات التي رذلتها الامة وكانت في اثناء خمس وعشرين سنة علامة لتألب اعداء فرنسا وانثروا الراية المثلثة الالوان التي حملتموها في أيامنا العظيمة .

« يمكننا أن ننسى انا كنا سادة الامم ولكن لا يحسن بنا أن نطبق أن نرى أحدا يتدخل في شؤوننا . فمن يستطيع هذا الامر استعيدوا تلك الاعلام التي نشرتموها في ألم واسترلنز وايانا وايلو وفردلاند وطوديلوا واكهل واسلنغ ووغرام وهمولنسك والمسكوكا ولزن وورتنخن ومنميرابل . وهل تظنون أن اولئك الفرنسيين البذئيين القليلي العددي قدرون أن يحتملوا رؤيتها فسيرجعون من حيث اتوا وهناك سيملكون اذا شاؤوا كما يزعمون أنهم ملكوا من تسع عشرة سنة .

« ان أموالكم ومناصبكم ومجدهم وأموال أولادكم ومناصبهم ومجدهم ليس لها من أعداء أشد عداوة من الملك الذي أقامه الاجانب عليكم فهم أعداء مجدهم لانهم قضوا على رواية الاعمال الخطيرة الكثيرة التي عظمت اسم الشعب الفرنسي وقد قاتلهم للتخلص من نيرهم

« لقد تجرع كؤوس المهانة قدماء الجنود في جيش السامبر والموز والرين وايطاليا ومصر والغرب والجيش العظيم وقد امتهنت ندوبهم المسكرمة واعتبرت انتصاراتهم جرائم ويعتبر هؤلاء الأبطال متمردين ان هم كانوا كما يزعم اعداء الامة ملوكا شرعيين بين جيوش الاجانب . وستكون المعالي والمسكافة والمطف للذين عضدوهم لمناصبتنا ومناهضة الوطن .

« أيها الجنود تهالوا والتفوا تحت الوية زعيمكم لحياته لا تتألف إلا من حياتكم وحقوقه ليست سوى حقوق الشعب وحقوقكم ومصالحته وشرفه ومجده ليست سوى مصالحكم وشرفكم ومجدهم . وسيسير النصر امامكم مسرعا وسيطير النصر بألوانه الوطنية من قبة الى قبة حتى يبلغ ابراج كنيسة نوتردام :  
وحينئذ يمكنكم أن تفاخروا بابرار ندوبكم حينئذ تستطيعون ان تفتخروا بافعالكم وتكونوا مخلصي اوطن .



« ووقت ماتيلنون الشيخوخة وبحيط بكم وطنيوكم الذين محرمونكم  
يسمعونكم بكل تجلة تروون ما كان من ما تركم الجليلة وتستطيعون أن تقولوا  
باعجاب : « وانا كنت أيضا من جملة رجال ذلك الجيش الكبير » الذي دخل  
مرتين فينا ورومية وبرلين ومديرد وموسكو وانقذ باريس من الوصمة التي  
لطمختها بها الخيانة ووجود العدو .

« فسعدا لهؤلاء الجنود القساور نغر الوطن ! وسحقا خالدا للفرنسيين  
المجرمين من أي درجة كانوا وهم الذين قاتلوا خمسا وعشرين سنة مع الاجنبي  
لتمزيق ردة الوطن . »

وبشرت هذه اللهجة فرنسا الجديدة بعودة ممثلها المجيد وأعلنت أن  
الديمقراطية وجدت لسان حالها وبطلها فالامة والجيش خفا بمحاسة شديدة الى  
ملاقاة المنفي العظيم .

ووصل نابوليون الى غاب في ٥ مارس فاستقبل في تلك المدينة بمثل التظاهرات  
الابتهاجية التي ابداها له القوم على الطريق . وبعدما جاهر بعضهم بمناوأة الثورة  
واستقبلوا بفرح عظيم ملك لويس الثامن عشر القصر المدة عاد الدوفينيون  
الشديدو الادتمصاص بالثورة وحيوا بمجذل ماوراءه من مزيد الداهية المخلص الذي  
قدم لنجدة المساواة ولطالما بذل المجهود في سبيل الدفاع عنها وجاء البوربون  
الآن يهددون كيانها .

وبرح نابوليون حاضرة الالب الاعلى مصحوبا بهتاف الشعب بمجملته  
وعند مروره بسان بونه اقترح عليه الاهلون أن يقرعوا الاجراس ويهوا هبة  
واحدة لتعزيز حاميته لزمهم أنها ضعيفة لا تستطيع ايصاله الى باريس وخصوصا  
لان الحاميات الكثيرة منتشرة على الطريق فقال : « لاتعملوا هذا الامر  
فعواطفكم تشعروني بانني لم انخدع وهي تضمن لي عواطف جنودي فالذين  
القائم على الطريق سينضمون الي وكلما زاد عددهم ضمن لي النجاح فأقيموا  
ناعمي البال في منازلكم »

وتم لنا نابوليون على تلك الصورة اختبار ميل الشعب فكان لاسمه ولدهائه  
وقع شديد عنده . وبقي عليه معرفة عواطف الجيش وكان يزعم أنه منقاد بمجملته  
اليه . ودنا العاهل من غرينوبل وهو يتوقع مقاومة من الحكومة ومن قائد

الجند فأنهى الى الجنرال مرشان امر بارسال فصيلة من الجنود على طريق لامور للتصدي ل نابوليون فأرسل الفصيلة الخامسة من المشاة لتلك الغاية والتقت طلائع جنود الماهل بهذه الفصيلة على مقربة من لافريت ولم تستطع ان تقنعها. بفتح الطريق والانتظام تحت راية الجيش القديم. ووقف ضابط من ضباط الجنرال مرشان وأمر جنوده بالامتنال للاوامر العسكرية. ولما انتهى الى نابوليون ذلك الامر اسرع الى حيث كانت طلائعه وترجل ووقف أمام الفصيلة المذكورة وهو يخشى من أن يكون ثباتها مثالا سيئا لسائر العساكر. وكان الحرس يسرون وراءه وسلاحهم منكس وهم يشيرون بذلك الى أنهم لا يبتغون الالتجاء الى العنف في تصرفهم فصاح نابوليون بأولئك الجنود قائلا : « ما بالكم يا أصحاب أقلا تعرفوني ؟ أنا امبراطوركم واذا كان بينكم من تحدته النفس بقتل قائده وامبراطوره فهاءنذا أمامه . » قال هذا الكلام وكشف عن صدره فأراد الضابط ان يغتحم الفرصة ويأمر رجاله باطلاق النار ولكن غطى صوته صياح هائل طبق الفضاء فان الفلاحين الذين كانوا قد غشوا المرتفعات وملأوا الطرق صاحوا بلعافواهم : فليحي الامبراطور ! وشاطرم الجنود ذلك الصباح وفي لحظة طرف انضم جنود الفصيلة الخامسة الى أبطال جزيرة البا وتصالحوا وتماثقوا وشد الرماة البولونيون وراء ذلك الضابط حتى ماوراء فيزيل ولكنه تمكن من النجاة منهم بسرعة جواده . واستأنف الماهل مسيره الى غرينوبل يحف به جمهور غفير كان يزداد عدده كلما تقدم . وذكر نابوليون وهو في جزيرة القديسة هيلانة أنه شاهد في واد من أودية الدوفينه جنديا ضخم الجثة يخرج من بين الجمع المحدث به وهو يبكي من فرط الفرح ويحمل بين ذراعيه شيخا له من العمر تسعون سنة وكان هذا الجندي من حامية جزيرة البا فقد وأولوا فقدته على صور شتى ولكنه لم يتوار وقتيا منفصلا عن رفاقه إلا ليأتي بأبيه ويقدمه للامبراطور

ولما وصل نابوليون الى فيزيل رأى حماسة الشعب الدوفيني تزداد شيئا فشيئا وسمعمهم يصيحون من كل جهة : « هنا منشأ الثورة وهنا طلب آباؤنا قبل نسيرهم التمتع بامتيازات الاحرار وهنا أيضا ستبعث الحرية الفرنسية وتسرد فرنسا شرفها واستقلالها »



نابوليون الثاني ملك رومية



على أن العاهل وهو مار أمام قصر الدوفين الذي التأمت فيه الجمعية الوطنية الأولى في سنة ١٧٨٨ لم يسمعه الا مشاطرة الجمهور تظاهراته فصاح في نوبته وقد أنرفيه ما أورده الدوفينيون من الحوادث الماضية والموقف المخوف بالخطر الذي صارت اليه الديمقراطية في شخص ممثلها : « نعم من هذا المكان خرجت الثورة الفرنسية . »

وكأنه كان يناجي نفسه قائلاً : وفي هذا المكان أيضا ستصيب الثورة الفرنسية انتصارا جديدا على طريقة الحكم القديمة فيضمن النجاح هنا مشروعني المبني على الجرأة والاقدام .

وبينا العاهل غائص في لجة التأملات في تلك الامور والشعب الدوفيني ثمل بخمرة الفرح شق ذلك الجمهور ضابط من الفصيطة السابعة وأخبر نابوليون ان فصيلته قادمة على جناح السرعة وفي مقدمتها كولونلها لتحية بطل فرنسا . فنادوليون ولم تكن السكنينة تبرح عحياء كما كان شأنه في جميع الحوادث الخطيرة في حياته أظهر على جبينه تأثيراً شديداً من ذلك الحادث الذي أو شك أن يفتح في وجهه طريق التويلري بدون مشقة . وفي الحال أشرقت طلعتته بهجة وأملا وزال عنها بفتة ماعلاها من الفضون الناجمة عن الاعياء البدني والوهن الذهني . وبعد ما أباح لذلك الضابط بكل ما يشعر به من الشكر لفصيطة السابقة ولزعيمها وخز مطيته بالمهاز واندفع الى الامام كأنه ناظر قوس نصر كاروسل . وما أبطأت الفصيطة السابقة ان ضمت صوتها الى أصوات الجماهير التي تصحبها والكونل سائر أمامها كالسهم المرشوق وكان كبير الجسم جميل الصورة وقد جعله طبعه الحاد وقلبه الرقيق وحركاته الدالة على الشجاعة صاحب الامر والنهي على عقول رجاله ضباطا وجنودا . وخرج من غرينوبل في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم السابع من مارس ولما ابتعد قليلا عن المدينة أمر بالكف عن دق الطبول وبالوقوف ثم أنه شق صندوقا أخرج منه الراية الامبراطورية ونشرها أمام رجاله وصاح بصوت جهوري : « هذه الراية المحيطة التي ظلمتنا في أيامنا المشهورة وذلك الذي سار بنا مرات متوالية الى النصر يدنو منا ليفتقم لنا ممن جروا علينا الذل والنكبات . فقد أزعج الحين للانتظام تحت رايته فهي مابحت راية لنا . فليتبغني من يحبني ! فليحيي الامبراطور . »

والجنود الذين لم يتمكنوا إلا بشق النفس من حبس عواطفهم وقت ما كان كولونلهم يتكلم طبقوا الفضاء بصياحهم « فليحي الامبراطور ! » وكرروا ذلك الهتاف بتحمس ما وراءه من مزيد . وسار وراء الجنود جمهور غفير من الناس على اختلاف نحلهم واصمارهم وجنسهم وطبقاتهم وهم يتلهبون شوقا لتحية الرجل العظيم المتجسمة فيه مبادئ المساواة والمجد الوطني . واشتدت رغبة الفريقين في الالتقاء وما لبثا ان اندغم احدهما بالآخر واختلط هتافهما وانضم اولئك الرفاق بعد ما فرقت بينهم حوادث سنة ١٨١٤ وتمايقوا وهم يصيحون : « ليحي الحرس ! لتحية الفصيطة السابعة ! ليحي الامبراطور ! » ومزج سكان مدينة غرينوبل الخافون للقاء أعظم الغزاة الفاتحين حماسهم بحماسة سكان الجبال المنحدرين من عقابه للحاق بذلك الرجل العظيم . وتمكن لا بدويار النبيل الشجاع كولونل الفصيطة السابعة من الوصول الى نابوليون شاقا للجمهور الغفير فوق على عنقه وضمه نابوليون بشدة الى صدره وقال له بلهفة عظيمة : « يا حضرة الكولونل انك ترجعي الى العرش » .

ووصل الماهل الى غرينوبل وقت دخول الليل فعلم الأهلون والحامية بقدومه حين سماعهم الجلبة الشديدة والهتاف العظيم ولم يتمكن الظلام من اخفئه ذلك الامر عنهم وأمر قائد الحامية باقفال الابواب وأخذ مفاتيحها فغافله بعض الاهلين والجنود وزلوا عن الاسوار وانضموا الى موكب العاهل . فسمعت في الحال قعقة السلاح في المدينة فظنوا أن المدفعيين استعدوا لاطلاق القنابل وحمد الجمهور الى الاختباء وراء البيوت المجاورة الا أن نابوليون لم يقو الخوف على الدخول عليه فظل واقفا على الجسر قبالة البطاريات . فأثرت هيئته الساكنة تأثيرا سريعا في عقول الجمع فصاح أحد الوطنيين قائلا : « ان الماهل يبذل نفسه ونحن نسعى لمداواة انفسنا » . ولما قال هذا الكلام اندفع الى المسكان الواقف فيه نابوليون وحينئذ تلا الجميع تلوه واحاطوا بعاھلهم .

واراد نابوليون أن يعلم حقيقة الحركة التي اجروها على الاسوار فدعا اليه لا بدويار وامره بان يخاطب المدفعيين . فصعد الكولونل على يفاع من الارض وصاح بصوت كالرعد القاصف : « أيها الجنود لقد أرجعنا اليكم البطل الذي سرتم وراءه في معارك كثيرة فيجب عليكم أن تستقبلوه وتكرروا معنا الهتاف

الذي كان علامة لاجتماع قاهري اوربا وهو : ليحيى الامبراطور ! » فالمدفعيون الذين لم يبقوا في مراكزهم الا اذعانا للنظام العسكري طبقوا الفضاء بالصياح : « فليحيى الامبراطور ! » وانضم اليهم جميع المحققين بهم من الجنود والاهلين وشاطروهم الهتاف الذي بدأ به الكولونل لابدويار

وتبرم نابوليون في اثناء ذلك التحمس من داخل المدينة وخارجها من رؤيته الابواب باقية مقفلة فكان الذين في الداخل يدون من خصائص الابواب ايديهم لتحية الذين في الخارج من دون أن يفتحوا الابواب فميل مصطبر سكان ضواحي المدينة وارياضها وجاؤوا باساطين ضخمة من الخشب وحطموا بها باب بون ودخلوا بالماهل المدينة وكان الاهلون فيها يصيحون بملء افواههم مهللين ومكبرين له .

وقال لاس كاس : « لم يوفد الماغل سمير معركة استهدف فيها لنبال العطب بمقدار استهدفه لها وقت دخول غرينوبل فانقض عليه الجنود وهم يبدون الغضب والحنق وخيف حينما من الزمان أن يمزقوه تمزيقا ولم يكن ذلك العمل سوى ثورة الحب والفرح حملوه بجواده »

وأعيد طبع نشرات خليج جوان في غرينوبل وأذيعت منها نسخ كثيرة وأقام الماغل يومين في المدينة عرض في خلالها الجنود والحرس الوطني واستقبل اصحاب الخطط واعضاء الندوات العلمية وخدمة الدين .

وكان نابوليون في اثناء عرضه الجيش لابسا قبعته الصغيرة ورداءه الرمادي المشهور فدنا من مدفعي الفصيلة الرابعة وقال لهم :

« بدأت بينكم خدمتي الجندية فاحبكم جميعكم كرفاقي القداماء وقد سرت معكم الى ساحة الهيجا ولا ازال راضيا عنكم واؤمل باننا لا نحتاج الى المدافع » ورح نابوليون غرينوبل في ٩ مارس ووصل في الغد الى ليون في الوقت عينه الذي غادر فيه فرنسا الكنت دي بروفنس بعد بذله مقدارا كبيرا من الجهد لحمل الجنود على المداومة عن البوربون ولم يخفروا سوى متطوع واحد من متطوعي الملكية وقد انعم نابوليون على هذا المتطوع بنشان جوقه الشرف مكافأة له على أمانته واخلاصه .

واقنع نابوليون كل الاقتناع بان الاستقبال الحافل الذي استقبله به سكان

المدن والقرى يعزى الى المبادئ الديمقراطية التي يعمل هو باسرها والى الرأي العام الذي يعتبره كلمة الثورة وروحها على انه مع الاحتفاظ بتخفيفه في المستقبل من حدة الحركة الديمقراطية لم يلق مندوحة عن منح الاحرار شيئاً من التساهل لزمه انهم هم والجنود المتحمسون ساروا به بانتصار باهر الى باريس واصدر في ١٣ مارس عدة اوامر النفي بها كل ماصدر ضد الثورة في عهد الحكومة الملكية الوقتية وامر بأن توضع موضع الاجراء القوانين التي وضعتها الجمعية الدستورية لالغاء القاب الشرف القديمة ورتبة الفرسان . واصدر امراً آخر بجل مجلس الشيوخ ومجلس النواب وامر باجتماع لجان الانتخاب في باريس ليؤلفوا مجلساً يعنى بامر تنقيح القوانين الدستورية الامبراطورية .

وسار العاهل على طريق برغونة فلمقيمة على جبل انتظاره شعباً لا يقل حبه له وحماسته عن حب وحماسة شعب الدوفينه وكان البوربون قد هددوا دمه في اثناء اجتيازه فرنسا ومسيره نحو العاصمة بين هتاف الجماهير وتظاهراتهم واستصرخ مؤتمر فيينا اوربا جمعاء لحمل السلاح ومقاتلته . وقامت الصحافة في باريس وفي البلدان الاجنبية وعصفت البوربون بنشر المقالات الضافية الفائضة بحنق الملكية والارسطقراطية القديمة معتبرة الرجل العظيم زعيم عصابة من السفاحين العيارين يستحق أن ينزل به وبمصائبه شديد العقاب . على أن المقالات الافتراءية والاهانات البذيئة لم تحل دون اقتراب نابوليون شيئاً فشيئاً من باريس . وردد في ١٣ مارس في ما كونه وفي ذلك الحين جاهر المارشال ناي في لون ليسولينييه بانحيازهم اليه وقد نشر لذلك نشرة تبثديء بهذه الكلمات : « ان مسألة البوربون انقضت امرها » . وتوجه الى شالون في ١٤ منه فأثنى على اهلها لما اظهروه من البسالة في مقاتلتهم العدو في الحرب الاخيرة ورغب في توجيه مثل هذا الشناء الى سكان سان جان دي لون على ما اظهروه من الشجاعة في الحرب المذكورة ولكن هذه المدينة لم تكن على طريقه فاكثفى بارسال نشان جوقه الشرف الى حاكمها الهام وقال في ذلك الحين للملاحين والعملة المؤلف منهم معظم موكبه : « انشأت لاجلكم ايها الشجعان نشان جوقه الشرف وليس للمهاجرين المتناولين الرواتب من اعدائنا . »



وانتهى نابوليون في ١٥ منه الى أوطان بين هتاف الشعب المزداد عدده .  
حواله وفي ذلك اليوم التأمّت في باريس الندوتان المنشأتان بموجب المنشور  
الملكي ولبتا دعوة الملك للنظر في أمر قدوم العاهل . وكان لويس الثامن عشر  
وامراء عترته كالنزول بهم حينما اقترب ذلك المنفي العظيم وكانوا قد هدر وادمه  
علي غير جدوى . فسكرتموا وقتيا أميا لهم المما كسة للثورة وجاؤوا وجددوا  
إيمانهم للمحافظة على منطوق المنشور الآنف الذكر . ولم تستطع التظاهرات  
الرسمية أن تستميل اليهم ثقة المالكين الدستوريين بعد ما خابت امانهم من  
جراء ماشاهدوه من ارنجاع الحكومة ولم تر الامة في هذه التظاهرات سوى  
دليل على الخوف وهذا ما جعلها تنظر اليهم بعين السخرية .

وظل العاهل مغنا في السير نحو باريس وهو غير مبال بالتدابير الحربية  
المتخذة لما كسته وغير مكترث للاوامر العنيفة الصادرة ضده مع رغبته في  
التصدي له في زحفه المؤدي الى الانتصار ودخل أكسير في ١٩ منه وقد قدمت  
الفصيلة الرابعة عشرة من المشاة اليها من أرليان للملاقاته . وكانت هذه الفصيلة  
قد قاتلت قتال الابطال في اسبانيا من دون أن تصيب ماتستوجبه من المكافأة .  
فوزع العاهل نياشين على الضباط والجنود الذين يفضلون غيرهم في استحقاقها .  
وجاء المارشال ناي الى أكسير لموافاة العاهل وقد جاء أشجع الشجعان لا كمال  
عمل لابدويار فسر به نابوليون كثيراً .

وكانت الحكومة الملكية قد صارت الى حالة اليأس والضيق فطلبت  
من الندوتين أن تخلصاها بسن قوانين تلائم ذلك الزمان واضطرت العظماء الى  
التحاور ومداواة الجنود في مقارهم ارادة استمالهم اليها ولكن ذهبت مساعيهم  
على غير طائل ولم يجدها تذللهم نفعا فالندوتان لم يكن لهما سلطة على الامة  
والامراء لم تكن كلمتهم مسموعة عند الجنود وهؤلاء لم يلبوا طلبهم بل نبذوه  
نبذا محقرا ولم يتصد شيء من الاشياء لنابوليون .

وفصل عن أكسير في ١٩ مارس فوصل الى فنتنبلي في ٢٠ منه في الساعة  
الرابعة صباحا وغادر لويس الثامن عشر العاصمة في الليلة عينها منطلقا بسرعة  
الى حدود بلجيكا . واذا كان مسير نابوليون من خليج جوان الى باريس قد تم  
بانتصار متواصل فان انسحاب الملك من باريس الى غاند كان شبيها بالهرب . وقد

أنخدع البوربون في معرفة أسباب سقوط نابليون فاتهم توهموا وعلنوا أن ذلك الذي كان يتصرف بالعروش والممالك على هواه ختم بالختم الإلهي انقلاب السلطة الامبراطورية ليضع حدا في فرنسا لسيادة العصيان والكفر ولم يفتأوا عن القول ان ذلك كان روح العصر والفلسفة الحديثة والثورة وأن العناية تريد تقلبم أظفارها وقد ضربتها بشخص نابليون . فالعناية التي تحول انظارها عن الماضي وتوجهها الى المستقبل والتي تحرك الثورات لتجديد الشعوب وليس لارجاع الملوك والتي لم تحرم حمايتها ذلك الرجل العظيم بعد ما مننت عليه بكثير من النعم إلا لتعاقبه على تقربه من أفكار وأشخاص الهيئة الاجتماعية القديمة ستظهر مقاصدها بصورة جلية وتزيل الغرور عن أولئك الملوك الذين لم يدركوا غور مقاصدها الواسعة . وقد مكنت العاهل بعدما سمحت بسقوطه من الهوض بغتة والمجيء لاستعادة الصولجان وليس لاعادة أسرته الى الملك وتوطيد اركانها على العرش بل لظهاره للعالم طراً قوة الثورة السامية وضعف طريقة الحكم القديمة

وقد ظهرت الآن هذه الشهادة فان الحق الإلهي الذي جاء به البوربون على يد الاجنبي فادر فرنسا فاراً معهم وعادت السيادة الشعبية بانتصار الى التويلري مع نابليون .



## الفصل الثالث

### المائة يوما

وشاهدت فنتنبلو العاهل ينحدر عن عرشه في ٢٠ ابريل سنة ١٨١٤ وقد هجره رفاقه القدماء وافترق عن حرسه واقتيد أسيرا الى جزيرة البا وعادت فنتنبلو في ٢٠ مارس سنة ١٨١٥ فشاهدت نابوليون محفوقا بحرسه وبفرقته المقدسة ومكبرا له من الشعب والجيش ومستعدا للسير الى عاصمته ليقبض بيده على السلطة العليا وقد القت اليه الامة بمقاليدها للمرة الثانية . ووصل العاهل الى ابواب باريس في آخر النهار فكانت الراية المثلثة الالوان تخفق فوق التويلري من الساعة الثانية بمد الظهر وقد رفعها اكسلمان الشجاع فوق القصر .

وازدحم الشعب والجيش حول نابوليون متسابقين اليه كما فعل القوم في غرينوبل وكل منهم يود لو يشاهد البطل عن كثب . ولما دخل التويلري في الساعة التاسعة مساء استقبله جمهور من الضباط وتهافتوا عليه تهافتا فقال لهم : « انكم تخنقوني يا حضرة السادة . » وجاء المسيو دي متقاليفه عند أسفل الدرج الكبير للقاء العاهل واستقبله بين ذراعيه . وهذا الرجل خدم العاهل بصدق واخلاص ودراية وحكمة في أوان مجده وفي عهد سقوطه . وحمّلوا العاهل على الاكف الى غرفته حيث كانت الملكة هرتنس تنتظره ومعها كثيرون من عظماء رجال الامبراطورية القدماء .

وخيمت الفرقة المقدسة في ساحة كاروسل وتولت خدمة القصر مع الحرس الوطني .

وفي الفد عرض العاهل جميع العساكر الذين في العاصمة فخطب فيهم قائلا : « أيها الجنود قدمت الى فرنسا بتسع مئة رجل وأنا متشكل على محبة الشعب وتذكركم الجنود القدماء فلم ينجب أملي . أيها الجنود اقبلوا خالص شكري . ان الفخر الذي جنيته من أعمالنا مرجعه الى الامة واليكم ونفري محصور بمعرفتي اياكم وتقديري اياكم حق قدركم . »

« أيها الجنود ان عرش البوربون غير شرعي فقد نصبته ايدي الاجانب بمد ماهدمته الامة ووافقت على هدمه المجالس الوطنية . فليس فيه ضمان إلا لمصالح فريق يسير من اصحاب الدعوى والعجرفة المماكسة لمطالبهم لحقوقنا . أيها الجنود إن في العرش الامبراطوري وحده ضمان حقوق الشعب ولاسيما أول المصالح وهي مصلحة مجدتنا .

« أيها الجنود سنزحف لنطرد من ارضنا اولئك الامراء الموالين للاجانب ولا نكتفي الامة بتمنيها لنا الظفر بل تعضد أعمالنا فانا والشعب الفرنسي نعول عليكم . ونحن لا نبتغي التدخل في شؤون الامم الاجنبية ولكن الويل لمن يتدخل في شؤوننا ! »

وكان لهذا الخطاب وقع على افئدة الجنود مماثل للوقع الذي كان لكلام نابوليون على جميع الافئدة فطبخوا القضاء هاتقين : فليحي الامبراطورا واتفق ان قدمت في ذلك الحين فرقة جزيرة البا بقيادة كبرن ولم تكن قد تمكنت من الوصول الى باريس مع العاهل . ولما وقعت عليهم عين نابوليون صاح قائلا : « هؤلاء ضباط الفرقة التي صحبتني في الضراء خميمهم اصدقائي واعزائي وكلما وقعت عيني عليهم تمثلت فرق الجيش المختلفة فين هؤلاء الشجعان الست مئة أشخاص من جميع القبائل . وجميعهم يذكرونني بالايام العظيمة التي لا يزال ذكرها عزيزا لدي وجميعهم موسومون بندوب شريفة أصابتهم في المعارك المشهورة فخي لهم صدى حيي لكم جميعكم يا جنود الجيش الفرنسي وهم ارجعوا اليكم راية النسر فلتكن لكم علامة للاجتماع . واذا ما أعطيت الحرس إياها فأكون كأني قد أعطيت الجيش كله هذه الراية .

ان الخيانة والاحوال السيئة القت عليها غشاء محزنا ولكنها بفضل الامة الفرنسية وبهمتكم حادت الى الظهور بمظهر المجد . فأقسموا على أن تجعلوها دائما في المكان الذي تدعو مصلحة الوطن الى رفعها فيه . وليعجز عن النظر اليها الخونة ومن تحذهم النفس بغزو بلادنا .

فصاح الجنود بصوت واحد : « إنا نقسم على ذلك » وبينما هم يمرون أمام العاهل عزفت الموسيقى بلحن الثورة : « فلنسهر على سلام الامبراطورية : » وكأن نابوليون عاد الى عهد القنصلية فقد جعلته النكبات والبوربون يصلح



نابوليون في حديقة سان كلود ومعه اولاد موريات



الديمقراطية ولم تكن تنال الخطوة عنده في عهد الامبراطورية . ولكي يجعل تلك المصالحة علنية ومشهورة اسند وزارة الداخلية الى كارنو ونصب بنيامين كنستان رئيسا لمجلس شورى الدولة . وقد اعترف بفعله هذا بسيادة الرأي العام واذعن للاميال الحرة التي مثلها ذاك الرجال الوطنيان بكل مجالها . وفتح الامبراطور بنيامين كنستان بحرية فكر في أمر السياسة الجديدة التي وطن النفس على السير عليها . فانه وان لم يعترف باتحاله المبادئ الدستورية وان لم يجاهر بأنه مستعد لعصد ذكرى الديمقراطية التي ساعدته مساعدة قوية على اعادة العرش اليه اعلن انه يخضع لمطالب الامة حتى وامياها وانه ينتهج الطريق الذي تميل الافكار الى الجري عليه واليكم شيئا من الكلام المشهور الذي فاه به في تلك الاحوال ونقله اليها ذلك الكاتب الكبير الموجه اليه ذلك الكلام : « ان الامة استراحت من اثني عشرة سنة من الاضطرابات السياسية ومن سنة من الزمان من الحرب وهذه الراحة المزدوجة جعلتها محتاجة الى العمل . فهي تريد او تظن انها تريد ان تصيب ندوة ومجالس وهي لم تكن تطلب دأما هذا الامر : وقد عقرت وجهها عند قديمي حين قبضت بيدي على ازمة الاحكام ولا بد من تذكرك هذا وانت قد عاجلت معاكسي . وكافي بميل الناس الى الدستور والمباحثات والخطب قد عاد . . . ولكن هذا الامر لا تطلبه الا الاقلية فلا تتخذ عن بذلك . فالشعب وان شئت فقل الجمهور لا يبتغي غيري . أو لم تبصر هذا الجمهور يزدهم ورائي وينحدر من قمم الجبال وهو يناديني ويبحث عني ويحييني في أثناء عودتي من كان الى هنا لم أفتح البلاد ولكن توليت تدبير شؤونها . فلست كما يقولون جاهل الجنود فقط ولكنني ايضا جاهل الفلاحين والشعب وفرنسا ... ومع كل ما حدث في الماضي ترى الشعب يعود الي : فيبيننا عواطف وداد متبادلة ... فيمكنني أن أعطي علامة أو أن أغضي الطرف فيشور الناس على النبلاء في جميع الانحاء ويفتكون بهم فتكا ذريعا . فلقد اكثرنا من العمل من ستة أشهر ... ولكنني لا أشاء أن اكون ملكا للفتنة واذا كان من سبيل للحكم بواسطة دستور كان ذلك من حسن الحظ ... لقد سمعت وراء نيل السيادة على العالم وكنت محتاجا لاصابة متوخي الى قوة غير محدودة . وقد

ووحدها... فانظروا ماترونه، ميسوراً لكم وأمدوني بأفكاركم . هل تبتغون حرية الانتخابات وعلانية المناقشات والحرية والقاء المسؤولية على الوزراء فانا ابتغي هذا كله... وانا مقتنع كل الاقتناع بأن خنق حرية الصحافة والمطبوعات يمد ضرباً من الجحاة... انا رجل الشعب فاذا ابتغى الشعب الحرية في الحقيقة فانا مدين له بذلك وقد اعترفت بسيادته ولا بد من الاصاخة الى ارادته حتى وامiales . ولم اشأ قط ارهاقه لاطفاء غليل مسرتي بل كان لي ثمة مقاصد عظيمة . والآن نفذ القضاء فلست فاتحاً ولا يمكنني ان اكون فاتحاً وصرت اعلم ماهو ممكن وما هو غير ممكن . ولم يبق لدي سوى مهمة واحدة وهي اقالة عشار فرنسا والنش في فيها حكومة توافقها... فالعمل الذي باشرته من خمس عشرة سنة نقض ولا يمكن اعادة بنائه . وقد اقتضت الحال التضحية بمليونين من البشر وقضاء عشرين سنة في سبيل ذلك . وعلاوة على ذلك صار من وكدي توثيق عرى السلم ولا يمكنني ان ادركه بغير الانتصارات الباهرة . ولا اشاء أن اجعلكم تعملون نفوسكم بالآمال الفارغة أو أن اجعل الناس يقولون أن ابواب المفاوضات مفتوحة وهي ليست مفتوحة . وأرى بعين الفكر ان لدينا عرا كاشديدا وحربا خروسا فيجب على الامة والحالة هذه أن تعضدي لانتمكن من القيام بها وهي تطلب الحرية مكافأة لها على حملها وستصيب هذه الحرية... فالموقف جديد . وجل ما أتمناه ان تنار بصيرتي فقد شخت والمرء لا يظل في الخامسة والاربعين على ما كان عليه في الثلاثين من العمر . وانا تلامي الراحة التي يذوق طعمها الملك الدستوري... وهي ستكون ولا جرم اكثر ملائمة لابي»

وكان في جواب العاهل لارباب المناصب الذين بادروا الى تقديم تهناتهم له آثار المبادئ الحرة التي اعرف بيمتها وسيادتها في ذلك العهد ورضي بأن تكون له نصيراً . فقال لوزرائه : هذا هو شعاري : « كل شيء للامة وفرنسا » ولم يكتب بالقول بل اصدر مرسوماً عالياً بتاريخ ٢٤ مارس ألتني فيه قانون المراقبة على المطبوعات فانكر عليه ذلك الامر المقربون منه فقال لهم : « يا حضرة السادة هذا الامر يتعلق بكم اما انا فلا أخشى شيئاً ولست ابالي ان تم نشروا ضدي من الانتقادات اكثر مما نشره منذ سنة من الزمان . »

وسعى دوق انغوليم وقربنته الدوقة لاثارة الاهلين في الانحاء الجنوبية



ودعرتهم الى الدفاع عن المبدأ الملكي وبذلت دوة انفوليم من الهمة والاقدام والثبات في بوردو ماجعل العاهل يقول عنها : « انها الرجل الوحيد في الاسرة . » بيد أن مساعيها لم تذلل المصاعب القائمة في وجهها فاضطرها الجنرال كلوزل الى مغادرة بوردو بلا قتال والالتجاء مرة ثانية الى البلاد الاجنبية وسقط دوق انفوليم في يد الجنرال جيلي في لابلود وسيق أسيرا الى بون سانت اسبري فأصبح تحت رحمة العاهل وأقام أنصار البوربون ينتظرون بقلق عظيم ما يقرره نابوليون بحق ذلك الامير . وقد زاد قلقهم ذكر الامر الملكي القاضي بهدر دم نابوليون . وأوقف العاهل الجنرال غروشي المندوب خوق العادة في الانحاء الجنوبية على مقاصده برسالة منح فيها ذلك الامير الحرية بالمضي الى البلاد الاجنبية لينفسح له المجال باثارة الحرب على نابوليون وعلى فرنسا . على انه حدث في ذلك الحين حادث مهم جدا ما وراء جبال الالب فان مورات بعد ما هدده مؤمرا فينا سعى لاستثارة ايطاليا على النمسا وانهم الملوك بنكران الجميل نحوه كأن نكرانهم الجميل لم يكن عقابا الهيا له على نكرانه الجميل القطيع بحق نابوليون وبحق فرنسا : ولما قلب مورات ظهر المجن لاولئك الملوك ظنوا أن العاهل لم يخرج من جزيرة الباي إلا بعد مصالحة لحنته واتفاقه معه على ذلك العمل .

وكان ذلك كافيا لسد حكومة النمسا اذنيها عن فماع مقترحات نابوليون السلمية : فلم يتردد الوزراء النمساويون في الموافقة على منطوق المعاهدة المبرمة في ٢٥ مارس سنة ١٨١٥ وقد اصبح الحلفاء بموجبها أكثر عددا مما كانوا عليه من قبل واتفقوا على مداومة القتال ريثما يتسنى لهم ثل عرش نابوليون بعد مارممه بطريقة غريبة . وجعل ذلك العمل نابوليون يقول وهو في جزيرة القديسة هيلانة : « ان ملك نابولي استهدف مرتين لنبال التهور وكان في كلتا المرتين سببا لمصائبنا : ففي سنة ١٨١٤ جاهر بمناوأة فرنسا وفي سنة ١٨١٥ جاهر بمناوأة النمسا . »

ومهما كان ضعيفا الامل الذي علل العاهل النفس به بفصل النمسا عن المحالفة وحمل الدول الاخرى على طرح السلاح فانه جدد المساعي الرسمية التي عاجلها غير مرة ان في عهد قنصليته وأن في عهد امبراطوريته ليدعو اعداءه الى المسالمة

ولالقاءه في كل حال اعباء مسؤولية الحرب على عوانتهم فكتب في هذا الصدد رسائل الى جميع الملوك .

ولم يكتف الملوك انتحالفون بعدم مجاوبتهم إياه على رسائله بل أبوا أن يستقبلوا المفوضين الفرنسيين فرأى نابوليون أنه لم يكن له منتدح عن الامراع في إعداد معدات الحرب بصورة جديدة .

وكان تفور الشعب الفرنسي من البوربون مغروسا في القلوب وكان اعجابه بنابوليون شديدا وطاما ومع ذلك كان السلم الضالة التي ينشدها كل فرد من افراد الامة الفرنسية . على ان هذا الشعب وان يكن مصمما على بذل مايجب عليه أن يبذله صيانة لكرامته ومحافضة على شرفه واستقلاله لم يمل بوجه من الوجوه الى العودة الى خوض غمار الحرب وامل أن يرى عرى المحالفة تنحل بخطب النسا موالاة فرنسا وقد اشار نابوليون الى هذا الامر بصورة علنية قائلا ان ماري لويز وملك رومية سيشهدان الجمعية التي ستنعقد للنظر في الحوادث الجارية . إلا أن نتيجة العلاقات السياسية بين الحكومة الفرنسية والحكومات الاوربية الاخرى ولاسيما الحكومة النمسية وما كان من زيادة تفورهن من فرنسا ازالته عن اذهان الوطنيين الفرنسيين الحقيقيين استار الغرور فعلوا أنهم مدفوعون بحكم الضرورة الى محاربة الدول اللوائي تعمدن الخفض من مقام فرنسا مع ميلهم كل الميل الى التمتع بملاذ السلم وفوائد الحرب في عهد ذلك الداهية الذي أولى بلاده مجداً أثيلا رأوا بعين البصيرة أن السلم لا يمكن بقاءها مرفوعة الاعلام . وخافوا أن تصبح حربهم معرضة لازوال .

واصدر نابوليون في ٢٢ ابريل ملحقا لقوانين الامبراطورية فانه بدلا من أن ينتظر نتيجة أعمال الجمعية الدستورية الجديدة التي اصدر امرا في ١٣ مارس بالتسامها عمد بذاته الى تنقيح الدستور وفقاً لما وعده به الامة . ولكي يتجنب جدالا مزعجا في ذلك الشأن قلل عدد الناضحين الكثيرين المفوض اليهم امر النظر في الانظمة الاثقة الذكر واقتصر على استشارة الامة كما استزلت عن آرائها لما أرادوا تقرير القنصلية مدى الحياة والامبراطورية عن النظام الآتي الذي استودع جميع مجالس البلدية في فرنسا .

المادة الاولى : ان الانظمة الامبراطورية ولا سيما المادة الاضافية رقم ٢٣  
فريمار من السنة الثامنة وقرارات مجلس الشيوخ رقم ١٤ و ١٦ ترميدور من السنة  
العاشرة والقرار المؤرخ في ٢٨ فلوريال من السنة الثانية عشرة يدخل عليها التغيير  
الآتي

أ. الانظمة الاخرى فتبقى على ما كانت عليه .

المادة الثانية : تسند السلطة الاجرائية الى العاهل والندوتين

المادة الثالثة : تكون العضوية متوارثة في الندوة الاولى المسماة ندوة الاعيان .  
المادة الرابعة : يسمي العاهل أعضاء هذه الندوة ويكونون غير قابلين العزل  
هم وأولادهم الذكور اكبراً عن أكبر رأساً ولا يكون عدد الاعيان محدوداً الخ .  
ولا حاجة الى نشر المواد الاخرى من هذا النظام على أن تعزى شأن  
الديمقراطية في فرنسا وهي التي أرجعت نابوليون الى العرش بصورة عجيبة جعل  
نابوليون ينشئ في فرنسا ارسطقراطية من أقبح أنواع الارسطقراطية بتنصيب  
حكام يتولون الحكم مدى الحياة . ولكن الانظمة الامبراطورية الموضوعة في  
سنة ١٨٠٦ وكان أنصار المساواة مستائين منها كل الاستياء مع معرفة نابوليون  
ما لفرنسا من الغيرة الشديدة على هذه المساواة لم تخضع لصدفة النسب سوى  
القاب ومناصب خالية من الاهمية السياسية : وفي هذه المادة الاضافية زيادة في  
توسيع سلطة الندوة فانه يسلم للصدفة أول منصب من المناصب العامة ومن خصائص  
هذا المنصب الحق بالاشتراك في سن الشرائع . فلو انشأ نابوليون مجلساً للاعيان  
يتوارث أعضاؤه العضوية خلفاً عن سلف وقت ما كان مستاء كل الاستياء من  
الجمهوريين وكان يعمل بجهد وعناء ساعياً وراء انشاء أسرة جديدة لتوطيد دعائم  
السلطة المستحدثة لكان ذلك الانشاء مع ما كسبه لروح العصر مطابقاً للعقول  
من دون أن يقضي أحد منه العجب ولكن الامر لم يبق كذلك بعد النشرتين  
الصادرتين عن خليج جوان وبعد ما أبصره وسمعه وأعلنه على الطريق من كان  
الى باريس وبعد المرسوم السامي الصادر عن ليون والمكرر فيه بين تكبير فرنسا  
وتهيلها القضاء بالموت على الارسطقراطية القديمة فلا يحسن به والحالة هذه أن  
ينشئ في فرنسا مجلساً للاعيان يتوارث فيه الاعضاء مناصبهم خلفاً عن سلف .

وكان ذلك الامر تكذيباً معجلاً للامال التي صار القوم في فرنسا بعد مماعهم لهجته الحرة ورؤيتهم أمياله الشعبية يعللون النفس بنيلها . ونهض كارنومعا كسا بكل قوة نشر النظام المحتوي على ذلك الامر المبني على السياسة المحرقة . فدافع عن المجد الطارف من المجد التليد . وعن الرجال العظام من أعقاب الرجال العظام وكان الخطباء في عهد القنصلية قد تكلموا بمثل هذا الكلام باسم نابوليون حينما ارادوا أن يجعلوا النساء نشأة جوقة الشرف موسوما باسم الديمقراطية وبيّنوا الفرق بين هذا النشان الحديث والنياشين الممنوحة في عهد الحكومة السابقة . إلا أن أغراض الامبراطورية وتقاليدها تغلبت على ذكرى القنصلية فقد حفظ الفكر الملكي في نابوليون كل قوته وشدته . وزعم الامبراطور كما قال لينيامين كنستان ان الاقلية هي التي تطلب وضع الانظمة ومهما تكن واضحة وصريحة الغايات التي يرمي اليها الشعب في تظاهراته الاخيرة فان نابوليون أصر على اعتباره المنحة المتمتعة بها الطريقة الدستورية نيراً وقتياً على الذي الحاضر .

وعول نابوليون على ما كان يشعر به الشعب الفرنسي من النفور من رجال الحكومة القديمة في رؤيته القوم يقبلون باجماع الآراء على المادة الاضافية الآتية ذكرها وقد عني باضافته الى نظام عضوية الاعيان الموروثة وبعض المواد الخالية من الحرية التامة ماذة تجدد الغاء العشر والحقوق الاقطاعية وملاشات القاب الشرف القديمة وابعاد البوربون الدائم . ولم يعدم نابوليون اشخاصا يقرعون على الموافقة على تلك المادة الاضافية المقوتة وضمتها الى الانظمة الامبراطورية ولكن الرأي العام تأثر تأثراً سيئاً من هذا العمل فكان من نتيجة ذلك أن التحمس الشعبي العام الشديد الذي ظهر في شهر مارس صارت نيرانه تتمد شيئا فشيئا عند دنو شهر مايو .

وتألفت جمعيات وطنية في الامبراطورية الفرنسية لمعضد الحماسة الديمقراطية والنية لل دفاع عن الوطن فكان في باريس متحالفون تألبوا من سكانها وسكان الضواحي . وجاء متحالفو دساكر سان مرسو وسان الطوان وتطوعوا طالبين من الماهل سلاحا واسمعه كلاما لم تعود اذناه مماعة من قبل بيد أنه توقع منذ وصوله الى خليج جوان حدوث مثل هذا الامر فلم يلق مندوحة

عن الاذمان بقدر الامكان لمقتضيات موقفه : فأجاب بالكلام الآتي المتحالفين القادمين الى معونته :

« أيها الجنود المتحالفون من دساكر سان انطوان وسان مرسو »  
« قدمت وحدي لانتكالي على سكان المدن والقرى وجنود الجيش ولمعرفتي  
تعلقهم بالشرف الوطني . لقد حققتم جميعكم ثقتي بكم فأقبل ما تقدمونه لي  
وسأعطيك سلاحا وأخصص لتولي قيادتكم ضباطا لاتزال الندوب بادية عليهم  
وهم الذين تعودوا أن يروا العدو ظرا أمامهم .

« أيها الجنود المتحالفون اذا كان قوم في الطبقات العليا من هيئتنا  
الاجتماعية قد لطمخوا لاسم الفرنسي بالعار فقد حفظت محبة الوطن وشعائر  
الشرف الوطني عند سكان المدن والقرى وجنود الجيش . ويسرني ان اراكم في  
ثقة بكم فلتحجي الامة ! »

ولما فتح الناجبون المحتشدون في باريس احقاق الاقتراع على تلك المادة  
الاضافة قدم وفد نتيجة ذلك الاقتراع للامبراطور في اجماع مايو فبلغ عدد الذين  
قبوله ثلاث عشرة مئة الف وعدد المعارضين اربعة آلاف . وكان جواب نابوليون  
على خطاب رئيس الوفد الحدث المهم الوحيد في ذلك اليوم الوطني العظيم الذي  
أذيع عنه في بدء الامر أنه فائحة عصر النهضة وانتهى بامور نافهة أعني بفتح  
احقاق أوراق الاقتراع البسيط . وهذا ما قاله الامبراطور في خطابه :

« أيها السادة سواء كنتم عاهلا أو فنيلا أو جنديا فان كل واحد منكم هو من  
الشعب . ففي السراء والضراء وفي ساحة القتال وفي بهرة المجلس وعلى العرش  
وفي المنفى لم تنفك فرنسا الموضوع الوحيد الشاغل افكاري وأعمالي .

« انتم موشكون ان ترجعوا الى مقاطعكم فقولوا للوطنيين أن الاحوال  
حرجة فبالاتحاد والهمة والثبات نخرج ظفرين من المراك الذي يقوم به شعب  
عظيم علي من يتعمدون هضمه فليستقص الاجيال الآتية عن سبوتنا ماشاءت  
الاستقصاء فالامة تفقد كل شيء حين تفقد الاستقلال . قولوا لهم ان الملك  
الاجانب الذين أجلستهم على عروشهم والذين هم مدينون لي بحفظ نيجاتهم على  
رؤوسهم والذين كانوا في أيام عزتي وسؤددكم يتهافون على محالتي وحماية  
الشعب الفرنسي لهم يصوبون الآن جميع سهامهم علي : ولو لم أرأنهم لايتوخون

إلا السوء بالوطن لدفعت اليهم هذا الجسد القاني الذي يبتغون إهلاكه . ولكن قولوا أيضا للوطنيين أنه مادام الفرنسيون يدخرون لي عواطف الحب الذي اروني عليه دلالات كثيرة سيظل حنق أعدائنا مثلوم الحد .

« أيها الفرنسيون ان ارادتي هي ارادة الشعب وحقوقى هي حقوقه وشرفى ومجدي وسعادتي ليست سوى شرف فرنسا ومجدها وسعادتها . »

وكان نابوليون يظهر بمظهر القوي حين ينبري للدفاع عن حيض الامة فيتخذ كلامه قوة حقيقة يشمر بها السامع شعوراً شديدا . وقد سروا برؤيتهم اياه يعترف جهاراً بأن له الحق دون سواه بان يجعل شرفه ومجده مندغمين بشرف فرنسا ومجدها وقد عبر بذلك عن افكار الجميع فكانت كأنها تنعكس على ضمير الرجل الكبير وكان فيه كان صدى للرأي العام عند الشعب العظيم إلا أن الجنسية لم تكن المصلحة الوحيدة الموجهة اليها عناية الجمهور فأصبحت الحرية موضوعا للمباحث الشرعية وانفتح المجال للخوض في القضايا الدستورية ولكن نابوليون لم يخلق لمثل هذه الامور على أنه عاجل أن يجعل كلامه بمثابة وحي للسلطة المطلقة وأن يجعله موسوما بسمه توافق مقتضيات المجالس .

وافتح البرلمان بذاته في ٤ يونيو وخطب خطابا طلب فيه مساعدته قائلا أنه يتوخى تعزيز المبدأ الشعبي المقدس .

ولم ينحس نابوليون من معارضة مجلس الاعيان فانه كان صنيعته الا أن مجلس النواب المنتخب في ابان الهياج الديمقراطية على اثر اذاعة نشرتي خليج جوان جعله يخشى من تألف معارضة حرة لا تقتصر على معاكسة أميال العاهل فقط بل تكدر حيض الوفاق الذي لم يكن بد منه للدفاع عن البلاد بمحدث خلاف في المجالس الكبرى في الامبراطورية . وكان لا فائت ولا نجوينه من اعضاء المجلس النيابي وقد كفى ما لهما من التفوق فيه منذ انعقاد الجلسة الاولى لاطهار خطتهما وميلهما فانتخب لآنجوينه زعيما للمجلس وفوض اليه أن يبسط للعاهل عواطف نواب الامة فتوجه بوفد الى التويلري ليخطب امام العرش خطابا يتضمن امانى المجلس واليكم جواب نابوليون عليه :

« ان الدستور علامة نألبنا والنجم القطبي لهدايتنا في أزمنة الزوابع هذه فكل جدال عام يفضي بالصراحة أو بالتورية الى تقليل الثقة الواجب وضعها



مهر صكة سنة ١٨١٤





بمنطوقه يعد ضربة على الدولة . فنحن في وسط صخور لا حك لنا ولا جهة ندرى التوجه اليها . والمعضلة التي تورطنا فيها شديدة فلا نملك مسلك السلطنة السفلى التي أصبحت سخرية للأجيال التي جاءت بعدها فانها كانت لما شن البربر الغارة عليها من كل جهة تعنى بالمباحث الوهمية غافلة عن آلات الحصار التي كانت تحطم ابواب عاصمتها .

وفصل العاهل عن المدينة في ١٢ يونيو ناحيا الحدود البلجيكية فوصل في ١٤ منه الى آخن واذاع النشرة الآتية :

« أيها الجنود اليوم تذكروا معركتي مارنغو وفردلانغ اللتين قررنا مرتين حظ أورا وقد أظهرنا حينئذ من مكارم الاخلاق ما أظهرناه بعد معركتي استرلز ووغرام واعتقدنا صحة أقسام وعهود الملوك الذين أبقيناهم على عروشهم . واليوم نألوا وقصدوا الترس بسيادة فرنسا وحقوقها المقدسة . فتمعدوا تمديدا فظيما . فلنزحف لملاقاهم : أولسنا نحن وهم كما كنا عليه من قبل ؟ »  
« أيها الجنود أمامنا سير عنيف مقضي علينا انمامه ومعارك ينبغي لنا أن نضرم مواقدنا ومتالف لا نلتقي لنا ندحة عن اقتحامها ، ولكننا سنظفر بالنصران نحن ثبتنا وستعود حقوق الانسان وسعادة الوطن . وقد دنت الساعة لسكل فرنسوي في صدره قاب ليغلب أو يموت ! »

وبينا نابوليون يستثير بهذا الكلام شجاعة جنوده كانت الخيانة تتلصص الى الجيش : فان الجنرال بورمون وبعض القواد الآخرين انحازوا الى العدو . ولما انتهت الى نابوليون انباء تلك الخيانة دنا من ناي وقاله : « يا حضرة المارشال ما قولك في هذا الرجل الذي ظللته بكنف حمايتك ؟ » فأجاب اشجع الشجعان « يا صاحب الجلالة كانت تقي ببورمون بمائلة لثقتي بنفسي . » فقال نابوليون « على رسلك يا حضرة المارشال فالازرق يظل ازرق والابيض يظل أبيض » وفتحت أبواب القتال في ١٥ منه في فلوروس فانهمز البروسيانيون وقعدوا خمسة مدافع وألتي رجل . وقتل في هذه الموقعة قائد من أشجع القواد الفرنسيين وهو الجنرال ليمتور حاجب الامبراطور فانه جرح جرحا مميتا عند أسفل البطن وهو يحمل على أعدائه في مقدمة رجاله .

وكانت جيوش الحلفاء الذين يحاربون نابوليون يقودها ولتن وبلوخر

ويزيد عددها على مئتين وخمسين ألفا على أن الجيش الفرنسي لم يكن عدده ينيف على مئة وعشرين ألفا . وسعى نابوليون منذ ابتداء هذه الحرب للتملص من الخطر الممكن نزوله به من جراء تفاوت عدد الفريقين المتحاربين بفصله البريطانيين عن البروسيين وبذل جهده للتفريق بينهما . وفي ١٦ منه أصابت خطته نجحاً في معركة لينبي فان بلوخر انكسر منفردا وفقد في ساحة الهياج خمسة وعشرين ألف مقاتل إلا أن هذه الخسارة الجسيمة لم تضعف كثير اعدوا في صفوفه جنود كثيرون ووراءه جنود احتياطيون يفوقونهم عددا . وفي الموقف الذي صار اليه الامبراطور كان يعوزه نصر مبین جازم يفني جيش بلوخر فيتسنى له في الغد الهجوم على ولتن وسحقه في نوبته . فهذه الخطة المراد بها التكميل المتعاقب بالبروسيين والبريطانيين دبرت بأوامر سيرها العاهل الى كل جهة . ولكن لا يغني حذر من قدر فقد طرأت أمور جعلت دهاء يضل عن المرمى ويخطيء مواقع الصواب وعلاوة على ذلك ناجاه حدسه أنه سيطراً حادث غير منتظر يفسد عليه تدابيريه وأن الاقدار ستقلب له ظهر الحن متفكرة عليه . وقال فيما بعد : « لم يكن لي في ذلك الحين ما كان لي من الثقة بنفسي وما كنت اتوقعه من النصر النهائي . » وما علم ان تحققت مخاوفه فبعد يومين ظفر في خلالها باعدائه ظفرا باهرا أصيب في سهول واترلو بنكبة جديدة كانت ختاماً لحياته الحربية والسياسية .

وكان اليوم الثامن عشر من شهر يونيو فافتر ثغر الحظ في بدء الامر للفرنسيين : وهذا ما جاء في التقرير الرسمي : « بعد اطلاق المدافع ثمان ساعات وبعد حمل المشاة والفرسان حملات صادقة ظن جميع الجيش انا سنصيب النصر وفي الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين سارت أربع فرق من الحرس الى الهضاب الممتدة ما وراء جبل القديس يوحنا لنجدة المدفعيين فضايقتها المدافع وحينئذ حملت على البطاريات بالحرا ب لتستولي عليها . وكاد النهار ينقضي فأغارت بمض الفرق البريطانية على كشحها وثلمت حدها . واجتاز الفارون الاودية ولما أبصرت الفصائل القريبة انهزام فصائل الحراس توهمت أن الحراس القدماء انهزموا وتحركت صائحة . » لقد فقدنا كل شيء فالحراس اندحروا . » ويزعم الجنود أنه كان في بعض الجهات أشخاص ذوو نيات سيئة قائمون بالمرصاد

فصاحوا : « فليهرب من يستطيع الهرب ! » وانتشر ذعر شديد في ساحة الحرب فاندفع المقاتلون باضطراب عظيم على خلع الاتصال وكان الجنود والمدفعيون والموكلون بصناديق الذخائر والمؤن ينزاحون للوصول اليه وهو جهم الجراس القدمات الواقفون للاحتياط .

وأصبح الجيش في مدة قصيرة مختلطا ببعضه ببعض ولم يبق ممكنا تأليف فيالق متميزة ولما ابصر العدو ما كان من ذلك الاضطراب المدهش ارسل فرسانه فازداد الاضطراب وكان الليل قد دخل خال الظلام دون ضم شمل العساكر واطهار خطأها لها .

وفقد الفرنسيون على تلك الصورة بذلك الخوف المستولي عليهم ما كانوا يأملون اصابته من تلك المعركة المنجزة وذلك اليوم المصلحة فيه التدابير الكاذبة وتلك الانتصارات التي كانوا يعلمون نفوسهم بنيلها في الغد . وتضعضعت الفرق عينها المقيدة بخدمة الامبراطور والمصطفة الى جانبه وانهمزت أمام التيار الجارف فلم يبق والحالة هذه سوى السير مع مجراه وسقطت مركبات الذخائر والمؤن والامتعة التي لم تعبر السامر وكل ما كان في ساحة القتال في حيازة العدو ولم يكن من سبيل لا انتظار جنود ميمنتنا . ولا يخفى ما تكون حالة أعظم جيش في العالم حين يعيث به الاضطراب ويفقد نظامه .

هذه نتيجة معركة جبل القديس يوحنا فانها مع كونها مجيدة أصبحت وخيمة التبعة على الجيوش الفرنسية . «

وقد عجل في الوصول الى هذه النتيجة المؤلمة خطأ ارتكبه المارشال غروشي فكان قد انتدب لمطاردة فيالق بلوخر النمساوية والبطش بها ولكنه تركها تزحف الى واترلو حيث كانت المدافع تقصف كالرعد من دون ان يخف اليها هو ذاته اجابة لطلب الجبرال جيرار . واعتقد غروشي أنه واقف بازاء البروسيين مع أنه لم يكن قدماه سوى فصيلة واحدة من جيوشهم . على أن هذا الخطأ وقد عالج كثيرا التلمص من تبعته وألصقه به الرأي العام المبني على رأي نابوليون وغيره من القواد ممن كانوا شهودا عيانين لم يغير فقط في ساعة واحدة نتيجة معركة عظيمة بل غير حظ اوربا ظرا !

وكان نابوليون يعرف الروح السائد ندوة النواب بحيث انه لم يخف عليه

ما يخشى من حدوثه في المجلس من المعاكسة له حين يذبح نبأ انكسار جيشه فشعر بضرورة الامراع في العودة الى عاصمته ليتمكن بحضوره من الضرب على أيدي اعدائه في الداخل ويتلافى أو يسكن المعضلة المجلسية فوصل الى باريس في ٢٠ يونيو في الساعة التاسعة مساء يصحبه الدوق دي باصانو والقادة برتران ودروو ولا بدويار وفورغو . ودعا اليه في الحال شقيقه يوسف ولوسيان وكباسا ريس المستشار الاكبر وجميع الوزراء . فكان الموقف حرجا وقدم كل منهم ما يراه موافقا لدفع الخطر العام ودعي أيضا مجلس شورى الدولة فبسط له العاهل مانزل به من البلايا وما يحتاج اليه وما يعلق عليه من الآمال . ولما كان يعلم أهمية مداراة مجلس النواب وكتان ما يمكن حدوثه من الخلاف بينه وبين هذا المجلس قال أنه لا ينسب إلا للأقلية سوء المقاصد في ما بدا في المجلس المشار اليه . إلا أنه اذا كان نابوليون قد انخدع انخداعا حقيقيا بميل اكثريّة النواب الفرنسيين فلم يعض عليه وقت طويل حتى زال اغتراره عند رؤيته أصحابهم فان المجلس كان متقادا الى لانجوينه ولافايت اكثر مما كان نابوليون يتوهم فقرر المجلس اجابة لطاب لافايت أنه ثابت واتهم بالخيانة كل من يمالج حله وهذا التنافر الذي كان من شأنه القاء المسؤولية الكبرى على نواب الامة أصبح ضربة قاضية على حياة نابوليون السياسية . فهلل البوربون والاجانب لذلك الامر وأكبروه وأملوا أن مثل هذا الخلاف الشديد بين العاهل وممثلي الشعب يفضي ولا راء الى تنازل الامبراطور مرة ثانية عن العرش أو يؤدي الى حادث كالحادث الذي وقع في ١٨ برومير : ففرنسا الحرة لا تستطيع بدون نابوليون كما أن نابوليون لا يستطيع بدون فرنسا الحرة . مقاومة الجيوش المتحالفة مقاومة طويلة .

ولما ذاعت مقاصد النواب في الاليزه بوربون نشأ عنها اضطراب في حاشية الامبراطور فاستولى اليأس على أخص المقربين اليه بحيث انهم اشاروا عليه بالاذعان الى الاقدار التي تقتضي منه تضحية جديدة وكان رينيو دي سان جان دنجبي أحد الملحقين عليه لاقتناعه بالتضحية بنفسه مرة أخرى على مذبح الوطن . ولما علم نابوليون ان مجلس الشيوخ حذا حذو مجلس النواب رأى أن اصحابه خذلوه كما خذله اعداؤه وأعلن أنه مصمم على التنازل عن العرش لابنه

وكان رجل واحد في المجلس يخالفه على عزمه لزعمه ان هذا الامر يلقي فرنسا بين أيدي الاجانب وذلك الرجل هو الرجل ذاته الذي أقام التكبر وحده على انشاء الحكومة الامبراطورية وهو كارنو . فانه مع شدة اعتصامه باهداب المبادئ الحرة لم يعتقد أنهم يجب عليهم أن يعرضوا للخطر الاستقلال الوطني بافراطهم في التحفظ من المعامل وكان متوهما أن هذه المصاحبة الاولى للامة تعرض للخطر بابعاد الزعيم الوحيد الذي يرضى الجيش والشعب بالمسير وراءه ولما ساد الرأي المخالف لرأيه جلس أمام منضدة وغطى وجهه بكتا يديه واستخبط في البكاء . فحينئذ قال له نابوليون : « لقد عرفتكم متأخراً » وعند ذلك نظم المعامل الاعلان الآتي بيانه :

« أيها الفرنسيون لما باشرت الحرب للذود عن استقلال الوطن كنت متكللا على مضافرة جميع الامة ومساندة جميع رجال الحكومة وقد عللت النفس حينئذ بأدراك الوطر المروم وازدريت بكل ما اذاعته الدول غي ولكن الاحوال تغيرت وجوها . فاقدم نفسي ضحية لبغض أعداء فرنسا فياليهم يكونون صادقين في اذاعتهم فيقصروا انتقامهم على شخصي . خيائي السياسية انقضت واريد أن أبايع ابني مطلقا عليه اسم نابوليون الثاني عاهل الفرنسيين ويؤلف الوزراء الحاليون مجلسا للحكومة بصورة وقتية على أن اهتمامي بابني يجعلني ادعو المجالس الى أن تنشئ بدون تأخير وكالة المملكة بموجب قانون فاعقدوا عزائمكم على الامن العام وظلوا أمة مستقلة . »

وفي الحال بسط هذا الاعلان للمجلسين فكبر له النواب الذين كانوا سببا لانشائه ولكنهم لم يقرروا شيئا جازما جليا عن نابوليون الثاني وقد دعمت شرعية حقوقه اقوال بعض الخطباء ولا سيما بيرنجيه ودي لادروم . وعلى أثر المباحثة الدائرة على رحي ذلك الموضوع صعد الى المنبر رجل جعل الناس يقولون عنه منذ ابتدائه بالكلام : « لقد جاء ليث ميرابو . » وكان اسمه مانويل

واردتأى مجلس النواب أن يرسل وفدا الى نابوليون ليهنئه على تنازله عن العرش للمرة الثانية .

فخاطب نابوليون الوفد بالكلام الآتي : « اني شاكر لكم ما تبدونه

من العواطف لي فياليت تنازلي عن العرش يجلب الهدوء على فرنسا ولكنتني  
لأأمل هذا الأمر فهذا التنازل يترك الدولة بغير رئيس وبغير كيان سياسي  
وقد كان ممكنا استعمال الوقت الضائع لقلب الملكية لتمكين فرنسا من سحق  
اعدائها . وأوصي المجلس بالمبادرة الى تعزيز الجيش فمن يريد السلم يجب عليه  
أن يستعد للحرب . وحذار أن تتركوا هذه الامة العظيمة تحت رحمة الاجانب  
أو ان تغفروا بآمالكم : فهناك الطامة الكبرى . وكيفما كان المصير الذي انتهي  
اليه سأكون سعيدا بمعرفة أن فرنسا رائعة في مجبوحة الغبطة . »

الا أن خصوم الاسرة الامبراطورية ظفروا بأمانهم في مجلس النواب  
فنبذوا دبر آذانهم مبايعة نابوليون الاول لنابوليون الثاني وألقوا مفوضا  
من خمسة من أعضائهم وهم فوشه وكارنو وغرينيه وكينيت وكولانكورلينشتوا  
حكومة وقتية . ولما انتهى هذا الخبر الى نابوليون قام وقعد وارغى وازبد  
وصاح قائلا : « لم أتنازل عن العرش ليخلفني ديركتوار جديد بل تنازلت عنه  
ليخلفني ابني . فان هم لم يبايعوه الخلافة كان تنازلي لغوا . فالمجلسان يعلمان أن  
للشعب والجيش والرأي العام رغبة فيه وميلا اليه ولكن الاجنبي يحبسه عنده .  
ولا يستطيعان أن يضطرا الحلفاء الى الاعتراف بالاستقلال الوطني بالتصاغر  
والتطامن وتعقير الجباه . ولو كانا شاعرين بحقيقة موقفهما لبايما مختارين  
نابوليون الثاني ولا يصر الاجانب ان لسكم ارادة وغاية وعلامة للاجتماع ولعلوا  
أن حادث اليوم العشرين من شهر مارس لا يعتبر مسألة احزاب وضربة من  
ضربات المتآمرين بل نتيجة تعلق الفرنسيين بشخصي وبأسرتي ولأصبح  
اجتماع الكلمة الوطنية أشد وقعا عليهم من جميع اختلافاتنا الدنيئة المحقرة »

وكان في باريس عدد وافر من الوطنيين يفتكرون ككارنو بانه يجب الاهتمام  
قبل كل شيء بالدفاع عن البلاد وأن هذا الدفع لا يتيسر بغير ذراع الامبراطور  
ودعائه واممه . وكان رجال الجندية يذهبون هذا المذهب وبجهازون به . وقد  
ارتفعت في كل ناحية هذه الاصوات : « اذا لم يكن امبراطور فلا يكون جنود »  
بحيث ان الجمهور المزداد عدده حول قصر الاليزه بوربون مقر نابوليون جر  
الفلق على المجلسين وعلى فوشه متولي الحكومة الوقتية والمفاوضات مع الاجانب  
نخافوا ألا يكون تنازل العاهل عن العرش معتبرا في أعين الاجانب سوى ألعوبة

مادام صاحب العرش مقيما في باريس . فقوض الى كارنو أن يبسط لنا بوليون  
خواف زملائه وأن يدعوهم الى الابتعاد عن العاصمة . فتوجه كارنو الى الالبز  
للنهوض بأعباء مهمته فوجد نابوليون وحده يستحم . ولما أوقفه على الغاية  
التي قدم لاجلها ابدى المعامل الساقط العجب من الخواف الناجمة عن وجوده  
وقال له : « لست سوى فرد من افراد الشعب وأقل من فرد منه . »

على أنه وعده بأجراء رغبة المجلسين والحكومة الوقتية وتوجه في ٢٥ يونيو  
الى المالميزون واذاع على الجيش النشرة الآتية :

« أيها الجنود اني بأذماني الى الضرورة التي تلجئني الى مغادرة الجيش  
الفرنسوي الباسل لتحقيق كل التحقق ان هذا الجيش سيحقق بما يأتيه من الخدم  
الجليلة وبما يتوقعه منه الوطن الثناء الذي لا يسع اعداءنا انفسهم أن يضمنوا به عليه  
« أيها الجنود اني ارافقكم وان كنت غائبا عنكم فأنا أعرف جميع الفياقي  
ولا يظفر فيلق منها بالنصر على العدو إلا وأطري على البسالة التي يروح بمكتوماتها  
فكلانا قد استهدف لنبال السعاية . ان بعض الاشخاص اللثام الذين لا يستحقون  
خدمكم رأوا في تعلقكم بي غيرة مقصورة علي دون سواي . فلنظهر لهم  
انتصاراتكم المستقبلية انكم كنتم تخدمون الوطن فوق كل شيء حينما كنتم  
تطيعوني . واني اذا لقيت عندكم حبا كنت مدينا بذلك الى حيي الشديد  
لفرنسا أم جميعنا . »

« أيها الجنود أظهروا قليلا من الجهد فتتحل عرى المحالفة ويعرفكم  
نابوليون من الضربات التي تضربون بها اعداءكم . »

« خلصوا كرامة الفرنسيين واستقلالهم وكونوا حتى النهاية كما عرفتم من  
عشرين سنة فلا يشق لكم غبار ولا نبارون بمضمار »

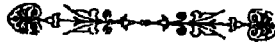
وكان نابوليون في المالميزون قريبا من باريس بحيث أن أعداءه لم يكن يقر  
لهم قرار بوجوده فيها وخشي فوشه من اقدامه على عمل جديد فاعز الى الجنرال  
بكر أن يراقب حركاته وسكناته عن كذب زاعم أن يحافظ بذلك الامر على  
حياته . وفي ٢٧ يونيو لما ذاعت أنباء اقتراب الحلفاء ورأى نابوليون فرصة  
ملائمة لضربهم ضربة قاضية كتب الى الحكومة الوقتية يعرض عليها تطوعه  
كجندي لخدمتها :

« اني بتنازلي عن العرش لم أزل وطنيا معتمدا بحقوق الوطنية الشريفة  
ومعتبرا ان لي الحق بالدفاع عن بلادي .

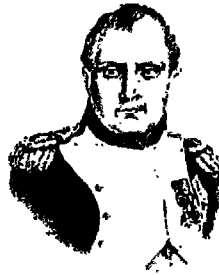
وان دنو الاعداء من العاصمة لا يدع ادنى مجال للارتياح بمقاصدم  
واغراضهم المنحرفة .

« فقي هذه الاحوال الحرجة اقدم خدي كجنرال معتبرا نفسي كاول جندي  
للوطن »

على أن الذين اصروا على طلب تنازل العاهل عن العرش لم يوافقوا على  
تسليم قيادة الجيش الى الرجل العظيم الذي أنزلوه عن سرير الامبراطورية . وعلموا  
حق العلم أن جنديا نظيره لم يكن من منصب يليق به الا منصب القيادة العامة  
وأن قبولهم اياه كمساعد يكون مدرجة الى اعادة السلطة العليا اليه . فنبذوا طلبه  
وكان جوابهم مثيرا لحنقه بحيث قال انه يريد أن يزحف في مقدمة الجيش ويضرب  
ضربة ممثلة لضربة ١٨ برومير . الا أن الدوق دي باصانو غير فكره مبينا له  
ان الاحوال الحاضرة غير ممثلة للاحوال التي كانت في السنة الثامنة للجيمورية  
ولما لم يلق بدامن الاذعان للقدر فصل عن المالميزون ميمما روشقور وهو ينوي  
الشخص الى الولايات المتحدة الاميركية .







A black and white illustration. At the top, a sack with large, feathered wings is shown. The sack has text written on it: "No 1, qualité", "le 15 août 1796", "Garantie absolue", and "au mars 1796". Below the sack, a severed human head lies on a surface, with a guillotine blade visible in the foreground. The head has a beard and is looking towards the right. The entire illustration is set against a plain background.

[illegible]

Nyctolux

Lab. Records at Bristol

4 sous.

Rule 5 Amended 2019

## هیکل المجد



## الفصل الرابع

وصول نابوليون الى روشفور — رسالة الى الامير وكيل المملكة في بريطانيا العظمى — ركوبه متن البليروفون وشخصه الى بريطانيا — تصرف الوزارة البريطانية نحوه — معا كسة العواطف الودية التي ابداهاله الشعب البريطاني — اعتراض نابوليون على المسكان الذي عينته له الوزارة البريطانية — ركوبه متن الترمبرلند وانطلاقه الى جزيرة القديسة هيلانة .

ان بكر الذي فوضت اليه الحكومة الوقتية مراقبة حركات العاهل وسكناته في المالميزون تلقى الاوامر بمرافقته الى روشفور وبعدم افتراقه عنه الاعلى متن السفينة التي تقله الى العالم الجديد . وقال هذا الجنرال الشجاع للعاهل عند اقترابه منه : « لقد فوضت الي مهمة شاقة وسافعل كل مايتعلق بي لاضطلع باعبأها وفقا لرغبتك ومراضاتك » وقد بر هذا الجنرال بوعده من دون أن يحدد دقيقة واحدة عن المنهاج الذي نوى انتهاجه ومن دون أن ينسى مايجب عليه عمله من المجاملة لذلك الداهية الهاوي عن حالق مجده

وفصل نابوليون عن المالميزون في ٢٩ يونيو فوصل الى روشفور في ٣ يوليو وفي الغد وافاه اليها شقيقه يوسف . وكان العاهل في أثناء اقامته في تلك المدينة يسمع دائما هتاف الشعب له حول المنزل المقيم فيه . وخرج غير مرة الى شرفة دار الحاكم فابصرهم يقيمون له المظاهرات الاكرامية الولائية نفسها التي ادخلها له الشعب . وركب متن البحر في ٨ يوليو وهو ينتوي المضي الى الولايات المتحدة الاميركية وقد وثق بأن الجواز الذي وعدته به الحكومة الوقتية لايلبث الحلفاء أن يرسلوه اليه بدون تريث ولا ابطاء . وبعد يومين أرسل لاس كاس وسافاري الى المركب البليروفون ليعلم من ربان هذه السفينة الحربية البريطانية هل جاءته أوامر من وزراء الدولة البريطانية بعدم تعرضهم لركوبه متن ذلك المركب ولم يكن قد وصل الى الربان مايتلاند قائد البليروفون تعليمات في هذا الشأن فقال انه سيخاطب أمير البحر في هذا الصدد . وفي ١٤ منه كان نابوليون في جزيرة كس ينتظر الجواب فتولاه السأم من الصمت الطويل واراد أن يخرج من دائرة الشك

المضروبة حوله من اربعة أيام . وعاد لاس كاس ومعه لالمان الى الربان مايتلانند فوجد أنه لم يتلق التعليمات بشأن العاهل ولكنه عرض عليهما أن نستقبله على متن مركبه ويسير به الى بريطانيا حيث يلقي مايطمح به من حسن المعاملة وكرم الضيافة .

ولما عاد لاس كاس ولالمان وأوقفا العاهل على نتيجة مهمتهما جمع رفاقه في نكبتهم واستشارهم في ماينبغي له أن يفعله . فكان أمامهم مركب حربي لايمكنهم المرور على رغم منه ووراءهم أرض جعل غزوا لاجانب لها وعودة البوربون اليها المقام ينبو فيها بكل من يطلق عليه اسم نابوليون وبكل من شاطر عن كئيب مجده وسؤدده . فارتأى نابوليون في ذلك الموقف الحرج أن الافضل له الالتجاء الى سكارم اخلاق الامة البريطانية واختيار المقام بين ظهرانيها فتناول القلم وخط السطور التالية الى الامير وكيل المملكة :

« يا صاحب السمو الملكي ان خطتي السياسية انتهت على أثر استفحال امر الاحزاب الناجم عنها الانقسام في بلادي وبسبب عداوة الدول الاوربية العظيمة وقد نهجت منهج تستوكل نجئت لاجئا الى ديار الشعب البريطاني لاستظل بكنف شرايعه والتمس هذا الامر من سموك الملكي معتبراً إياك أقوى اعدائي وأثبتهم واكرمهم . »

وحمل لاس كاس وغورغو هذا الكتاب الى الربان مايتلانند وانبأه أن نابوليون سيأتي في الغد الى مركبه . وفي ١٥ منه عند أول النهار قلت السفينة « ابرفيه » العاهل الكبير وأوصلته الى البليروفون ، ولما وصل نابوليون الى المركب ورأى أن الجنرال بكر يدنو منه ليودعه قال له بلهجة شديدة : « ارجع يا حضرة الجنرال فلا اشاء أن يظن الناس ان فرانسويا اسلمني الى اعدائي . » ولما خاطبه بهذا الكلام مد اليه يده ولم يفرق عنه إلا بعد معانقته إياه .

ولما وصل نابوليون الى البليروفون قال للربان : « اتيت الى مركبك لاستظل بكنف شرايع بريطانيا العظمى » فسار به الربان في الحال الى الغرفة المعدة له وزار العاهل في الغد السفينة « سورب » الراكب فيها أمير البحر هوثام قائد الاسطول وعاد الى البليروفون في اليوم عينه فأبحر به توا الى بريطانيا العظمى . وقال لاس كاس ان أمير البحر هوثام أظهر في اثناء زيارة نابوليون له كل مايستطيع

إظهاره من اللطف والكمياسة انسان عالي المقام ممتاز بربيته . وفضلا عن ذلك لم يكن  
العاقل يظهر بين أعدائه الالاء من دون أن يكون لظهوره بينهم تأثير شديد  
ناجم عن تفوق سلطته . واقتدى الربان والضباط والبحارة بقائدهم في اكرام  
الضيف العظيم واحترامهم له . فاذا خرج الى متن السفينة يادر كل من يبصره الى  
نزع قبعته عن رأسه ... ويمكن القول ان نابوليون كان على متن البليروفون هاهنا  
ولما انتهى الربان ميتلاند في ٢٤ يوليو الى طورباي ارسل الى اللورد كيث  
يخبره بما وقع وينتظر أوامره فأمره بالتوجه الى بليموث وألقى البليروفون  
مراسيه في مرفأ هذه المدينة .

وحالما انتشر في السواحل البريطانية نبأ قدوم العاقل أظهر القوم رغبة  
شديدة في مشاهدته فغشت سفائن كثيرة ميناء طورباي واشتد اعجاب الناس  
بذلك الرجل الداهية . وكان ذلك الاستقبال معاكسا لما نوت الحكومة  
البريطانية إعداده لنابوليون بحيث ان وزراء الملك جورج لم يعالجوا منع  
التظاهرات المعاكسة للسياسة المنكرة التي ازمعوا السير عليها . وفي بليموث  
أحاطت بالبليروفون قوارب مساحية أمرت باطلاق الدار على الفضوليين لتمزيق  
شملهم . على أنه مع ما أعطت الحكومة من الاوامر العنيفة خفت جماهير غفيرة من  
انحاء الديار البريطانية الى بليموث رغبة في مشاهدة بطل فرنسا . وظلت السفن  
تغشى البحر حول السفينة المعتقل فيها ذلك الرجل الفاقد النظر .

وفي خلال التظاهرات التي أقامتها الامة المعادية له عيل مصطبره لمعرفة الخطة التي  
تقرر الحكومة البريطانية انتهاجها معه ، وجاء اللورد كيث الى البليروفون  
ولكن زيارته المقرونة بالبرودة والتحفظ لم تطل مدتها . وفي الايام الاخيرة  
من شهر يوليو عاد الشفاليه بنبري وقد جاء هذه المرة لازالة الارتياح من  
ذهن العاقل : فانه كان حاملا مذكرة من الوزارة البريطانية تعين بموجبها جزيرة  
القديسة هيلانة مقرا للجنرال بونارت . وكانت هذه المذكرة بمثابة حكم بنفيه الى  
اقليم وبيل الهواء يخشى من أن يكون من وراء حصره فيه قضاء عليه بالموت .  
ولما علم نابوليون من فم أمير البحر ماقررت الوزارة البريطانية بشأنه امتلا غيظا  
واحتج بشدة على خرق حكومته لحقوق الانسانية فقال : « انا ضيف بريطانيا  
ولست أسيرها وقد جئت مختارا لأستظل بكنف شرائعها فداؤوا بمعاملتي

هذه المعاملة حقوق الضيافة المقدسة فلا أذن أبداً ختاراً الى الاهانة التي أتوها نحوي فالعنف وحده يكرهني على الانقياد اليها »

وأرادوا أن يشددوا في التضييق عليه بمحصرهم عدد الاشخاص المرخص لهم بمرافقته فأذنوا لثلاثة رجال أن يصحبوه وخبروه في انتقائهم ماعدا سافاري ولالمان . فهذان الخادمان المخلصان لنا بوليون ظنا أنه مقضي عليهما بالابعاد عن تلك البلاد وانهما سيساقان الى النظم المهيأ بأمر لويس الثامن عشر في ٢٤ يوليو وكان اسمهما المذكورين في جدول الاسماء المقضي على اصحابها بالموت .

فإذا وقع في نفس نابوليون بعد ما بلغه اللورد كيث القرار القاضي بابعاده الى الجزيرة السكمن فيها الموت ؟ السجن في المنفى ربما يأتيه الموت الزؤام ببطء ما أمر ذلك النصيب لمن ضاقت أوربا بأسرها عن مطامعه الكبيرة وهو ذلك الجبار الذي شاهد الملوك الصيد يتسابقون الى استمالته اليهم وينتظرون أمام غرفته وقتاً طويلاً ! فهل ازمع أن يعطي العالم مثالا عن الاذعان الذي لم يسمع بمثله أو يريه مشهداً من مشاهد اليأس المبتذلة ؟ ودعا اليه لاس كاس وسأله عما يعرفه عن جزيرة القديسة هيلانة وهل يستطيع المعيشة فيها ثم أنه قال له : « وهل انت متأكد اني سأشير اليها ؟ وهل يتعلق الانسان بانه مثاله حين يشاء صرم حبلى حياته ؟ يا عزيزي كثيراً ما تناجيني النفس بان أغادركم وهذا ليس بالامر الصعب . »

فأقام لاس كاس النكير على ما عقد نابوليون عليه عروة العزم بما قذف الذعر على فؤاده وابعده عن العاهل تبرمه في حمل انتقال الحياة بتعليقه إياه بالآمال في المستقبل وبقوله له : « ومن يعرف اسرار الزمان ؟ » ولما ذكر العاهل ما يتوقعه من الملالة في جزيرة القديسة هيلانة قال له لاس كاس ولكننا سنعيش دلي الماضي فأجابه الامبراطور : « وسنكتب مفكراتنا . أجل ان الانسان مقضي عليه بأن يشتغل والشغل يعتبر منجل الزمان . وعلاوة على ذلك مكتوب للمرء أن يتمم حظه : وهذا مبدئي العظيم فليتم حظي » وعلى هذه الصورة تاب نابوليون الى نفسه . واذا دفعه حيناً من الزمان شر البشر وخيانتهم وججودهم الى اليأس من جراء نفوره من أعمالهم فأوشك أن ينتحر فانه ماعثم أن أقبل عثار قوافل الادبية لما أعاد على نفسه ذكرى مجده الماضي وأعانتته على ذلك طبيعته القوية .

وخرج البليروفون من ميناء بليموث في ٤ اغسطس ولكنه لم يتوجه الى

ناحية الجنوب بل توغل في المائش فعلم حينئذ نابوليون أنهم سينقلونه الى مركب آخر يدعى الثرنبزلاند أمر بالمضي به الى جزيرة القديسة هيلانة على أن الكلام الشديد اللهجة الذي خاطب به اللورد كيث لما بلغه ذلك القرار كاد التاربخ يفقده لو لم يدونه في احتجاج رسمي سيره الى أمير البحر - المذكور وهذا كلامه بنصه : « احتج رسميا امام السماء والبشر على ما عوملت به من المعاملة العنيفة وعلى دوش اقدس حقوقي بمصرفهم بالعنف بشخصي وبحريتي . لقد أتيت بملء حريتي على متن البليروفون فلست أسيراً بل أنا ضيف بريطاني . لقد أتيت اليها إجابة لاغراء الربان القائل أن معه أوامر من حكومته بقبولي في مركبه والمجيء بي الى انكلترا مع حاشيتي اذا كنت ارجب ذلك . وعليه جئت بثقة تامة ابثغي الاستقلال بكنف شرائع بريطانيا . وحالما وطئت باخصي متن البليروفون صرت اعتبر نفسي في أرض بريطانية . فاذا كانت الحكومة باصدارها الاوامر لربان البليروفون بقبولي مع حاشيتي في مركبه قد نصبت لي نكاحاً فانها تكون قد خرقت حرمة الشرف ولطخت علمها بوصمة العار .

واذا أنت الحكومة البريطانية هذا العمل المنكر فلا يعود يحسن بالبريطانيين من الآن فصاعدا ان يدبروا ذكر مروءتهم وشرائعهم وحریتهم فتكون عزة النفس البريطانية قد قضى عليها في ضيافة البليروفون . « اني أبسط هذا الامر للتاريخ فسيقول ان عدوا للشعب البريطاني حاربه عشرين سنة نخانه الجذ نجاء بملء حريته ملتجئاً الى شرائعه . واي برهان واضح يستطيع أن يعطيه اياه عن احترامه وثقته . وكيف يقابلون في بريطانيا مثل هذه المروءة . اظهروا انهم يمدون لهذا العدو يداً للرحيب به وحين استسلم اليهم وانما بصدقهم وامانتهم محروء . »

وغادر نابوليون البليروفون في ٧ أغسطس منتقلاً الى الثرنبزلاند المتولي قيادته أمير البحر كوكبرن . وقد اغتنموا هذه الفرصة فنزعوا السلاح من جميع الاشخاص المتألفة منهم حاشية العاهل ولكن بقي لهم شيء من الحياء جعلهم يبقون له سيفه . اما أمتعته فان أمير البحر ذاته تفقدها بمعاونة مأمور من مأموري المكس . فاخذوا من بين أمتعته أربعة آلاف دينار ولم يتركوا له سوى الف وخمس مئة دينار ليستعين بهاعلى القيام بأود معيشته . ولما قضى عليه بمغارقة

أعبدقائه الامناء الذين ضنوا عليهم بمشاطرته سجنه ومنفاه البعيد خر ساقاري  
عند قدميه والدموع تنهل من مقلتيه وقبل يديه . وقال لاس كاس : وقبله  
الامبراطور وهو رابط الجأش وسار نحو الزورق . وبينما هو سائر كان يحيي  
برأسه الذين على طريقه وعلامات اللطف على جبينه وكان جميع الفرنسيين الذين  
طارقناهم يذرفون العبرات الغزيرة فلم يسعني الا ان أقول للورد كيث الذي كنت  
أحادثه في ذلك الحين : « أولا تري يا سيدي اللورد ان الذين سيكون هم  
الذين يبقون . »

## الفصل الخامس

السفر في البحر - الوصول الى جزيرة القديسة هيلانة

المقام في هذه الجزيرة حتى سفر لاس كاس

وكان اللورد كيث متناهما في اللطف والتحفظ مع الفرنسيين الذين على  
من البليروفون ولم يقل عنه كوكبرن في مجاملتهم واطهار الاحترام للرجل العظيم  
الذي كان على كره منه سجنه الوقي والمبالغة في العناية به .  
واستاء الوزراء البريطانيون مما أبداه الربان مايتلاند وبحارته من الاحرام  
لنابوليون ولاموه على اطلاقه على اسيره اللقب الذي كان يحملها وهو على العرش  
واتخذوا التدابير العنيفة لئلا يحدث شيء مثل ذلك على متن الرمبرلند وذكروا  
في تعليماتهم انه لا يجوز ان يطلقوا على العمال الساقط سوى لقب جنرال .  
ولما عرف نابوليون ما كان من تلك الاشياء الصغيرة المراد بها تحقيره قال :  
« فليطلقوا علي ما شاءوا من الاسماء فلا يمكنهم ان يمنعوني عن أن اكون أنا »  
وخرجت الرمبرلند من خليج المانش في ١١ أغسطس وبينما هي مارة عند  
رأس الهوغ عرف نابوليون سواحل فرنسا ففي الحال حياها بمد يده نحوها  
وصاح بصوت متهدج : « اودعك يا أرض الشجعان اودعك يا فرنسا العزيزة  
فلو لم يكن فيك بعض نفر من الخونة لبعيت سيدة العالم : » هذه كلمات الوداع



الاخيرة التي وجهها الرجل الكبير الى الارض الشريفة التي فيها الشعب العظيم .  
وكان العاهل ذات يوم يتنزه في اثناء السفر على متن السفينة كما لو فادته  
بعد الغداء فهبت عاصفة شديدة فلم يشأ دخول غرفته وامر بأن يأتوه بردائه  
الرمادي المشهور ليتقي به المطر الغزير ولم يكن البريطانيون انفسهم ينظرون الى  
ذلك الرداء الا بمقلة الاعجاب والاحترام :

وقتل العاهل الوقت بمطالعة الصحف فنذر ان يقرأ صحيفة من دون ان  
يكون فيها اراجيف ومطاعن موجهة اليه ولكنه لم يكثر لذلك الامر فقال  
للاس كاس في هذا الصدد : « لم يكن السم يؤثر بمزيدات فالوشاية اصبحت  
من سنة ١٨١٤ لا تؤثر بي . »

ووصلت الزمبزلند الى جزيرة القديسة هيلانة في ١٥ اكتوبر وفي ١٦ منه  
صعد العاهل الى البر يصحبه امير البحر والجنرال برتران . واقام في ريق الامر  
في بريار عند تاجر من الجزيرة يدعى بلكب .

وكانت اقامته في منزل بلكب وقتية فان المقر النهائي المعد له كان في لوفود  
وهو منزل للحاكم في العراء ولكنه لم يكن مهيبا لسكنه فيه . ووجد عند  
المستر بلكب كل ما يستوجبه من الاكرام وبعض وسائل تقبل الضجر . ولم  
تدخر تلك الاسرة الكريمة شيئا من الاشياء الخفيفة عنه ثقل السائمة التي يلقيها  
في ذلك المكان .

وفي ابان إقامة نابوليون في بريار لم يخرج سوى مرة واحدة لزيارة قائد  
الفصيلة التي في الجزيرة فكان يعنى بمفكراته ويملي مدة طويلة على لاس كاس او على  
ابنه او على منطولون او على غورغو او على برتران ويتنزه في المعابر المغطاة أو  
الاجام في بريار فلا يرى سوى الوهاد الهائلة من تلك المتنزعات

وكان زنجي يقال له طوبيا يحرق حديقة المستر بلكب وهو هندي من  
هنود ماليزيا اختطفه البريطانيون وباعوه رقا . وكان العاهل في خلال تنزهه  
يلقى ذلك المنكود الحظ في غالب الاحيان ويظهر له اهتماما شديدا بأمره .  
وصمم على دفع فديته وكلما ذكر اختطافه يستشيط غضبا ولما وقف امامه في ذات  
يوم لم يتمالك عن ضبط افكاره المزدهجة في نفسه وطفق يقول : « ما اعجب  
هذه الآلة البشرية المسكينة فلا غلاف منها بمائل غلاف الاخرى ولا داخل منها

الا ويختلف عن غيره . فلو صبرت طويلا نظير بروتس لانتحر ولو صبرته كازوب لرأيته الآن مستشارا للحاكم ولوصبرته مسيحيا غيورا وورعا لحمل قيوده امامه تعالى وباركها اما طوييا المسكين فلم ينظر الى ذلك عن كشب بل أقبل على العمل مذعنا بكل بساطة . « وبعد ما تأمل فيه حيناً من الزمان وهو صامت قال وهو يبتعد عنه : « انه ولا جرم فرق بين طوييا المسكين والملك ريشار ... ومع ذلك فالذنب لا يقل عنه فظاعة فلهذا الرجل اسرة وافراح وحياة خاصة وقد اقترفوا جناحا عظيما باتيائهم به الى هذا المكان ليموت رازحا تحت اثقال العبودية . » ثم انه صمت فجأة وقال للاس كاس :

« ولكنني أقرأ في عينيك أنك تفكر أنه ليس نسيج وحده في جزيرة القديسة هيلانة فيا عزيزي لا يمكن أن يكون ادنى علاقة به هنا واذا كبرت الجريمة كان للضحايا موارد اخرى . فهم لم يكرهونا على مزاوله الاشغال البدنية ولو أنهم طالجوا ذلك لوجدوا ان لنا نفسا ينخدع بها الظالمون ... وقد يكون حالتنا من ميل ... وسنظل شهداء لمبدأ خالده ... وملايين من البشر سيكون علينا والوطن ينتحب والمجد يلبس ثياب الحداد ... وللنكبات أيضا شدة ونفر ... وقد كانت الشدائد تنقص خطي ... فلو قضيت نحبي وانا على العرش محفوفاً بمجالي العظمة والسطوة لبعيت لغزاً لا يرى الناس سبيلا لحله أما وقد صرت الى هذه الحالة فأنهم باتوا بما نزل بنا من الرزايا قادرين على الحكم علي حكما مجردا . »

وبرح نابوليون بربار في ١٨ دسمبر متوجها الى لونود للاقامة فيه : أجل ان المقر الجديد توفرت فيه أسباب الراحة ولكنه قاسى كثيرا من عنف سجانيه وخشونتهم . فاقاموا خفراء أمام نوافذه واحاطوا المسكن بجميع أنواع التحفظ المحقرة الجائرة : فامر منطولون بان يكتب الى امير البحر عن ذلك ولم يشأ ان يتولى بذاته شيئا من الاشياء معه لئلا يدع لاحد مجالا لأن يقول : « قال لي المعامل كذا وكذا . »

وخرج في أواخر شهر دسمبر للتنزه راكبا جوادا فاضطرته وعورة الطريق الى التزلج وقد غاص في الوحل حتى ركبتيه بحيث لم يتمكن الا بشق النفس من الخروج من ذلك المأزق الحرج . وقال حينئذ عن ذلك : هذه واقعة قدرة . «



قبل معركة واترلو



ولما تخلص من تلك الورطة قال : « لو هلكنا في هذا المكان فإذا يقول الناس في اوربا ؟ والمراؤون يقولون ولا مرأ انا هلكنا بسبب ما آمننا . »

وكان جميع البريطانيين المارين بتلك الارحاء يرجون على جزيرة القديسة هيلانة لمشاهدة الضحية العظيمة التي ألقته حكومتهم على تلك الصخرة البضاء فيستقبلهم نابوليون بلطف مقرون بالعظمة . ولما كانوا يجدونه خلافا لما صوروه لهم مدة عشرين سنة كانوا يمتدرون عن تصديقهم الاراجيف المذاعة عنه . فقال نابوليون لاحد من باسم : « اني مدين لوزرائكم بجميع هذا اللطف فقد شحذوا اوربا بالنشرات القاذحة والمثالب الموجهة الي وقد يمتدرون عن ذلك بقولهم اهم لم يفعلوا شيئا غير المجاوبة على النشرات الصادرة ضد من فرنسا . ولكن لا بد للمرء من أن يكون منصفاً فالذين رقصوا من قومنا على انقراض وطنهم لم يعترفوا بخطأهم وعمدوا الى الاكثر من نشر مثل تلك النشرات . »

ومال أمير البحر الى النظر في الشكاوي التي نقلها منطولون اليه فجاء الى العاهل وفاوضه في شأنها وافترقا وكل منهما راض عن الآخر . وكان الكولونل سكلتن معاون الحاكم يكثر من ابداء الاحترام لنابوليون فيدعوه العاهل غير مرة الى تناول الطعام هو وامراته على مائدته .

واجتمع رفاق الرجل العظيم في اول يناير سنة ١٨١٦ ليقدموه له تهناتهم بدخول العام الجديد على أن نابوليون الذي ذكرته تلك الحفلة بأيام مجده وسؤدده لم يدع احدا يشعر بشيء مما يحول في جنانه عن مقابلته الاستقبال البسيط في لونود بالاستقبالات الرسمية في التويلري . فاكرم وفادة رفاقه الذين اختاروا مشاطرته النوائب ودعاهم الى الفداء معه . وخطبهم بالكلام الآتي : « لستم سوى نفر قليل في طرف العالم وسيكون عزائكم في ان يحب بعضكم بعضا . »

وكانوا في كل يوم يرون حول لونود بحارة خالفوا التعليمات المعطاة للفقراء ودنوا من المنزل ليروا وجه الجبار السجين وقد قال نابوليون في هذا الصدد : « ما أعظم قوة التصور وما أشد تأثيرها في البشر ! فهؤلاء الناس لا يعرفونني ولم يروني قط ولكنهم همعوا عني . فأني شيء لا يشعرون به وأي شيء لا يأتونه

حباً لي ؟ وجميع هذه الامور الغريبة تتجدد في جميع البلدان وفي كل عصر وعند كلا الجنسين . هذا هو التعصب فالتصور متسلط على العالم . »

ولم تكن الفسحة التي يستطيع نابوليون أن يتنزه فيها راكباً فرسه تمكنه من السير أكثر من نصف ساعة ومع ذلك اضطر فيما بعد الى العدول عنها : فتارة كان أحد الضباط البريطانيين يزعم أنه أهين ببقائه وراء غيره وأنه يشاء الاختلاط بوايعة العاهل وتارة لم يكن الجنود البريطانيون يدركون معنى نظامهم فيرفعون بنادقهم على اكتافهم ويصوبونها عليه .

ولم تلبث حالة الجو والاسران ظهر تأثيرهما فتوعكت صحة العاهل توعكا ديناً ولم يكن ذا بنية قوية على ما يزعمون وقد قال أحد رفاقه في المنفى : « لم يقدر جسده من الحديد ولكن عقله قد منه . » وكان الدكتور اوميرا الجراح الانكليزي يعالجه وقد نال فيما بعد ملء ثقته .

وجاءت الجرائد الى جزيرة القديسة هيلانة باخبار موت مورات وخروج بورليه على الحكومة والاقتصاص منه ومحكمة ناي واجراء الحكم عليه بالموت ولما قرأ لاس كاس امام العاهل الجريدة المذكور فيها خبر مصرع ملك نابولي الفاجع قبض نابوليون بشدة على يده وقال بصوت عال من دون أن يزيد كلمة واحدة : « ان السكالابرين أشد انسانية من الذين ارسلوني الى هذا المكان . » ولم يدعش من عمل بورليه فقال : « عند رجوعي من جزيرة البا جاءني الاسبانول الذين فاقوا سوام في المعارضة لي على غزوي وفي المدافعة عن بلادهم وقالوا أنهم لم يقاتلوني الا لاعتبارهم اياي طاغية وقد جاؤوا يلتمسون مني خلاصهم ولم يطلبوا مني سوى مبلغ يسير ليستعينوا به على التحرر وعلى اضرار نيران فتنة في شبه الجزيرة نحاكي نيران الفتنة التي اضرمتها . ولو أصيبت النصر في واترلو لبادرت الى نجاتهم وهذا الحادث يفسر لي معنى السعي لاثارة الفتنة الاخيرة ولا امثري في انها ستجدد مرة أخرى . ولقد سمى فردينان عبثاً في شدة سخطه للقبض على صولجانه بمخفق فسوف يفلت من يده يوماً من الايام كما يفلت الجري . »

ورأى ان اقامة الدعوى على ناي غير محكمة كما ان الدفاع عنه غير حسن فثار نائره من ذلك الحكم المدوسة فيه الحقوق المقدسة على أن هذا الحكم الجائر لم

يزد وصف اسير جزيرة القديسة هيلانة له بالظلم على وصف عضو من أعضاء مجلس الشيوخ له فيما بعد في وسط المجلس عينه .

ثم انه انتقل الى رفض اولياء الامر والنهي في فرنسا منح المرحمة التي التمسها عقيلة لافالت وفرار زوجها فانتقد السياسة الخرقاء التي جرى عليها البوربون وقال : « ان الاندية الخاصة في باريس تبدي الاميال عينها التي تبديها الاندية العامة وقد عاد النبلاء الى تمثيل دور اليمقوبيين ... على أن الفرنسيون قد شرفن عواطفهم : فعقيلة لا بدويار اوشكت أن تموت من الحزن وعقيلة ناي صارت مثالا للاخلاص المقرون بالشجاعة العظيمة وعقيلة لافالت كادت تبث جبارة اوربا »

ولم يقتصر نابوليون على السياسة المعاصرة فانه بعد ما ألقى نظرة فكرية سريعة وثابتة على حالة اوربا في ذلك الوقت ولخص الحوادث سر بالعودة الى الماضي وتمثله أمامه الاشخاص المشهورين والحوادث العظيمة في التاريخ وجعل يعمل في ذلك الامر فكرته السامية وعقله الراجح . وحدث أنه في أثناء التأملات في العصور القديمة وقف عند العراك الشديد الذي نشب بين النبلاء والسوقة في رومية القديمة وذكر الاوهام والمناقضات العابثة بالاجيال التالية عن تصورها بالغراك فقال : « ان التاريخ يمثل الغراك مشاغبين وثوريين وسفاحين ولكنه يبين بوجه الاجمال أن لهم فضائل ولطفًا ونزاهة ودمائة أخلاق وانهم كانوا ابناء كرنيليا الشهيرة وهذا من شأنه أن يستميل اليهم أصحاب القلوب الكبيرة فما سبب هذا التناقض ؟ فدونكه : ان الغراك وقفوا نفوسهم مدفوعين الى ذلك بكرم الاخلاق على حقوق الشعب المهضومة للدفاع عنها من اعتداء مجلس الشيوخ الجائر وكانت مواهبهم العقلية السامية واخلاصهم الكريمة تعرض للخطر ارسطقراطية شرسة الطباع ولكن هذه الارسطقراطية ظفرت بهم ونسكت بهم وأذلهم . وقد نقل المؤرخون ذوو الاغراض أخبارهم اليها موسومة بسمه هذا الروح .

« وفي العراك الهائل الدائر بين الارسطقراطية والديمقراطية والمشددة وطأته في هذه الايام وفي سخط الحالة القديمة على الصناعة الجديدة المختمة في جميع الاقاليم الاوربية لا يغري أحد في أنه لو ظفرت الارسطقراطية بالقوة لما لقيت

في كل مكان عدداً وقيماً من الغراك لتعاملهم برقة على مثال ما عومل به الدين تقدموهم . »

ولما فاه نابوليون بهذا الكلام لم يكن سخط الارسطقراطية العصرية معتبراً افتراضاً بسيطاً فان ما حدث من الانحياز في سنة ١٨١٥ ساق الدمار الى فرنسا : وامتزج دم لابدويار وناي وشرتران وموطون ودوفرته بدم يرون ورامل . وكان القائمون باعمال الاجانب والملاك يكملون مهمة السفاحين الذين قذف بهم رءاع المدن الجنوبية .

أو لم تحمر الارسطقراطية في جزيرة القديسة هيلانة أعظم الديمقراطيين وأشدّهم بأساً ارادة أن تجهز عليه على مهل ؟ واذا كان نابوليون وهو في المنفى يذكر لاس كاس تخدّمه الملوك الذين يتهمهم بنكران الجميل ويفتخر بحبسه عنهم ما أطلقوه عليه فان هذه الذكرى تفصح عن بيان أسباب سقوطه وتبريء ساحة الامة التي اهملته فعد ذلك الامر من جملة أحكام العناية التي لا مرد لها . إلا أن الملوك لم يشبطهم ذلك الامر عن تعقبهم في شخصه جندي المبادئ الديمقراطية الاول ولسان حالها ورسولها وقد فاخر حتى في لونود بهذا اللقب المطلق عليه وفضله على لقب مخلص الملكية والمحسن الى الارسطقراطية .

على أن التصور المشؤوم الذي دبر سقوطه انتاب مخيلته وهو ملقى في وهدة الشقاء فقد كان رسول الثورة ميالاً الى صيرورته وسيطاً بين الماضي والحاضر وبين رجل الملوك والشعوب . وهذا التنافر الذي بيناه زال من ذهنه وقت ما اذاع الملوك نشرتهم المشهورة في ٢ اغسطس سنة ١٨١٥ . فقال نابوليون : « اذا عقل القوم في ادربا واستتب النظام في كل ناحية فلا نسوي المال والاعتناء المنقبين علينا في هذا المكان ويمكن التملص منا وقد يقتضي هذا الامر بضع سنين أي نحو ثلاث سنين أو اربع سنين أو خمس سنين : وفي ما خلا ذلك وفي ما عدا الحوادث العرضية التي لا يستطيع العقل البشري تداركها لالقي سوى أمرين كبيرين غير معينين يمكن الاستعانة بهما على الخروج من هذه الجزيرة . حاجة الملوك الى لمعارضة تيار الشعوب الجارف أو حاجة الشعوب الي الخروج على ملوكهم : فاني في العراك الشديد الناشب بين الحاضر والماضي أراي حكماً ووسيطاً طبيعياً . وقد طمعت بأن أصبح الحكم الاكبر في مثل هذه الحال وجمعت وكدي



في ادارتي الداخلية وعلاقاتي السياسية الخارجية أن أصل الى هذه الغاية الكبيرة ولقد كانت النتيجة ممكنة وميسورة لو لم تتوخى الاقدار خلاف ذلك الامر . وثمة غرض آخر وهذا يرجع امكان حدوثه وهو حاجتهم الى اللوقوف في وجه الروس إذ أنه ما دامت الحال على هذا المنوال تصبح اوربا جمعا قبل عشرينين قوزاقية أو جمهورية . هؤلاء هم رجال السياسة الذين أنزلوني عن العرش ... » ورأى العاهل فيما بعد أنه يصعب عليه تفسير معنى النشرة المذاعة في ٢ اغسطس سنة ١٨١٥ بغير بيان اخلاق كل من العاهل والملوك الموقعين عليها فقال : « ان فرنسوى متدين وأنا صهره . والاسكندر ابرمت بيني وبينه أسباب المودة . وملك بروسيا سقت اليه كثيرا من الاذى ولستكني كنت قادرا على جر مضرات أعظم وأشد عليه وفضلا عن ذلك أفلا يشعر المرء بسرور وافتخار بتوسيع دائرة ساطانه ؟ وبريطانيا نلت ما نلت من جراء بضء وزراءها لي ولكن بهم الامير وكيل المملكة أن يرى تلك الامور ويتدخل فيها لئلا يتهم بالبلالة وحماية أهل الشر . وانه لأمر محقق ان جميع هؤلاء الملوك سودوا صحيفتهم وهبطوا من حالق مجدهم بمعاملتهم إياي بهذه المعاملة . »

أيها الرجل الكبير دع اولئك الملوك والعاهل يسودون صحيفتهم وهبطون من حالق مجدهم بمعاملتهم إياك بتلك المعاملة فان عملهم هذا معدود من جملة الاعمال الداخلة في مهمتك فانت لم ترسل لتثبت عروش الملوك وان يكن قد بدر من فيك ما يدل على هذا الامر وبدت منك افعال تؤيده بل أرسلت لتسكل هدم البناية الملكية بنكباتك كما فعلت بانتصاراتك ...

وهذه صورة النشرة الآفة الذكر التي أثارت حنق العاهل وذكرته بمافعله لاجل الموقعين عليها .

« حيث أن نابوليون بونايرت أصبح في قبضة الحلفاء فاصحاب الجلالة ملك بريطانيا العظمى واربندة وعاهل النمسا وعاهل روسيا وملك بروسيا يقررون بموجب شروط الوثيقة المنعقدة في ٢٥ مارس سنة ١٨١٥ ما يتعلق بالتدابير الملازمة لاحتياط كل عمل يباشره لاقلاق راحة اوربا :

« المادة الأولى — تعتبر الدول الموقعة وثيقة ٢٠ مارس المنقضي أن نابوليون بونايرت اسيرهن .

المادة الثانية — يفوض أمر خفارته بنوع خاص الى الحكومة البريطانية الخ . الخ . الخ . « وحيث أن الحكومة البريطانية رضيت بأن تكون آلة تديرها بغضاء اوربا القديمة ولم تبال بحقوق الامم فلم ينقص السجناء المدكي في وندسور إلا أن يبحث في نوبته عن آلة أخرى أوجدتها الطبيعة لاجراء الحكم العنيف الذي اصدره اولئك المهال فدلّه وزيراه كاسلري وباثرست على هدصن لو .

## الفصل السادس

هدصن لو — مقاومة نابوليون المستمرة لمزاعم الحاكم المنكرة وأعماله — أوجاع العاهل والمحطات صحته — اضطراب لاس كاس الى الافراق عن نابوليون هدصن لو ! ان ذكر هذا الاسم\* يستثير الاستفطاع والاشمئزاز في جميع النفوس الكريمة ... وانما يا كيث وكوكبرن ابدينا شيئاً من الاعجاب بالمجد ومن الاحترام للدهاء ومن الميل الى عظمة الشهرة والحظ ولكنكم لم تكونا عارفين حق المعرفة المهمة المنتدبين لاجلها . فقد ظنننا انكم انتدبتم لمراقبة جبار فرنسا وابقائه محصوراً في السجن ... فاهنثا ببلاهةكم اوما قد جاء الآن سجان يحسن فهم مقاصد مواليه العظام فهو سيفهمكم ما يقتضيه الانتقام والخوف منكم وما يستطيع نيله بواسطتكم في بضع سنوات من افليم حالة جوه كحالة جوجزيرة القديسة هيلانة اذا أعانه رجل كهدصن لو .

ووصل الحاكم الجديد الى جزيرة القديسة هيلانة في ١٤ ابريل سنة ١٨١٦ وعند اجتماع نابوليون به للمرة الاولى وجده شخصاً تقذى به النواظر وتنفر منه القلوب فقال عنه : « هو انسان كريبه الطلعة ذو وجه تنبو عن منظره الاحداق ولكن فلنترو في ابراز الحكم عليه : فربما اصلحت اخلاقه ما أفسده منظره وليس هذا الامر بمستحيل . »

وأول أمر باشره هدصن لو انتداب رفاق العاهل في المنفى الى توقيع مك يثبتون فيه انهم مقيمون باختيارهم في لونود وانهم يخضعون لمقتضيات أمر نابوليون .

وكان هدمن لويسر بايصاله الى العاهل نشرات وصحفها اعدائه  
بالمثالب والمطاعن بحقه وحق حكومته وقد دبحت احدى تلك النشرات براءة  
الاب دي برادت فأديرت رحي البحث فيها على ارسال السفراء الى فرسوفيا .  
ولم تكن مثل تلك الاعمال المبنية على الاثوم سوى أمور صبيانية صادرة عن  
رجل مثل السر هدمن لو . واستدعى للمثول امامه جميع خدام العاهل ليسأل  
كلا منهم منفردا عن نوع بقائه في جزيرة القديسة هيلانة هل هو باختياره أم  
لا وكأنه لم يقتنع بصحة الصكوك المكتوبة المقدمة اليه في هذا الصدد . فتأثر  
نابوليون من هذا العمل بيد أنه لم يلق بدامن أعضاء الطرف على هذه الاهانة  
الجديدة ولما فرغ الحاكم من هذا الاستنطاق المقرون بالقحة دنا من لاس كاس  
ومنتولون وقال لهما أنه انتهى من عمله وسيكتب الى حكومته ليخبرها أنهم  
جميعهم وقعوا الصكوك مختارين ثم انه جعل يطيب في مدح موقع الجزيرة وقال  
ان العاهل ورجاله مخطئون بتذمرهم وفضلا عن ذلك يتمتع جميعهم بصحة جيدة .  
ولما قالوا له انه ليس في الجزيرة شجرة واحدة يمكنهم ان يستظلوا بظلها في مثل  
ذلك الاقليم الحار قال لهم والخبث يقطر من شفتيه : « ستقرس فيها الاشجار »  
وبعد ما حبس لسانه عن الكلام تركهم ومضى .

وازدادت صحة العاهل توعكا يوما بعد يوم وفي اواخر ابريل القى ذاته  
مضطرا الى نبذ الحرية القليلة الممنوحة له لالتزله فلم يكن يخرج من غرفته . فناء  
الحاكم لعيادته فاستقبله المريض العظيم وهو مضطجع على مقعد ولايس ثياب  
النوم . وكانت أول كلمة فاه بها قوله للسر هدمن انه مصمم على الاحتجاج على  
الوثيقة المبرمة في ٢ أغسطس . وبعد ما قال انه ابنى الالتجاء الى روسيا والتمسا  
وانه لم يشأ الدفاع في فرنسا حتى النهاية مما كان يجعله يأمل نيل شروط ملامعة له  
قال : « ان اعمالكم لا تشر فكم في التاريخ وما عدا ذلك ستنتقم العناية لي وستجنون  
ثمار اعمالكم المرة عاجلا او اجلا ولا يمضي وقت طويل حتى تسكفروا عن هذه  
الجريمة فيتبدل يسركم بالعسر وتتضعع شرائعكم . . . وقد برهن وزراؤكم للملا  
طرا بما اصدروه من الاوار مجتمعي أنهم يتنفون التماس مني فلماذا لم يجرؤ الملوكة  
الذين أبعدونني على القضاء علي جهارا بالموت ؟ ولا يخفى ان هذا النوع من الموت

او ذاك النوع منه متماثلان في شرعيتهما فتعجيل موتي يدل على عزيمة شديدة فيهم اكثر مما يدل عليها الموت البطيء الذي قضوا به علي »

فاجابه الحاكم انه لم يفعل الا ما أمر به وأن الاوامر الصادرة اليه تقضي بان يلازمه احد الضباط ملازمة خياله له . فقال نابوليون : « اذا وضعت هذه الاوامر موضع الاجراء على هذه الصورة امتنعت عن الخروج من غرفتي » وحينئذ اخبره السر هدهن لو انه ستصل عن قريب سفينة تقل قسرا من الخشب ورياشا واطعمة تخفف من اثقال المعيشة عن سكان لونود الا أن العاهل لم يكثر لما علموه به من الآمال وشكاشكوى مرة من حرمان الوزارة البريطانية اياه جميع انواع العزاء كحبسها عنه الكتب والجرائد واخبار ابنه وزوجته . وقال : « اما الاطعمة والرياش والمسكن فانت وانا جنديان يا حضرة السيد ونحن نعتبر هذه الاشياء بقدر قيمتها الحقيقية لقد انتجعت مسقط رأسي وقد تكون زرت بيتي فهو وان لم يكن احقر بيت في الجزيرة وان لم أكن أستحي به لا بد من أن تكون قد شاهدت انه صغير . واعلم أبي وان اصبحت عرشا ووزعت تيجانا فلم أنس حالي الاولى : فقمدي هذا وسريري الذي تراه امامك يكفياني . »

ولما هم الحاكم بالانصراف كرر على العاهل اقتراحه عليه بارسال طبيبه اليه وكان في اثناء الحديث قد اقترح عليه ارساله فنبد نابوليون اقتراحه . وعلى أثر مزيلة الحاكم لنابوليون أخبر هذا مادار بينهما من الحديث . ولما فرغ من مقاله صمت قليلا ثم قال : « ما أقبح هيئة هذا الحاكم افعي أثناء حياتي لم تقع عيني على نظيره .... واذا وقف الى جانبي هنية من الزمان مثل هذا الرجل امتنعت عن شرب فنجان القهوة ... ويمكنهم أن يرسلوا الي ما هو شر من سجان : » وكأنه لم يكفه ما ساقه اليه أعداؤه من سوء المعاملة رغبة في تعذيب ذلك الداهية وإتلاف حياته حتى حدثت اختلافات بين خدامه زادت في تعذيبه وتمزيق نفسه وكان أن الشقاق قد تلصص الى أبطال الامانة فقال لاس كاس : « حدثت بيننا مشاحنات ومخاصمات ساءت العاهل وسببت له نكد العيش . » وهذا ما قاله لنا في هذا الصدد : « يجب عليكم أن تبذلوا الجهد لكي تؤلفوا هنا أسرة واحدة



نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة



فلقد صحبتوني لتخففوا عني وطأة الشقاء أفلا يكفي هذا الامر ليجعلكم تتسلطون على عواطفكم ؟ »

ونشأ ذات مرة خلاف شديد بين خادمين شديدي التعلق به وحين سمعهما العاهل يعينان موعد المبارزة اغتم اغتما شديدا وانهرهما بالكلام الاتي :  
« أتقولان انكما صحتما في رغبة في مرضاتي ؟ فكونا أخوين وإلا جررنا علي الازعاج ... فكونا أخوين ان رغبنا في هنائي . كونا أخوين وإلا جلبنا علي العذاب .

« أتقولان أنكما تريدان المبارزة وذلك أمام عيني أو لم أصبح في نظركما كل شيء يجب عليكما الاهتمام به أو لا تزال عين الأجنبي موجهة إلينا ؟ وأريد أن تكون روحي منعمشة لكل واحد منكم هنا . وأريد أن يجمع جميع المحيطين بي كؤوس الهناء وان يشاطروني ما بقي لنا من الملهي والملاذ . وليس من أحد حتى عمانوئيل الصغير ذاته الا واريد ان يأخذ قسطه منها . »

وضعت صحة العاهل يوما بعد يوم واقتضت مزيد عناية فشاء ان يباحث الدكتور أوميرا في ذلك الشأن ليعلم هل كان يعنى بأمر معالجته كطبيب للحكومة البريطانية مخصص لسجن الدولة ام كطبيب معين لمعالجته الخاصة : فاجابه الطبيب بمزة نفس وصدق لهجة انه طبيب نابوليون ومن ذلك الحين وضع المريض النبيل كل ثقته به .

وبعد ما دعا الحاكم على غير جدوى الجنرال بونابرت الى تناول الطعام عنده توجه الى لونود حوالي اواسط شهر مايو ليخبر سجينه ان المنزل الخشبي وصل فلم يكرم العاهل وفادته وقال له ان امير البحر مع اجرائه بعض الامور المخالفة لمشيئته نال ثقته التامة ولا يرتئي أن ينيل خلفه مثل ماأناله . فاستاء السر هدهن لو من ذلك التعنيف وقال له انه لم يأت ليتلقى منه درسا .

فقال العاهل : « ليس ذلك لكونك غير محتاج اليه فقد قلت يا حضرة السيد ان التعليمات التي تلقيتها هي أشد عنفا من تعليمات أمير البحر فهل أمرت بأن تميتني بحد السيف أم بالسهم : واني أنتظر كل شيء من وزراءكم فهأنذا أمامك فأجر في حكمهم . وانا أحمل طريقة معالجتك قتلي بالسهم اما قتلك ايادي بحد السيف فلديك الذريعة التي يمكنك التذرع بها لاصابة بعيتك . واذا حدث

كما سبق لك ان هددتني به ان تخرق حرمة منزلي فاشعرك بأن رجال الفصيلة الثالثة والحسين الشجعان لا ياجونه الا بعد ان يدوسوا جثتي . »  
وابتدأت صحة نابوليون تتحسن قليلا فالحوا عليه بأن يفتنم الفرصة من ذلك التحسن ويستأنف تنزهه على متن فرسه . ففي مؤتلف الامر أبى اجابة سؤلهم لانه لم يشأ الرضى بالانحصار ضمن الحدود الضيقة المعينة له وان « يدور على نفسه كأنه في ميدان ترويض الخيل » وفي آخر الامر رضي باجابة طلبهم ومر وهو عائد امام المعسكر البريطاني فبادر الجنود الى الاصطفاف تاركين كل شيء ليحيوه التحية العسكرية فقال حينئذ : « اي جندي اوري لا يتأثر عند دنوي منه : »

وحاذر هوصن لو الا يظل العاهل شاعرا شعورا كافيا بأنه سجين في لونود وعليه كان في كل يوم يعلج ان يذكره بذلك الامر بما كان يأتيه نحوه من ضروب الاهانة والعسف والقسوة . فضبط المسكايب الواردة اليه من أوروبا زاعما انها تمر على أحد الوزراء وضبط ايضا رقعة خطها عقيلة برتران بدعوى انها كتبت بغير اذنه . ونهى بصورة رسمية العاهل ورجاله عن كل علاقة خطية او شفاهية بسكان الجزيرة بغير موافقته .

وحولت الوزارة البريطانية القرار السياسي الصادر في ٢ اغسطس الى نظام رسمي في ما يتعلق بسجن نابوليون . ولما وصات الى الحاكم اوامر مبنية على قرار البرلمان في ذلك الشأن اغتم الفرصة لتجديد غذاب سجينه ، واضاف الى تلك الاوامر ملاحظات محقرة عن نفقات العاهل ملمحا عن وفرة عدد الخدام الذين آثروا البقاء مع مولاىهم .

وعلى هذه الصورة تفرج العاهل كؤوس المهانة منوعة الى اصبارها وبعد ما كان يقتحم ميادين القتال غير مبال بملعة المدافع ووميض الشفار استسلم الى التبرم وآثر الاعتزال في غرفته . ولم يكن يفصل عنها الا ليعود عقيلة دي منطولون بعد ولادتها . وكان لهذه السيدة غلام في الثامنة من عمره يدعى رستان فكان العاهل يسر بان يسمعه يتلو بعض الحكايات . ولما قال له الغلام انه لا يشتغل كل يوم سأله العاهل قائلا : « او لا تأكل كل يوم : » فاجابه الغلام : « بلى » فقال نابوليون : « بلاء عليه ينبغي لك ان تشتغل كل يوم



ظلمه لا يستحق ان يأكل ان لم يشتغل :» فقال الغلام : « اذا كان الامر كذلك فاني سأشتغل كل يوم » فقال نابوليون وهو يضحك ويدغدغ الولد على بطنه : « انظروا الى تأثير البطن الصغير فالعالم يحركه الجوع والبطن الصغير : »

وكانت أسرة بلسكب توالي زياراتها لنابوليون فيجل استقبالها . على ان ذلك الغازي الهام والقائد المصور الذي لم يظن وهو في يريار ان لعبة الغميضة تنقص من كرامته لم يظن قط وهو في لونود انه يكشف بهاء مجده ودهائه بمزاويلته تلك اللعبة وبتعليمه احدى اوانس بلسكب لعب البليار .

ووصل مندوبو الدول الاوربية الى جزيرة القديسة هيلانة وابدوا رغبتهم في رؤية نابوليون . فزار امير البحر ملكهم نابوليون واخبره ذلك الامر . وكان نابوليون يحب ذلك البحار الشجاع فقال له انه يتعذر عليه أن يستقبل مندوبي الحلفاء وختم حديثه بهذه الكلمات : « يا حضرة السيد انت وانا انسانان وانا اجملك حكما في هذه القضية : أمن الممكن أن اهل النمسا الذي اقترنت بابنته بعدما التمس مني وهو جاث أمامي ان اعقد هذا القران وبعد ما رجعت اليه طاصته مرتين وبعد ما حبس عنده امرأتي واني يرسل الي مندوبه من دون أن يرسل الي معه سطر واحد ومن دون أن يخبرني عن صحة ابني ؟ فهل استطيع والحالة هذه استقباله ؟ وهل عندي شيء من الاشياء اقله له ؟ وما قلته عنه يمكنني أن اقله عن الاسكندر فلطالما افتخر هذا بصداقتي ولم تكن حروبي معه حروبا شخصية بل حروبا سياسية . وهما يتباهيان عينا بكونهما عاهلين فنحن لسنا سوى بشر ولا انتفاضها الآن غير هذا اللقب . أو ليس لجميعهم قاب ؟ وصدق يا حضرة السيد اني حين استاء من لقب جنرال الذي يطلقونه علي لا ارتاع منه ولا انبذه الا لكونه يدل على اني لم اكن عاهلا . ولا يخفى أن دفاعي عن شرف غيري في هذا الشأن يفوق الدفاع عن شرفي . »

واعطى امير البحر العاهل جرائد منشورا فيها نعي عاهلة النمسا والاحكام المبرزة على القواد الذين تناولتهم الاوامر الصادرة في ٢٤ يوليو وتبرئة ساحرة كبرن والقضاء بالموت على برتران . وانتهت الى العاهل في ذلك الحين رسائل من والدته وشقيقته بولين وشقيقه لوسيان .

وخطر لنابوليون في اليوم السابق عيده ان يصطاد الحجال فلم يستطع

المشي طويلا فاضطر الى ركوب الحصان . ولما كانوا جالسين على العشاء ومعهم يقولون انهم في ليلة ١٥ اغسطس قال لهم بتأثر : « غدا ستشرب في اوربا انخاب كثيرة توجه الى جزيرة القديسة هيلانة وستجتاز المحيط امانى حارة وعواطف نبيلة . » وتعدى في الغد مع جميع رجاله الامناء في خيمة كبيرة جميلة امر بنصبها في الحديقة وقضى سحابة مhare بينهم .

وكان ما وجهه نابوليون من التعنيف المر والاهانة الى السر هدمن لو قد زاد في إيقاد نيران البغضاء في فؤاده وصيره يشدد في التضييق على السجين النبيل . ولما كان المستر هبوس قد ارسل الى العاهل الكتاب الذي ألفه عن المئة يوما وكتب عليه باحرف مذهبة : « الى نابوليون الكبير » ضبط الحاكم الكتاب بدعوى ان كاسلري منتقد فيه بلهجة عنيفة . وبعد هذا العمل المنكر ببضعة ايام تجاسر على الاطلاع على العاهل فوجده في الحديقة . وعالج التنصل مما عزي اليه قائلا انهم لو عرفوه حق معرفة خلّفقوا من لهجة انتقاده الا أن هذه الوقاحة جرت عليه اهانة جديدة في حضرة امير البحر ملكهم .

فقال له نابوليون : « انك لم تتول قيادة غير قيادة العيارين الكورسيكيين وبعض الفارين من الجندية والمصوص البيمانتيين والنابوليانيين . وانا اعرف اسماء جميع القواد البريطانيين الذين امتازوا عن غيرهم في ساحة الهيجاء ولكنني لم اسمع احدا يتكلم عنك الا ويدعوك كاتب بلوخر او رئيس عصاة من الاشقياء . فانت لم تتول قط قيادة اشخاص من أهل الشرف ولم تتعود المقام بين ظهرائهم . » ولما قال له السر هدمن انه لم يسع لنيل المهمة الموكول اليه امر قضائها قال له نابوليون : « ان هذه المناصب لا يسعى الناس وراءها فالحكومات تسندها الى الاشخاص المتجلببين باسمال العار . » حينئذ قال له الحاكم ان الواجب عليه ان يأتي هذه الاعمال وانه لا يمكنه مخالفة الاوامر الآتية اليه من الوزارة فقال له نابوليون : « لأظن أن حكومة من الحكومات يحدوها اللوم على اعطاء مثل الاوامر التي تجربها . » واخبر هدمن لو سجينه ان الحكومة البريطانية تنوي تخفيض النفقات في لونود . فقال العاهل : « لاترسلوا الي شيئا من المظعم والمشرب اذا راقكم ذلك فأنا أتناول الطعام على مائدة ضباط الفصيلة الثالثة والحسين الاشداء وأنا متأكد ان كلا منهم بسر بأن يمنح كرسيا مجانبه الى جندي قديم .

فلست الا من الشحنة الصقلية ولست بريطانيا . فلا تمثل أمامي من الآن فصاعداً  
الا حين تأتيني بالقضاء علي بالموت حينئذ تنفتح جميع الابواب في وجهك . »  
ولما رأى هدمن لو أن نابوليون وجميع الفرنسيين في لونود يحرقونه  
طالع حمل البريطانيين الذين في الجزيرة على معاداهم فاذاغ أن رفض نابوليون  
استقباله ناجم عن بغضه الامة البريطانية وأن هذا البغض يتناول ضباط الفصيلة  
الثالثة والخمسين الذين لايشاء مشاهدتهم . ولما انتهت هذه الارجيف الى مسامح  
الماهل بادر الى دعوة أقدم ضباط تلك الفصيلة وهو الكبتن بوبلتن فأكد له  
أنه لم يقل شيئاً ولم يخطر له شيء مما أذاعه ذلك الحاكم كذبا وافتراء وقال له  
« لست من المعجائز وأنا أحب الجندي الشجاع الذي خاض غمرات القتال أيا  
كانت الامة المنتهي اليها . »

وبعد ما زاد السر هدمن لو في الطين بلة بمعالجته التوصل مما اتهم به تعمد  
اثنان اهانات جديدة فظيعة فدعا اليه الدكتور أوميرا زاعماً انه يريد أن  
يستخبر منه عن صحة سجيته ولكنه كان في الحقيقة يبتغي التذمر من جراء  
مآلحه من الفضاضة في اجتماعه الاخير به فقال له وشرر الازب يتطاي من عينيه:  
« قل للجنرال بونابرت أنه يجب عليه أن يعتدل في تصرفه واذا أصر على غيه  
لم أر لي بدا من اتخاذ التدابير العنيفة لزيادة التضييق عليه . » ثم أنه اتهم نابوليون  
بأنه أهلك الملايين من البشر وختم كلامه بقوله : « أنه يعتبر علي باشا سفاحا  
يستوجب الاكرام أكثر مما يستوجبه بونابرت . »

ولام الماهل نفسه على اللهجة العنيفة التي خاطب بها الحاكم فقال : « كان  
الاشبه بي أن أعبر برباطة جأش عن جميع هذه الاشياء فانها تكون أشد  
تأثيراً . » وجاء الدكتور أوميرا وأخبره أن هدمن لو لن يظاً برجله أرض لونود ،  
على أن نابوليون لم يعتبر الاحتجاجات الشفاهية مع شدة لهجتها وفصاحة  
عبارتها كافية لان تنقل الى الاجيال الحاضرة والمستقبلة الحكم الفاضح الذي كان  
في نوبته قد قرف به القضاء الذين أصدروه وانتقدم وهو في منفا في الجزيرة  
الجرداء من دون أن تفارقه السياسة الادبية المتصلة اليه من العدالة والدهاء والمعاجزة

العواصف السياسية عن صدمها وهدم صرحها . فقوض الى الكنت دي منطولون  
أن يبلغ الحاكم صورة رسمية عن احتجاجه ضمنها جميع شكاويه بلهجة  
شديدة منطقية .

ولم ين هدمن لو عن التذمر من اسراف سكان لونرد وانسكاره كل يوم  
ما يطلبونه من الطعام والشراب من دون أن يخشى أن يحتقر من جراء تنازله  
الى التدخل في مثل تلك الامور التافهة كاعتراضه على بعض قناني من الخمر أو بعض  
ارطال من اللحم . على أنه أذن بأن تزد النفقات بحيث تعرض عليه دأ بما وهددم  
زيادة التضيق ان هم نبذوا اقتراحه وهذا ما جعل لاس كاس يقول في مفكراته  
« كانوا يساومون في أمر حياتنا . » ولم يشأ العاهل قط أن يتدخل في مثل تلك  
المسائل وأمر بالأيعودوا الى ذكر شيء منها أمامه .

ووضع السر هدمن لو تهديده موضع الاجراء بتنقيصه النفقات فاعتم سكان  
لونرد أن شعروا بنقص الاشياء الضرورية لهم . فذات يوم بعد ما تناول  
العاهل غداءه مر بالرفة التي تتناول حاشيته الطعام فيها فوجد أن ما كان لديهم  
من الطعام والشراب قليل جداً لا يكفيهم فأمر من ذلك الحين بأن يباع كل شهر  
قسم من الآنية الفضية التي له للاستعاضة بشئها عن المبلغ الذي حسمه  
الحاكم . ولم يكن هدمن لو باضطرار العاهل الى بيع آنيته الفضية ليعيش  
من ثمنها بل أراد أن يغتم الفرضة من ذلك الامر لايجاد أسباب أخرى يزعم  
بها سجنه . ولما كان الناس يتنازعون شراء أشياء تخص الرجل العظيم وكان  
تزامهم قد جعلهم يدفعون مئة دينار عن صحيفة واحدة أعلن الحاكم أن هذه  
الصحيفة لا يمكن بيعها إلا للشخص الذي يعينه ولكن العاهل فكر في وجوب  
وضع حد لتلك المزاحمة وأمر بأن تحذف من الآنية المكسرة جميع العلامات  
الدالة على أنها تخصه ولم يحفظ منها سوى النسور الموضوعة على الاغطية .

وأثرت هذه المعاملات الدنيئة في صحة العاهل شيئاً بدم شيء فبدأ على  
سجنته شحوب غير هيئته وألقى القلق في الافكار بحيث أنه صار شديد الشبه  
بأخيه البكر . على أن آلامه وهزاله لم يحولا دون مواصلة الرياضات والاعمال  
العقلية التي باشرها منذ وصله الى الجزيرة : فكان يدرس الانكليزية على لاس كاس .  
ولا يهمل الاملاء على قواده أو لاس كاس أو ابنه عن حروبه والحوادث الخطيرة .

في حياته . وفي اليوم عينه الذي تعد فيه هدمين لو ازعاجه بمطالبه الاخيرة بشأن الآنية القضية املى حوادث موقعة مارنفو على الجنرال غورغو وأطاد النظر مع لاسكاس في حوادث معركة اركول التي أملاها عليه قبلا . وذكر في المفكرات أن العاهل قرر أن تقرأ عليه في المساء الفصول التي أملاها ولكن حدث ذات ليلة أن إحدى السيدات استهواها النعاس فنامت وجعلت تغط في نومها فلم يعد الى قراءة تلك الفصول في المساء وقال في هذا الصدد : « ان المؤلفين يعجبون دائما بمصنفاتهم . »

وبعد الاهانات والاضطهادات المتوالية التي وجهها هدمين لو الى العاهل وبعد كثوس الغضاضة التي تجرعا من قبله طلب أن يشاهده فأصر العاهل على رفض استقباله اصرارا شديدا . فصمم الحاكم على أن يرسل اليه بواسطة الدكتور أوميرا رسالة ذكر فيها أنه لم يخطر له قط أن يهين الجنرال بونابرت أو يجرح عواطفه وهذا ما يخوله الحق بأن يتقاضاه اعتذارا عن اللهجة العنيفة التي خطبه بها في مقابلته الاخيرة . وطلب أيضا هدمين لو اعتذار الجنرال برتران عن إغلاظه الكلام له في اجتماعهما الاخير وقال اوميرا : « ان العاهل تبسم باحتقار عند افتكاره يطلب السر هدمين لو منه أن يعتذر اليه . »

وجاء الكولونل ريب الى لونود بعد يومين وطلب الدخول على العاهل وكان حاملا مذكرة يطلب فيها السر هدمين لو مطالب جديدة . فأدخل الكولونل على نابوليون وقرأ له المذكرة المكتوبة بالانكليزية وأبقاها معه من دون أن يترك له نسخة منها أو ترجمة عنها . وهذه خلاصة مذكرة هدمين لو .

« يجب على الفرنسيين الراغبين في البقاء مع الجنرال بونابرت أن يوقعوا الصك البسيط الذي يبسط لهم وأن يرضوا بالاذعان لجميع النواهي الممكن وضعها للجنرال بونابرت من دون أن يبدوا أدنى ملاحظة خاصة في هذا الشأن . والذين يأبون التوقيع يرسلون توا الى رأس الرجاء الصالح : فيخفف عدد الخدام الى أربعة وهؤلاء ينبغي لهم أن يعتبروا أنهم خاضعون للقوانين نظير رعايا بريطانيا العظمى ولا سيما فيما يتعلق بالقوانين المراد بها تأمين الجنرال بونابرت والمعلمة أن كل مساعدة له على الهرب تعتبر جريمة خيانة . وكل من يقدم منهم على خيانة الحاكم أو الحكومة المنتقمي اليها أو يبدي ملاحظات عليهما أو يسيء التصرف

نحوها يرسل في الحال الى رأس الرجاء الصالح ولايسهل له طريق العودة الى أوروبا. «  
ولما أبلغ نابوليون الدكتور اوميرا المذكرة الصادرة من سجانته قال بعد  
ما اعمل رويته قليلا : « أفضل أن اراهم جميعهم يسافرون على أن أرى حولي  
أربعة اشخاص أو خمسة أشخاص لاينفكون عن التخوف ويهددون في كل دقيقة  
باركابهم متن السفن بالقوة . ويستنتج من هذه المذكرة أنهم جميعهم تحت مطلق  
تصرفه فليبعد عني جميع الناس وليجعل الخفراء على الابواب والكوى ويرسل  
الى الخبز والماء من دون غيرهما فهذا لا يهمني لأن فكري مطلق وقلبي حر على  
مثال ما كانا عليه حين كنت أسن الشرائع لاوروبا . »

ونحن لم نذكر حتى الآن كل التضييق الذي تعمد هدسن لو اجراءه بحق  
العاهل نابوليون فأعلن أنه بموجب السلطة المطلقة الممنوحة له في جميع مساحة  
السجن الموكولة اليه خفارته لا يستطيع نابوليون أن يميل عن الطريق العام أو  
يدخل بيتا من البيوت أو يكلم شخصا من الاشخاص الذين يلتقيهم وهو ينزه  
راكبا جواده أو ماشيا على قدميه . ثم أن ذلك التضييق على الجنرال بونابرت  
ماعتم أن شمل جميع حاشيته . فلم يصدق القوم في لونود في بدء الامر صحة  
عنف ذلك التضييق وعهد الى الدكتور اوميرا في أن يوضح الحاك من الحقيقة  
فبسط هدسن لو لاوميرا ايضا واقيا بلا تردد أو محاولة تخفيف وطأته .  
ولما كان شديد الاهتمام بالاحتجاج الرسمي الذي وجهه اليه المسيو دي منطولون  
أراد أن يعلم هل ارسل ذلك الاحتجاج العنيف الى لندرة واوروبا وهل كانت  
نسخ عنه في الجزيرة ؟ ولما أجابه اوميرا بالايجاب ساوره قلق عظيم .

وانتظر نابوليون كل معاملة قاسية من هدسن لو وقد أعلن له ذلك في  
مقابلتهما الاولى إلا أن المعاملة الاخيرة صيرت كاس خنقه دهاقا لانه لم يخطر  
بباله أن يعامل بمثلها وظل مترددا في اعتقاده أنه لا يمكن أن تأمر الوزارة  
البريطانية بمثل هذه المعاملة وان يكن الحاك قد أبلغه بواسطة اوميرا أنه  
لايجري الاوامر التي يتلقاها من حكومته . فقال : « اني متحقق انه لا توافق  
على هذا العمل الجائر الاخير الا وزارة اللورد بائرنست »

وقال نابوليون متذمرا : « أنهم يقصرون حياتي بانارتهم كامنات سخطي  
وكانت حالته الصحية تتأخر يوما بعد يوم فأصابته الحمى وصار يشعر بتوعك



محرکہ واترلو فی ۱۸ یونیو ۱۸۱۵



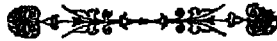


حام . ولم يشأ أحد من رفاقه في مصائبه مفارقتة مهما كانت عنيفة التدابير التي لجأ اليها هدمن لو . فأرسلوا الصك الى الحاكم وقد وقعه جميعهم وفقا لطلبه مع استبدالهم لفظة نابوليون بونابرت بلفظة العاهل نابوليون . فأبى هدمن لو الموافقة على هذا التغيير وأعاد الصك الى الجنرال برتران ليعيدوه الى نصه الاول . ولما علم نابوليون ما كان من ذلك الامر طلب أن ينهوا هذه المسألة برفضهم توقيع الصك والرضى بالانتقال الى رأس الرجاء الصالح .

وجاء الحاكم الى لونود ليخبر الجنرال برتران أن الجزالية ولاسكاس وأفراد حاشية الجنرال بونابرت الذين أبوا توقيع الصك سيرسلون حالا الى رأس الرجاء الصالح .

وكان لذلك الانذار القريب أجل الاجراء ما توقعه الحاكم من الوقع الشديد فان اولئك الاشخاص الذين اختاروا المنفى الى ذلك الاقليم البعيد المزار راضين باحتمال شظف المعيشة حبا لذلك الجبار العظيم الذي أحبوه فوق كل شيء اضطروا الى الاذعان للاستبداد مؤثرين ذلك على مفارقتة . وبعد منتصف الليل ساروا الى الكبتن بوبلتن من دون أن يشعروا العاهل بذلك ووقعوا الصك الذي نظمه الحاكم وتخلف عن توقيعه سنطيني لاصراره على الامتناع عن توقيع أي ورقة كانت لا يطلق فيها على مولاه لقب امبراطور . على أن نابوليون لما درى ما كان من هذا الامر لم يدهش من الادلة الجديدة على شدة اخلاصهم له وتعلقهم به فقال : « أنهم لا يتأخرون عن توقيع أي ورقة كانت ولو أطلق فيها علي لقب الطاغية بونابرت أو غير ذلك من الالقاب المحقرة بحيث يستطيعون البقاء معي في المنفى يشاطرونني الشقاء ويؤثرون ذلك على العودة الى أوروبا حيث يمكنهم أن ينجروا ذللا ذل القبطة ويرتمون في بحبوحة الهناء . » وقال العاهل للدكتور اوميرا : « انه لضرب من الحماسة ان أَرْضَى بلقب امبراطور في الحالة التي صرت اليها اذا كان الوزراء البريطانيون ينكرون علي هذا اللقب واكون والحالة هذه كواحد من اولئك التاعسين الذين في معقل بدلام فهؤلاء يتوهمون أنهم ملوك وهم مقيدون في الاغلال ومضطجعون على الهشيم . » ولكنه كان شديد الاعتصام بذلك الأمر لاعتباره اياه من جملة حقوق الشعب الفرنسي ولم يتمسك به اجابة لداعي العجب والمجد الباطل .

وتناول بغض الحاكم نابوليون جميع الفرنسيين المقيمين في لونود الا ان بغضه  
للاس كاس كان أشد واقوى لان هدسن لو رأى فيه مذبح اعماله الخسيسة  
اليومية . فاحتال السير هدسن لو لاجل التملص منه على اخذ خادم خلاصي متقيد  
في خدمته سم أن الخادم عاد خفية الى لونود ليعرض على سيده القديم خدمته  
بارساله جميع المكاتيب والرسائل التي يبتغي تسييرها الى اوربا . فاعتقد لاس كاس  
صحة كلامه واعطاء مكاتيب ومن جملتها مكتوب الى لوسيان بونابرت . فما ابطأ  
هدسن لو ان استولى على المكاتيب وسقط لاس كاس في الفخ المنصوب له  
وظفر السجنان الغاشم بحاجته واوشك القانون الموضوع لسكان لونود ان يجري  
بحق شخص يميل هوكل الميل الى التملص منه . وفي اواخر شهر نوفمبر سنة ١٨١٦  
جعل لاس كاس في السجن في جزيرة القديسة هيلانة وبعد ما تفقد هدسن لو  
جميع اوراقه استنطقه وامر بإبعاده الى رأس الرجاء الصالح . وكان ذلك الامين  
الصادق المستهدف لنبال الخيانة يستحق المكافأة والتعزية فافتكر نابوليون به  
وكتب الى لاس كاس وهو في السجن رسالة لئلا يظن الحاكم الجائر ضبطها فلم تصل الى  
لاس كاس الا بعد وفاة العاهل نابوليون .



## الفصل السابع

### ايام نابوليون الاخيرة ووفاته

ان غورغو الذي كانت تحدث بينه وبين لاس كاس مشاحنات ومناظرات عنيفة لم يشأ أن يدعه يرحل الجزيرة من دون أن يبين له أن قلبه لا يحمل حقدا . فطلب أن يصحب برتران الذي نال الاذن لمشاهدة لاس كاس وجاءا معا لوداع رفيقهما المنكود الطالع وقد حول منماه الاختياري الى منفى إجباري ،

ودامت المظالم في لونود بعد ذهاب لاس كاس كما كانت حين كان فيها على أن الدكتور اميرا كان الوسيط الدائم بين نابوليون والحاكم وقد نهض باعباء المهمة الشاقة بخفة روح استمالت اليه ثقة العاهل به يوما بعد يوم وصيرته مشتتها فيه عند هدصن لو . وحقق ذلك الرجل بفعله ما قاله عنه نابوليون اي أنهم ارسلوا اليه من هو شر من سجان . ويجدد الاضطهاد كل يوم تحت اشكال شتى . ولما ابدى العاهل رغبته في تصفح الكتاب الذي وضعه بيليه عن بريطانيا وطلبه من الدكتور اميرا اخذ السر هدصن لو من مكتبته كتابا عنوانه : « تاريخ الرجال الخاطلي الاصل عند جميع الامم الذين اختلسوا القاب امراطور وملك وامير . » وأعطاه الدكتور قائل له : خذ هذا ايضا لا جنرال بوناپرت فقد يجد فيه صفات تنطبق عليه . هذه كانت اخلاق ذلك الرجل الذي اختاره اعداء نابوليون ليكون في جزيرة القديسة هيلانة لسان حال الملوك والارسطراطيين في اوربا وينتقم لهم من الجبار العظيم الذي ابقي عليهم بعد ما كان يستطيع تعفية آثارهم وطمس رسومهم .

وقد أصاب نابوليون الغرض حين وصف السر هدصن لو مطلقا عليه لقب « الشحني الصقلي » ولم تكن وايم الحق هذه اللفظة كافية للتعبير عما يشوي في نفس ذلك السجان اللئيم من الخساسة والدناءة والخبث والفظاعة . وكان كلامه ترجمان جنانه وكثيرا ما استعمل اخشن الالفاظ للتعبير عن احقر العواطف . فذات يوم اطال لسان القدح بحق رفاق المساهل الصادقين فقال : كان الافضل

للجنرال بوناپرت ان لا يكون معه اولئك الكذابون كمنطولون وبرتران  
ابن الكلية الذي لم يكن دأبه غير التذمر .

وانه لا مرمؤكد ان حاشية نابوليون كانت قذى في عين مجري ارادة المخالفة  
المقدسة ولم يشأ همدن لو ان يخفف اصدقاء نابوليون عذابات مولايم بما يبدوونه  
له من دلائل التعلق والاخلاص بل شاء أن يضرب ضحيته ضربة قاضية في الخلوة  
من دون أن يخشى أن يكون لتلك الضربة صدى . ولهذا الغاية ابعده عنه  
لاس كاس وصار يجهد في ابعاد الدكتور اميرا عنه .

وقال همدن لو غير مرة للدكتور اميرا : اصبحت مشتبهاً فيك ولم يبق  
لي مندوحة عن التحفظ منك . وكتب الى لندرة يطلب اخراج الدكتور اميرا  
من جزيرة القديسة هيلانة .

وحين كانت كتابته سائرة على الطريق الى اوربا كان الدكتور اميرا يزدري  
باتهام الخا كم اياه ونفوره منه وثابر على عيادة مريضه النبيل وتقديم وسائل  
التعزية اللازمة له علاوة على تقديم الذرائع الطبية التي يراها ملائمة . ولما لم يكن  
خاضعاً للنظام العنيف الخاضع له سكان لونود استفادوا من حرية علاقاته  
بالخارج وابدى نابوليون ثقة عظمت به .

وكان نابوليون في اثناء الراحة التي يتركها له الخا كم يسر باعادة ذكرى  
رجال التاريخ أو البحث في القضايا المهمة المتعلقة بالسياسة الحاضرة .

وقد مثل العاهل الثورة في مجموعها ومبادئها وهو في شاطئ الفلسفة وموقف  
التجرد عن كل ميل أو هوى في الحالة التي اوصلته اليها تقلبات الاقدار ووضعت  
حدا لحياته السياسية قبل اوانها . وقد قال في هذا المعنى : « ليست الثورة  
الفرنسوية نتيجة تصادم اسرتين تتنازعا على العرش بل هي حركة عامة صادرة عن  
مجموع الامة لمناوأة اصحاب الامتيازات ... وقد استنارت بمشكاة مبدأ المساواة  
واضحلال بقايا الزمنة اصحاب الاقطاعات وانماأت بلاداً فرنسوية جديدة قسمت  
ارضها تقسيماً متجانساً ومنحت نظاماً قضائياً واحداً ونظاماً ادارياً واحداً وشرائع  
مدنية واحدة وشرائع جنائية واحدة وطريقة واحدة لجباية الضرائب . وصارت  
فرنسا الجديدة المحتوية على خمسة وعشرين مليوناً من السكان تؤلف طبقة واحدة

من الوطنيين خاضعة لشريعة واحدة ونظام واحد وقانون واحد . وقد جاء ذلك  
التفجير موافقا لخير الامة وحقوقها ولجري العمران . »

فاذا استمدت الثورة والحالة هذه اصلها من مبدأ المساواة وهماها دهاء  
الحضارة فهل يستطيع اعداؤها الالقاء المتعجرفون الغض من كرامتها ؟ أجل  
انهم خلعوا ممثليها عن العرش ونقوه وسجنوه وجرعوه كؤوس المهانة والمذاب  
ولكن ذهببت مساعيمهم على غير جدوى فالمستقبل مضمون لها . واذا أقصتها  
الحكومة عنها لاذت بعقوة الهيئة الاجتماعية . فصارت الصحافة لسان حالها  
بعد نابوليون وستعيد اليها هذه الصحافة ادارة الحكومة يوماً من الايام .  
وابصر سجين القديسة هيلانة وهو في الاغلال وعلى مسافة بعيدة انتصارا  
جديدا أصابه المبدأ المقدس الذي كابد ما كابد من أجله حتى فاضت روحه وهو  
يجاهد في سبيله فقال : قبلما تنقضي عشرون سنة على وفاتي بعدما يقيني الحفير  
سترون في فرنسا ثورة جديدة . »

ولم تقتصر نبؤته على فرنسا وحدها بل هدد مبدأ المساواة الارسطقراطية البريطانية  
نفسها فقال للدكتور اوميرا : « في رؤوسكم كثير من العجرفة الارسطقراطية  
فانتم تعتبرون سوقة الناس مجبولين من طينة أدنى من الطينة المجبولين انهم منها  
تسكلمون عن حريبتكم ولكن هل ترون افظع من تجنيدهم بحارتكم بتلك الطريقة  
الاستبدادية . ومع ذلك فالوقاحة تحدوكم على انتقاد تعبئة الجنود في فرنسا .  
وهذا الامر يجرح عواطف كبرائكم لانه ليس من تمييز بين طبقات المجتمع الاساني  
ما أحقر المنزلة التي ينزل اليها عندهم ان النبيل عند اضطراره الى الدفاع عن  
وطنه ومساواته لا بناء السوقة وتعريض حياته كانه واحد من أبناء الشعب .  
ومع ذلك جعل الحق سبحانه وتعالى المساواة بين جميع الناس . فمن تتألف  
الامة ؟ لا تتألف فقط من لرداتكم أو اساقفتكم الكبار أو رجال كنيستكم أو  
نبلائكم أو بعض الخاصة عندهم . فسيأتي يوم ينتقم فيه الشعب وسيشاهد  
الناس أمورا هائلة : »

وكان نابوليون من جهتي التارخ والنبؤة يحب بنوع خاص ان يعالج شخص  
ملكه وحياته مثنيا عليهما فاختصر ما تخلصهما من الحوادث بسطور وقال :  
« نقد اجهدوا نفوسهم على غير طائل بمحذفهم واسقاطهم ما شاؤوا حذفه

واسقاطه وتشويههم ما راموا تشويهه فيتمعذر عليهم أن يطمسوا رسومي . ولا يلقي المؤرخ الفرنسي مندوحة عن ذكر الامبراطورية واذا كان له قلب فلا يلقي له بدا من ارجاعه الي شيئاً من الاشياء ومن اعطاني نصيبي مما استحقه . ولعمر الحق انه يسهل عليه هذا الامر لان الحوادث تنكلم وتبدو واضحة كالشمس في رائعة النهار .

« لقد سددت نلعة القوضى وحللت عقدة الخلاء وطهرت الثورة وشرفت الشعوب وثبت اركان عروش الملوك واستثرت حب المنافسة وكافأت اصحاب الاهلية وأخرت حدود المجد . ولا يخفى ان هذه الامور لا يستهان بها . وهل يمكنهم ان يتهمجوا علي قادحين ولا يقوم المؤرخ للدفاع عني ؟ وهل هذه مقاصدي ولكن ثمة أسباب تدعو الي تبرئة ساحتي . فهل أنهم بالاستبداد . يبين ان الحكم المطلق كان امرا لاغني عنه . وهل يقولون اني القيت الجنادل في سبيل الحرية فانه يبرهن عن ان فساد الاخلاق والقوضى والاضطرابات أو شكت ان يستفحل أمرها . وهل يتهموني بشدة الميل الي الحرب . فانه يقول اني اتخذت خطة الدفاع . وهل يزعمون اني توخيت وضع اساس الامبراطورية العامة فانه يظهر ان ذلك الامر نتيجة عرضية للحوادث وان اعدائي الجأوني الي تلك الحال . وهل يدعون ان مطامعي كانت سببا لذلك البلاء فانه ولا مراة سيجد لي من المطاعم مقادير وفيرة ولكن أعظم تلك المطاعم واسماها انشاء سلطنة العقل ومزاولة القوى العقلية وقد يضطر المؤرخ هنا الي التأسف على جبوط تلك المطاعم ... هذا تاريخي بكامله حصرت في هذه الكلمات القليلة . »

وصمم هــصن على ابعاد إوميرا عن نابوليون كما أبعد عنه لاس كاس . ولما لم ينل من لندرة ابعاد الدكتور أوميرا فكر في إخضاعه في نوبته لقانون جائر ثقیل الوطأة يتعذر عليه احتماله فيضطر الي التماس منه بالمبادرة الي الاستقالة . فاصاب بغيته من ذلك الامر اذ ان أوميرا أكره على البقاء محصورا ضمن دائرة لونود ومحروما معاشرة البريطانيين وتولي العلاقات مع أي كان من الناس اللهم الا ما كان من خصائص مهنته الطبية فعالم التخفيف من ذلك التضييق برفع واقع الحال الي امير البحر بلامبين المقيم في بريار . ولما ابى

امير البحر ان يستقبله عقد عروة العزم على الاستقالة وبادر الى الكتابة في الحال الى الحاكم .

الا ان مندوبي الدول المتحالقات لما علموا ان صحة العاهل تقتضي عناية متواصلة وخافوا ان يكون انطلاق الدكتور أوميرا قبل ان يعينوا له خلفا يرضى به نابوليون سببا لحدوث أمور محزنة تزيد في عظم المسؤولية الملقاة على عواتق حكوماتهم ألحوا على الحاكم في ابقاء الطبيب البريطاني يزاول مهنته في لونود . واخيرا اقتنع همدن لو بابقائه بعد جدال عنيف طويل لكنه عاد الى تجديد وشايته بحق الدكتور أوميرا طالبا من الوزارة في لندرة اخراجه من الجزيرة لئلا يفسد عليه أمره في المهمة الموكول ائيه قضاؤها ،

وحرص عليه قائد الفصيلة السادسة والستين التي خلفت الفصيلة الثالثة والخمسين واقنعه برفض جلوس الدكتور اوميرا على مائدة الضباط وبعد ارسال تقارير مطولة من كلا الفريقين في وصف تلك الحالة انتهت الى الدكتور اوميرا رسالة من ادورد وينيارد نائب الكولونل يخبره فيها بالنيابة عن همدن لو انه وردت اوامر من الكونت بائرس في ١٦ مايو سنة ١٨١٦ ببلاغ الدكتور اوميرا الابتعاد عن الجزائر بونايرت وعدم مخالطة اي كان من سكان لونود

وقال اوميرا : ان الانسانية وما تقتضي به علي مهنتي وحالة نابوليون الصحية حالت دون ادعائي لتلك الامور العارية عن الشعائر الانسانية . فصممت لساعتي على ما ينبغي لي عمله فازمعت التمرد غير مبال بعواقب فعلي هذه . واقتضت صحة نابوليون ان اصف له طريقة المعيشة وان اهيء له العلاجات اللازمة في اثناء تغيب الجراح . وعاد الدكتور الفاضل الى لونود واوقف العاهل على امر الكونت بائرس فقال نابوليون : « انهم يعملون في ارتكاب جريمتهم فقد طالت حياتي في انظارهم . »

وبسط الدكتور أوميرا لعليله النصائح الطبية الواجب عليه المسير بموجبها بعد مفارقتها اياه . ولما فرغ من الكلام انشأ نابوليون يتكلم بمجدة ويقول : « حين تصل الى أوروبا اذهب الى أخي يوسف او ادعه اليك وقل له اني ارجب ان يعطيك الرزمة المحتوية على المكاتيب الخاصة السرية التي كتبها الى العاهلان الاسكندر وفرنسوى وملك بروسيا وغيرهم من العاهل والملوك والاقبال

في أوروبا وقد سلمته أياها في روشفور . فاطبعها ارادة ان يقنع بالعار أولئك العاهل والملوك والاقبال ويقف العالم طرا على الاكرام المقرون بالتذلل الذي أدوه لي حين التمسوا مني نعماً أو طلبوا مني المحافظة على عروشهم . وحين كنت ذا سطوة وبأس وكانت السلطة في قبضي نزعوا على طاب حمايتي ونيل شرف محالتي وحسبوا الثراب تحت قدمي . اما وقد شخت فاهم تهمضوا حقوقي بخساسة وفرقوا بيني وبين زوجتي وابني . فارجو منك ان تفعل ما أوصيك به واذا رأيت أحدا ينشر صدى مثالب ومطاعن عن الحين الذي قضيته معي وقدزت ان تقول : « لقد ابصرت بعيني وعلمت ان ما قيل ليس صحيحا فعارضه . »

ثم ان العاهل املى على الكونت برتران رسالة ذيلها بحاشية بخط يده اوصي بها ماري لويز باوميرا . وفوض الى ذلك الدكتور ان يستنظر عن أمرته ويخبر انسابه الاذنين عن الحالة التي صار اليها .

وقال له : ابسط لهم ما ادخره لهم من العواطف وكن ترجانا عن محبتي وزوجتي العزيزة ووالدتي الفاضلة وشقيقتي بولين . وان انت ابصرت ابني قبله عني وقل له ألا ينسى أبداً أنه ولد أميراً فرنسويا وعبر للادي هولاند عن العواطف التي احفظها لكرم اخلاقها وما أشعر به من الاحترام لها . واخيرا ابذل الجهود لترسل الي اخبارا صحيحة عن الطريقة التي يجرون عليها في تربية ابني . « ولما قال العاهل هذا الكلام قبض على يد الدكتور أواميرا وضمه الى صدره قائلاً له « اودعك يا أواميرا فلم يبق لنا أمل باللقاء وأؤمل ان تقضي حياتك بالهناء . » ولم تكن مفارقة أواميرا لنا بوليون خاتمة أحزانه فلم يكد الطبيب يغادر جزيرة القديسة هيلانة حتى اضطر غورغو في دوره ان يرحل الجزيرة الوبيسة الهواء ليتداوى من الداء الذي كان يريح مجسمه منذ زمان طويل . ولما وصل هذا الجنرال الى أوروبا اذاع في كل مكان ما ينتابه من المخاوف على صحة العاهل وقد ألم بأسرة الرجل العظيم من جراء ذلك الامر كآبة ما وراءها من مزيد . وتفتت بنوع خاص مرائر والدته حين انتهى اليها ان ابنها مورد هناءاً ومصدر غفرها مصاب بداء يخشى ان يصير قتالا من دون ان يكون على مقربة منه طبيب يعالجه بما يتيسر له من اساليب الفن . فسعت مع أخيها الكردينال فش لمفاوضة اللورد باثريست في امر نجلها فنال منه الترخيص بإرسال الدكتور انطومرخي وكاهن وشخصين آخرين الى جزيرة القديسة هيلانة .





ولنعتن في واترلو



ووصل انطومرخي الى جزيرة القديسة هيلانة في ١٨ سبتمبر سنة ١٨١٦ فدهش من حسن استقبال هدمن لو له وجعل هذا يشكو من انفة الجنرال بوناپرت وخشونته واحتجاجاته الا ان هذا الاستقبال لم يمنع ريد وغوريكور خادمي الحاكم عن القيام باعباء المهمة الملقاة المفوضة اليهما. واعتذر غوريكور عن اضطراره الى الاطلاع على المسكاتيب والمخطوطات والمخطوطات المرسلة الى لونود اما ريد فانه لم يتمكن له عذرا وعمد الى تفقد امتعة انطومرخي ورفاقه وكان بينهم الابوان بونافيتا وفينياي .

ولم يحسن استقبال انطومرخي في لونود كما أحسن استقباله في مقر الحاكم وحيث ان العاهل لم يكن قد أشعر من لدن الكردينال فش أو غيره من أفراد أسرته بقدوم الطبيب الجديد تردد في مفتتح الامر في قبوله لنفوره ونحفظه من كل ما يأتيه من بريطانيا او بواسطة الوزارة البريطانية . الا ان انطومرخي ازال شكوكه منذ أول مرة دخل فيها عليه فقال له العاهل : « انت كورسيكي وهذه هي الملاحظة التي جعلتني أَرْضَى بِمَقَائِكَ عِنْدِي : » ولما ركن اليه نابوليون استنخر منه عن والدته وزوجته واخوته واخواته ولاس كاس وأوميرا واللورد واللادي هولاند . وصرف الدكتور بعد تلك الاستخبارات . وبعد بضع ساعات دعوه فباشر فحص المريض القادم هو من اقصى ايطاليا لتولي معالجته .

فقال له نابوليون : « ماذا ترى يا حضرة الدكتور هل اظن وقتا طويلا سببا لتخمة السلوك — ستعيش بعدهم يا مولاي . — أظن ذلك فانهم لا يمكنهم ان يبعدوا عن أوروبا أخبار انتصاراتنا فستجتاز العصور وتحدث عن الغالبيين والمفلوبين وعن كرام القوم ولثامهم . وستبرز الاجيال الآتية احكامها لكنني لا أخشاها . — ان هذه الحياة ملك لك . . . ولكنك لم تنقه بعد الى غايتها فليدك مجال واسع تجري فيه . — كلا يا حضرة الدكتور ان البريطانيين قضوا لبائهم مني ولا أستطيع ان اعيش همرا طويلا في هذا الاقليم الوبيل الهواء . » وقد رضي بان يمتثل لوصايا الطبيب ووصفاته بعد ما كان يأبى الخضوع لها . ثم انه قال له : « لقد تركت كل شيء لتأنيبي بوسائل الفن فالحال تقضي علي بأن افعل ما يساعدك في مزاولة مهمتك وان اذعن لما تبغيه مني . » وقص على الدكتور انطومرخي ما لقيه من العذاب بعد ارنحال الدكتور أوميرا فقال :

« لقد منعوا عني منذ سنة من الزمان مساعدة الطب وحرموني معالجة إلباء الدين ائق بهم . فالجلاد يجد نزعى بطيئا جدا فيمجله ويستنفد الميسور لتقريب اجلي مني . فاهواء نفسه الذي استنشقه يجرح نفس ذلك المرء الخسيسة . وهل تظن ان مساعيه أطيل اجلها وانها تجري بصورة علنية راني أوشتك ان ابيت صريع النصال البريطانية فالجنرال منطولون كان متوَعك الصحة وقد ابى هـدصن لو مفاوضة برتران وشاء ان يتولى المفاوضة معي رأسا . فكان يرسل الي مرتين في النهار مندوبيه ريد ووينيار الواضع نقته فيهما فيزعجان هذه المساكن الشقية ويبتغيان الدخول علي فاقفلت ابوابي وحشوت غداري وبنادقي ولا تزال محشوة الى الآن وهددت بالهاب دماغ اول شخص تدفعه الوقاحة على اقتحام مشواي عنوة فرجما وهما يصيحان بلء اشداهما اتما يبقيان رؤية نابوليون بونايرت وانه يجب علي نابوليون بونايرت أن يخرج وانهما يعلمان كيف يجبران بونايرت على البروز . فظننت ان تلك المشاهد المحقرة انتهت ولكنها تكررت في كل يوم بعنف متزايد باشكال شتى كاطلاعهما على منزلنا فجأة وتقوهمما بكلام التهديد وقذفهما بالسباب وتركهما مكاتيب مشحونة اهانة وتحقيرا : وكان خدامي يلقون في النار تلك الرسائل ولكن طفحت كأس الغضب : وصار ينتظر من حين الى آخر حدوث فاجعة . ولم يسبق لي أن كنت مستهدفا كما كنت في ذلك الحين لسهام العطب . وكنا في اليوم السادس عشر من شهر اغسطس وقد ابتدأت تلك الاعتداءات في ١١ منه ، فاشمرت الحاكم بأني قررت افكاري وأن بنائق صبري انقثقت وأن أول سفاح مأجور يجتاز عتبة بيتي اصره بعبار ناري من غداري . فاعتبر بهذا الكلام ووضع حدا لتلك الاهانات ... اني تنازلت حرا مخنارا لاجل ابني والدستور وبعت بارادي انكثرا ونويت أن أعيش فيها معتزلا تحت كف شرائعها ولكن هل للارسطقراطية شرائع ؟ وهل يستطيع شيء من الاشياء أن يوقفها عند حد ؟ وهل من حق من الحقوقي لاندوسه برجلها ؟ فجميع زعمائها مرغوا وجوههم أمام اعلامي وقد وضعت تيجانا على رؤوس بعضهم واقطعهم بلدانا من فتوحنا واجلسنا البعض الآخر على عروش هوت أمام النصر . وقد حامت الجميع بالشفقة والمروءة

وسكن الجميع أعرضوا عني وغدروا بي وتهاافتوا على تشديد حلقات قيودي :  
وبت تحت رحمة لص من لصوص البحر . »

وبقي انطومرخي ثمانية عشر شهراً يقارع بكل ما أوتيته من الدهاء في العلم  
وبكل ما فطر عليه من الحمية مرضاً اشتدت وطأته على العاهل وقد عرف جميع  
سكان لونود ماسيكون من نتيجه على الرجل العظيم . وعلم ذلك الطبيب الخاذق  
أن مساعيه باطلة فكتب في أواسط شهر مارس سنة ١٨٢١ الى رومية الى  
الكافالاي ركلونا حاجب السيدة لاتيسيا والدة نابوليون يخبره أن نهاية حياة  
العاهل اقتربت وكان في جملة ما قاله له : « تذيع الصحف البريطانية ان صحة العاهل  
جيدة فلا تصدق هذا الامر وسترك الحوادث هل يصدق مروجونك الراجيف  
أم يخبطون في دياجى الضلال . »

وبعد أيام قليلة دار بين نابوليون وانطومرخي الحديث الآتي عن صحة  
الاول منهما فقال للثاني :

« يا حضرة الدكتور اراني منع ما تصفه لي من العلاجات مقرباً من النهاية أو  
لا تظن ذلك ؟ -- انك مخطيء في وهمك . -- حسناً قلت ولكن هو غرور طبي  
فأي تأثير سيكون لموتي في أوروبا ؟ -- لا يكون له ادنى تأثير يا مولاي . -- أتقول  
أنه لا يكون له تأثير ؟ -- نعم لانه لا يحدث . -- وهب حدث . -- خيئتُ يا مولاي ...  
— ماذا يكون ؟ -- ان جلالتك قبله امانى الشجعان فان دجى الغم يغشاهم . --  
وماذا يصيب الشعوب ؟ -- يبيتون تحت رحمة الملوك ولا تقوم قائمة للمبدأ  
الشعبي . -- أتقول أن هذا المبدأ لا تقوم له قائمة يا حضرة الدكتور ؟  
وماذا تفكر عن ابني ؟ هل تظن ... -- كلا يا مولاي ولكن ما اطول المسافة  
الباقية امامه -- وهل هي اطول من المسافة التي عبرتها ؟ -- ما اكثر المصاعب  
التي لابد من تذليلها ! -- وهل كانت المصاعب التي ذلتها اقل منها ؟ وهل كانت  
البداية التي ابتدأت بها اسمي من بداءة ابني ؟ فاعلم يا حضرة الدكتور انه يحمل  
اسمي وقد خلفت له مجدي ومودة أصدقائي وحسبه هذا الامر في اصابته هذا  
الارث . » وقال انطومرخي فيما بعده : كان ذلك الكلام هذيان اب دخل في  
طور النزاع فلم أطل البحث في الموضوع مخافة أن انسح من ذهنه الاغترار  
النازل فيه .

والنزم العاهل سريره من اليوم السابع عشر من شهر مارس وحين لم يسهل على الضابط الموكل اليه امر تحقق وجوده في كل يوم في لونود ان يبصره ببرز للانظار اشعر الحاكم بذلك فظن هذا في بدء الامر ان سجينه فرجاء بذاته وجعل يطوف حول المنزل ليتحقق وجوده فيه . ولما لم يحل بطائل من بحثه اعلن انهم اذا لم يأذنوا لمندوبه بالدخول مرة واحدة في كل اربع وعشرين ساعة ورؤية الجنرال بونابرت اضطر الى الجيء بذاته مع اركان حربه ودخول غرفة المريض عنوة غير مبال بما يكون من العواقب الوخيمة من وراء دخوله . ولم يتمكن الجنرال منطولون من افناعه بالمعدل عن مقصده ببسطه له حقيقة حال صحة اياهل . فقال له السر هدمن لو انه لا يهيمه موت الجنرال بونابرت اوحيااته وان من الواجب عليه أن يتحقق وجوده ولا يسهل الاتمم مايجب عليه . وبينما هو على تلك الحال لقيه الدكتور انطومرخي فعنفه هذا على كلامه القاسي واعماله المنكرة . فلم يشأ السر هدمن لو ان يسمع منه اكثر من ذلك الكلام وعاد وهو يرعد ويرق وظل انطومرخي يقبح اعمال جلادي الرجل العظيم مخاطباً ريد بهذا الكلام : « ان نفوسكم محبولة من طين التاميز ولذا انتم لمراقبة انفس الميت الاخيرة وعندكم ان نزاعه طالت مدته فتريدون تعجيله والتمتع به . ان السمبري الذي فوض اليه امر قتل ماريوس تردد في عمله ... واما انتم ... لا بأس من ذلك فاذا قيس الهوان بالجريمة فنكون قد انتقم لنا . »

واغتاز السر هدمن لو من كلام انطومرخي وظل مصرأ على مقاصده الوحشية فعزم على وضع تهديده موضع الاجراء ولكن العاهل رضي بالحاح برتران ومنطولون عليه بان يستشير طبيباً آخر وهميا له الدكتور ارنولت . وقد فوض الى هذا الطبيب أن يثبت رسمياً وبأوقات معينة لمندوب الحاكم وجود السجين . واقترب الاوان الذي أوشكت أن تزول فيه مخاوف السجان ففي ١٩ ابريل اعلن نابوليون لاصدقائه المتوهمين انه يتعافى ان منيته تدنو منه فقال :

« لستم مخطئين فانا اشعر بتحسن في صحي اليوم ومع ذلك لا بدفع غني هذا التحسن الشعور بدنو أجلي . وحين أفضي يتعزى كل منكم بتمكنه من العودة الى اوربا . وسيبصر بعضكم ذوي قرباه والبعض الآخر اصدقاءه وانا

سأجتمع باباطالي في دار النعم . » ثم أنه رفع صوته قائلاً : « ان كليبر وديزه  
ولسيار ودوروك وناي ومورات وماسينا وبرتيه سيخفون جميعهم الى لقائي  
وسيجدونني عن كل ما فعلناه وسأقص عليهم حوادث حياتي الاخيرة . وحين  
يشاهدوني تستفزهم خفة الحماسة والغضب . ونحدث سيبيون وحنديبل وقيصر  
وفريدريك واشباههم عن الحروب التي اضرمتنا مواقدها ويكون في ذلك الامر  
لذة عظيمة ... ما لم يستول الخوف ثمة على القوم من اجتماع هذا الجمهور الفقير  
من المقاتلة . »

ووصل الدكتور ارنولت في تلك الاثناء فأحسن العاهل استقباله وحادثه  
عن آلامه وما يشعر به من الحوادث الموجهة ثم أنه قطع اسباب حديثه فجأة وقال له  
بصوت أجش :

« لقد قضي الامر يا حضرة الدكتور ورشقت بالسهم ودنوت من النهاية  
وسأرد جثاتي الى التراب . تقدم يا برتران وترجم لهذا السيد ما ستسمعه مني :  
فهي سلسلة من الالهانات جديرة باليد التي جرنها الي . ترجم كل شيء ولا  
تهمل كلمة ما :

« اتيت الى الارض البريطانية ملتجئاً ومستضيفاً فداسوا الحقوق البشرية  
وكبلوني بالحديد فلا سكندر يستقبلني بغير هذا الاستقبال والعاهل فرنسوي  
يحسن مجاملتي وملك بروسيا ذاته يبدي لي من مكارم الاخلاق اكثر مما ابداه  
لي البريطانيون . وقد استأثرت بريطانيا بمخادعة الملوك وجرم الى اعطاء العالم  
مشهداً لم يسبق لهم ان رأوا نظيره وهو تألب اربع دول عظمى على رجل واحد .  
وقد اختارت وزارتك هذه الصخرة الصماء التي تقف عليها في أقل من ثلاث  
سنوات حياة الاوربيين مبتغية ان تنهي حياتي بالقتل . فكيف كانت معاملتكم  
لي من الحين الذي القيموني فيه على هذه الصخرة ؟ انكم لم تدخروا تحقيراً أو  
فضاعة الا وسررتم بتجريمكم اياي كأسها . فالواصلات الالهية التي لا تحظر على  
أحد ضنتم بها علي ولم تتركوا خبراً أو رسالة من اوربا يصلان الي فامراتي وابني  
لم يبقيا في عالم الوجود عندي وابقيتهموني ست سنوات معذباً بجهل كل شيء .  
وفي هذه الجزيرة التي لا تصاح للسكنى عينتم لي السكنى في موضع لا يصاح للاقامة

فيه ويشعر فطينه بوخامة تبعة جوه الاستوائي . فاضطررت الى حبس نفسي في ضمن أربعة جدران واستنشاق هواء فاسد بعد ما جبت على صهوة جوادي جميع الاقطار الاوربية . لقد اطلت على تعذيبي وقتلي متعمدين فاجري هدصن لو الوغد بمقاصد وزرائكم العالية . وستكون نهايتكم نظير نهاية جمهورية البندقية المتعجرفة وانا حين اموت على هذه الصخرة الصماء وقد حرمت ذوي وكل شيء التي اعباء تبعة موتي وما يصحبه من الفظاسة والمار على عاتق الاسرة المالكة في بريطانيا العظمى . »

واستأنف الكلام الذي فاه به نابوليون ما بقي فيه من القوة فهو بعد قليل من الحين مغشياً عليه الا أنه ثاب اليه نشاطه في النقد وتمكن من النهوض عند تباشير الصباح ف قضى ثلاث ساعات يملي ويكتب ولكن ذلك التحسن كان وقتياً فلم يغير به . وما مكثت الحما ان عادت فاستأنف العليل مسيره الى الرمس . وفي ذلك اليوم ( ٢١ ابريل ) دعا اليه الاب فينيالي وقال له : « هل تعرف المحكمة التي تصدر على المحبوسين الحكم بالموت بالنار ؟ - نعم يا مولاي . - وهل توليت خدمتها ؟ - كلا . - بناء عليه ستتولى خدمة محكمتي . » وبعد ما قال هذا اقبل على الكاهن واخبره بالتدقيق ما يجب عليه أن يفعله . وقال انطومرخي : « كانت هيئته منتعشة ووجهه منقبضاً فتتبعت بقلق ما يبدو على محياه من العبوسة واذا به قد لاحظ على وجهي حركة ساءته فقال : « انت اسمي من هذا الضعف ولكن ماذا تبغني فلست فيلسوفا ولا طبيباً ولكنني أؤمن بالله ولا ازال معتصماً باجساد دين ابي ومن يشأ الايمان لا يكفر . » ثم أن نابوليون عاد الى مخاطبة الاب فينيالي فقال له : « ولدت في حضن الكنيسة الكاثوليكية واريد أن اتم فروضها واقبل المساعدة التي تزاو لها . »

ولما انصرف الاب فينيالي جعل العاهل يلوم انطومرخي على قلة ايمانه ويقول له : « وهل تستطيع أن تنكر ذلك الى هذه الدرجة وهل يسمعك ألا تؤمن بالله ؟ فكل شيء يذبح وجوده وفضلاً عن ذلك آمن به جميع اصحاب العقول الكبيرة » فاجابه انطومرخي انه لم يشك قط بوجود الحق سبحانه وتعالى وان العاهل اخطأ في تفسير الحركة التي لاحظها على وجهه . فقال نابوليون متبهما : « انت طبيب



يا حضرة الدكتور . « ثم قال بصوت منخفض : « ان هؤلاء القوم لا يفكرون  
الا بالامور المادية ولا يؤمنون بشيء . »

وكان العاهل في اواخر شهر ابريل يقدر مع ضعفه المتزايد على النهوض من  
سريره والجلوس في البهو ولم يكن يطيق اطالة المكث في غرفته الفاسدة الهواء  
وعرض عليه على غير جدوى الاشخاص المقيدون بخدمته ان يحملوه فقال لهم :  
« تحملوني حين اموت ويكفي الآن ان تسندوني . »

وبعد ما قضى في الغد ليلة نائمة اشتدت عليه وطأة الحمى دما الدكتور  
نظومرخي وخاطبه بما يأتي وهو رابط الجأش ساكن البال :

« بعد موتي القريب اريد أن تفتح حثي واريد بل احتم ان تعدي بألا تدع  
طبيباً من اطباء البريطانيين عديده الي . واذا لم يكن بد من الاستعانة بطبيب  
فيمكنك أن تستعين بالدكتور ارنة لت دون سواه . وابتهني أن تأخذ قلبي  
وتضعه في الكحل وتحمله إلى زوجتي العزيزة ماري لويز في بارما . وقل لها  
اني احبتها حباً شديداً وان زرحي لها لم تحمد قط . واخبرها كل ما شاهدته  
وكل ما يتعلق بحياتي وموتي . واوصيك خصباً بأن تدقق في فحص معدتي وان  
تنظم عن نتيجة الفحص تقريراً كاملاً مفصلاً تدفعه الى اني ... فالقيء اتواصل  
بجملتي اظن أن المعدة هي العضو المصاب بالمرض من بين جميع اعضاءي ولا يبعد  
عن ظني انها مصابة بالداء عينه الذي دفع اني الى القبر أي بداء السرطان عند  
فتحتها ... فاذهب بعد موتي الى رومية لرؤية ولدي واسمتي واخبرهم كل  
ما شاهدته عن حالتي ومرضي وموتي وعن هذه الصخرة العما . وقل لهم ان  
نابوليون الكبير قضى في اشقى الحالات وهو يعوزه كل شيء وقد ترك شأنه  
هو ومجده . وقل لهم انه عند وفاته ترك لجميع العتر المالكة العار والفضاعة  
الذين شعر بها في أواخر حياته . »

وانضم الهذيان الى الحمى فكان ذلك العقل الكبير الذي توهمه العالم صادراً  
عن الحكمة الالهية خاضعاً للاموس الطبيعى الخاضع له جميع البشر . وصاح  
نابوليون ثلاً : « يا ستيجل ياديزه يا ماسينا مال النصر اينما اذهبوا واسرعوا واحملوا  
حملة صادقة فقد منحنا اكتبهم . » ثم أنه وثب عن سريره واراد الخروج الى  
الحديقة ولكنه هوى الى الحضيض ساقطاً فاسرع النظومرخي ليهضه . فنقل

الى سريره وهو يهذي وظل يلح في الخروج الى الحديقة . وأخيرا خفت حدة الهذيان وهبطت درجة الحرارة وثاب السكون الى الرجل العظيم . فظهر بمثل ما كان عليه في الحقيقة وقال للدكتور : « تذكر ما اوصيتك بفعله عند مفارقتي لهذه الدنيا فدقق في فحص جسدي ولا سيما معدتي ، فقد قال اطباء منبليه ان داء السرطان في فتحة المعدة سيكون متوارثا في اسرتي ... فيجب علي علي الاقل ان اخلص ابني من هذا الداء الوبيل . فستراه يا حضرة الدكتور وتصف له ما يحسن به ان يفعله . ويجب أن تكتم عنه ما أقاسيه من العذابات وهذه آخر خدمة انتظر منك قضاءها لي »

وعادت الحمى بعد ثلاث ساعات ( ٢ مايو عند الظهر ) فقال العليل النبيل لطيبه وهو يتنفس الصعداء : « اشعر باشتداد الألم علي يا حضرة الدكتور واشعر بان وفائي حانت : » ولم يكده يفوه بهذه الكلمات حتى غاب عن الهدى فقال انطومرخي ان النهاية اقربت واوشكنا أن نفقده فصار كل يضاعف غيرته عليه ومجاملته له ويريد ان يعطي علامة أخيرة عن اخلاصه وتعلقه . وكنت أنا ومرشان وسان دنيس قد احتفظنا بالسهر عليه ليلاولكن نابوليون لم يكن يطيق النور فاضطررنا الى انهاضه وتغيير ثيابه والاعتناء به بقدر ماتقتضي حالته من العناية وكل ذلك في الظلام الحالك . وكان القلق مضافا الى التعب وقد همت قوى المارشال الاكبر ولم يكن الجنرال منطولون مستطيعا عمل شيء ولم اكن أقوى منهما . وحينئذ احبنا الفرنسيين الذين في لونود على طلبهم الشديد واشركناهم معنا في القيام بتلك الواجبات المؤلمة . فكان ييارون وكورتو وغيرها يسهرون بالتناوب مع واحد منا . وقد اثر في العاهل ما أبدوه من الفيرة والعناية فاوصى بهم قواده وطلب منهم أن يساعدوهم ويعضدوهم ولا ينسوم وقال « يجب ألا تنسوا الصينيين المقيدون بخدمتي فليعط كل منهم بضع عشرات من الذهبات ويحسن أيضا أن اودعهم . »

وانتظر الاب فينيالي كلمة واحدة من العاهل لينهض نحوه باعباء مهمته الروحية فخرجت تلك الكلمة من فم الرجل العظيم في ٣ مايو في الساعة الثانية بعد الظهر . وكانت الحمى خفيفة وقد صرف الجميع ماعدا الكاهن الجليل فتناول نابوليون الزاد الاخير .



نابوليون في واترلو



وثابت اليه الحمى بشدة بعد ساعة من الزمان ولكن ظلت حواسه تتم وطاقتها . فانهز الفرصة من تلك الحال واوصى الموكل اليهم اجراء وصيته وهم برتران ومنطولون ومرشان بألا يأذنوا لطبيب من اطباء البريطانيين ماعدا الدكتور ارنولت بأن يدنو من جثمانه حين يفقد الحس . ثم انه قال لهم : « اني مشرف على الموت وانتم عن قريب تمودون الى اوربا وعندي نصائح ابسطها لكم وعليكم باعتبارها في سيرتكم : لقد شاطرتموني المنفى وستظلون حافظين ذكري ولا تفعلون ما يشوهه . لقد كرست جميع المبادئ وادجمتها في شرائمي واعمالى ولم ادع مبدأ واحدا منها إلا وقدسته . ولكن الاحوال كانت واسوأناه عنيفة جدا فاضطرت الى المعاقبة والارجاء وجاءت الزايا فلم أستطع حل وتر القوس وحرمت فرنسا الانظمة الحرة التي اعدتها لها فهي تبرز علي حكما لينا وتقدر لي مقاصدي حق قدرها وتمز اممي وانتصاراتي فاقندوا بها واخلصوا النية للأراء التي دافعنا عن حياضها والمجد الذي اصبناه وليس في ما خلا ذلك سوى العار والخزي . »

وهبت عاصفة شديدة في الليلة التالية على جزيرة القديسة هيلانة فاقتلعت جميع المغروسات في لونود ولم تنج من العاصفة الصفصافة التي كان العاهل يحبها ويستظل تحتها من حرارة الشمس في تنزهه العادي .

ودام الزرع سحابة الغدكله ( ٤ مايو ) وفي ٥ منه عند طلوع النهار اشمرت حالته بمفارقة الروح جسده البارد ومع ذلك بقي يتنفس ولكنه غاص في لجة الهذيان ولم يلفظ سوى هاتين الكلمتين : « مقدمة ... الجيش ... » واقررت الساعة الرهيبة واوشك « العمل التريطاني » ان يتم وان تنتفض اوربا القديمة وكاد بطل فرنسا الحديثة ينتهي الى غاية حياته العجيبة . وانتظر هدمن لوتقطع انفاسه المعدودة وقد عيل مصطبره لبشر الاسطرقاطيين والملوك الذين انتدبوه لتلك المهمة ان عمله تم بصورة عجيبة وانه اجهز على ضحيته .

وكان ثمة مشهد مؤلم ختمت به المأساة : فان عقيلة برتران المضطرة الى ملازمة الفراش بمرض نابها نسيت اوجاعها وجاءت الى غرفة العاهل المحتضر وممها ابنتها وابناؤها الثلاثة ليتمتعوا للمرة الاخيرة برؤية وجه الرجل العظيم . فاسرع الاولاد مندفعين على سرير العاهل وقبضوا على يديه وقبلوها وغسلوها بدموعهم واشتد

الحزن على نابوليون على برتوان الحدث اشتدادا صرعه على الحضيض مغشيا عليه . وذرف جميع الحاضرين الدموع ولم يسمع في الغرفة سوى العويل والنحيب فقد اوشك ان يتم حادث عظيم في العالم ... وفي الساعة الخامسة والدقيقة التاسعة والاربعين فاضت روح نابوليون بونابرت .

وبعد تشريح الجثة بحسب ما اوصي به الدكتور انطومرخي وضعت الجثة على سرير وغطيت بالرداء الرمادي الذي لبسه نابوليون في معركة مارنغو . وتقاطر سكان الجزيرة وظلوا يومين محدقين بمجمان العاهل الميت . وحين رفعت جثة الرجل العظيم تنازعوا ما كان يحسه او ما كان يخصه واتخذوه ذخيرة ثمينة .

وأقيمت لنابوليون مناحة في ٨ مايو فدفن في مكان يبعد عن لونود نحو ميل . وأصبح قبره منذ اليوم الاول لدفنه موضوعاً للاحترام العام ولاقبال الناس على زيارته . على أن هدصن لو الجدير بالمهمة المعبود اليه فيها ظل مثابراً على اضطهاد الرجل الكبير حتى بعد وفاته فاستاء من الاكرام المقدم لريب الثورة الفرنسية العظيم ووضع حول الرمس خفرا يمنع الناس عن الدنو منه وأعلن أن الخفير سيمظل في ذلك المكان الى ما شاء الله . ولكن المثوى الاخير لذلك البطل الشهير ظل مثابة للزائرين مع ما اتخذته هدصن لو من التدابير . وكانت زيارة الناس لذلك المكان تتم بشكل لا تنفر منه الفلسفة لصدورها عن حب المجد وقد أريد بها تخليد التعلق بالرجال العظام باعطاء نوع من التقديس الديني للعجاب والاحترام للذين يوحيهما الدهاء من غير ما عييز بين الامكنة والازمنة وكان مدفن نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة وقتيا لانه عين في ذيل لوصيته بتاريخ ١٦ ابريل سنة ١٨٢١ مدفنه النهائي فقال : « اريد أن يستريح رفاقي على ضفاف السين بين الشعب الفرنسي الذي احببته كثيرا . » على أن تتميم امنية الرجل العظيم الاخيرة اقتضت لقاء الشعب الفرنسي نير البرربون عن منكبيه وتحرر حكومته تحررا تاما من التسود الاجنبي . فسقط البوربون بعد عودهم ونمت نبوة نابوليون في الوقت الذي عينه .

ولما انتهت انباء مصرع نابوليون الى اوربا لم يصدقها الناس في ريق الامر لوعهم أن نابوليون خالد وانه ليس فيه شيء معرض للفناء ولا اعتقادهم أن حياته ملازمة لمجده . وكان عدم تصديق ذلك النعي بمثابة تأليه حقيقي للرجل العظيم على ما يوافق روح العصر :

## الفصل الثامن

### في نقل رفات نابوليون الى فرنسا

مات رجل عظيم ! هذه العبارة فاه بها زعيم الاسرة البوربونية حين طرقت مسامعه خبر مصرع نابوليون . على انه وان يكن الدهاء عند خمود نيرانه قد صير خصومه عادلين ينصفونه حقه فانه لم يجعلهم يسلسون مقاديرهم للسياسة ويلينون لها مجسهم . فان الخوف الداخل على ملوك اوربا القديمة من ذلك الجبار وهو في المنفى البعيد المزار ظل يقلق خواطرهم ويبلبل مجالسهم ومن جراء ذلك قضى على رفاة بالابعاد عن بلاده كما قضى عليه وهو حي بالابعاد عنها كان تلك الذراع الهائلة التي زعزعت العروش ودكتها تستطيع وهي في ظلمات الرمس ان تحرك ساكنات الشعوب . وكان هذا الخوف في التويلري اشد منه في القصور الاخرى المقيم فيها ملوك اوربا . فذكر حادث ٢٠ مارس بما لاسم نابوليون من التأثير في مجموع الامة فاعتراهم الحذر من ازدياد هذا التأثير عند رؤية رفاة خوفا من أن يمد العرش بالجالس عليه قبل ان تتوطد دعامته . وبقي رفات اعظم رجل في الثورة مقضيا عليه بالنفي عن وطنه في خلال مدة حكم البوربون بعد عودتهم الى العرش . وكان المتفوه باسم نابوليون بعد عندهم مرتكباً جريمة لا تغتفر فينزلون به انكاس العقوبة . ولكن لما هدمت الثورة في ثلاثة أيام ما بناه البوربون في خمس عشرة سنة كان اول أمر طلبه الشعب الظافر جلب رفات العاهل الى فرنسا . فلم توافق الندوتان على هذا الطلب في مبتدأ الامر مخافة أن تستحكم حلقات العرافيل امام الحكومة الجديدة بتمثيل شبح نابوليون في ذلك الهرج الذي صير موقف أسرة أرليان منزعا ، ولشد ما دهش الملا الفرنسي حين رأوا ان المسألة المطروحة على بساط البحث في عهد البوربون تحت ظل الراية القديمة المنبوذة على رغم معاطس الامة أعيد طرحها عليه في عهد أسرة أرليان تحت ظل الراية المثلثة الالوان ووافق جميع اعضاء المجلسين على جلب رفات الرجل العظيم الذي ألبس فرنسا رداء من المجد ضافي الاذيال ليدفن في الارض الفرنسية . وحرك رفض البوربون لجلب ذلك الرفات ساكنات قريحة فكتور هوغو الشاعر المطبوع

فنظم قافية في ذلك الموضوع الخطير نكتفي بذكر الايات التالية منها :  
ضننتم بسلوان على أيم ممت      لدى كل حزب في البلاد صفاتها  
قسمتم للاسكندر الملك ملكه      وخفتم اشباحا وخيف رقاتها  
فما أسخف الاحلام فيكم فانها      اذا اشتد وقع الخطب خفت حصانها  
وجاءت بعد ذلك أيام الصفاء وقد ترأس الوزارة الفرنسية رجل كان لحظه  
السياسي ولجده الادبي علاقة بمجد فرنسا الفتاة . فخنقت العواطف الوطنية  
اصوات المخاوف عند خلفاء البوربون وكان عمانوئيل دي لاس كاس يكثر من  
سؤال المسيو تيارس عما آلت اليه عروض الحال العديدة المرفوعة الى الحكومة  
من سنة ١٨٣٠ . لنقل رفات العاهل نابوليون فاجابه المسيو تيارس في أول مدة  
وزارته الاخيرة بانهم باشرؤا مفاوضة الحكومة لبريطانية بهذا الشأن .  
وبعد حديث دار بين المسيو تيارس واللورد غرانفيل كتب المسيو غيزو سفير  
فرنسا في لندرة الكتاب الآتي المؤرخ في اوائل شهر مايو سنة ١٨٤٠ :

#### الى اللورد بالمرستن

« انا الموقع اسمي ادناه السفير فوق العادة والمفوض من لدن صاحب  
الجلالة ملك الفرنسيين اتشرف باعلام سعادة وزير خارجية جلالة ملكة  
مملكتي بريطانيا العظمى وارلندة المتحدتين افي بموجب الاوامر الواردة الي  
من حكومتي اشعركم بأن الملك راغب رغبة شديدة في نقل رفات نابوليون الى  
فرنسا الارض التي دافع عنها وشرفها وهي تضم في أحشائها رفات الوف من رفاقه من  
القواد والجنود الذين شاطروه الاخلاص في خدمة الوطن .

« فانا الموقع اسمي ادناه اعتقد ان حكومة جلالة الملكة لا ترى في رغبة  
جلالة ملك الفرنسيين هذه سوى عاطفة عادلة دينية وانها ستبادر الى اصدار  
الاوامر اللازمة لاجل نقل رفات نابوليون من جزيرة القديسة هيلانة الى  
فرنسا . الخ . الخ . الخ . غيزو »

وكان اللورد بالمرستن قد عرف ذلك الامر من اللورد غرانفيل فارسل الى  
المسيو غيزو جوابا بطيه نسخة عن الرسالة الآتية التي وجهها الى السفير البريطاني  
في باريس .



## من اللورد بالمرستن الى اللورد غرانفيل

« يا حضرة اللورد ان حكومة جلالة الملكة نظرت بعين الاعتبار الى طلب الحكومة الفرنسية لنقل رفات نابوليون بوناپرت من جزيرة القديسة هيلانة الى فرنسا ويمكنكم ان تؤكدوا للمسيو تيارس ان حكومة جلالتهما ترغب في أن تعتبر فرنسا السرعة التي نعطي بها هذا الجواب برهانا عن رغبة جلالتهما البريطانية في اطفاء نيران تلك العداوة الوطنية التي كانت في حياة العاهل قد جعلت الامتين في حرب دائمة . على ان حكومة جلالتهما البريطانية معتقدة انه اذا كان باقيا ثمة بعض آثار لتلك العواطف العدائية فانها ستدفن في القبر الذي سيضم رفات نابوليون . وستتخذ حكومة جلالتهما البريطانية والحكومة الفرنسية التدابير اللازمة لنقل ذلك الرفات . بالمرستن »

وبادر اللورد غرانفيل الى اشعار المسيو تيارس بأمر الرسالة التي وصلت اليه ولما استوثقت الحكومة الفرنسية من رضى الحكومة البريطانية امرت واثقت الندوتين على حقيقة الغرض الوطني الذي نحتته . وفي ١٢ مايو وقف المسيو دي ريموزا وزير الداخلية خطيبا على منبر المجلس وفاء بما يأتي :

« يا حضرة السادة اصدر جلالة الملك امره الى حضرة صاحب السمو الملكي مولاي البرنس دي جوانفيل بالمضي بسفينته الى جزيرة القديسة هيلانة لجلب رفات العاهل نابوليون .

« وها نحن نطلب منكم التذرع بالذرائع اللازمة لاستقباله بكرامة في أرض فرنسا وبانشاء الضريح الاخير لناپوليون . ولما كانت الحكومة طامعة بالقيام بما يقضي عليها العمل الوطني فانها فاوضت بريطانيا في هذا الصدد وطلبت منها اللديعة الثمينة التي دفعها اليها الاقدار . ولم تكف فرنسا تظهر تلك الفكرة حتى بادرت الحكومة البريطانية الى قبولها . وهذا هو الكلام الذي خاطبتنا به حليفتنا الكريمة :

« ان حكومة جلالتهما البريطانية ترغب في ان تعتبر فرنسا السرعة التي نعطي بها هذا الجواب برهانا عن رغبة جلالتهما البريطانية في اطفاء نيران تلك العداوة الوطنية التي كانت في حياة العاهل قد جعلت الامتين في حرب دائمة . على أن

حكومة جلالها البريطانية معتقدة أنه اذا كان باقيا ثمة بعض آثار لتلك العواطف  
المدائية فانها ستدفن في القبر الذي سيضم رفات نابوليون «  
» يا حضرة السادة ان بريطانيا مصيبة في هذا الكلام فان ارجاع ذلك  
الرفات النبيل يوثق عرى العلاقات التي تضمننا وتجهز على إزالة كل أثر محزن من  
آثار الماضي ولقد جاء الحين الذي يجب فيه على كلنا الامتين ألا نتذكرا إلا بحدها  
« وان السفينة الموقرة رفات نابوليون ستصل الى مصب نهر السين وهناك  
ينقل الى سفينة أخرى تجلبه الى باريس ويوضع في الانفاليد . وستقام حفلة  
عظيمة واحتفال ديني وعسكري باهر لافتتاح القبر الذي يضم ذلك الرفات  
الى الابد .

» يا حضرة السادة ان نخامة ذلك الذكر تقتضي ألا يظل المدفن الجليل  
معرضا في مكان عام بين اظهر جمهور كثير الضوضاء فيوافق ان يوضع في مكان  
هادئ ومقدس يستطيع ان يزوره فيه بورع جميع الذين يحترمون المجد والدهاء  
والعظمة والشقاء .

» لقد كان عاهلا وملكا وكان صاحب السلطان الشرعي في بلادنا ويستوجب  
لحملة هذا اللقب ان يدفن في سان دنيس ولكن لا يحسن ان يعطى نابوليون  
مدفن الملوك العادي فيجب ان يملك ويأمر في الموضع المدفون فيه جنود  
الوطن والمتهافت عليه المندوبون للدفاع عنه . وسيوضع سيفه على ضريحه .

» وسينصب الفن تحت القبة في وسط الهيكل الذي كرسه الدين لرب الجنود  
ضربا جديرا اذا أمكن ذلك بالشخص الواجب وضعه فيه . ويجب ان يكون  
لهذا الضريح جمال بسيط وشكل كبير ومنظر ثابت لا يتزعزع ويسخر بتقلبات  
الافكار ويجب أن يقام انابوليون نصب خالد كذكره .

» والغاية التي نري اليها في طلبنا هذا الاعتماد المالي من المجلسين هو نقل  
الرفات الى الانفاليد وإقامة الحفلة الدينية وبناء الضريح .

» ولا نخامرنا ريبة يا حضرة السادة في أن المجلس سيشارك بعاطفة وطنية  
في الفكر الملكي الذي بسطناه لديكم .

«فن الآن ستهرز فرنسا وحدها ما بقي من نابوليون وقبره وشهرته لا ينحسان

غير بلاده . فالحكومة الملكية المنشأة في سنة ١٨٣٠ ستكون الوارثة الشرعية الوحيدة لجميع التذكارات المكتسبة بها فرنسا .

« فمن خصائص هذه الحكومة ولاءها - وهي أول من ضمت جميع القوى ووفقت بين جميع أماني الثورة الفرنسية - نصب التمثال والضريح للبطل الشعبي وتكريمهما وهناك شيء واحد لا يحاذر المقابلة بالمجد ألا وهو الحرية »

ويستعذر علينا وصف التعمس الذي أيقظه من رقدته ذلك الخطاب في المجلس فكان شيخ الرجل العظيم تراءى عند كلام الوزير لنواب فرنسا تخففت في الحال اصوات الاحزاب الضالة في احكامها والشقية في بغضائها ولم يكن يسمع غير كلام الاعجاب والاقرار بالمعروف والتجرد من ذلك الجيل النافذ صبره وتقلص ظل الشقاق وزال الخلاف من بين النواب على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وامياهم في تلك الامة التي كان قاهر ايطاليا اول من اطلق عليها اسم «عظيمة» وعند ذكر اسم نابوليون زال ما كان ضيقا وصغيرا في سياسة ذلك العهد وقد تم زواله بشكل يصح أن نسميه ضربا من السحر . وان البغضاء الشديدة والخصومات الحقة نالها ما نال السياسة عند ذكر ذلك الاسم . وكأن العلي أمهم بضع ساعات امتزجت في اثنائها جميع القلوب المتنافرة وانحدت في عاطفة كبرياء وطنية شريفة وحب عام شديد لريب فرنسا المجيد الذي ساد العالم وكانت أرض الوطن تنتظر رفاته منذ عشرين سنة .

واغتتم المسعودي ريموزا الفرصة من ذلك التأثير الشديد وقرأ على النواب اقتراحا طلب فيه منهم تقرير اتفاق مليون فرنك في ميزانية سنة ١٨٤٠ وانتداب الوزارة لنقل رفات العاهل نابوليون الكبير الى كنيسة الانفاليد وتشيد ضريح له .

وما عم التأثير الذي ألم بالمجلس النيابي ان انتشر بسرعة البرق في جميع انحاء فرنسا فكانوا بتحيتهم اسم نابوليون يكرمون الوطن والشرف الفرنسي على ان الامة التي قضى عليها أن تظل مدة طويلة تسمع بعض الناس يطلقون اسم « مختلس » على ذلك الجبار المتوج بيدها السامية لاحظت بهجة مقرونة بمعرفة الجليل ان الوزارة تتحرى الانتقام للشعب الفرنسي من بداعة الارستقراطية الاوربية واحتقارها باعادتها الى ارادة الامة قدرتها الكلية وتكريسها تكريسا

قابتا الصفة التي وسمت نابوليون بها باطلاقها لقب « صاحب السلطان الشرعي » على ذلك الذي أقصته أوهام النسب عن العرش بعد ما أجلسه عليه مرتين اقتراع وطنييه اجابة لنداء الدهاء والمجد :

وخامر الحكومة الاتهاب من نيل مبتغاها وصدى حماسة كلامها في افئدة الامة فبادرت على الفور الى إعداد البعثة الموكول اليها جلب الرقات الثمين المودع في جزيرة القديسة هيلانة الى فرنسا . فقوض الملك الى البرنس دي جواتفيل أحد انجاله قيادة السفينتين « بل بول » (الدجاجة الحسنة) و« الفافوريت » (المحبوبة) . وغادرت البعثة طولون في ٧ يوليو وصحب الامير على متن السفينة المسيو هرنو ربانها وحاجبه والضابط المسيو طوشار المقيد بمخدمته والمسيو دي روهان شابو معتمد الملك والمسيو دي لاس كاس عضو مجلس النواب والجنرالان برتران وغورغو والذكتور غيليار والاب كوكرو وسان دنيس ونوفراز خادمي العاهل الخاصين وبيارون وكيل طعامه وشرابه وارشبول مدرب كلابه .

وتألفت بعثة القديسة هيلانة من الاشخاص المار ذكرهم وانضم اليها ايضا مرشان الامين الذي كان نابوليون شديد الميل اليه وركب متن الفافوريت المتولي قيادتها الربان غيه .

وأخذ الجنرال برتران معه ابنه ارثور المولود في جزيرة القديسة هيلانة وهذا التلام قدمته والدته للامبراطور بصفة كونه « اول فرنسوي دخل لونود بغير اذن الحاكم . »

ومرت السفينتان في ١٥ يوليو في بوغاز جبل طارق وألقتا مراسيمهما في الغد في قادش .

ووقفتا في ماديرا في ٢٤ يوليو واحتفلتا في جزيرة طريف في ٢٩ منه بتذكار ثورة سنة ١٨٣٠ . وفي هذه الجزيرة يتكلم الناس الفرنسيه وبعضهم ينظم فيها الشعر وقد قدم شاب للامير قصيدة بالفرنسوية نسج برديتها على منوال نقل رقات العاهل طالبا فيها اغضاء الطرف عن نظم شاب كناري يشاطر الفرنسيين وهو في ذلك المكان المنفرد في عرض المحيط الانلانتيك حبيهم للبطل نابوليون وإعجابهم به .

واجتازت السفينتان خط الاستواء في ٢٠ اغسطس ووصلتا في ٢٨ منه الى



الحرس يموتون ولا يستسلمون



باهيا ولبتنا فيها الى اليوم الرابع عشر من شهر سبتمبر . وبعد ثلاثة وعشرين يوماً بلغنا جزيرة القديسة هيلانة . فكتب برتران الشاب من ذلك المكان ما يأتي :  
« ان المشهد المنبسط امام عيني مجهول عندي فقد كنت صغيراً من عشرين سنة وغير قادر على تمييز وعورة المكان والصخور السوداء الجرداء المحيطة من كل جانب بجزيرة القديسة هيلانة ولم يبق في ذهني سوى تذكارات مبهمة . يا لله ما أوحش مسقط رأسي وأقفره عند الناظر اليه ! وما كان فيها من الملائمة لاحتفار رمس فيها ! »

وكان اليوم السابع من شهر اكتوبر وقبل ذلك الحين بعشرين سنة وفي الشهر نفسه أي في ١٥ وصلت الى جزيرة القديسة هيلانة سفينة بريطانية تقل الركاب انفسهم على التقريب وكان على متنها ماعداً رجل لم يكن العالم يسع عظمته وسطوته وقد انتقم الملوك منه بحصرة في تلك الجزيرة . وكان ذلك الرجل يجيل نظاره كبرتران الحدث في تلك الصخرة الصماء المهيمنة سجناله وقد ظل جبينه ساكناً . وكان الى جانبه شخص من حاشيته شديد التعلق به يلاحظ حركاته وسكناته فكتب في مساء ذلك اليوم في مفكراته ما يأتي : « لم أنظر على محياه ادنى تأثر ومع ذلك كان هذا المكان سجنه الابدي وربما سيكون قبره »  
ووصلت « البلبول » الى جزيرة القديسة هيلانة وقد تحققت حينئذ الافكار التي جالت في خاطر ذلك الشخص في ١٥ اكتوبر سنة ١٨١٥ .

وبينما سفينة البرنس دي جوفانفيل تهم بدخول الميناء اليها جاء اليها قائد سفينة حربية آتية من مرسبورغ بربان من المانش الى « البلبول » ولم يكن القائد سوى الربان دوره أحد البحارة الأشداء الذين قدمهم الجنرال برتران لنا بوليون في سنة ١٨١٥ وهو في جزيرة اكس وكانت غايتهم اختطاف العاهل والمضي به الى الولايات المتحدة ورسست السفينتان في ١٨ اكتوبر وماعثم مندوب الملك والمسيو عمانوئيل دي لاس كاس ان صعدا الى البر .

وصعد البرنس دي جوفانفيل وحاشيته الى البر في الغد في الساعة الحادية عشرة وساروا توا الى مقر الحاكم واستأنفوا بعد قليل من الحين المسير الى المدفن المودع فيه نابوليون وقد نفذ صبر الامير الشاب لعله أنه ممثل من فرنسا ونائب الثورة وأنه جاء متأخراً لاخذ رفات أعظم ابنائها ولاصلاح مايمكن اصلاحه

من نتائج انتقام الملوك الاوربيين ومن اعمال الارسطقراطية البريطانية الموسومة  
بسمة جريمة لأمحى .

واليك ماقاله المسيو عمانوئيل دي لاس كاس : « دخلنا السور في الساعة  
الثانية والدقيقة العشرين ... فبدأ القبر لانظارنا ... ولم يكن ثمة سوى رفات  
ذلك الذي ادهش مجده وبأسه العالم .

« ورفع البرنس دي جوانفيل قبعته عن رأسه وخر الاب كوكرو ساجدا  
عند يسار المدخل الى جانب سرورة وصلى ... وابصروا على الارض جذع شجرة  
من اشجار الصفصاف الباكي وكانت هذه الشجرة حية حين دفنوا نابوليون في ذلك  
المسكن . وابصروا أيضا شجرة أخرى باقية حية تظلل الضريح . وكنا صامتين  
كأن على رؤوسنا الطير ... وكل منا غارق في لجة الافتكار ... وتأملنا عن كئيب  
بتلك الصفائح السوداء ... فلم يكن مكتوبا عليها شيء ... ولم نستطع تحويل انظارنا  
عنها ... فدار الامير على مهل حول القبر وقطف بعض أوراق من نباتات بصلية  
نابتة عند الجهة الموسد فيها الرأس . وبعد ما أمر بان يهيموا له بعض فسائل من  
الصفصاف او عز الى المسيو هرنو حاجبه بان يدفع الى الجندي الشيخ حارس القبر  
كل ما يمكنه حشده من المال . فوجد قبضة من الدنانير المقلوبة عليها صورة  
نابوليون . ثم انصرفنا »

وبعد ما غادر الامير المسكن المدفون فيه نابوليون توجه الى المنزل الذي  
فاضت فيه روح الرجل الكبير . ولشد ما كان عظيما تأثر الذين اقاموا مع العاهل  
في لونود عند دنوهم من ذلك المسكن فقد شاهدوا فيه عذاب وموت الرجل العظيم  
الذي أحبوه وأعجبوا به واحترموه حبا واعجابا واحتراما ما وراءها من مزيد  
والقائد الكبير الذي كان في حياته موضوع عبادتهم الحقيقية والذي أصبح  
ذكره بعد موته بعشرين سنة سغلا شاغلا لافكارهم .

وترجل الامير عند وصوله الى لونود وبسط الجترال برتران ورفاقه في  
المسقى للامير الشاب ما ابتغى الوقوف عليه من الايضاح عن الاماكن التي كان  
ينتابها العاهل وعن كل ما يتعلق به . وكانت الابنية الخارجية قد تحولت الى  
اسطبلات وحظائر للمواشي . ولم يكن يرى من الغرفة الاولى التي كان يسكنها  
العاهل سوى جدرانها الاربعة . ولما دخل الامير ورفاقه اليها رفعوا قبعاتهم



عن رؤوسهم خذا البريطانيون حذوهم . ثم انهم دخلوا الغرفة التي نقل اليها المحتضر وتقطعت فيها انفاسه المكدودة فقال الجيرال برتران والمسيو مرشان : « كان مضطجعا هنا . . . وقد أدار رأسه الى هذه الجهة . . . » وقد تحولت الغرفة الى مطحنة دقيق وبدأت آثار الخراب على أرضها وسقفها وجدرانها ونوافذها وابوابها اما غرفة النوم فقد حولت الى اسطبل : وتجنب الضباط البريطانيون مرافقة الامير ولما التفت هذا وراءه ليلقي عليهم اسئلة لم يجدهم فقد خجل أولئك الشجعان عن حكومتهم وعن اهلها المقصود وبغضها الشديد الباقي في فؤادها فع اجمع امم الارض والقوم في الممالك البريطانية الثلاث على اجلال اسم نابوليون واكرامه والاسراف في تعظيم مجده بطل فرنسا ظل أعضاء الارسطقراطية البريطانية الذين لم يحمد لظى بعضهم يحمذون قيام هدمن لو السريع باعباء المهمة المفوضة اليه على اهانة ذلك الذي كان العالم طرا يحرمه ويعجب به . وبعد انزالهم الردى بضحياتهم حفظوا في قلوبهم حنقهم وظلمهم له . واذا لم تبق لهم المقدرة على جرم الاذى الى شخص الرجل العظيم جعلوا من وكدهم الاضرار بشبحه وذكره وكل ما له علاقة به غير مستثنين من ذلك الجوامد التي لامسها نفسه الاخير وكانت صدى لكلماته الاخيرة . فان اولئك المدنسين لهيكل الدهاء جعلوا الاقدار وحشائش الارض تبعث بالاما كن المشتهرة بسجنه والمقدسة بانفاسه الاخيرة ولم يحسر حفيد هنري الرابع وحفيد اسيب لويس الرابع عشر على دخولها من دون ان يرفع قبعته عن رأسه . فلا يستطيع الناس ان ينسوا ان بين هذه الاخشاب المتداعية وهذا السقف الجانح للسقوط وهذه الجدران المتزعزعة والمنفشة بالاقذار ارتفع صوت سررده الاجيال الآتية ، وفاه بهذه الكلمات الخالدة : « لقد أطلتم أجل تعذي وقتلي وتعمدتموه فأجري هدمن الوغد مقاصدوزرائكم العالية . . . وستكون نهايتكم نظيرنهاية جمهورية البندقية المتعجرفة وأنا حين اموت علي هذه الصخرة الصماء وقد حرمت ذوي وكل شيء القي اعباء تبعة موتي وما يصحبه من القضاة والمار على طاق الاسرة المالكة في بريطانيا . » وعند رجوع البرانس دي جوانفيل من لونود توجه الى دار حاكم الجزيرة لتناول الغداء ولما كان من الغد اهتموا بتنظيم حفلة اخراج الجثة من القبر وقد ارادت الحكومة البريطانية ان تعنى بهذا الامر فضرب اليوم الخامس

عشر من شهر اكتوبر موعدا للحفلة وكان افراد البعثة الفرنسية يجالسون على الطعام في الفترة الباقية لحلول الاجل المعين ضباط القنصيلة الحادية والتسمين فيجتمعون ببعض ضباط المدفعية وفرقة المهندسين . وفي نهاية احدى الولائم رفع أحد الفرنسيين كأسه وقال : اشربها على اتحاد البلادين الوثيق العرى . فكبر جميع الحضور عند سماعهم كلامه وطبقوا الفضا باصوات التهليل ولا يخفى ان الجيش في البلادين كان على مثال الشعب غير مشارك للحكومة في بنفها واوامها وغير ممالي لها بغير هدى على اعمالها .

وجاء مندوبو الامتين في نصف الليل في ١٥ اكتوبر الى قبر العاهل ليشهدوا إخراج الجثة منه . فبوشر العمل بعد نصف الليل بربع ساعة وبعدما حفروا نحو خمس اقدام من التراب الندي وصلوا الى طبقة جاسية فظنوها الصفيحة المغطى بها اللحد ولكنهم بعد تلاوة صك الدفن الذي نظمه هدسن لوعلم المسيو دي روهان شابوا أنهم وضعوا فوق الصفيحة المغطى بها التابوت طبقتين من الحجارة المبنية بالكس والمشبكة بقضبان من الحديد . وعلم المندوبان بعد فحص قصير ان الطبقتين المذكورتين في الصك لم تكونا سوى الطبقة التي وصل اليها الحفارون .

واقتربوا من الوصول الى التابوت فاستعد الاب كوكرو للقيام باعباء مهمته الدينية وقال المسيو ارثور برتران : « اوشكنا ان نشاهد ذلك الذي اصبح من ثلاثة اشهر موضوع احاديثنا واهتمامنا افلا نحمد كما كان في التخمين سوى بقايا غير معروفة لذلك الذي انتدبنا لنقله الى الوطن ؟ فكان الخشوع عاما والقلق شديدا ولم نكن نتنفس الا بمشقة » وخفق قلبي خفقانا كاد يشق صندوق صدري

« وحالما رفع الغطاء عن التابوت المصنوع من الحديد الابيض ابصرنا مادة بيضاء وهي الفراش المصنوع من الحرير . فرفعه الدكتور غيليار مبتدئاً من الرجلين حتى انتهى الى الرأس فظهر نابوليون كأنه حي . وقد خرجت اصابع رجله من الخداء الذي كانت احيائه قد تهرت . وكانت قبعة موضوعة على ركبتيه ويده اليسرى على فخذه ولم يكن جلد على عظم بل يد حية بيضاء وكان لحم ... وحفظ رأسه شكله وقد اصفرت البشرة بمض الاصفرار وخداء الاذان كانا ممتلئين هبطاً فاصبح الوجه اطول مما كان عليه وهو حي .

« ونظرت بين الشفتين بعض الاسنان البيضاء وقد نبتت لحيته بعدما حلقت في الليلة السابقة وفاته . وتغير طرف الانف وأطبقت اجفانه فلم يستطع رؤيتنا . ونحن أبصرناه بمشقة من جراء الدموع الغزيرة المتساقطة من اعيننا ولكنه ربما كان ينظر من أعلى السموات الى ما نبديه من التعلق به . وهو يعلم كما أنبأ ابنه ان العالم سيتحدث عما كان من مجده ومن اعماله العظيمة . »

وقال شاهد آخر عياني وهو المسيو عمانوئيل دي لاس كاس : « هذا نابوليون بعينه وقد فقد الحياة من دون ان يلم به البلي . وكان الناظر اليه يتوهمه في آخر يوم من حياة الجد والعمل والمهالك ... وفي أول يوم من أيام الابدية ... فلو شهد ابي هذا المنظر لكان عظيما جدا ما يشعر به في قلبه من الحماسة . ولعمري ان قوته تنحذه عند رؤيته مثل هذا المشهد فيرزح تحت أثقال حزنه . وكاد الجنرال برتران يهوي الى الحضيض وبكى كثيرون من الحضور منتحجين وبدت الكتابة على وجوه غيرهم وابتلت عيونهم بالدموع . وتماطرت العبرات على صفيح خد الكنت دي شابو الشاب . اما أنا فكنت أتمثل نابوليون ميتا وقد خيل الي عند رؤيتي ما حولي ابي أرى حاملا سماويا . »

وتعجب الدكتور غيليار الذي مس وحده جثمان نابوليون من بقاء ذلك الجثمان سليما من الفساد مع أنه لم يحنط وارتأى هذا الدكتور انه لا شيء أفضل من اعادة الجثة الى حالتها الاولى لابقاء رفات الرجل العظيم محفوظا فعني بعد رشه قطرات من الكريوزوت ( روح القطران ) على الجثة باعادة الحرير المحشوطنا وغطاء الحديد الابيض وغطاء الخشب وصفيحة الرصاص ووضع ذلك كله في التابوت الرصاصي المغطى بصفيحة كبيرة كتب عليها بأحرف ذهبية ما يأتي :

## نابوليون

امبراطور وملك

توفي في جزيرة القديسة هيلانة

في ٥ مايو سنة ١٨٢١

وبعد ما لحقت اطراف هذه الصفيحة وضع التابوت في نعش من الابنوس  
رصع غطاؤه بأحرف ذهبية تؤلف اسم العاهل

نابوليون

وفرغت حفلة اخراج الجثة وأتمت الحكومة البريطانية مهمتها . وقرأ  
الربان الاسكندر صكا دفعه الى المسيور روهان دي شابو وكان مبنينا فيه ان  
رفات العاهل نابوليون موضوع في النعش الذي أرسلته الحكومة الفرنسية  
وانه سينقل الى الموضوع الذي يوضع فيه على متن السفينة بعناية الحكومة نفسها  
وفي الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين سار الموكب الى جيمس طون ولما تحرك  
الموكب للمسير جاء الماجور جنرال تشرشل لابسا ثياب الحداد ومعه ضابطان وهم  
مكشوفو الرأس وغير مباينين بالامطار وارادوا باظهار ذلك الخشوع ان يبينوا  
للملأ طراً ان شجعان بريطانيا العظمى على مثال شجعان الامم الاخرى يأبون  
ان يوافقوا على ما ارتكبت الحكومات الاوربية من اعمال الظلم والجرائم  
بحق الرجل العظيم .

واقام البرنس دي جواتفيل على المرفأ ينتظر الوديمة الثمينة الموكول اليه  
نقلها الى فرنسا ووصل الموكب في الساعة الخامسة والدقيقة الثلاثين وسلم الماجور  
جنرال مدلمور قائد الاسييطيل الفرنسي الشاب رفات نابوليون . فصار الآن  
الرفات بحسب رغبة الجبابرة عند دنو أجله يستريح تحت ظل الراية الوطنية . وفي  
الحال فتح التابوت وقال المسيو دي لاس كاس : وكان الامير ينظر اليه وهو

لا يبدي حراكا وقد بدا على وجهه وجميع جسمه تأثر شديد وشعاع متنوعة من الحزن والانتفاة فكانه يقول : انظروا ما بقي من ذلك المجد العظيم . . . وهاءنذا أرد الى فرنسا رفات نابوليون . . . فياليت هذا الامير الشاب يحفظ طهارة وسمو المواطن التي ابداه في هذه الاحوال . »

وكانت الشمس في ذلك الحين تنحدر نحو الافق وقد انارت أشعتها الاخيرة خروج نابوليون من أرض المنفى ورجوعه الى ما بين ابنا فرنسا . وحالما ابتعد عن البر الزورق المقل النعش اطلقت المدافع من القلاع والمراكب ثلاث طلقات مبشرة الاصقاع البعيدة بأن المنفي العظيم أعيدت اليه حقوقه بعد موته بمشرين سنة وانه عائد كماهل الى وطنه تحت ظل الراية الشريفة التي نصبها مرات كثيرة بيديه الظافرين فوق أبراج جميع العواصم في القارة الاوربية واسوارها

وفي ١٥ اكتوبر سنة ١٨١٥ جاء امير بحر بريطاني باسم الارسطقراطية البريطانية ومعيدي البوربون الى عرش فرنسا ودفن حيا في جزيرة القديسة هيلانة بمثل الديمقراطية الفرنسية . وكان ذلك الضمان لازماً للظافرين في وائرلو وموقعي وثيقة فينا فنفي « المحتلس وموته يمكنهم دون سواهما من ضمان الامن والراحة للملوك الشرعيين فالضمان الذي اشتدت رغبة الملوك في اصابته وجد : فهواء الجزيرة الوييل ومعاملة هدمين لو ساعدا على ايجاده قتلا الموت نفي ذلك الجبار . . . فماذا جرى والحالة هذه ؟ هل نجحت الارسطقراطية الاوربية بما تدرعت به من الذرائع المنكرة وتحذته من المعاملة العنيفة واته من الندابير القاسية المحقرة متخلصة تخلصا نهائيا من المخاوف التي كان قرب عهدها بالثورة الفرنسية يسوقها اليها بشخص نابوليون ؟

اليكم جواب التاريخ عن هذا التقرب البسيط : نحن الآن في اليوم الخامس عشر من شهر اكتوبر سنة ١٨٤٠ امام جزيرة القديسة هيلانة وامام رفات ذلك الشخص المعتبر وجوده حاجزا حصينا في وجه انتصار معاكسة الثورة انتصارا جازما يرى قائدا بريطانيا ممثل خلفاء بت وكاسلري ينافس أميرا من أسرة البوربون في بذل الفيرة واظهار الاعجاب والاحترام والاكرام السامي لمتخب الشعب ومنفي سنة ١٨١٥ وعدو البوربون والبريطانيين . ولا يخفى ان هنالك ما هو أعظم من تفوق الدهاء والمجد وعدالة الاجيال الآتية في تغير من مثل هذا التعير : ففي

هذا الموقف تتجلى تجليا خاصا قوة المبدأ المتجسم في نابوليون وهو المبدأ الذي ساد قبله ونال خصل السبق في مواقف شتى على يده وادرك بعده نصرا مبينا الا وهو مبدأ الثورة . فالثورة هي التي أرجعت ممثلها العظيم الى فرنسا والثورة هي التي اتي عودها العجيب الدهش في قلب أوروبا القديمة وتولت الرئاسة في حفلة مناحة ابنها العظيم واعادة الكرامة الى ذكره بطريقة رسمية وتعظيم ذلك الداهية في القبر الذي عللت الحكومات الاوربية النفس بتخيبه فيه مع مبدأ الثورة الى ما شاء الله .

وعاد العاهل نابوليون الى فرنسا وتقل في ظل الراية المثلثة الالوان الى المقر الابدي الذي ابتغاه وعينه في تربة الوطن . ولما وصلوا به الى متن السفينة ومروا به بين اركان الحرب المصطفين والسيوف مصلمة بأيديهم صدحت الموسيقى باللحن الحربي . وكانت تلك التظاهرات صدى عواطف الشعب الفرنسي الممثل بأولئك الشجمان القليلي العدد المحتفلين بتجسس شديد بعودة العاهل الكبير مختار الامة تحت ظل الراية الوطنية . وكان المدفع والصور صدى اصوات الخطباء على منبر المجلس الفرنسي وقد رددا كلام الوزير الذي له اليد الكبرى في نقل رفات نابوليون الكبير واعادا كلام المسيودي ريموزا القائل : « كان نابوليون عاهلا وملكا وكان صاحب السلطان الشرعي في بلادنا . »

واقلع الاسيطليل في ١٨ اكتوبر فاجتاز الخط في ٢٨ منه والتقى بالسفينة الهولاندية « اغمون » في ٢ نوفمبر وكانت آخر الاخبار الآتية معها عن باريس مؤرخة في ٥ اكتوبر وما لها محاولة البرنس لويس قلب الحكومة والحكم عليه ووثيقة ١٥ يوليو واطلاق القنابل على مدينة بيروت وحصار سورية وطلب استقالة الوزارة الفرنسية . وقد ملأت حوادث بولونيا قلوب رفاق نابوليون في المنفى حزنا ومرارة . وقال برتران الشاب في هذا الصدد ما يأتي : « ما أحزن الاخبار التي بلغتنا ونحن عائدون من جزيرة القديسة هيلانة فالثورات تشبه العواصف ولا بد من ان يرى الحال الغرقى . »

اما الاخبار عن امكان تقطع العلاقات بين فرنسا وبريطانيا العظمى فقد اقلقت خواطر الجنود والبحارة الفرنسيين العائدين برفات اكبر قائد في فرنسا واعظم عدو وجد للارسطوقراطية البريطانية . فكان نابوليون سمع وهو موسد في النعش



ارثور ولسلي دوق ولنغتن ولد سنة ١٧٦٩ وتوفي سنة ١٨٥٢





كلمات اللورد بالمرستن المحقرة فانتفض من شدة الغضب ونزع عنه الكفن مندفعاً الى متن السفينة ليعطي العلامة لمحاربة البريطانيين . وكانه بعد ما أعلن في حياته انه ضامن لمجد فرنسا وعظمتها لا يزال محافظاً على ذلك الضمان وهو في القبر وانه لا يبتغي الخلود الا ليندمج مع شعبه العظيم في المستقبل كما توخى ذلك الامر في اثناء حياته . وعاد الروح المنتشر في معسكر بولون الى الظهور على متن « البلبول » فانبعث من صدر الجبار الذي طالما هزت سطوته المعمورة والذي لم يمسوا رفاته من دون ان يهزوا اعصاب الامم ويحركوا البر والبحر ويتعرضوا لصدومات جديدة شديدة .

وسرى الى قائد السفينة الهمام تأثير ذلك الروح السري المنبعث من داهية فرنسا الاكبر وهو الروح الذي هب في صدره من سنة من الزمان عند شواطئ سان جان دولوى . وافتخر ذلك الجندي الشاب بان يمجّد في المقاربة بين اصله وفصله والمهمة المفوضة اليه صلة بين الشهرة التاريخية والمجد العصري . واطهرانه حفيد نبيل لهربي الكبير وامين جدير بالمحافظة على رفات نابوليون العظيم . ولم تنقض ساعتان على اطلاع البرنس دي جوانفيل على الاخبار الواردة مع السفينة « اغمون » حتى أصدر امره الى ربان سفينته بانه مطلق اليد في العمل للاسراع في المسير وأمر أيضاً بان يستعدوا للقتال وعقد عروة العزم على أن ينحدر الى قعر اللجة مع رفات نابوليون ولا يدعه يعود الى أيدي البريطانيين وفي الحال نزعوا جدران قمرته ووضعوا المدافع في الكوى المخصصة لها . وقال المسيو دي لاسكاس : « ان الامير بعد ما كان لنا مثالا في ذلك الامر قال لنا وهو ضاحك انه استاء من ذلك ولكنه لا يلقى مندوحة عن وضع المدافع في مراكزها . وقد اذن بان يهيئوا لنا غرماً في البطاريات فشغلت كل غرفة محل المدفع المأخوذ . وبعد تناول الصبح في ٣ منه شرعوا في الحال في هدم غرفنا فألقيت في البحر الجدران الخشبية والامتعة وأطلق اسم لاسيديمون على الجهة المبنية فيها الغرف الجديدة »

وكانت تلك التدابير باطلة فلو سخرت اوربا القديمة بفرنسا الحديثة ونقمتها من المؤتمرات السياسية المعقودة لتقرير المسألة الشرقية وبعثت اليها من لندرة بما يحجر الاهانة والتحقير لتحركت فرنسا الجديدة على غير جدوى وظل ما تشعربه ن الحنق والحاسة الحربية عقيماً . وعرف اللورد بالمرستن حق المعرفة ما تصير اليه

حالة فرنسا فان القوم فيها يهيجون ويضجون ولكنهم يسهلون عند دنو الساعة الرهيبة لان فرنسا الثورية يمثلها أصدقاء وخدام قدماء لاوربا القديمة وهؤلاء الاشخاص الذين تصوروا فيما مضى وجود كلمة مرادفة لخلق حرية المطبوعات سيلمقون الآن امتيازاً متقناً لخلق كلمة الشرف الوطني . وان هم وجدوا في سبيل المراقبة ان كلمة « منع » تؤدي معنى « استدراك » فلا يفوتهم عهد سبيل السلم على أي وجه كان ويتحرون أن يشعروا الشعب العظيم قبل الاحتفال بمناحة داهيته بان تهي فرنسا من مؤتمرات الممالك الاوربية لا بعد سوى طريقة مستهجنة لا استطاع تشبيهها بالاهانة . حينئذ يزول الغرور ولا يبقى من اثر للتسود ويسهل علينا أن نعلم أن نابوليون الذي كان كأنه قد بعث الى الوجود على متن « البلبول » قد مات حقيقة ولم تبق فرنسا مرتابة قط بان البرنس دي جوانفيل لم يأتها إلا بالرفات ليس إلا .

ان التاريخ مدون هذا الانحطاط الغريب بعد تلك العظمة السامية ومسجل هذا العار العظيم بعد ذلك المجد الاثيل لا يمكنه إلا الاعتراف بفضل الامير الشاب زعيم بعثة جزيرة القديسة هيلانة وعواطفه الكريمة واغراضه النبيلة . ويقول كما نقول نحن وكما يقول جميع المكبرين للشجاعة والوطنية : المجد للبرنس دي جوانفيل .

وهدمت غرفته وغرف حاشيته ونصبت المدافع في الاماكن التي تشغلتها ولكن تلك المدافع لم تضطر الى مجاوبة المدافع المطلقة قنابلها على بيروت لانه حين وصلت « البلبول » في ٣٠ نوفمبر الى ثغر شربورخ علمت ان وثيقة ١٥ يوليو عقدت من دون ان تقيم فرنسا النكير عليها وان الوزارة التي رأت في تلك الوثيقة تهديدا واهانة لبلادها اضطرت الى الاستقالة بحيث ان البعثة المرسلة الى جزيرة القديسة هيلانة لم تسلم رفات الامبراطور الى الوزارة المفوضة اليها نقله وبدلاً من أن ينقل رفات نابوليون الى هيكل مارس في عهد وزارة المؤرخ الشهير الذي دون حياة فاهر ايطاليا سيستقبله في ارض الوطن كتاب ساقهم الحظ المنكود في عهد النكبات الحالة بفرنسا الى المسير تحت راية الاجنبي أو تحيتها .

## الفصل التاسع

### مناحة نابوليون

وطمعت جميع المدن الفرنسية التي على شاطئ البحر باستقبال رفات نابوليون في موانئها وجاھرت معظم تلك المدن برغبتها في نیل تلك الامنية . وكانت مدينة طولون أشدھن مجاہرة في ذلك الامر لاعتبارھا نفسها مھدأ لعظمة ذلك الجبار : إلا أن الحكومة قررت تعین مدينة الهافر للاستقبال . وهذا ما جعل الناس يقولون أن الحكومة فضلت مدينة الهافر على سواھا لانھا أقرب من غيرها من المدن البحرية الى باريس وكانت غايتها من وراء ذلك حجبتها رفات الرجل الكبير بقدر ما يمكنھا حجبه عن انظار الشعب المتحدمة في فؤاده نار الحماسة . وقد عالج بعضهم ان ينقي عن الحكومة مثل هذه التهمة ولكن تألیف الوزارة الجديدة أیدها فقد كان في تلك الوزارة الى جانب خدام الامبراطورية المشاهير رجال تسلطت على افكارهم مبادئ مخالفة لمبادئ الامبراطورية وأربي خوفهم من الديمقراطية الفرنسية على خوفهم من الارسطقراطية الاوربية . ولما دخلت « البل بول » مرفأ شربورغ حیثھا مدافع الاسوار ورددت تلك التحية المدافع التي على الحصون البعيدة .

وجاءت ثلاث بواخر وهي « نرمنديا » و « الفيلوس » و « الكوريه » واصطفت حول « البل بول » وقد فوض اليھا استقبال بعثة جزيرة القديسة هيلانة ووديعتها المقدسة والمسير بها الى نهر السين وتم النقل في ٨ دسمبر . وسار الاسيطليل قبالة الشواطئ التي ودعھا نابوليون للمرة الاخيرة وهو أسير ومتوجه الى جزيرة القديسة هيلانة على متن « البرنمبرلند » بقوله لها : اودعك يا أرض الشجعان اودعك يا فرنسا العزيزة فلو لم يكن فيك بعض نفر من الخونة لكنت باقية سيده العالم . » وخف سكان نرمنديا الى الشاطئ فطبّقوا الفضاء باصوات التهليل والتكبير . وكان القوم على طول ضفاف نهر السين كما كانوا على طول شواطئ المائش يهرعون زرافات وزرافات والتحمس بالغ منهم . وكان نابوليون وهو جثة

هامدة محجوبة عن الابصار وسائرة الى المقر الآخر المعد لها في الانفاليد يقيم القوم ويقعدون في المدن والقرى والسهول والجبال ويحتازظافرا الناحية التي اجتازها شارل العاشر من عشر سنوات هاربا وهو صامت وقد أعرض عنه جميع الناس على التقريب . يارجال الماضي ما أعظم الانذار الذي ترونه في هذا الاختلاف ! ووصلت السفن الى الهافر في ليل اليوم الثامن من شهر ديسمبر والقمر يرسل أشعته الفضية على البسيطة . وفي صباح الغد في الساعة الخامسة تحرك الحرس الوطني في المدينة وضواحيها للاحتفاء بمرور رفات العاهل . وهانحن نورد الكلام الذي فاه به حاكم ولاية السين السفلى : « لم يصحب حادث من الحوادث التاريخية ما يصحب نقل رفات العاهل نابوليون من العظمة والابهة ... فأنتم تؤدون لهذا الرجل العظيم ما يستحقه من الاكرام بسكينة وكرامة ملائمتين لقوم شعروا غير مرة بتأثير سطوته الحامية وعطفه الخاص . »

ودخلت « نرمنديا » نهر السين وهي رافعة الرايات الوطنية والراية الملكية فوق السارية الكبرى بين أصوات المدافع حين كانت الشمس الساطعة طالعة من وراء الافق كما كانت طالعة في يوم استرلنز وغصت ضفتا النهر بمجماهير المتفرجين الفقيرة . ولم تنقطع أصوات الحماسة والطلقات النارية دلالة على ذلك الاحتفال الباهر . وظل القوم يبدون مثل تلك التظاهرات الحماسية حول الموكب في اثناء الطريق كله . وكان في كلبوف معظم الحرس الوطني الذي في نرمنديا السفلى خيوه بالمتحية العسكرية . ووقف الموكب عند فال دي لاهاي في مساء اليوم التاسع منتظرا الاسيطليل السين الاعلى المعد لنقل العاهل الى كوربنفوى . فوصل في صباح اليوم العاشر منه ونقل النعش الى متن « الدوراد » في الحال .

ودنا الاسيطليل من روان وكانت هذه المدينة الكبيرة الصناعية المكرم فيها اسم العاهل تستعد من ايام للاحتفاء باستقبال رفات الرجل الكبير الذي أحبته حبا شديدا لاجل احسانه اليها وأعجبت بالمعجزات النادرة التي اتاها . ونصبت قوس نصر في وسط النهر تحت قنطرة من قناطر الجسر المعلق . ورفعت على العدوتين اهرام رسمت عليها اسماء أهم الانتصارات في عهد الامبراطورية . ووصل الاسيطليل الى روان في ١٠ منه عند الظهر وازدحمت جموع غفيرة كالبنيان المرصوص على ضفتي السين وهم يرددون هاتين الكلمتين « ليحيى الامبراطور »

واظهر الحرس الوطني في المدينة وضواحيها وجنود الحامية التحمس نفسه الذي اظهره الالهون وخرج الكردينال رئيس الاساقفة من الكنيسة من الساعة السادسة صباحا بطواف احتفالي يحف به نحو مئتي كاهن ويم رصيف سان سيفر وجاء اليه ايضا رجال الحكومة على اختلاف خططهم ومعهم رجال المجلس البلدي . ولما وصلت السفن الى موضع معين بين الجسرين وقفت « الدوراد » فابتدأ الكردينال الحفلة الدينية وكانت في اثناء ذلك مدافع الحرس الوطني المنصوبة على مرتفعات القديسة كاترين ومدافع السفن الراسية في الميناء تطلق قنابلها وبين الطلقة الواحدة والاخرى مهلة دقيقة فتجيب « الدوراد » بالتدقيق على كل طلقة منها . ولما فرغوا من الصلاة أطلق مئة مدفع ايذانا بذلك ومن ذلك الحين لم يكن الناس يعتبرون انهم ينقلون رفات جبار الى مقبره الابدي بل رأوا امامهم امبراطورا كبيرا عائدا بانتصار الى عاصمته . فزالت جميع علامات الحداد وصارت الاجراس تقرع قرعا متواصلا والطبول تدق دقا متواليا والجنود يحيمون الموكب برفع السلاح والموسيقى تعزف بالحن النضر . ومر نابوليون تحت قوس نصبها الروانيون الصناديد ووقف قدماء الجنود ينتظرون وصوله بنافذ الصبر فنثروا عليه من أعلى الجسر أ كاليل من الكتلة الدائمة النضارة وغصونا من الغار والياحين واطلقت المدافع في تلك الاثناء مئة طلقة وطلقة ايذانا باستئفاف الموكب سيره .

وفي ألبوف وبون دي لارش وفرنون ومانت وجميع الامكنة التي مر بها الاسيطييل هرع السكان مهرولين لتحية النعش الامبراطوري . ولما وصلوا به الى جسر بواسي انتظروا السفن البخارية المرسله من باريس لاستقباله ، وحامسا ذاع في العاصمة نبأ قدومه اهتزت العاصمة بأسرها . وكانوا في اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر . على أن الحكومة المسرعة في تهيئة المعدات اللازمة عينت اليوم الخامس عشر منه موعدا لدخول الماهل مدينته الفخمة باريس . وفي الصبر عند القوم على اختلاف طبقاتهم ومقاماتهم فغصت جميع الطرقات المؤدية الى بواسي ،

ورأى الزنس دي جواتفيل ان السفينة المرسله من باريس وان تكن مبنية بفخامة وزخرفة وفقا لقواعد الفن لاتضمن سلامة النعش الامبراطوري

فظلت السفينة « الدوراد » حاملة حملها الشريف حتى بلغت مرسى كورنفوى حيث ابتدأ رفات نابوليون يمس ارض فرنسا  
وضرب اليوم الخامس عشر من ديسمبر موعد الدخول للنش مدينة باريس. ففي الاجل المسمى شرعت طبول الحرس الوطني ومدافع الانفاليد تعلن للمعاصرة من الساعة الخامسة صباحاً لحلول الاجل المضروب . وفي أقل من لمح الطرف خرج الاهلون الى الشوارع والطرقات المعينة لمرور الموكب فيها وهم غير مباين بالبرد القارس والظلام الحالك وقد استعانوا بالانوار والمشاعل . ولما بزغت الشمس كان الحرس الوطني والجنود تحت السلاح وقد أمر الحرس الوطني بالاصطفاف صفين الى كل جانب من قريب نوبي صف من الجسر الى حدود « الاتوال » ثم يمتد الى الجهة اليمنى فقط حتى ينتهي الى مدخل القصر . وكان وراء الحرس والجنود نحو ثمان مئة الف نفس يترقبون مرور الموكب

ووصل الاسييطيل الى كورنفوى في ١٤ منه وجاء في المساء الى ذلك المكان فريق كبير من مريدي الرجل العظيم غير مباين بالبرد القارس وقد حداهم الشوق على الجبيء لتكريم رفاته . وكان بين الجمع كثيرون من الجنود القدماء الباقين من الجيش الالهام وقد قدموا من ديار شاسعة ليشهدوا الاحتفال ولم يحل في وهمهم قط أن وجودهم وهم الذين تحطمت سيوفهم حين تحطم سيف العاهل في معركته الاخيرة يحمل الخونة يحمررون خجلا في ذلك الموقف الرهيب وهؤلاء الاخرون خانوا وطنهم بانتظامهم تحت ألوية ولتن وبلوخر . وقضى اولئك الشجعان ليلتهم عند جسر نوبي وكان الزمهرير شديداً فهبطت الحرارة الى الدرجة الثامنة تحت الصفر في المقياس المئوي الا أنهم اعتبروا انفسهم مالكين ناصية السعادة بوجودهم ذواتهم بعد خمس وعشرين سنة انقضت على معركة واترلو مقيمين في المعرس عينه المقيم فيه نابوليون ومشاطرين الامة معرفتها الجميل نحو قائدهم الخالد الذكر . وفي ١٥ منه في الساعة الثامنة صباحاً ابصروا شيخاً لابساً ثياب الحداد وقد ربط شريطة سوداء على ذراعه وسيفه يقرب من النعش واستند الى رجلين يشاطرانه اسفه . وهو شيخ جليل باح باسرار فنه مدة سنوات كثيرة للمدافعين عن الوطن حين كان رئيس جراحي الحرس الامبراطوري وجميع الجيوش الفرنسية في عهد نابوليون وهو لاري المحترم مثال المرؤة والصدق . وقد أسهب في الثناء عليه

سجين جزيرة القديسة هيلانة حين نظم وصيته . وكان يستند الى ابنه والى جراح من جراحي الجيش يدعى تشارلز وهذا كان في حملة روسيا وصحب العاهل الى فيلنا . وتمكن لاري الشيخ من المسير على قدميه من المرسى الى الانفاليد وراء رفات الذي أحبه حبا شديداً وقدر صدقه وكرم اخلاقه حق قدرها وحين رفع النعش الامبراطوري من «الدوراد» وأصعد الى البر ووضع على المركبة المعدة له تحت قوس النصر المنصوب أمام المرسى ابصروا فريقا كبيرا من القواديتها فتون على مثال البارون لاري للندنو من نابوليون وكان بينهم دسبان كوييار وزير الحرب سابقا بيزة كولونل القصيلة الاولى التي تولى قيادتها في واترلو . وفي تلك الساعة الرهيبة ارتفعت اصوات الجموع مرددة «فليحي الامبراطور» وكان ذلك دلالة على وصول رفات الرجل العظيم إلى الارض الفرنسية

وفصلت العربدة القالة النعش عن كورنفوي في الساعة العاشرة صباحاً فوصلت في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين الى قوس النصر عند «الاتوال» بين جماهير غفيرة تملأ الفضاء هتافا . وأطلق واحد وعشرون مدفعا إذانا للباريسيين بأن الرفات المنتظر بنافذ الصبر وصل الى اثر من الآثار العديدة التي نصبها ذلك الجبار لمجد فرنسا .

واجتاز الموكب على مهل شارع الشانزليزه الخاص بخمس مئة ألف متفرج ملبوئين تحمساً وفي الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين انتهى الى ساحة الانفاليد حين كان الاسييطيل الحامل النعش الامبراطوري من روان الى كورنفوي يلقى مراسيه أمام الجسر .

وكانت الساعة الثانية بعد الظهر حين أذن المدفع بوصول مركبة النعش الى مدخل الانفاليد . وحمل بحارة «البل بول» على أذرعهم الوديلة الثمينة التي جاؤوا بها الى فرنسا وسلموها الى ضباط الحرس الوطني والجيش وهؤلاء حملوها الى الكنيسة حيث كانت رئيس اساقفة باريس مقبياً على حبل انتظارها محفوقاً بكليروسه . وكان الملك والوزراء والمارشالية وامراء البحر ومجالس الحكومة تحت القبة ولم يتمكن اصحاب المناصب العالية من شق الجماهير الغفيرة الا بشق النفس . أما سفراء أوروبا القديمة فانهم ظلوا معتزلين عن غيرهم لعلهم ان أوروبا القديمة لا يجمل بها ان تشهد رسمياً حفلة أقامتها فرنسا الجديدة ارادة اصلاح

ما كان من أمر الوثيقة المعقودة في ٢ أغسطس سنة ١٨١٥ . على أن حضور ممثلي  
المخالفة القديمة في هذه الحفلة لم يكن امرا مستحسنا .

وكان بين المارشالية واحد يعد عميد الجنود في فرنسا فهذا كان من أيام  
يسأل طبيبه هل يظل حيا الى اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر وهو الوطني  
الصادق الذي قاتل الاجنبي عند ابواب باريس في ٣٠ مارس سنة ١٨١٤ حين  
بدأت الحيانة تظهر في كل جهة والذي فضل بعد ثمانية عشر شهرا خسارة منصب  
المارشالية والسجن في قلعة هام على صيرورته آلة للانتقام الملكي من رفاقه في  
الجندية . استجاب السماء توسلات حاكم الانفاليد الشيخ فان المارشال  
منسي وان تكن الشيخوخة والاسقام التي نالته في الحروب قد منعتة عن المشي  
بقي حيا في ١٥ ديسمبر فحملوه على كرسي الى امام المذبح قرب نعش نابوليون  
ليودعه الوداع الاخير ويستمطر على نعشه سحائب البركات والدموع .

ولما أطلق أول مدفع إيدانا بوصول الموكب الى مدخل الانفاليد الكبير  
خرج رئيس أساقفة باريس محفوا باكليروسه بطواف حافل الى الرواق  
لاستقبال جثمان العاهل وما عثموا ان طادوا بالنظام نفسه ووراءهم الموكب السائر  
في مقدمته البرانس دي جوائفيل وحمل اطراف بساط الرحمة أربعة وهم المارشالان  
اودينو وموليطور وأمبر البحر روسان والجنرال برتران . ولم تجف ما في هذا  
الاخير قط في أثناء سير الموكب . وحامسا اقتربوا بالنعش من الدكة المنصوبة في  
الموضع المعد لتشييد ضريح لنابوليون انحدر الملك عن العرش ومشى للملاقة  
الموكب حتى انتهى الى مدخل القبة وهناك قال له البرانس دي جوائفيل : مولاي  
أقدم لك جثمان نابوليون فقد جئت به الى فرنسا تلبية لاوامرك . فأجابه الملك :  
اني استقبله باسم فرنسا . وكان الجنرال اطلان يحمل على وسادة سيف العاهل  
فتناوله الملك من يد المارشال سولت وناوله الى الجنرال برتران قائلا له يا حضرة  
الجنرال اكلفك بأن تضع سيف العاهل المجيد على نعشه .

وبعد ما أتم الجنرال برتران ما أمره به الملك طاد هذا الى كرنسيه ووضع  
النعش على الدكة وخينئذ باشرؤا صلاة الموتى . وبعد القداس نضح رئيس  
الاساقفة الماء المبارك على الجثة وقدم المنضحة للملك . فهذا تم ما هو مقضي





جيهارد لبريخت بلوخر ولد في سنة ١٧٤٢ وتوفي في سنة ١٨١٩



عليه ثم انصرف وختمت الحفلة ، وخرج الجمهور من الكنيسة بخشوع واخبات  
وحينئذ قال منسي الشيخ : والآن اطلق يا رب عبدك بسلام  
وفي الايام التالية بلغ عدد الزائرين الذين جاؤوا لرؤية نعش العاهل مئات الالوف  
فازدحم مريدو الرجل العظيم عند رتاج الاتفاليد فأذنوا لهم بالدخول والتفرج على  
المنصة الموضوع عليها النعش . وفي أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٤١ كان نحو مئة  
شخص ينظرون باحترام الى ضريح العاهل الوفي واذا يبكاء وانتحاب قد سمعا عند  
مدخل الكنيسة فشخصت جميع الابصار الى الجهة الآتية منها الصوت فرؤي  
شيخ مستند الى ذراع شاب وخيل للحاضرين حينئذ ان صوتا خارجا من  
النعش يقول : « دعوا هذا الجندي الباقي من الجيش العظيم يدنو مني فقد  
صحبني في ابتداء حروبي في ايطاليا وكان معي أيضا حين قلب لنا الحظ ظهر المجن في  
الاصقاع الشمالية . » وحينئذ صاح الجميع : افتحوا طريقا فهذا ولا مراء رفيق  
من رفاق العاهل في حروبه . وفي الحال انشق الحاضرون وافسحوا مجالا  
للكولونيل الشيخ الذي تولى قيادة الفصيلة السابعة والحسين وركي الى رتبة  
امير لواء في معركة المسكوفيا . وقد قطع مسافة مئة وخمسين ميلا وقدم مع  
زوجته وابنه ليذرف العبرات على رفات الجبار الذي رافقه في حروبه الخالدة  
من منتنوت الى وارلو .

وانتبا في ما كتبناه عن سيرة نابوليون الكبير اودعنا في كل صفحة سر  
تلك القوة التي لا يزال ذكرها مؤثرا في جميع اصحاب الاحلام الراجحة فنابوليون  
ذاته نم بها في معظم الخطب التي كان يلقيها ولكنها جاءت بشكل واضح صريح  
في الكلمات الآتية التي فاه بها « لست طاهل الجنود كما قالوا عني بل أنا طاهل  
الفلاحين والشعب وفرنسا ومع كل ما جرى في الماضي ترون الشعب مقبلا علي .  
وليس شأني شأن المختارين فالنبلاء خدموني وزاحموا على بابي ينتظرون التناهي  
اليهم ولم يكن من منصب الا وقبلوه وطلبوه والتمسوه . وكان ثمة كثيرون من  
أمثال منمرمني وأشباه نوايل ونظائر روهان واقران بوفو وارتاب مرتمار ولكن  
لم يكن من مشابهة تامة بينهم فالجواد كان يتطامن لانه كان مدربا على ذلك كل  
التدريب ولكنني شعرت بانه يرتجف اما مع الشعب فليس الامر كذلك :  
فعمواطف الشعب صدى لمواطني وقد خرجت من صف الشعب ولذلك كان

لصوتي تأثير فيه انظروا الى هؤلاء المتجندين فهم أولاد الفلاحين وانا لم اكن  
أتملقهم بل كنت أعاملهم بالقساوة ومع ذلك لم يبتعدوا عني ولم تجملهم تلك  
المعاملة يقاتلون من الهتاف « فليحي الامبراطور . » وليس ذلك لوجود تشابه  
في الطبيعة بيني وبينهم . فهم يعتبرونني سنداً لهم ومنقذاً من النبلاء »

أولاً نرى أن كل ما حدث في خلال خمس وعشرين سنة بعد موته وكل  
ما نظر وسمع في مناحته حقق العاطفة العميقة الدالة على ميل الشعب اليه ميلاً  
غير منقسم العرى . أجل ان الشعب مع كل ما حدث في الماضي ثاب اليه  
وسيطل الى ما شاء الله متعلقاً به فالجندي المتوج مع كل ما فعله لترميم صرح  
الارسطراطية المتداعي سيطل في انظار الاجيال الآتية كما كان في انظار الملوك  
المعاصرين سبب دعر لاوروبا القديمة وداهية فرنسا الحديثة وريث الديمقراطية  
وكلمة الثورة المجيدة

انتهى



## ذيل للجزء الثالث

نذكر في هذا الذيل موضوعات شتى لها علاقة بنابوليون الكبير  
تتمة للفائدة :

### برنادوت وأسرته

جاء في كتاب نسجت بردته يراعة شاتوبريان الكاتب الفرنسي المشهور  
ماياني : « كان في مدينة مرسيليا أسرة غنية تدعى أسرة كلاري يتعاطى افرادها  
التجارة . فذات يوم جاء هذه الأسرة ضابط برتبة كبتن في فرقة المدفيعين وهو  
في ريعان الشباب بيد انه كان يشكو من ضيق ذات يده وطلب الاقتران بأصغر  
كرائم تلك الأسرة . وكان شقيق ذلك الضابط الاكبر واسمه يوسف قد اقترن  
بأكبر بنات الأسرة المذكورة . فمقدت الأسرة مجلسا للنظر في طلب الضابط  
الشاب . وبعد مباحثة طويلة رد طلبه : وجاء بعد ذلك ضابط آخر في مستقبل  
العمر وفي غاية الاملاق أيضا بيد انه أجل صبورة وأكثر حنكة فراقهم ورضوا  
به صبرا . وكان الاول يدعى نابوليون والثاني شارل جان برنادوت وهو الذي  
جلس فيما بعد على عرش مملكة اسوج . وكانت كريمة تلك الأسرة المازولة  
للتجارة بعد ما اوشكت أن تصبح امبراطورة قد كتبت لها الحظ بأن تكون  
ملكة فقط . »

قد يتوهم قارئ هذه السطور الوجيزة أنها مجمل حكاية من الحكايات  
ولكن هي قصة حقيقية تاريخية الا ان كلام شاتوبريان لا يعبر عن واقع الحال  
تماما . وقد عثرنا على أصل هذه الرواية فاجبينا نشرها اظهارة للحقيقة  
وتفككة للقراء .

كان في مرسيليا في أواخر القرن الثامن عشر أسرة من أسر التجار الاغنياء  
تدعى أسرة كلاري تقيم في منزل غخم بشارع الفوسيين . وكان لهذه الأسرة ابن  
وحيد واربعة بنات وقد لعبت اثنتان منهن دورا خطيرا في التاريخ .

فالبنات الكبيرة تدعى جوليا وكانت على جانب عظيم من الرزانة والتعقل وقوة الارادة ولكنها لم تكن جميلة الصورة فتانة المحاسن . والبنات الصغيرة تسمى دزيره ولها عينان مجلاوان وشعر اسود جميل وقامة صغيرة بيد أنها ممشوقة ويدان ناعمتان وقدمان صغيرتان وذكاء مقرون بالحدة والنشاط وكانت دزيره ألطف وأجل فتاة بين فتيات مرسيليا . وتعرفت أسرة كلاري في سنة ١٧٩٤ بشاب كورسيكي يقال له يوسف بونايرت اتخذت أسرته من عهد غير بعيد مدينة مرسيليا محلا لاقامتها . ولم يكن للأسة دزيره سوى ثلاث عشرة سنة من العمر فشغف بها يوسف وطلبها من والديها . فحل طلبه عندهما محل القبول وتم الاتفاق بين الفريقين على ارجاء الزواج سنتين بالنظر الى سن الفتاة .

وقدم من طولون الى مرسيليا في تلك الاثناء قائد من قواد المدفعيين اشتهر فيها اشتهارا امتد صده الى الاصقاع السحيقة . وكان هذا القائد شقيقا ليوسف بونايرت واسمه نابوليون . فقدمه يوسف الى أسرة كلاري وعرفها به . ولم تسكد عين هذا الضابط تقع على دزيره الحسناء حتى افتتن بجهاها وشغف بلطفها وفي ذات مساء خاطب شقيقه في بهو منزل أسرة كلاري بكلام لا يستطيع أحد معا كسته قائلا : « اذا شاء الزوجان ان يعيشا بالوفاق والوئام وجب على أحدهما أن يسلس قياده للآخر . فانت يا يوسف متردد في اعمالك ودزيره ذات خلق مماثل لخلقك أما أنا وجوليا فنعلم ما نريد نخير لك أن تقرن بجوليا وأما دزيره فستكون لي زوجة . »

قال نابوليون هذا الكلام وأجلس البنية دزيره على ركبته . وبعد نصف قرن رددت تلك المرسيلية الصغيرة وكانت قد صارت ملكة اسوج كلام الضابط الصغير المدفعي على مسمع سكربتيرها وقالت له : وعلى هذه الصورة أصبحت خطيبة لنابوليون .

وتم كل شيء وفقا لمشيئة الرجل الذي ابتدأ من ذلك الحين يمثل دورالعاقل المطلق الارادة الحر الاميال . فرضيت جوليا بان تكون خطيبة ليوسف وكانت تحبه سرا ويوسف وان لم يكن يحب جوليا بل كان يحب دزيره طلق قلبه حب هذه الاخيرة وتزوج جوليا لأن هذه كانت مشيئة أخيه . وصار جميع افراد الاسرة يعتبرون نابوليون خطيبا لدزيره .

وجاء اليوم التاسع من ترميدور وهو الموافق لليوم السابع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٧٩٤ وفيه هوى روبسبيار عن كرسي مجده وانقضى عصر المخاوف بانقضاء ولايته . وكان قائد المدفعيين الشاب الآنف الذكر قد احرز رتبة امير لواء فانطلق الى باريس للقيام بمهمة خطيرة وتداعى في الحين عينه ما شيده الحبيبان من صروح الاماني في ذهنهما . فكانا في بدء الامر يتكاثبان مودعين كتبهما عبارات أرق من النسيم واصفى من الزلال . وبعد حين من الزمان صارت الفترات طويلة بين المكتوب الواحد والمكتوب الآخر من مكاتيب الخطيب وما عم نابوليون ان وجد في التيار الباريسي ملاهي جديدة جعلته ينسى الاقسام التي حلفها لتلك المرسيلية الصغيرة الحسنة .

وتعرف نابوليون في ذات يوم عند عقيلة تاليان بامرأة بارعة الشكل وهي أيم جنرال قطعت عنقه في مقصلة الفتنة . وكانت تلك المرأة تدعى جوزفين دي بوهرنه . وهي أكبر من نابوليون في العمر . خلت في فؤاده محل دزيره حتى أنه بدلا من ان يعود الى مرسيليا في سبتمبر سنة ١٧٩٥ انجازا لوعده كتب الى جوليا زوجة أخيه طاهدا اليها ان تبلغ دزيره انها اصبحت من ذلك اليوم مطلقة القياد وباح لها بحبيته لتلك الايم الحسنة وقال لها انه صمم على الاقتران بها في وقت قريب .

فكان لذلك النبأ وقع اليم على دزيره فأكبرت نقض نابوليون لعهده وكتبت اليه ما يأتي :

« هل استحق يا قاسي الفؤاد أن أحامل بمثل هذه المعاملة . . . أو لا تذكر عهدك ووعودك ؟ لقد صيرتني تاعسة طول حياتي . . . فلا أستطيع تعود هذه الحال فانها تقضي علي . . . ولا أقوى على العيش بعدها . . . وسأريك اني ارعى عهد الامانة لوعودي فلا أتزوج بغيرك وان تك انت قد نقضت حبال الموائيق التي تربطنا . وقد علمتني التجارب معرفة اخلاق الرجال والتحفظ من فؤادي . . . »

وقد تسرعت دزيره في عقد عروة العزم على نبذ الزواج فلم تبق عانسا في بيت أبيها بل تزوجت . على ان الحظ وان يك قد حال دون صيرورتها امبراطورة لم يحل دون صيرورتها ملكة .

ويستنتج مما بسطناه ان شاتوبريان اخطأ في روايته الالف يانها فلم ترد  
أسرة كلاري طلب نابوليون مصاهرتها بل هو نابوليون الذي خان عهد دزيره  
وسعى وراء غيرها من النساء .

ولبثت دزيره في ريق الامر على ما كانت قد صحت عليه عزيمتها فردت  
طلب كثيرين ابتغوا الاقتران بها وفي جملتهم جونو أحد رجال نابوليون  
ولكنها مالت الى دوفو الا أنه لم يتم شيء من هذه الجهة لانه قتل في رومية في  
اثناء فتنة .

وظن صيرفي اسوجي واسع الثروة أنه يتمكن من استمالة قلب تلك الفتاة  
وتليينه ولكنه طاد بصفقة المغبون .

وجاء برنادوت وكان شابا جميل الطلعة بعيد الشهرة له المنزلة الثانية بعد  
نابوليون بين قادة جيوش الجمهورية . فرضيت دزيره به خطيبا لها . ولم يستملها  
اليه شيء من الاشياء التي بسطناها بل قبلته لانهم قالوا لها : « هذا هو الرجل  
الوحيد القادر على مناجزة نابوليون ومناواته » وكان حب الانتقام السبب الذي  
من اجله رضيت تلك المرسيلية الصغيرة بأن تصير زوجة لبرنادوت .

وتم زواجهما في صوف في ٣٠ ترميدور من السنة السادسة للجمهورية . وكان  
للعريس أكثر من اربع وثلاثين سنة من العمر اما العروس فلم تكن قد تجاوزت  
السابعة عشرة من سننها . واقبلت على حب زوجها حبا شديدا غير مبالية بما بينهما  
من التفاوت في السن وابدت له تعلقا واخلاصا ما وراءها من مزيد وتمكن بفضلها  
من النجاة من تعقب نابوليون له بداعي اشتراكه في سنتي ١٨٠٢ و ١٨٠٤ مع مورو  
في دسيسته المشهورة مع انه كان لدى نابوليون أدلة كثيرة تثبت اشتراكه فيها  
ومن ترجمة برنادوت انه نجل محام من مدينة بو تطوع في الجندية في سنة ١٧٨٠  
واخذ يترقى من درجة الى درجة حتى وصل الى درجة فريق في سنة ١٧٩٥ قبل  
وصول نابوليون اليها . وامتاز في جيش الرين وجيش السامبر والموز وجيش  
ايطاليا . ثم قلد وزارة الحربية ومستشارية الدولة وقيادة جيش الغرب في سنتي  
١٧٩٩ و ١٨٠٠ و رقي الى درجة المارشالية في سنة ١٨٠٤ وجعل حاكما  
لهانوفر وابلى جلاء حسنا في معركة استراتز فكافأ نابوليون على ذلك بمنحه اياه



لقب برنس دي بنتي كرفو وبأسناده اليه حكومة المدن التجارية في ألمانيا الشمالية الغربية .

وتبتدى من ذلك الحين الحوادث التي استمالت اليه احترام الاسوجيين له واعترافيهم بجميله وتمهيدهم في وجهه سبيل الوصول الى عرش بلادهم .  
ومال غستاف الرابع ملك أسوج الى موالة البريطانيين ومعاداة فرنسا ففوض الى برنادوت أمر مقاتلته فخاربه وظهر عليه وأحسن معاملة الضباط الاسوجيين الناشئين في حبائل أسره . وخلع غستاف الرابع عن العرش بعد اربع سنوات خلفه شارل الثالث عشر . ولما لم يكن للاسوجيين امير يرث الملك بعد ملكهم الجديد تذكروا معاملة المارشال الفرنسي لهم بالحسنى وصحت عزائمهم على اقتدابه لولاية العهد .

واستشير نابوليون في هذا الامر فوافق عليه وان لم يكن يركن الى هذا الخلع الذي كان يخشى شره ومن المحتمل أنه لم يشأ أن يرضى بتاج الملكة على التي ضمن عليها بتاج الامبراطورة .

وانتخب المارشال برنادوت وبرنس دي بنتي كرفو في ٢١ اغسطس سنة ١٨١٠ وليا للعهد في مملكة اسوج وتبناه الملك شارل الثالث عشر .

ووصل برنادوت الى السنور في ١٩ اكتوبر سنة ١٨١٠ ودخل مدينة استوكهولم في ٢ نوفمبر واستلم قيادة الجيشين البري والبحري . وما لبث أن قبض يديه على ادارة السياسة الاسوجية بالنظر الى تقدم الملك شارل الثالث عشر في العمر واعتلال صحته .

وتوفي شارل الثالث عشر بعد سبع سنوات خلفه برنادوت متخذاً اسم شارل الرابع عشر جان .

واصبحت المرسيلية الصغيرة التي كانت في شارع الفوسيين ملكة على اسوج الا ان مقامها الجديد لم يرو غليل رفائها . وكما ابت اختها جوليا عند صيرورها ملكة على اسبانيا ان ترافق زوجها الى شبه الجزيرة الايبيرية آرت دزيره المقام في باريس بقصرها الفخم في شارع انجو على المضي الى الاقاليم الشمالية ولبس التاج على رأسها . ولكنها لما انتخب زوجها وليا للعهد في مملكة اسوج وافته الى وطنه الجديد فاحتقن الاسوجيون باستقبالها احتفاء باهرا جعلها تمكث

ردحا من الدهر في استوكهلم على انها لم تفتأ تحن الى باريس ومع ما كان يديه لها الملك الشيخ من العطف ويعاملها كابنته ومع شدة تعلقها بزوجها ومع فرط حبها لولدها الوحيد البرنس أسكار الحدث « فليون » نابوليون تولاهما التبرم من الإقامة في اسوج . ولما اوشكت الحرب ان تنشب بين اسوج وفرنسا اغتنمت الفرصة للعودة الى باريس رغبة في السعي لاطفاء جذى سخط العاهل واسمائه الى برنلاوت وتبديد الغيوم المتلبدة في أفق السياسة .

ولم تدرك هذه المرة ضالتها المنشودة وفي شهر مايو سنة ١٨١٣ تولى برنادوت قيادة جيوش الحلفاء وقهر رفيقيه القديمين اودينو وناي في غروس بيرن ودنوتز واجرى الخطة الحربية التي رسمها وانتهت عند ليبزيغ

وعلى هذه الصورة حقق برنادوت ما اخبروا دزيره عنه فلم يكن فقط الرجل القادر على مقاومة نابوليون بل الرجل القادر على قهره .

ولما وضعت الحرب أوزارها وتضمنت اركان امبراطورية نابوليون لم تفتأ دزيره كلاري المضي الى استوكهلم للتمتع بانتصارات زوجها الحربية فبقيت في باريس . ويقال ان النكبات التي حلت بناپوليون اثارت في فؤادها دفين عواطف قديمة لرجل الحظ والافدار . ويروى أيضا انها لم تفتأ عن مرافقة الدوق دي ريشليو الى حيث يمضي ارادة اسمائه الى سجين جزيرة القديسة هيلانة وبقيت زهاء عشر سنوات بمساعدة عن زوجها ولم تشخص الى اسوج الا في سنة ١٨٢٣ لتشهد حفلة خطبة ابنها لوحيده لكريمة أوجين دي بوهرنه البكر . ولم تنتجع تلك الربوع الا على أمل الرجوع الى قصرها بشارع انجو لتستأنف الايام السعيدة التي قضتها فيه .

الا ان مقتضيات مركزها كزوجة وأم وملكة قضت عليها بالبقاء في استوكهلم فعاشرت فيها سبعا وثلاثين سنة وكانت تحن دائما الى باريس وتأسف على عدم تمكنها من العودة اليها . وقضت تلك السنين في اعمال البر والخير كزيادة المرضى وتعمد المساكين واغاثة الملهوفين .

وفاجأتها المنية في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٠ ولها من العمر ثمانون سنة وكان زوجها قد سبقها الى القبر قبل ست عشرة سنة وكان بعد سنة ١٨١٥ ان اسوج



کبریٰ فی وائیلو



قررت الاعتماد عن التدخل في الشؤون الاوربية والاقتصار على النظر في شؤونها الداخلية . فظهر برنادوت أو شارل جان انه من مشاهير الرجال الاداريين السياسيين كما كانت معدودا من كبار القادة المحنكين . ولما حضرته الوفاة في سنة ١٨٤٤ بعد ملك دام ستا وعشرين سنة وسلطة فعلية دامت احدى وثلاثين سنة خلف لابنه أسكار الاول بلادا عامرة زاهرة تهطل عليها سحائب الخير ويدر عليها الرزق .

وظلت الامة الاسوجية سائرة في طريق الحضارة والعمران في عهد شارل الخامس عشر واسكار الثاني نجل اسكار الاول وغستاف الخامس ملكها الحالي .

## نابوليون الاول وحرب روسيا

وضع الكونت لاون تليستوي الكاتب الروسي المشهور كتابا بعنوان « نابوليون وحرب روسيا » وصف فيه فظائع تلك الحرب الهائلة بأسلوب انتقادي خطأ فيه مزاعم معظم المؤرخين الفرنسيين والروس الذين أسهبوا في الكلام عن تلك الحرب وسفه آراءهم من مثل إيجاد مؤرخي الفرنسيين أعذارا لعاھلهم تنصله من تبعه تلك الحملة التي هلكت فيها مئات الألوف من البشر وأنفقت في سبيلها القناطير المقنطرة من المال ومثل ادعاء مؤرخي الروس ان قيصرهم وقادة جيوشه تمكنوا بدهائهم من اللقاء الفرنسيين في تلك الورطة التي فغرت قاهها وابتلعتهم . ولما كان تليستوي ينظر الى نابوليون بغير المقلقة التي ينظر بها اليه السواد الاعظم من بني الطينة أحببنا ان ننقل الفصل الاخير من الكتاب المذكور وننشره على علاته قال تليستوي :

### نابوليون والاسكندر الاول

اذا جاربنا المؤرخين زاعمين معهم ان الرجال العظام يسرون بالانسانية الى غايات معلومة وأن الموازنة الاوربية وانتشار الافكار الثورية وعمران البلاد وغير ذلك من الاغراض تتعلق بمظمة الدولتين الروسية والفرنسوية

تعذر علينا والحالة هذه ان نفسر معاني الحوادث التاريخية من دون ان نجعل للصدفة والدهاء شأنًا فيها . ولو كانت الغاية من الحروب الاوربية التي شبت نيرانها في مفتتح هذا القرن ( التاسع عشر ) اعلاء شأن الدولة الروسية لأمكن ادراك تلك الغاية بغير الحروب التي سبقتها وبغير تلك الغزوة .

ولو كانت عظمة فرنسا الضالة المنشودة لاستطيعت اصابتها بغير الثورة والامبراطورية .

ولو كان الغرض الذي يرمون اليه نشر الافكار الثورية لسكانت السكتب اسهل منالاله من الجنود

ولو كان رفع منار العمران الحاجة التي يطلبونها لسهل عليهم قضاؤها بذرائع انهم من اهلاك عباد الله ونهب اشياهم .

ولماذا جرت الحوادث في هذا المجرى ولم تحجر في غيره ؟

ان التاريخ يجيب أن الصدفة أوجدت الحالة فاستفاد منها الدهاء ولكن ماهي «الصدفة» وما هو معنى لفظة «دهاء» ؟

إن كلتي صدفه ودهاء لاتعبران عن شيء موجود في الحقيقة وهذا هو السبب الذي يجعل تحديدهما متعذرا .

فهما لاتدلان الا على طريقة واحدة يستعان بها على ادراك حقائق الامور فانا اجعل مثلا سبب هذا الحادث ويجري في وهمي في اعجز عن فهمه ومن جراء ذلك لا أعالج الوقوف على كنهه فأقول ان الصدفة أوجدته .

اني ارى قوة تنتج عملا لا ينطبق على صفات البشر المألوفة وحينما تصعب علي معرفة سبب تلك القوة اقول ان هذا ضرب من ضروب الدهاء .

ان الخروف الذي يضعه الراعي في كل مساء في حظيرة خاصة ويقدم له طعاما وافرا يفوق من جراء ذلك رفاقه في السمن ويبين لاولئك الرفاق ان في امره شيئا من الدهاء على ان الحقيقة هي ان ذلك الخروف بدلا من ان يدخل في كل مساء الحظيرة العامة مع رفاقه يفرز في حظيرة خاصة يقدم له فيها العلف . وحينما يسمن ذلك الخروف ينحر ويباع للجزار فيؤثر ذلك الامر في باقي الغنم ويبين لها انه نتيجة من نتائج الدهاء المقرون بسلسلة من سلاسل الصدف الغريبة .

ولولم تسكن الغنم تعتمد ان كل مايجري يرمى به الى غايات تتعلق بها دون

سواها ولوزعت أن الحوادث الطارئة تجري الى غايات مجهولة الحقيقة لتجلب لها في الحال وحدة في العمل وتماقب منطقي في كل ما يطرأ على الحروف المسمن . ان الغم وان لم تدرك الغاية من تسمينه تدرك انه لم يحدث شيء مما حدث للخروف من باب البدهة ولا محتاج الى تفسير معناه الى الالتجاء الى الصدفة او الى الدهاء . ونحن لانكتشف في حياة الاشخاص المذكورين في التاريخ تماقبا منطقيا للحوادث التي تقتضيها الضرورة الا حينما نعرض عن معرفة غاية الاشياء الاخيرة باعتبارنا ان فهمنا يقصر عن الوصول اليها . حينئذ يتجلى لناسب التفاوت بين اعمالهم ومقدرة الاشخاص العاديين ولا نفل البتة محتاجين الى الاعتقاد بكلماتي صدفة ودهاء ، وبناء عليه نقول انه يكفيننا ان نعتقد اننا نجعل الغرض من حركات الشعب الاوربي وانا لا نعلم الا الحوادث الناشئة عن المجازر التي جرت في فرنسا وبروسيا والنمسا وروسيا وان الداعي لتلك الحوادث هو زحف الشعوب الغربية الى الشعوب الشرقية والعكس اي زحف الشعوب الشرقية الى الشعوب الغربية . وحسبنا الاعتقاد بهذه الامور حتى لانظر نجد شيئا من الدهاء والشذوذ في صفات نابوليون والاسكندر الاول ولا نبقي نعتبر ذينك العاهلين الا رجلين كسائر الرجال ولا نبقي فقط محتاجين الى ان نفسر بالصدفة معنى الحوادث الصغيرة التي صبرت ذينك الرجلين في الحالة التي كانا عليها بل يتضح لنا بجلاء ان تلك الحوادث الصغيرة لم يكن بد منها .

وحينما نهمل أمر المسير الى الغاية النهائية ندري انه كما يتعذر وجود ازهار وبذور لنبات من النباتات غير الازهار والبذور التي له يتعذر وجود شخصين من الاشخاص الذين يذكروهم التاريخ يستطيعان على مثال الاسكندر الاول ونابوليون من مفتتح حياتهما الى مختتمها ان ينهضا كل النهوض باعباء المهمة الملقاة مقاليدها اليهما .

ان السبب الاصلي للحوادث الاوربية في فاتحة هذا العصر منشأه الحركات الحربية التي أجرتها في بدء الامر الشعوب المحتشدة لزعحف من الغرب الى الشرق وفيما بعد من الشرق الى الغرب .

كان بدء هذه الحركة في الغرب وكانت الامور الآتية تدعو الشعوب الغربية الى الاغارة على الديار الروسية والتوغل فيها حتى موسكو .

١ — ان تلك الشعوب كانت متكاتفه تكاتفاً حريباً يمكنها من تلقي صدمة مجموع الشعوب الحربية الشرقية.

٢ — انها نبذت كل تقاليدھا وعاداتھا .

٣ — انها ائتمرت لاجراء تلك الحركة الحربية بأمر رجل تمكن من نزكية نفسه وتبرئة ساحتها باستعاذته بالكذب والنهب والقتل لادراك غايته . وان الثورة الاصليه الصغيرة المنتمية الى الثورة الفرنسية الكبرى تبددت من جراء صغرها . وتغيرت التقاليد والعادات فتألفت شيئاً فشيئاً جماعة جديدة وأنشأت معها تقاليد وعادات جديدة وفي ذلك الوسط نهض الاضطلاع بمهمته الرجل الذي ساقته الاقدار يوماً من الايام الى ترأس الحركة وحمل إعساء مسؤولية الحوادث التي توالى . ان ذلك الرجل الذي لم تكن له مبادئ ولا عادات ولا تقاليد ولا اسم والذي لم يكن فرنسويّاً هادئته الاحداث مهادنة غريبة وعرضية فنال ماوصلت اليه يده في أول الامر وتدخل مع جميع الاحزاب التي كانت تلقي الشقاق في فرنسا من دون أن يعتصم بمحبل واحد منها وكان من أمره انهم رفعوه الى أعلى درجة .

ان جهل المحيطين به وضعف خصومه وعدم الاعتداد بهم واخلاصه في الكذب وضيق دائرة عقله الذي تكتنفه الدعوى دفعت ذلك الرجل الى تولي زعامة الجيش .

وان حسن الانتظام في جيش الحملة الايطالية وما أبداه العدو من الرغبة عن القتال وثقة ذلك الرجل بنفسه وجرأته الوهمية كانت مرعاة الى مجده العسكري وقد رافقته في كل شيء صدف سعيدة على زعم بعضهم . وكان أولياء الامر والنهي في فرنسا ينظرون اليه شزراً . الا أن تلك المعاملة ساعدته على نيل رغائبه .

على أن المساعي التي بذلها لتغيير الخطة التي تحرى المسير عليها حبط الواحد منها بعد الآخر فالدولة الروسية أبت أن تدخله في خدمتها والدولة العثمانية نبذت ماعرضه عليها من الخدمة

وفي حرب ايطاليا كان غبر مرة الخطر أدنى اليه من قاب قوسين بيد أن أحوالا غبر منتظرة أخرجه من تلك الورطة الويلة .



ان الجنود الروسية التي كانت قادرة على تقويض أركان مجده بجميع أنواع التدابير السياسية لم تظاً أوروبا بأقدامها مدة بقاءه فيها .

ولدن رجوعه من ايطاليا وجد الحكومة الفرنسية في حالة من الانحلال تقضي على الاشخاص المتألفة منهم بأن يتواروا أو يهلكوا فكان الخروج من تلك الحالة المصحوبة بالخطر على نابوليون قد عرض من غير سعي ولا تمهيد وكان ذلك الامر قد افضى الى حملته الى افريقيا . وهي حملة لا محل لها من الاعراب وقد دلت على حماقته .

وعادت الصدفة الى خدمته بنوع عجيب فان مالطة المعتبرة منيعة جداً استسلمت اليه بلا حرب وان عزائم نابوليون التي لا تخلو من التغيرير بالنفس كلها النجاح .

وترك أسطول العدو أي أسطول البريطانيين جيشاً برمه يمر في عرض البحر على أنه بعد قليل من الحين لم يأذن لمركب وان زورقا أن يمر على متن اللجة وفي افريقية ساق كثير من الفظائم الى قوم عزل على التقريب وكان الرجال الذين أتوا تلك المنكرات ولا سباً زعيمهم يزعمون أن ما أجروه عظيم وجليل وأنهم مجنون من أدواحه ثمار المجد . وان ما ترمم وما تبهم الخطيرة تحكي ما رقيصر الروماني والاسكندر المقدوني وما تبهما

وان تصوراته الوهمية بالمجد والسؤدد التي لم يكن من شأنها فقط الاحجام عن اقتراف الجرائم بل الافتخار بها والنسبة اليها معنى يفوق الطبيعة والتي ستكون هادياً لهذا الرجل ولجميع مريديه وأشباعه أطلقت حريتها للاستعداد في افريقية :

وقد أفضى الى الفوز كل ما عالج به فان الطاعون تجاوزه ولم يعتبر قتله الا سرى جناية تلحق به

وان انطلاقه المعجل الوهمي الخالي من سبب موجب والبال على النذالة لتركة وراءه رفاقه في حال الضيق عده له بعضهم فضيلة وقد مكنه الاسطول البريطاني مرة ثانية من النجاة .

حينئذ انبهر من تلك الجرائم التي فتحت في وجهه باب السعادة وانتهى الى باريس من دون أن تكون له غاية مقررته للحكومة الجمهورية التي كانت منذ سنة

من الزمان تستطيع اهلا كه بلغت موقفا من الانحلال أوصلها الى شفير الدمار وكان حضور ذلك الرجل الذي لا ينتمي الى حزب من الاحزاب مدرجة لارتقائه الى مكانة عالية ولم يكن قد رسم له خطة ما بل كان يخاف كل شيء الا أن الاحزاب اعتقدت ان فيه نجاتها ولذلك التمس مساعدته .

فهو وحده بما جال في خاطره من أوهام المجد والعظمة وما ساوره من تلك الاحلام في ايطاليا وفي مصر وما كان فيه من الاعجاب بنفسه والجرأة على ارتكاب الجرائم والاخلاص في الكذب يستطيع أن يحقق تلك الحوادث الموشكة أن تتم .

وكان هو الشخص اللازم للحلول في المركز الذي يتوقعه وقد اشترك بغير ارادته ومع فقدان الخطة الواجب الجري عليها ومع ما هو عليه من الردد . ومع ما أتاه من الهفوات في تدبير مكيدة يراد بها القبض على أزمة السلطة فكان الفوز موالياً له .

فدفعوه الى وسط جلسة عقدها الديركتوار فذعر وصمم على الهرب لتوهمه أنه قد هوي الى وهدة العطب وادعى انحراف الصحة . وفاه بكلمات خالية من المعنى كادت تكون القاضية عليه

ولكن الاشخاص المؤلفة منهم حكومة فرنسا في ذلك العهد بعد ما كانوا قبل ذلك الحين كبار النفوس وراجحي الحصة شعروا في تلك الساعة بأن دورهم انقضى ، وكانوا أشد اضطرابا من نابوليون نفسه ففأهوا بخلاف ما يجب عليهم التفوه به للمحافظة على السلطة وخذل المختلس .

ان الصدفة أو بالحري ملايين من الصدف سافت اليه السلطة وان جميع الناس قد اتفقوا على تثبيت تلك السلطة كأنهم قد تفاوضوا في ذلك الامر وقد أوجدت الصدفة ضعف أخلاق أعضاء الديركتوار الذي حملهم على الخضوع لنابوليون .

ان الصدفة منحت بولس الاول تلك الاخلاق وجعلته يعترف بسلطة نابوليون ان الصدفة كادت له تلك المكيدة التي وطدت صرح سلطته بدلا من نقض دعائمها ان الصدفة اسلمته البرنس دنغين ومكنته من الفتك به بنوع غير منبظر وقدرهن هذا العمل أكثر من سواه للملاطراً على ان لنابوليون الحق باجرائه لان القوة بجانبه

ان الصدفة جعلته يستنفذ الميسور لتأليف حملة يغزوها انكلترا . وهو مشروع يأول الى هلكته . ويتعذر وضعه موضع الاجراء . بيد أنه وقع على غير انتظار على ماك والجيش المتساوي الذي استسلم من غير ما حرب ولا قتال . ان الصدفة والدعاء جعلاه ينتصر في اسرلترز . وقد اعترفت بالصدفة جميع الامم وأوربا بأسرها ما عدا بريطانيا التي لم تشرك في الحوادث الموشكة أن تحدث مع ما كانت جرائم نابوليون تثيره في أفئدتها من النفور والفظاعة بسلمته واللقب الذي انتحله لنفسه وأوهام المجد والعظمة التي وجدها جميع الناس جميلة ومعقولة .

وكانت قوات الغرب المهيمنة للقيام بحركة في المستقبل تعظم وتتوطد أركانها بعد ما كانت قد رمت بأنظارها غير مرة الى الشرق في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٦ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩ .

وفي سنة ١٨١١ اتحدت العصاة التي تألفت في فرنسا مع شعوب الوسط وأنشأت مجموعا هائلا .

وكان مع تعاظم ذلك المجموع تعاظم تبرئة ذلك المترس عليه من تبعة المسؤولية .

وكان أن ذلك الرجل في خلال السنوات الست التي جرى فيها الاستعداد للحركة العظيمة تولى العلاقات بجميع عهال أوربا وملوكها وأقيالها . وأن الامراء الذين فقدوا تيجانهم لم تكن أوهامهم المعقولة مما تقاوم به الاوهام غير المعقولة التي ابتدعها نابوليون لنيل العظمة والمجد وقد بادر الواحد منهم بعد الآخر ليبينوا له أنهم ممن لا يعتد بهم .

وأرسل ملك بروسيا زوجته الملكة الى ذلك الرجل العظيم طمعا بنيل الخطوة لديه واعتبر طاهر النمسا أنه ذلك الرجل يوليه نعمة كبرى بأقربائه بابنته وجعل البابا جارس القداسة في البشر الدين قاعدة لتمثال مجد ذلك الرجل الداهية .

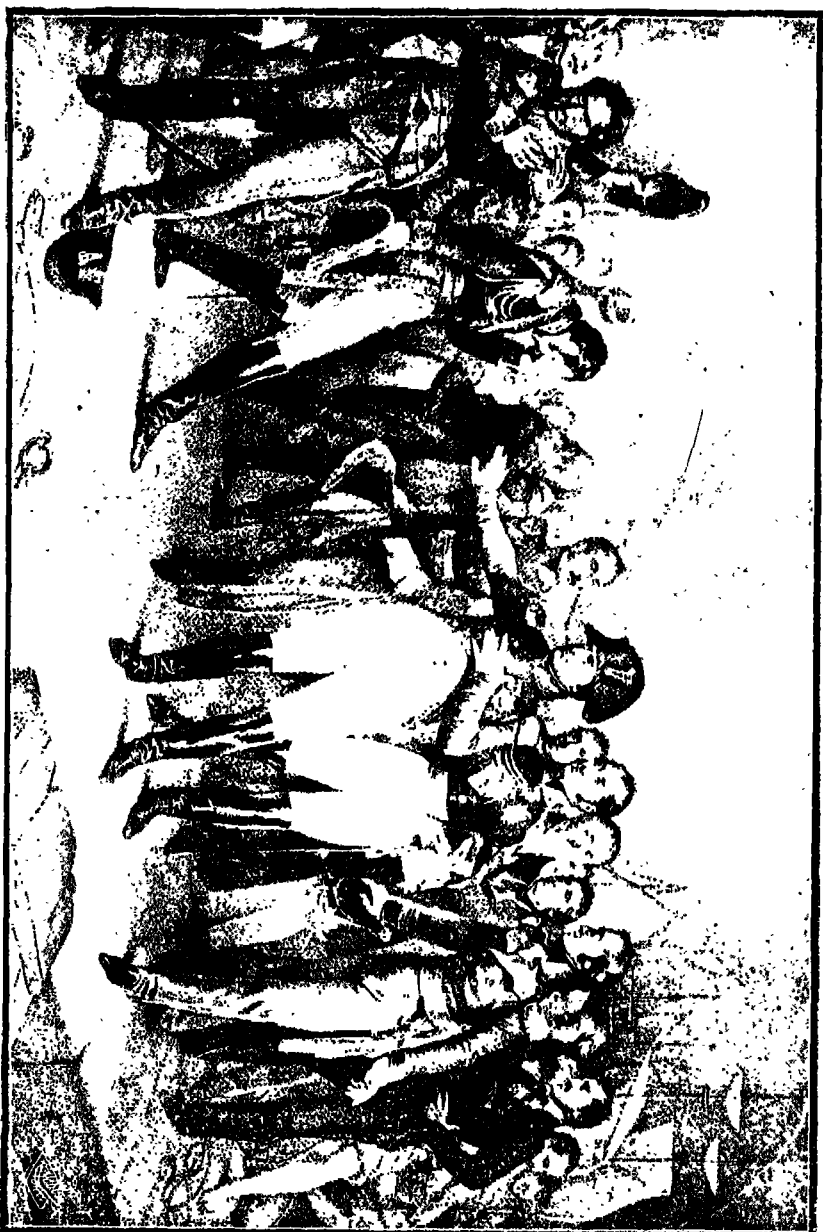
وان كل ماحف بنابوليون أوحى اليه المنهاج الذي جرى عليه في تمثيل دوره وجعله يلقي على طاقه عبء مسؤولية الحوادث الحاضرة والمستقبل بدلا من أن يتهم نفسه لتمثيل الدور المقضي عليه تمثيله .

ولم يأت عملا من الاعمال ولم يقترف جريمة من الجرائم ولم يباشر سرا من الاسرار البسيطة الا وبادر الناس الى التنويه ببسالته .  
ولم يجد الالمان شيئا يروقه افضل من الاحتفال بتذكار معركتي ايانا وارستاد ولم يكن هو وحده عظيما بل كان أجداده وأخوته وأولاد أخوته وأصهاره جميعهم عظماء . وقد آل كل شيء بسهولة الى أن يزيل منه آخر أثر من آثار العقل وبعده لتمثيل دوره الهائل . ولما تم له الامر كانت جميع القوى مستعدة لمناصرته .  
وشرع في غزو المشرق فانتهى الى الغاية الاخيرة وهي موسكو فاستولى على تلك العاصمة وساق الى الجيوش الروسية متالف لم يك قد ساق مثلها الى الجيوش المعادية له من عهد استرلنز الى اليوم الذي وقعت فيه موقعة وغرام .  
وعوضا عن الصدفة والدهاء اللذين جعلاه يتنقل من انتصار الى انتصار جاريا إلى الغاية المنصوبة له تلقى نجاة مجموع صدف معا كسة له من الزكام الذي اصابه في بورودينو الى الشرارة التي أضرمت النار في موسكو والرد القارس في روسيا .  
وبدلا من الدهاء نجد فيه ضعفا وصغارة لم يذكر التاريخ ما يماثلها .

وكانت الغزوة تتقدم ولكن بشكل معا كس وصارت جميع الصدف معادية له بعد ما كانت من أحلافه . وحينئذ شهدنا حركة مخالفة موجهة من الشرق الى الغرب تشابه كل المشابهة الحركة التي سبقها .

وقد أعلنت حركة جديدة بمساعي كثيرة جرت في السنوات ١٨٠٥ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩ فتألفت عصاة كالعصاة الماضية وجعلت تكبر حتى صارت جماهير غفيرة وتألبت شعوب أوروبا الوسطى عند تلك الحركة المعتبرة تكررارا للحركة السابقة لانه لم ينقصها شيء لئماثلها مماثلة تامة من مثل التردد في أثناء الطريق وازدياد السرعة عند الاقتراب من الغاية . وأدركت باريس وهي الغاية الاخيرة لتلك الحركة وكان من وراء ذلك انكسار نابوليون وجيوشه

وان نابوليون ذاته لم يبق شيئا مذكورا وصارت أعماله الاخيرة تستثير الشفقة عليه والنفور منه . ومع ذلك بدت صدفة جديدة تعجز الافهام عن ادراكها فان المتحالفين كانوا يفضون نابوليون ويعتبرونه سببا لجميع مصائبهم . وكان يقضى عليهم في ذلك الحين عند زوال مهابته وتقلص ظل قوته وأنهم الناس اياه باقتراف الجرائم والقدر بان ينظروا اليه بالمقلة عينها التي نظروا اليه



نابليون يستسلم لبريطانيا العظمى



بها قبل ذلك المهد بمشر سنوات وبعده بسنة واحدة أي أن يروا فيه لصا نبذته  
الشريعة الا أن صدفة غريبة لم تجعل الناس يعتبرونه ذلك الاعتبار ولكن لم يكن  
قد اكمل تمثيل دوره بعد فان ذلك الرجل المعتبر لصا نبذته الشريعة أرسل الى  
جزيرة تبعد يومين عن فرنسا وأعطى تلك الجزيرة وعين خدمته خفراء وخصص  
لنفقاته ملايين من الفرنكات لاسباب لا يعلمها الا الله .

وأخذت حركة تلك الشعوب تسكن وهدأت الامواج الزائرة وعقبها في ذلك  
البحر الساكن موجات لطيفة ركب منها سياسيون توهّموا أن الفضل في ذلك  
السكون مرجعه اليهم .

وعاد البحر الى الهيجان فاعتقد أولئك الساسة أن الخلاف الطارئ بينهم  
أصل لذلك الهيجان وباتوا يتوقعون نشوب حرب بين مواليهم وبانت لهم تلك  
الاحوال مأزقا لا يخرج منه . بيد أن الامواج التي شعروا بدنوها منهم لم تأت من  
الجهة التي انتظروا مجيئها منها بل كانت آتية من باريس .

وان ذاك الرجل الذي التي فرنسا في وهددة الخراب عاد اليها وحده من دون أن  
تصحبه الجنود ومن دون أن يكون لديه خطة معروفة يسير عليها وكانت حياته تحت  
رحمة كل خفير يلقاه في طريقه ولكنه بصدفة غريبة لم يمس بأذى . وهرع القوم  
لملاقاته باحتفاء خلافا لما كان منتظرا منهم . وطبقت أصواتهم الفضاء بالتهليل لذلك  
الذي كانوا بالامس يقذفونه باللعنات والذي سيعودون بعد شهر من الزمان الى  
لعمنه . ولم يقع ذلك الا لانهم كانوا لا يزالون محتاجين اليه لاتمام الفصل الاخير .  
انتهى الفصل وتم الدور الاخير وأمر الممثل أن يخلع لباسه وينزع عنه خضابه  
لاستغنائهم عنه .

وهو نفسه أظهر للملاطرا بكل وضوح حقيقة ذلك الشيء الحقير الذي اعتبره  
البشر قوة وقت ما كانت يد الحوادث غير المنظورة تقوده .

وان مدبر الكائنات الحقيقي لما فرغ من تلك الرواية أمر أهم بمثل فيها أن  
ينزع عنه ما كان متنكرا به وأرانا اياه قائلا : « انظروا ذلك الذي آمنتم به واعلموا  
الآن اني انا الذي جعلتكم تسبرون على الطريق الذي سلكتموه وليس هوا »  
الا أن البشر الذين تعمي بصائرهم قوة الانجذاب لبشوا ردحا من الدهر وهم  
لا يدركون الحقيقة .

وإننا لنجد أموراً كثيرة مقدرة في حياة الاسكندر الاول وهو الذي ترأس الحركة المعاكسة أي الحركة التي حدثت من الشرق الى الغرب . فما هي الصفات المزدان بها ذلك الرجل ليتمكن من تصيير ماسواه نسياً منسياً وترأس تلك الحركة ؟

لقد ازدان ولا مرء بعاطفة العدالة وعني عناية حقيقية بشؤون أوروبا ولم يتعلق بأذيال أمور لا طائل تحتها . وقد تحلى بصفات أدبية تفوق صفات الملوك المعاصرين له وأصاب اخلاقاً لطيفة تستميل اليه القلوب وشعر باهانة شخصية نالته من نابوليون .

وكانت جميع هذه الاشياء المميزة متجمعة في الاسكندر الاول وقد حشدتها الصدف الكثيرة أو الصدف المزعومة التي حدثت في ماضي حياته وساعدها كل شيء كتريبته واصلاحاته المبنية على أساس الحرية والمستشارين الذين ضافروه . بصرف النظر عن اسرلنز وتلست وارفرت .

ولاذ هذا الرجل في أثناء الحرب الوطنية بعقوة التحول للاستغناء عنه . ولكنه لما أصبحت الحرب الاوربية مما لا يستغنى عنها برز في المواقف الخطيرة الى الموقف المعدل ليضم متفرق الشعوب الاوربية ويسير بها الى الغاية المعروفة وحينئذ أدركت تلك الغاية . وبعد الحرب الاخيرة التي اشبت في سنة ١٨١٥ كان لدى الاسكندر أعظم قوة يستطيع الانسان الحصول عليها وماذا فعل بتلك القوة الهائلة ؟

ان الاسكندر الاول معيد السلم الى أوروبا والهابة في صدره منذ حوادثه نسجت الرغبة الحقيقية في جر الهناء والراحة الى رعيته والمعتبر في مقدمة الدين أدخلوا الى الديار الروسية الاصلاحات الموسومة بسمة الحرية ذلك العاهل القابض بيديه على عنان سلطة مطلقة كان يستطيع بالحقيقة أن يعمل لخير رعيته ونجاحها . وماذا يبدو لنا الآن ؟ لما كان نابوليون في منفاه يرسم خططاً كاذبة ووهمية ليبين السبيل الذي يمكنه أن يفتحه لسعادة الانسانية لو كانت له السلطة على ذلك كان الاسكندر المحرز تلك السلطة ينهض باعباء مهمته وهو شاعر بيد الله على قلبه ويعلم ان تلك السلطة معدودة من جملة الابطال ولذلك



أعرض عنها تاركا إياها في أيدي أشخاص محترين وهو لا يني عن ترديد هذه الكلمات : « ليس لنا المجد ولكن لك وحدك »  
أنا انسان نظيركم فأتروني أعيش عيشة رجل بسيط لا أتمكن من التفكير بنفسى وبالله .

وكما أن الشمس أو كل ذرة من ذرات الاثير تنشئ كره مستقلة بذاتها وهي لا تؤلف سوى ذرة من ذلك السكائن العظيم الذي يمجز الانسان عن الوصول اليه فان لكل انسان غاية خاصة وفي الوقت عينه يخدم الغاية المشتركة التي يقصر العقل البشري عن الوصول اليها .

تقع النحلة التي تطير عن الزهرة على ولد وتلمسه فيصير الولد يخاف النحل ويتوهم ان غاية النحل في هذا العالم لسع الناس  
يعجب الشاعر بالنحلة التي تمتص من كأس الزهرة ويصير يتوهم أن غاية النحل امتصاص شذى الازهار .

يلاحظ المشتغل بتربية النحل النحلة وهي تجمع اللقاح وعصير النباتات لتغذية اليمسوب وصغار النحل فيتوهم أن غاية النحل بقايا الجنس  
يلاحظ النبائي ان النحلة تنقل اللقاح من احد النباتات الى عضو التأنيث في زهرة اخرى لتلقيحها فيتوهم ان غاية النحل التلقيح  
يلاحظ نباتي آخر أن النحلة تساعد على نقل النباتات من مكان الى مكان آخر فيتوهم ان غاية النحلة نقل مثل تلك النباتات .

ولكن الغاية الاخيرة للنحلة ليست في الغايات الاولى والثانية والثالثة التي مر بيانها والتي يستطيع عقل الانسان اكتشافها .

وكما أكرر المرء من البحث عن حقيقة تلك الغاية الاخيرة تجبى له ان عقله يرتد كليلاً عن الوصول اليها . ولا يمكنه الا أن يلاحظ العلاقة المشتركة بين حياة النحلة والحوادث الطبيعية الأخرى ، فهو يبقى محصوراً في الدائرة الضيقة عينها للبحث عن غايات الحوادث والأشخاص المذكورين في التاريخ فيظل عاجزاً عن البلوغ الى الغاية الاخيرة .

## نابوليون الثاني

أو

ملك رومية

في اليوم العشرين من شهر مارس سنة ١٨١١ اكتظت أسواق باريس منذ الفجر بجمهور غفير من الناس كان يهرول ميمما قصر التويلري لملعه بدنو ميماد تمخض العاهلة قرينة العاهل نابوليون الأول . وكانت نواقيش كنيسة نوتردام وجميع كنائس العاصمة تفرع فرعا متواصلا اظهارا لابتهاج الباريسيين بقرب ولادة وارث أو وارثة لعرش عاهلهم الكبير . وعند الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين من صباح ذلك اليوم سمع قصف مدفع الانفاليد فكان له في القلوب وقع لم يشمر مثله القوم في تلك المدينة عند سماعهم صوت ذلك المدفع مع تودم سماعه غير مرة وكان عدد طلقاته ثلاثا وعشرين طلقة وهو دليل على أن المولود ذكر ينتظر منه أن يكون وارثا لمجد ضخم وولي عهد ممالك كثيرة . فعلت أصوات التسكبير والتهليل وتعاقت الجماهير وترنمت باناشيد الفرح وذرفت الدموع من فرط الاغتباط وعلت العاصمة بخمرة الجذل .

ولم يرتب أحد في أن فرنسا طرأ ستبتهج في نوبتها بتلك البشرية السارة لانه ولد لنا نابوليون العظيم ولد ذكر أطلق عليه اسم « ملك رومية »

ولما شاهد الغلام النور خافوا عليه كثيرا لانه لبث بضع دقائق جامدا لا يأتي أدنى حركة كأنه ميت ولكنه ماعثم ان صار يزعق زعقات متوالية وأخذ يتحرك شيئا فشيئا . وقال واحد من الذين طينوه في تلك الساعة أنت احمرار وجهه الشديد كان يدل على الجهد الذي طناه في دخوله العالم وأن بكاءه افعم الفؤاد بهجة لدلالته دلالة واضحة على القوة والحياة . وبينما اصوات الفرح تصعد من ساحة الكاروسل مطبقة القضاء تناول نابوليون غلامه بين يديه وحقق بباصريته في

وجهه ولم يقو على حبس عبراته من الانحدار على خديه .  
وتقضي التقاليد في فرنسا أن تتم ولادة أولياء العهد على مرأى من الشهود  
ولذلك كان في غرفة الامبراطورة ماري لويز ثلاثة وعشرون شخصاً ونظم صك  
الولادة رينيو دي سان جان دمحلي وزير الحكومة الامبراطورية ووقعه الدوق  
دي ورتسبورغ شقيق عاهل النمسا والبرنس أوجين بصفة شاهدين . ووقعه  
أيضاً نابوليون والملكة جوليا والملكة هراتنس وبولين وكباساريس وغيرهم  
من الامراء والاميرات . وعند الساعة الحادية عشرة قدمت أسبحة الشكر لله في  
قصر التويلري . وفي أثناء تلك التسبحة الاحتفالية أطلقت المدافع وقرعت  
النواقيش بلا انقطاع . وزينت الاسواق والشوارع بالاعلام والبنود وانطلقت  
عقيلة بالانشار الطيارة المشهورة بالمنطاد من المدرسة الحربية لتذيع تلك البشري  
المبهجة في جميع الانحاء الفرنسية ولكن هبت ريح شديدة اضطرتها الى الوقوف  
عند مو . وأنفذت الوفود الى الحكومات الاجنبية والمدن الكبيرة في  
الامبراطورية الفرنسية كرومية وأمستردام وهامبورغ وتريسته لان جميع هذه  
المدن كانت في ذلك العهد معدودة من جملة ممتلكات فرنسا . وفي الساعة التاسعة  
مساء من اليوم عينه رشم الطفل في معبد التويلري السكردينال فش خال  
نابوليون والسكردينال البرنس دي روهان المرشد الروحي الاكبر بحضور جمع  
غفير من السفراء والمشيرين والاساقفة وأصحاب المقامات العالية ولم تسرف صحف  
تلك البلاد في وصف مثل تلك الحفلات ولم تتعود الزلف والتملق . وعلاوة على  
ذلك لم ينفصح المجال في الجرائد لنشر مثل تلك التفاصيل وأذاعت صحيفة الديبا  
في الايام التالية النشرات الصحية الالية بتوقيع كرفيزار وبوردوي وآفني :  
« التقم جلالة ملك رومية بلهفة وغير مرة ندي مرضعه وقد زالت آلام  
المنص التي شعر بها جلالة ملك رومية في أثناء هزيع من الليل . وقضى جلالة  
ملك رومية نهراً جميلاً وجميع أعضاء جسمه تنهض باعباء وظائقها حق النهوض . »  
ولم يصدر الاطباء من اليوم الخامس والعشرين من شهر مارس نشرات صحية  
عن ملك رومية . وفي ٢٨ من الشهر عينه استطاعت ماري لويز النهوض من سريرها .  
وضرب اليوم الثاني من شهر ابريل موعداً لتنصير الطفل ولكنهم أرجأوه

الى اليوم التاسع منه وهو عيد الثالوث الاقدس . وقد تمت حفلة العهاد في الساعة الخامسة بعد الظهر . وكان ذلك النهار بهجاً جداً . وانتشرت الجماهير الغفيرة وراء ثلاثة صفوف من الجنود من ساحة الكنكرد الى كنيسة نوتردام . وحكت تلك الحفلة حفلة التتويج . ولما تقدم كبير المنادين الى الوسط وصاح بصوته الجمهوري ثلاث مرات : « فليحيى ملك رومية ! » ردد الحضور ذلك الهتاف وبلغ الصباح معظمه حين تناول نابوليون ولي عهده ورفع به ذراعيه فوق رأسه وأراه للجميع .

وقرر نابوليون منذ شهر فبراير سنة ١٨١٠ — وكان ذلك قبل زواجه الثاني — أن يطلق على ولي عهده اسم ملك رومية وقال نابوليون في ١٦ يونيو سنة ١٨١١ لمجلس شوري حكومته : « إن ولادة ملك رومية جعلتني أدرك وطري وضمنت مستقبل شعبي . » وبعد ما نشرت صحيفة الديبا هذه الملاحظة وهي انه من أيام شارل السابع لم يولد ملك من ملوك فرنسا في عاصمة المملكة قالت : يجدر بنا أن ننعم النظر في تلك القوة الضخمة المستقبلية وذلك المجد الباذخ الآتي المعلق بهما على يد ملك رومية حظ شعوب كثيرة وحينئذ يمكننا أن نبين السبب الذي من أجله أبدى الناس في هذه الديار ما أبدوه من الابتهاج والفرح .

وهل يقوى أصحاب الوسواس والشكوك على نبذ الثقة بالمستقبل في مثل تلك الاحوال ؟ فليس ثمة حظوظ الحروب والانتصارات والغنائم والفتوح فان نابوليون في الحال التي صار اليها بعد ولادة ولي عهده بلغ درجة من العظمة لم يخطر له قط البلوغ اليها . فلم يبق في نظر الناس ذلك الجندي باهر أبصار الفرنسيين يروق انتصاراته المتوالية ومذلل الدول الاوربية لدى سلطانه السامي الذرى بل موطن دمايم حظه الميمون الواقعة عنده الاحلام حائرة ومحقق المقاصد المبنية على أسس الجرأة والاقدام . وقد صارت له منزلة بين الملوك وأسرى . أو ليس هو القائل انه لا تنقضي عشر سنوات على عثرته حتى يصير الناس يعدونها من جملة العنبر العريقة في الشرف . وكأنه جرى في نفسه انه لا يكتفيه ما أصابه من الدهاء والمجد والحول والطول وما سنه من الشرائع والقوانين وما أخضعه من الشعوب والقبائل وما اعتدى به على الكنيسة حتى انه استمال اليه الحق سبحانه وتعالى أو ظهر عليه وجعله يبارك اقترانه بأبنة القياصرة وان الله

وقد خلع نابوليون نائبه على الارض وألقاه في السجن واغتصب منه مدينة رومية  
عاصمته أظهر أنه راض عن انتصاراته وثبت أركان أعماله ووقى نابوليون  
والامبراطورية من تغير الدهر عليه وخيانة الحظ له بمنحه إياه ولداً ووارثاً  
وخليفة . ولكن ساء ما توهم ذلك العاهل وتوهم أنصاره ومريدوه فان المستقبل  
ليس له ولكن لله المبدي المعيد . . .

ولو مرت جميع هذه الامور في الحلم في خاطر ذلك الكورسيكي الملازم في  
المدفعية لا عثرى تخيلته شيء من المس .

وكانت ماري لويز شديدة المحبة لابنها والتعلق به واليكم خلاصة ما كتبتنه في  
أثناء السنوات ١٨١١ و ١٨١٢ و ١٨١٣ عن ثمرة أحشائها : « ان ابني مع صغير  
سنه عجيب بين اترابه فهو يضحك مقهقه وهو شديد الشبه بالامبراطور أبيه  
واعل النفس بانه سيكون في مستطرف الحين نظير والده مجلبة للسعادة لجميع  
الذين يعرفونه ... ان ابني قوي البنية جميل الصورة وهو ينمو ويكبر في كل  
دقيقة ويزداد لطفاً واطنفي ممعته يلفظ كلمة بابا ... »

وأحبت ماري لويز ابنتها كما أحبت زوجها حتى جاء حين انكرت فيه  
الواحد منها واحملت العناية بالآخر . ولم تدر كيف تلاطف نجلها أو تحمله على  
ذراعيها أو غازحه ليضحك . وجميع المقربين من الاسرة الامبراطورية شهدوا  
بما كان نابوليون يفشيه من اسرار المحبة الوالدية المقرونة بالبهجة والعجب  
والحرص . وان الذين لا يعرفون حقيقة طبيعة العاهل يقضون العجب من سماعهم  
مثل هذا الكلام المروي عن رقة عواطفه فان الدقائق القليلة التي كان يخلسها  
من مخالب الاعمال المستغرقة معظم وقته كان يقضيها في معايشة امرأته وابنه  
على مثال الآباء الخنونين والازواج البارين . وقد قالت ماري لويز ان  
الامبراطور كان شديد العناية بابنه فانه كان يحمله على ذراعيه ويلاعبه  
ويداعبه ويريد أن يطعمه وينقله على ركبتيه من الواحدة الى الاخرى ويلاعبه  
باللعبة المعروفة « بالغميضة » ويغمس احدى أصابع الطفل بالمرق ويدهن خديه  
بالمرى . أجل أنه لم يكن خفيف الحركة في معالجة هذه الامور ولكنه كان  
يفعلها ببساطة وحنان أبوي بحيث لا ينفر منها الطفل بل يسرها ضاحكاً ومصفقاً  
بيديه وماداً ذراعيه الى عيني والده ، ولم يكن شيء من الاشياء ممنوعاً عن ملك

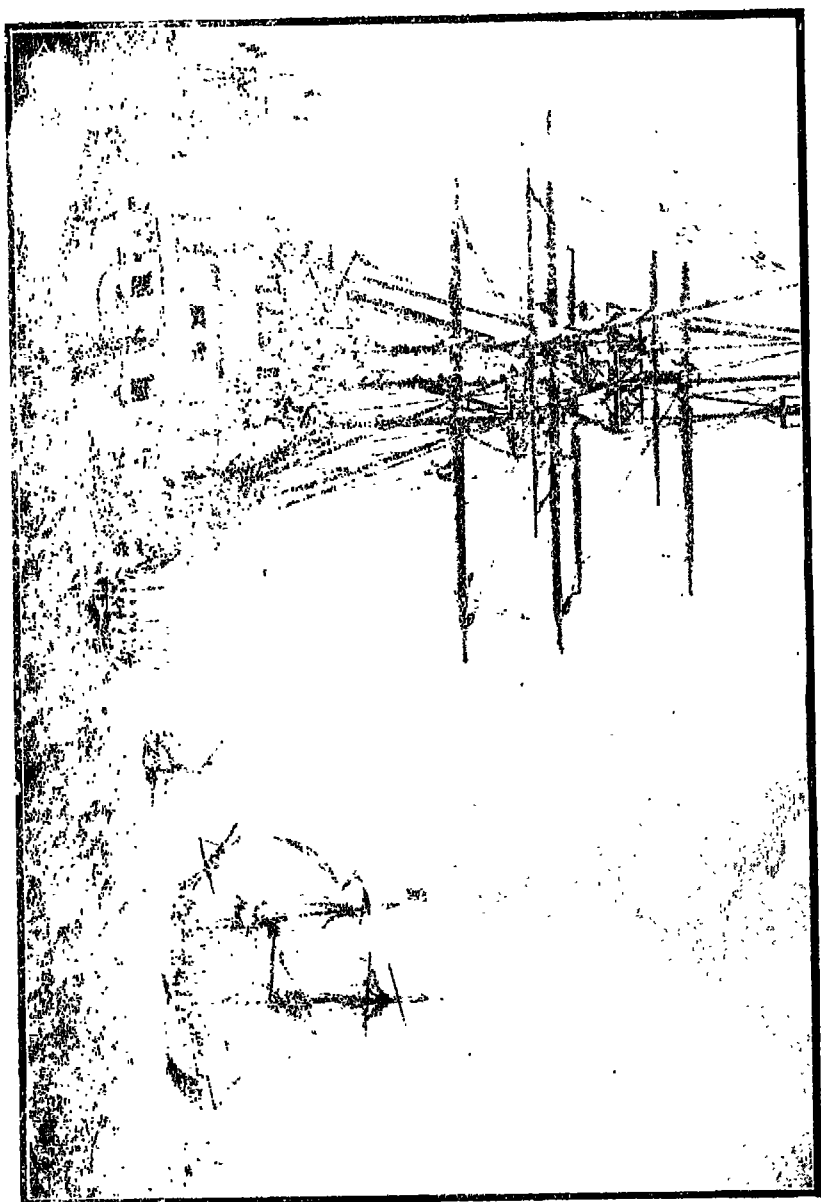
رومية فسان يدخل كل مكان في القصر غير مستثنى غرفة الامبراطور الخاصة فيفتح بكل جرأة ذلك الباب الذي يقف الملوك أمامه منتظرين اذن الامبراطور بالدخول عليه ويقلب الاوراق والقطع الخشبية التي يستعملها نابوليون لتنظيم الخطط الحربية ويجلس على المصورات . فيسر نابوليون سرورا عظيما عند رؤيته الغلام يفعل تلك الاشياء .

ولكن لسوء الحظ لم يكن نابوليون يقضي جميع اوقاته أو معظمها في قصره لان السنوات التي تلت ولادة ولي عهده كانت من أشد الازمنة عليه . وكان الغلام في أثناء تغيب والده يتم باسرار المحبة العميقة لعقيلة دي منتسكيو وحاضنته التي كانت تقابله بالمثل :

وكتب منيفال عنه في أواخر سنة ١٨١٣ ما يأتي : انه كان غلاما جميلا للغاية تبدو عليه علام الصحة والقوة . وكان ادراكه ينمو نماء غريبا وكان رأسه مستديرا وشعره أشقر متجمدا وعينه شديدة الزرقة . وقد ورث من والدته لونها وفمها وشفتها السفلى المخصوصة باسرة هبسبورغ ولكن جبينه وذقنه كانا مماثلين لجين والده وذقنه . وكان ميالا الى الابتهاج والهذر والتأطف والرقة ولكنه كان في الحين عينه سريع الغضب . ومما يروى عنه انه كان في ذات يوم يتقلب على حضيض الغرفة ويكي بصوت عال فبادرت عقيلة دي منتسكيو واقلت النوافذ فلما حال صمت الغلام وسألها عن سبب اغلاقها النوافذ . فأجابته أظن ان الفرنسيين يرضون بان يكون مليكهم نظيرك مربع الغضب ؟ ... فقال لها . أظن انهم معمولوني ؟ ان هذا الامر ليؤلمني كثيرا فاصفحي عني يا ماما كيو ( الاسم الذي كان يناديها به ) وتأ كدي اني لن أعود ابدا الى مثل هذا الامر .

وكان جسيم الباريسي يسمون به عند رؤيتهم اياه يرح لاعبا في حديقة التويلري ولكنه كان يؤثر على تلك الحديقة حديقة سان كلود . وأهدته ملكة نابولي عربة صغيرة تجرها الغنم فكان هو يجرها بذاته ويفضل على كل ذلك ما يختص بالجندية كعرض العساكر واقامة الخفراء في مراكزهم واتشاحهم بالبزات الرسمية ويميل ميلا غريزيا الى الجنود ويفتخر بثوبه الصغير المفصل على مثال ثياب الحراس ويرد برصانة التحية الجندية ، وفي ٢٣ يناير سنة ١٨١٤ لما عزم العاهل نابوليون على تولي قيادة ما بقي لديه من الجنود لاضرام نيران المعركة الكبرى

رکوب با یونانیان سفینه بر وجه







جمع في قصر التويلري بحضرة ماري لويز وملك رومية ضباط الحرس الوطني وقال لهم :

« اذا دنا العدو من العاصمة فاني اكل الى بسالة الحرس الوطني الامبراطورة وملك رومية ... زوجتي وابني ... »

وبعد يومين ودعها وعانقها للمرة الاخيرة .

وفي أثناء شهرين من الزمان اتى نابوليون اصحالا عجيبة من البسالة والدهاء صيرت معركة فرنسا أعظم معركة فانتصر عشر مرات على الروس والنمساويين والبروسيين على التعاقب ولكن لم يكن من سبيل الى الوقوف في وجه قوات تتجدد بلا انقطاع ولا يحصى لها عدد . وفي أواخر شهر مارس زحف المتحالفون الى مدينة باريس وفي الغد بلغ عددهم نحواً من مائة وخمسين ألفاً ولم يكن لدى مرمون ومرتيه ومنسي الذين جمعوا شمل قواتهم المتبعدة سوى خمسة وعشرين ألفاً من المقاتلة . وجمع يوسف بوناپرت مجاس الوكالة وكأن الامل بالنجاة من تلك الورطة أصبح مفقوداً ولم يعرف أحد مقر الامبراطور ولا العمل الذي يعمل . وارتأت الاكثرية انه من المقضي على الامبراطورة وملك رومية الايرحا العاصمة أبداً وقرأ يوسف كتاباً انفذه اليه نابوليون في ٦ مارس يقول فيه : « اذاحف العدو الى باريس بقوات لا تستطاع مقاومتها فسير الى جهة اللوار الامبراطورة وابني . ولا تفارق ابني بل تذكر اني اؤثر ان أراه في نهر السين على رؤيتي اياه في ايدي اعداء فرنسا لان حظ استياناك الذي أسره الاغريقيون بان لي انكس من حظ سواء كما يروي التاريخ ... »

وسطر نابوليون في ٨ فبراير كتاباً آخر مآله : « افضل نحر ابني على رؤيتي اياه يتربى في فيينا كأمر نمساوي ولي حسن ظن بالامبراطورة فهي من رأيي .. » وقد اتخذ نابوليون من هذه الجهة الا ان هذا الفكر أكثر من الاختلاف الى تخيلته فلم يشأ قط أن يصير ابنه رهينة ومع ذلك افضت التدابير التي لجأوا اليها الى طاقبة وخيمة لانه لو لم تغادر ماري لويز مدينة باريس في صباح اليوم التاسع والعشرين من شهر مارس ولو لم يفصل عنها يوسف بعد ظهر ذلك اليوم لما وقع مرمون صك التسليم ليل ٣٠ الى ٣١ منه ولما كان نابوليون المسرع في

الزحف الى العاصمة انتهى اليها في الحين الملائم لان المسألة لم تكن تقتضي سوى بضع ساعات . . .

ولم يكن من سبيل الى الجدل في أوامر الامبراطور فالامبراطورة برحت القصر مع سليلها صباح ٢٩ مارس وكان انطلاقها شبيهاً بالفرار فخذ تباعج الفجر تلبدت الغيوم في الافق وقرس البرد وكانوا قد هياؤا في عرصة قصر التويلري عجالات النقل ومركبات الركوب . وسرت حركة الناس والخييل كثيرا ملك رومية الواقف وراء نافذة من نوافذ رواق المرشالية . وعند الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين لما انتهى كل شيء وأرادوا أخذه جمل يبيكي وبصيح ويقاوم مقاومة اليأس قائلاً : لا تذهبوا بنا الى قصر رمبويه فانه ليس قصرا جميلا بل ابقوا هنا . . . فاننا لا أريد أن اترك بيتي أو ان أهجره . . . ففي غياب ابني أنا صاحب الامر والنهي

وعالج التخلص من بين ايديهم متعلقا بالاثاث وبما تصل اليه يده كالمستأثر والباب ودرازين الدرج . ولم تستطع عقيلة منتسكيو ولا عقيلة سوفلو ( نائبة الحاضنة ) ان تسكنا روعه فاضطر أحد الحجاب الى حمله بين ذراعيه لايصاله الى مركبة والدته . ولم يتمكنوا من تهدئة خاطره الا بوعدهم اياه بالرجوع به الى قصر التويلري بعد مدة قصيرة . أجل أنه يسهل التسكيم الان عما جال في الخاطر من التسكن في ذلك الحين . وقد أبدى بوجهه الملاحظة الآتية وهي ان غريزة ذلك الامير الحدث تكلمت بلهجة تخالف لهجة مستشاري الامبراطورية . وكان الموكب المؤلف من المركبات العشرين المرسوم عليها الشعار الامبراطوري وهي مركبات التتويج يجري كانه قافلة مهاجرين أو منفين بين أصوات الجماهير المزدحمة كالبنيان المرصوص . ويصح أن يطلق على ذلك الموكب موكب مناحة الامبراطورية ووقع نابوليون صك التنازل عن عرش الامبراطورية في ٦ ابريل وبرز فنتنبلو في ٢٠ منه . وملا أن زوجته وابنه يوافيانه الى جزيرة البا في أقصر ما يمكن من الوقت بموجب عهد الملوك الرسمي وسافرت ماري لويز في نوبتها الى فينا في ٢٣ منه وكانت المناظر الجديدة التي تقع عليها عينها الغلام تهجه وتسخر خاطره ولكنه كان يقول من حين الى آخر لماذا لم يتركوني اطاق والدي مودعا اياه .

ولم تسكد ماري لويز تعبر الحدود الفرنسية حتى عادت الى حمل لقبها الاصلي أي ارشيدوقة نمساوية . واجتمعت في شبرن باعضاء أسرته الكثيري العدد

كأصنامها وأخوالها وشقيقتها وأبناء أعمامها وأخوالها وبناتهم وكانوا جميعهم يعتبرونها ابنة من بنات النبلاء حملتها الحماقة على عقد ذلك القران الذي لم يلبث أن أفضى بها الى الافراق عن زوجها . ولم يخطر لها قط أن تشخص الى جزيرة الباء . ولم تجاوب على جميع الرسائل التي انتهت اليها من تلك الجزيرة ولم يكن يهمها سوى أمرين : الذهاب الى حمامات اكس للعناية بصحتها الثمينة والحصول من المؤمر الموشك ان ينعقد على اماره أو دوقية أو قطعة أخرى من الارض . ومن اول يناير سنة ١٨١٥ انقطعت عن الكتابة الى نابوليون ومجاوبته على رسائله . وقد تولاه التبرم والذعر حين وافقها الانباء عن عودة زوجها الى فرنسا ونزوله الى البر في كان وناجت نفسها قائلة كيف السبيل الى التخلص من ذلك الرجل الجريء وأعلنت انها بريئة من كل ما يفعله زوجها وانها مستظلة بكنف حماية الدول . فكافأها المؤمر الدولي على تلك المواطف النبيلة بمنحه اياها دوقيات بارم وبلازانس وغواستالا من دون ان يكون لابنها ادنى حق بوراتها .

وعاد نابوليون الى باريس ولكنه قبل ان يدخلها كتب عدة رسائل الى ماري لويز وكان من جملة ما كتبه لها : « يالويز الحبيبة لا بعوزني شيء سواك وسوى ابني . . . تعالي الي انت وابني . وانا آمل ان اعانقكما قبل نهاية الشهر . . . اني على حبل انتظارك انت وابني لغاية شهر ابريل »

ووصل الى ماري لويز كتب كثيرة بهذا المعنى من نابوليون ولكنها لم تجاوبه عليها . ولما استأذن منها منيفال بالانصراف في مفتتح شهر مايو وسألها هل عندها شيء تكافه بإبصاله الى الامبراطور تأملت قليلا وقالت له : اتنى له كل ما يمكنني ان آتمناه له من الخير . وكان نابوليون يغالب القنوط وكان مع ما لديه من الهواجس وشئ المهام يقضي ساعات طويلة بعد الظهر بصحبة منيفال ملقياً عليه كثيراً من الاسئلة الثقافة .

ولقيت ماري لويز في واترلو وجزيرة القديسة هيلانة تعزية لها ماوراءها من تعزية . وارادت ان تطلب الطلاق والتحرر من قيد الزوجية ولكنها لم تجسر على اتيان ذلك الامر . فهيأت جميع المعدات للحالة التي تخيرتها . وما ابطأت ان تعودتها وصارت تبتهج بها . وكانت تقضي معظم وقتها في بارم عائشة كماهلة في الدلال والعظمة بحيث صارت في مدة قصيرة على جانب عظيم من السمن . وكانت

تذهب كل ليلة الى الملعب لتشهد التمثيل وقالت انها في حال من السعادة لا تحسد عليها احدا من الناس . ومع ذلك كانت من حين الى آخر تكتب : « ان قلبي يقطر دماً حين افكر ان عيني لم تكتحل من سنة من الزمان برؤية ولدي . . . ولا يمكنكم ان تدركوا مقدار ما اشعر به من التنفص وقت ما افكر باي لالقي لي بدا من ارجاء الحين الذي اتمكن فيه من معانفته . . . » وقد ثبت فيما بعد ان جميع هذا الكلام كان صادراً عن معدن الرياء لان نيبوغ استأثر بما في فؤادها من العطف والحب . ووزعت ما بقي فيه من ثالة العطف والحب على طاهيها ومرغبت خادمتها .

والتي نابوليون على صخور جزيرة القديسة هيلانة الصماء فتحقق هذه المرة انه قد قضى الامر ولم يلق مندوحة عن الاذعان ولم يفكر قط في امر الفرار من منفاه ولو مهدوا في وجهه السبيل لنيل تلك الامنية لانه لم يشأ ان يلتبس شيئاً من جلاديه . وقد طلب امراً واحداً وهو الحصول على اخبار زوجته وولده فابوا إجابة طلبه . ولا يخفى ان هـدسن لو ذلك الانكليزي الجليودي القواد لم يكتف بان يرضن على نابوليون بالهواء والتنزه وان يقدم له بالكيل واوزن الماء والابن والملح والحطب ويرصد حركاته وسكناته من خصاص الابواب والنوافذ واثقاب الاقفال وان يهزأ بما يقاسيه من العذابات الفادحة والآلام المبرحة بل تدخل في امر الطبيب الذي يعالجه والادوية التي يصفها له ولم يشأ ان يصدق انه مريض الا بعد تقطع انقاسه المعدودة . ولم يقف هـدسن لو عند ذلك الحد بل تطرق الى تعذيبه بمعاكسة عواطفه الشخصية : فحدث ان جاء الى جزيرة القديسة هيلانة بستاني من الألى كانوا يعملون في حديقة البلاط النمساوي يقال له ولس ويمكن بواسطة مرشان من اعطاء نابوليون بعض شعرات من شعر ابنه . فلما درى هـدسن لو بما كان من امر ولس بادر الى إخراجه من الجزيرة . وحدث مرة اخرى ان طاهياً جاء نابوليون بشمال نصفي لولده الامير صنعه نحات في ليفورن فتحدمت مواقد الغضب في صدر هـدسن لو وكاد يتميز من الغيظ واراد الذهاب بنفسه لينزع بالقوة ذلك التمثال من يدي نابوليون ويحطمه تحطماً وحدث حوادث كثيرة غير هاتين الحادثتين مما يدل على ما انطبع عليه ذلك السجان من قسوة القلب وفضالة الاخلاق . ولم يستطع نابوليون ان يشاهد تلك الاعمال الفظيعة

من دون ان يتذمر ويغضب ويكل الحكم عليها للتاريخ والمستقبل فيقول : « انهم  
نزعوا مني ابني على مثال اولئك الذين كانوا يسبون اولاد المغلوبين ليزينوا بهم  
مركبات الظافر . . . ولعمر الحق انه لا يمكن ان يتصور ان مثل هذه الامور  
الفظيعة تجري في هذا العصر »

واليكم ماخاطب به العاهل نابوليون الدكتور اميرا الذي طرده ههنا لو  
من الجزيرة لانه كان يبدي لنابوليون احتراماً مقروناً بالشفقة : « وان انت  
ابصرت ابني فقبله عني وقل له ألا ينسى ابدا انه ولد اميراً فرنسوا »  
وأني يستطيع ملك رومية ان يظل اميراً بعد ماسرق من ابيه وأهملته  
والدته وأخرج من بلاده وسلم الى الاجبي ؟ فكان شعب فرنسا يسميه بونا بورت  
الصغير ويعتبره وحشاً غريب الشكل واسرته تنظر اليه بالعين نفسها الي تنظر  
بها الى شخص ثقيل الروح ودخيل وابن زنا والوزيران مترنيخ وتاليران  
يعتبرانه خطراً على السلم وحاجزاً في وجه الراحة . فاذاً يجب والحالة هذه أن  
يصنعوا به ؟ فبعضهم ارتأى ان يدخلوه في سلك الاكبروس وغيره ذهب غير  
هذا المذهب . اما تاليران فإنه لم يهتم سوى تخليص لويس الثامن عشر منه بأي وجه  
كان . واعتبر مترنيخ ذلك الغلام رهينة ووسيلة وآلة بيده تبقي البوربون في فرنسا  
يتهيون دولة النمسا ويحترمونها وتجعل فرنسا تحت وصايتها بتحريك عصا الثورة  
والحرب . أجل ان ذلك الامير الحدث لم يكن بمجد ذاته شيئاً مذكوراً ولكنه  
كان وارثاً لاسم عظيم ولذلك صممت النمسا على حفظه في حيازتها والاستفادة  
منه عند الحاجة . وكان ذلك الحدث حاد الطباع وقد دار في ذهنه ذكر مجد أبيه  
وهبت في صدره العواطف الرقيقة وثار فيه الغضب . فهل يجب أن يسحق  
سحقاً ؟ .. لا ولكن يلزم ان يذل ويجب أن ينسخ من عقله شيئاً فشيئاً كل  
ما هو مرسوم فيه من المبادئ النبيلة . وسنة ١٨١٥ كان ملك رومية لا يزال  
عائشاً في شنبرن مع الفرنسيين كبوصه مدير قصر نابوليون السابق ومنيفال  
كاتب سره الخاص وعقيلة منتسكيو وعقيلة سوفلو وابنتها فاني وعقيلة مرشان  
وغيرهم . وقبل ما ادرك الرابعة من عمره صار يحسن القراءة ويعرف بعض المبادئ  
التاريخية والجغرافية . وكان مرشد الوكالة الفرنسية يخاطبه باللغة الايطالية  
وأحد الخدام يعالج تعليمه اللغة الالمانية ولكنه كان ينفر من تلك اللغة وبلقي

مشقة كبرى في تعلمها بالنظر لصعوبة التلغظ بها . وكان ملك رومية غلاما جميل الصورة أشقر الشعر متجمدة ازرق العينين حادها وحلوها متناسب ملامح الوجه وقد أحبه الجميع لما لقوه فيه من اللطف واللين وسرعة الخاطر في الجواب . وكانت لهجته مماثلة للهجة غلمان باريس . ويبين انه اكبر وأقوى من اترابه وذو صفات حميدة مشكورة تبشر بمستقبل حسن . ولم تكن ذكرى فرسان تيرح ذهنه . وحينما كان يسمعهم يتحدثون عن وطنه العزيز كان يشعر بميل شديد اليه . إلا أن التربية والمعيشة الفرنسييتين لم يطل امرها : ففي ٢٠ مارس سنة ١٨١٥ اختار مترنيخ اليوم الذي صار فيه للغلام اربع سنوات من العمر والذي عاد فيه والده الى فرنسا ودخل قصر التويلري وأبعد عنه خفاة حاضنته عقيلة دي منتسكيو فبكاه الامير وطلب ارجاعها اليه ولكن ندائه لم يلق اذنا سمعية . فاستبدلها بعقيلة متروسكي ومنحت هذه فيما بعد لقب كنتة سكارامبي . وبعد قليل من الحين طلب منيفال الرجوع الى فرنسا لانه لم يكن يطبق احتمال الحال التي صار اليها . وفي ٦ مايو ودع الامير الصغير ليعود الى فرنسا فألفاه متغيرا تغيرا بينا ولقي السويداء منتشرة على بحياه وأنس منه نقورا من حاشيته وخوفا من اتباعه فلم يرجع لاستقبال صديقه القديم . وحين سأله هذا هل يعهد اليه في ابلاغ والده شيئا من الاشياء أطرق برأسه الى الارض ورجع الى الوراء بكل هدوء حتى وقف أمام احدى النوافذ . وحين شاهد ذلك الغلام ان منيفال تأثر من رآه تأثرا أجرى الدموع من عينيه وقت ما انحنى ليقبله وبودعه جذبه اليه بلطف وهمس في اذنه قائلا له : يامسيوميغا قل له اني لا أزال أحبه حبا شديدا .

وبقي بعض الفرنسيين في حاشية الامير الحدث فعمدوا الى ابعادهم وفي شهر سبتمبر صرفت ماري لويز بوصه وغيره من الفرنسيين المتقيدين في خدمتها وفي شهر اكتوبر صرفت عقيلة سوفلو وابنتها فاني التي علمت ملك رومية الحروف الهجائية وكانت تلاعبه . وفي شهر مارس سنة ١٨١٦ صرفت عقيلة مرشان والدة خادم نابوليون الخاص وكانت هذه ترقد الى جانب الغلام منذ ولادته وتوقظه وتغير ملابسه الخ . فاصبح وحيدا وهو لا يتجاوز الخامسة من عمره . وما قاله غنتر صديق مترنيخ ان ملك رومية قضى عليه بان يعيش في وسط

بسيط يجز الخبال الى عقله لا غبار عليه من الصحة لان التهذيب الذي تلقاه وان يكن ضيق الدائرة هو التهذيب نفسه الذي يتلقاه الارشيدوقون المساويون .  
ولا ينبغي لنا أن نذهل عن أن مهذبيه قد أحسن انتقاء أكثرهم فديانيرحسبن مربيه رجل حسن الدخيلة طيب القلب مخلص الخدمة وقائد المائة فورستي معاونه جندي عالي الهمة واسم المعرفة شديد الشفقة على تلميذه والاحترام له وقد جعل ذلك الغلام شديد التعلق به بما باح له بأسرار المودة الصافية والسكرات منى كولبن الفرنسي الاصل الممين لتعليمه لم يلبث الاميران خطب مودته فصار يلعب معه في حديقة قصر شنبيرن ممثلا رواية روبنصن كروزي . ومع ما كان اولئك الاشخاص المقيدون بخدمته يبدون له من علام الحب والاخلاص لم يبتهج كل الانهاج بمعاشرتهم لا عتباره اياهم غرباء . وكان كثير التحفظ معهم غير ناس انه في المنفى وتمكن من التسلط على ذاته . وفي مساء اليوم الذي اضطرت فيه عقيلة مرشان الى مغادرته بلا وداع قال قائد المائة فورستي خالفها في السهر عند سريره : خشيت من انه عند استيقاظه تستولي عليه الاحزان التي تستولي عادة على اثرابه الاحداث حين لا ينظر الى جانب سريره المرأة التي تعود أن يراها الى جانبه في كل صباح ولكنه لما أفاق من نومه خاطبني بلا تردد قائلا لي بسكينة تستعظم عند من كان في سنه : يامسيو دي فورستي أريد النهوض من السرير .

وكانوا يلبسونه ثيابا بيضاء وقد رضي بعد مقاومة عنيفة ان يعلقوا في عنقه نشان القديس اسطفان الكبير بدلا من نشان جوقة الشرف ولم ير مندوحة عن الرضى بان ينادوه باسم قراز وهو اسم يكره حمله . واذا دفعته الحدة الى التفوه بكلمة جارحة او نبذ الطاعة لمهذبيه عاد الى استرضائهم بالتماس منهم الصفح عن تلك القلتات التي تبدر منه عن غير قصد . وكان يلاحظ ويتأمل ويفهم ولا ينسى أبدا فذات يوم أراه ارشيدوق حدث نوطا ضرب بمناسبة ولادته وسأله قائلا : هل تعرف هذه الصورة ؟ فاجابه الامير نعم أعرفها فهي تمثلني حين كنت ملك رومية . ولما شاهد للمرة الاولى البرنس دي لينيه وسأل عن رتبته وأجابوه انه مارشال قال وهل هو من الذين هجروا والدي ؟

وبينما هو يلعب ذات يوم مع أحد انسابه الارشيدوقين الاحداث غيره ذلك الارشيدوق بقوله له انه لم يبق له أب فامتقع لونه ثم اكفهر وجهه وحبس

زفرة قوية كادت تشق صدره وقال بمنق ماوراءه من مزيد : حين اكبر أتقلد سيفي وانطلق لانتقاد والدي من سجنه .

ولم يكن أحد يتكلم في حضرته عن والده بهيكم أو استخفاف من دون ان يهب للانتصار لذلك الوالد العظيم حدث ان ضابطا عمساويا كان يحدث مهذبى الامير في أمور الحرب وقد ذهل عن حضوره أو ظنه قاصرا عن فهم حديثه فجعل يورد اسماء القواد العظام كـفرديريك الثاني ومنتيكوكولي والمارشال دي ساكس مردفا قوله بأنه لايعلم أن العالم انتج قوادا أعظم منهم . فقال الامير بلهفة : ولكنني أعرف قائدا عظيما اغفلم ذكر اسمه . فسأله الضابط قائلا : ومن هو يامولاي ؟ فاجابه الامير : هو والدي .

ولم يفارق ذهنه ذكر والده ولذلك لم ين عن سؤال ديارنخستين وفورستي وكولين عنه ملحا عليهم بطلب الاجوبة على مايلقيه عليهم من الاسئلة : فكانوا يسألون الامبراطور عما يجب عليهم عمله في مثل تلك الحال ، فكان الامبراطور فرنسوى الثاني المعروف بالحلم وجودة القلب يجيبهم بوجوب اجابة سؤال الامير الحدث . وابدى فرنسوى الثاني لحفيده ودالقي صداه في قلب ذلك الحدث ولكن محبته له كانت محبة شخصية باردة بحسب ما يوحيه اليه ضميره الذي كانت تتجاذبه عوامل مختلفة من قصر النظر في عواقب الامور والثبات في مبدأه المبني على مناوأة الامبراطورية الفرنسية والاوهام الكثيرة التي ما انزل الله بها من سلطان فانه ابغض فرنسا و نابوليون بغضا يصح أن يضرب به المثل . وقد زاد على مترونيخ في الرغبة في تغيير جنسية ذلك الغلام الفرنسي المعتبر عنده ابنا للثورة والفتح . ومنذ وصوله الى النمسا صدر الامر الامبراطوري بمنع الجميع عن إطلاق اسم ملك رومية عليه وعن تسميته ايضا باسم نابوليون كأنهم بذلك العمل يمحون من صفحات التاريخ ذلك الاسم الكبير . واتفقوا على أن يطلقوا عليه لقب ارشيدوق ريثا يكبر حينئذ ينظر في امره . وسنة ١٨١٧ ظهر التقويم العسكري النمساوي وفيه اسم « فرنسوى جوزف شارل امير بارم » فقلق لويس الثامن عشر لذلك الامر وقال في نفسه : أو لايجوز هذا الاسم ذلك الامير الحق بتقاضي حقوقه على الدوقية وملحقاتها ؟ فاحتج تايران على ذلك اللقب ومنذ ذلك الحين لم يطبع اسم أمير بارم في التقويم الا آنف الذكر في السنين التالية .





نابليون في جزيرة القديسة هيلانة



وأصدر فرنسوى الثانى مرسوماً فى ٢٢ يوليو سنة ١٨١٨ قال فيه: انه بهم  
الجميع تحديد حالة الامير فريدريك شارل جوزف ابن الارشيدوقه ماري لويز  
( وكان ولا مرأى بمتبر والده مجهول الاصل والفصل ) فنزحه لقب سمو الدوق  
دي رشستاد وخوله حق الجلوس بعد أمراء العتره المالكة والارشيدوقين .

ولم يبق الدوق دي رشستاد ملكاً لرومية فتوهمت أوروبا أنها قضت مهمتها  
على أيدي بريطانيا والنمسا فأخذت بريطانيا النمسا والنمسا فرخه .

ان الدوق دي رشستاد أمير ألماني ، قامه تحت مقام الارشيدوقين ونسيب  
بعميد لهم وقريب مسكين ملطخ العرض بوصمة العار فالجنود القدماء لا يعرفونه  
وفرناً نسيته لانها لم تكن تبصره أو تسمع عنه شيئاً . ويحسن بنا أن نساءل  
هل يصح أن نسمي ذلك الغلام فرخ النمسا أم لا ؟ فكيف كانت العواطف  
والافكار والمقاصد والاهام الجائلة في صدر ذلك الشاب الاشقر النحيل الضئيل  
الذي كان سكان مدينة فينا يشاهدونه سنة ١٨٣١ ممتطياً صهوة جواده في ساحة  
التريينات العسكرية أو راقصاً في المراقص المقامة في القصر الامبراطوري وهو  
يتمايل كالاملود ويشعر بنار مستعرة في أحشائه وأسرار تشغل خاطره وهو يكاد  
يرزح تحت عبء ثقيل ألقاه القدر المعبود على منكبيه . فهل شعر بأن دمه  
يفل في عروقه ودماغه يشتغل بذكرى الاصل المجيد المنتمي هو اليه ؟ أو ان  
نفسه تعمل بتلك الآمال الجسيمة المعلقة عليه وقلبه يهتم بالدور المقتضى عليه  
بأن يمثل على ملعب هذه الحياة الدنيا ؟ وهل جرى في وهمه أن يحطم قيوده ويفر  
هارباً الى فرنسا وهو يأمل أن يراها تهب هبوب النار للقيام بنصره وأن يدخل  
باريس باحتفال يفوق الاحتفال الذي جرى لوالده عند دخولها بعد معركة مارنغو  
واقعة استرلتز ؟ ... أو ؟ ...

انه وايم الحق موضوع جميل كبير تتبارى في وصفه والاسهاب فيه جياد  
قرائح الشعراء والقصصيين . ولم يدر أحد حقيقة أفكار الدوق دي رشستاد أو  
يقف على كنه أسرارها . وكل ما يمكن قوله عن ثقة في هذا الصدد هو أنه مع  
ما بذله أرباب السياسة من الجهد بقي الدوق دي رشستاد فرنسوا قلباً وفكراً  
ولم يكن نمسوا إلا بثوبه فقط . وكانت وفاته في سنة ١٨٣٢ .

## فرنسا و نابوليون

وضع تيارس الداهية المشهور تاريخاً لبلاده في عهد القنصلية والامبراطورية وهو سفر جليل يدل على ما لذلك الرجل الكبير من طول الباع والتفنن في صناعة الكتابة وبعد النظر في الشؤون والتدقيق في سرد سياقة الحوادث واطهارها والتزه عن الميل مع الهوى والانحراف عن الجادة القويمه . وقد وطننا النفس على تعريب فصل من التاريخ المذكور عنوانه «فرنسا و نابوليون» يستطيع القارئ ان يجد فيه خلاصة حكم تيارس على نابوليون وعلى علاقته بفرنسا . قال تيارس : ان لنا نابوليون القابا لايسعنا انكارها او نسيانها مع صرف النظر عن الحزب الذي تربطنا به الهيئته الاجتماعية التي نشأنا فيها او المذاهب التي نذهبها او المصالح التي نرمي اليها . انه ولا جرم لم ينجحنا الشكل السياسي الواجب على مجتمعنا الانساني ان يستند اليه استناداً نهائياً ويعيش معه في السلم والهناء ويحني ثمار اليمر والاقبال ويرتج في رياض الحرية . ولم يجهد علينا بالحرية المقضي على خلفائه ان يكونوا مدينين لنا بها الى الآن ولكنه على اثر الاضطرابات المتسلسلة عن الفتنة الفرنسية الكبرى لم يكن يسهه الا ان يوجد لنا النظام وينبغي لنا ان نعترف بانه حباننا مع النظام حالتنا المدنية وانظمتنا الادارية ولكنه لنكد طالعه وطالعنا اضاع عظمتنا . ومن جهة اخرى خلف لنا المجد وهو العظمة الادبية الجارة وراءها على توالي الايام العظمة المازية . وقد اوجده دهاؤه لفرنسا كما وجدت فرنسا له : فلا هو بدون الجيش الفرنسي ولا الجيش الفرنسي بدونه استطاعا ان يحجريا وهما مفترقان ما اجرياه وهما متفقان . فهو علة مصائبنا ولكنه رفيق ما آثرنا الخطيرة . ويجب علينا ان نغلظ الكلام في ارازاننا الحكم عليه الا اننا لا نلقى لنا بداً من محافظتنا له على العواطف الواجب على الجيش ان يشعر بها نحو قائده الذي سار به الى موطن النصر والغلبة . فلنحذف في التنقيب عن اعماله العظيمة المعتمدة اعمالنا أنفسنا فان كنا من رجال الجندية فلنتعلم منه فن قيادة الجيوش وان كنا من رجال الحكومة فلنأخذ عنه فن ادارة الممالك ولنثقف انفسنا تثقيفاً خاصاً بما نشاهده فيه من الهفوات . ولنتعلم مع تجنبنا النسخ على منواله محبة العظمة المعتدلة

وهي تلك العظمة الممكنة النابتة لكونها يسهل على القوم حمل انقالها. وقصارى الكلام لتتعلم الاعتدال من هذا الرجل الفائق غيره في الافراط وتجاوز الحد وبصفة كوننا وطنيين فلنتخذ لنا من حياته عبرة رادعة ولنعلم انه ههما عظم دهاء الانسان واتسعت دائرة عقله ورق شعوره فلا ينبغي لنا ان نفوض اليه تفويضاً اعمى حظوظ البلاد... على انه وان ساغ لشعب من الشعوب ان يستسلم لرجل من البشر فلا يسوغ ذلك الا للشعب الفرنسي ولا سيما سنة ١٨٠٠ حين التقى بمقاليد الزعامة الى نابوليون . ولم يكن في ذلك الحين فوضى كاذبة يتهددون الامة بها إرادة ان يقيدها . بل كان بعكس ذلك الوف من الناس الارباء يهلكون على النطع وفي السجون او في مياه اللوار : فقد عادت الى الظهور فظائع عصور الهمجية في وسط المدينة المذعورة . وبعدها ابتعد القوم عن تلك الفظائع فافرن منها ظلت الفتنة متقلقلة بين الجلادين الذين انتزعت من بين ايديهم والمهاجرين المضروب على ابصارهم وقد شاؤوا ان يجعلوها تتقهقر الى ماض مستحيل مجتازة عذرانا من الدم ومع ذلك كان في ذلك الحين الحسام الاجنبي مصلتنا يتوعد الامة الفرنسية بسوء المنقلب . وحدث في خلال تلك الاحوال ان عادمين الديار الشرقية بطل شاب بملاء دهاء كان ايان سار يذلل الطبيعة والبشر وقد عرف بمحنه واعتداله وتدينه وكأنه ولد ليسحر العالم ويستعبده. ولم يحدث قط شيء من الاشياء الممهدة للامة الفرنسية العذر لاستسلامها الى هذا الرجل نظير الحادث الذي حدث في ذلك العهد اذ انه لم تطراً مخاوف نظير تلك المخاوف التي كانوا يفرون منها ولم يكن قط داهية نظير ذلك الداهية الذي لجأوا اليه . على انه بعد حقبة من الزمن اصبح ذلك العاقل مجنوناً فقد اصابه نوع من الجنون يخالف الجنون الذي حدث سنة ١٧٩٣ بيد انه لا يقل عنه مضرة ولا يقل عن مليون عدد القتلى الذين خروا صرعى بسيفه في ميادين الوغي وساحات القتال . وكان من وراء ذلك ان اوربا جماء شنت الاغارة على فرنسا فقهرتها وأذلتها واغرقتها في بحر من الدم وسلبتها ثمرة انتصارات متوالية اصابها في عشرين سنة . ويمكن القول بالايجاز انها وصلت الى شفا الدمار ولم يبق فيها سوى جرائيم الحضارة الحديثة الكامنة في أحشائها والمعقودة عليها عرى الآمال باستعادة ما فقدته . ولعمري انه لا بمقل كيف أصبح حكيم سنة ١٨٠٠ مجنون سنة ١٨١٢ وسنة ١٨١٣ ولكن الراجح الحصة

لا يفوته ان المقدرة العظيمة مضمرة فيها حماقة تعمي من يداويها وهي الميل الى مزاولة كل شيء حين يأنس المرء من نفسه مقدرة على مزاولة كل شيء ولو كان ما يعيل اليه الشر بعد الخير . وعليه ففي هذه الحياة العظيمة التي يلقى الناس فيها أشياء همة يعلمون بها رجال الجندية وأصحاب الادارة وأرباب السياسة لا يلقى سوقة الناس لهم بدا من أن يتعلموا في نوبتهم شيئاً خطيراً وهو انه لا ينبغي البتة أن تسلم ادارة الدولة الى فرد كيف كان ذلك الفرد وكيف كانت الاحوال . وعند اختتامي هذا التاريخ المطول المبني على انتصاراتنا وانكساراتنا يخرج من صدري هذا الصوت الاخير وهو صادر عن اخلاص حقيقي أحب أن أوصل صداه الى قلوب جميع الفرنسيين فيقتنع الجميع بأنه لا يحسن بهم بوجه من الوجوه أن يغامروا بحريتهم واذا شأؤوا ألا يدعوا تلك الحرية هدفاً لسهام المغامرة فعليهم بالألا يجاوزوا الحد في استعمالها .

## مصرع مورات

كان يواكيم مورات ابن صاحب فندق وقد ولد في البستيد مورات سنة ١٧٧١ وتطوع في الجندية سنة ١٧٩١ وتمكن بما أوتيته من الدهاء وصلابة العود وشدة المقدم من بلوغ أعلى درجة في سلم المناصب الجندية على عهد الجمهورية وعهد الامبراطورية . وصاهره العاهل نابوليون الاول فزف اليه شقيقته كارولين وأجلسه على عرش مملكة نابولي في سنة ١٨٠٨ ولما أقل نجم سعد نابوليون في سنة ١٨١٤ وجافه الحظ خلع مورات عن سرير مملكة نابولي . الا أنه عالج في شهر اكتوبر من السنة التالية استعادة مملكته جاريًا في عمله هذا على منهاج اليأس والقنوط . ولم يكد يصعد الى البر في بتزوبكالبريا حتى وقع في قبضة فرديناند الرابع الذي عاد الى أريكه مملكته . وحينئذ أمر به الملك فرديناند أن يمثل أمام مجلس حربي .

وهانحن ننشر للقراء الكرام ما اقتطفناه عن لاسرتين مؤلف تاريخ عودة البوربون الى عرش فرنسا بعد ارتحال نابوليون عنها وتقلص ظل الامبراطورية فيها ذاكرين ما كان من أمر مورات في آخر حياته :

مثل ستراتي لدى مورات سجينه وقرأ بتعلم الامر القاضي بمثوله أمام مجلس حربي . فقال له مورات : « لقد نفذ القضاء فالامر القاضي بنحائي كني هو

عينه الامر القاضي علي بالموت . « قال هذا ولجت شؤونه بالدموع فان ذلك الرجل الموصوف بشجاعة يمز نظيرها تحركت في قلبه عوامل الشفقة على نفسه . وكل نفس حينما توشك أن تزهد من صدر الانسان الجبار تتململ فيه متألمة . ثم ان ستراتي قال له : ان المجلس سيجتمع في الحال في ردهة ملاصقة لهذا المكان وان القانون الحربي يخولك الحق باختيار محام يتولى الدفاع عنك . فقال له مورات وهو يصغر خده تيهًا وخيلاء : « قل للمحكمة اني آبي المشول لديها فن كان نظيري من البشر لا يؤدي حسابا عن أعماله الا الله وحده فلتبرز المحكمة ما شاءت من الاحكام علي : فأذعن للقدر من دون أن أعترف بسلطة قاض من القضاة . »

وخرج ستراتي ورفاقه من حضرة مورات وجاء الجنرال نزيقي بجبر وورق للسجين وقال له : يمكنك أن تكتب ارادتك الاخيرة أو وداعك الاخير لاسرتك . ولما خلا الجو لمورات كتب وهو يروي القرطاس بدموعه ذلك المكتوب المشهور الذي أودع فيه وقلبه يخفق بسطور قليلة ما كان من عواطف نفسه وحظه المنكود وحبه لزوجته وحنانه على أولاده وأقنعه كملك وجرائته كجندي .

وقدوجه تلك الرسالة إلى زوجته الفتاة التي كانت مصدر الحب والفخر لشبيبته ومسرة حياته وتيهها وفي بعض الاحيان علة عذابه ولكنها كانت في كل حين موضوع اهتمام نفسه وغرض عنايتها . واليك ترجمة تلك الرسالة .

« يا عزيزتي كارولين

لقد دنت ساعاتي الاخيرة فبعد قليل من الحين ينقطع وريد حياتي وبعد قليل من الحين تفقدن زوجك . فلا تدعي عناكب النسيان تنسج على ذكري . أنا أموت طاهر الذيل فلم تلتخ بردة حياتي أدنى وصحة من الجور والعسف . الوداع يا ابني أخيل ! الوداع يا ابنتي ايتيسيا ! الوداع يا ابني لوسيان ! الوداع يا ابنتي لويز ! فاطهروا في المجتمع الانساني بمظهر جدير بي . وأنا أترككم بغير مملكة وطارين من المقتنيات بين أعدائكم الكثيري العدد . فاتحدوا اتحادا تنقسم عراه وتغلبوا على مصارعة الاقدار لكم واقتكروا في ما أنتم عليه الآن وفي ما كنتم عليه في ماضى والحق سبحانه وتعالى يحطر عليكم سحائب بركاته . وحذار من قذف الصبي باللعن . واعلموا ان أعظم ضربة علي عند آخر حياتي هي موتي بعيداً عن

أولادي . فلتحل عليكم بركتي الابوية واقبلوا قبلاتي وعبراني ولا تدعوا ذكر والدكم التاعس يبرح ذهنكم .»

ان هذه الرسالة التي أملتها عليه الطبيعة وقد أوشك أن يزابل هذه الدنيا وهو على بعد بضعة خطوات من المحكمة المجتمعة لاصدار الحكم عليه تدل دلالة صريحة على كبر نفسه وجودة قلبه ورقة شعوره . فقد كان ذلك الرجل يضع الشيء في موضعه : فيحب وقت الحب ويقاثل آونة القتال . وكان أعظم من ملك وأشجع من جبار أي أنه كان انسانا . وهذه العواطف الاخيرة تدل على غير قصد منه ولتعظيم ذكره على أن كل ما أظهره من التفخيم والتبجيل لرقيقه المنفي الى جزيرة القديسة هيلانة لا يعد شيئا مذكورا بالنسبة اليها . ف نابوليون أبدع في توديعه العالم أما مورات فأنه أجاد كل الاجادة في توديعه زوجته وأولاده . نابوليون قضى وهو على ملعب التمثيل أما مورات فأنه قضى كأنه محاط بأسرته . وموت مورات يفوق موت نابوليون كما تفوق الطبيعة العجرفة ووداع مورات يستنبط العبرات من عيون أبناء الأجيال الآتية بعده . وإذا لم ير المرء فيه ضحية وشهدا رأى فيه المحب والاب والبطل ...

وبعد ماروى الصحيفة بدموعه وقبلها مرات عديدة بقدر القبلات التي كان يحب أن يرسلها الى زوجته وأولاده الاربعة طلب مقراضا فقطع خصلة من شعره الطويل وقبلها ارادة أن تلقى فيها أسرته أثره ، وبعد ماوضع الشعر المبلل في طي المكتوب ناول نزيدي ذلك المكتوب موصيا اياه بايصاله الى المرسل اليهم .

ودخل عليه ستاراسي المعين محاميا رسميا عنه وهو يعالج اخفاء تأثيره وقد خائنه دموعه . فتوصل الى مورات أن يأذن له بالدفاع عنه لدى المجلس الحربي حينئذ عاد مورات إلى اتخاذ اللهجة الملائمة لمركزه كملك وقال لستاراسي : « هؤلاء هم رعاياي وليس قضائي والملك غير مسؤولين تجاه رعاياهم حتي أنهم غير مسؤولين تجاه غيرهم من الملك اذ أن العروش تصير جميع الملوك متساوين . وهل يريدون أن يحاكموني باعتبارهم اباي نائلا غير لقب ملك كإرशल فرنسوي مثلا حينئذ لابد لهم من تأليف محكمة من المارشالية . وهل يعتبروني جنرا لا فينبغي لهم أن يؤلفوا محكمة من الجنرالية .



وقبل أن يضطروني الى الاعتراف بمحكمة كالحكمة التي ينتدبوني للشول لديها لا بد من تمزيق صحائف كثيرة من تاريخ اوربا . فانت لا تستطيع انقاذ حياتي لان الذين سيبتون الامر فيما يتعلق بحظي ليسوا قضائي ولسكنهم جلادي . وعليه فلنخلص في شرف الملكية .»

ولم يلق ستاراسي مندوحة عن الاذعان لمشيئة مورات التي لامرد لها . وجاء الموظف الموفد من لدن المحكمة لاستنطاق المتهم فقال له مورات : « ليس لك عندي سوى جواب واحد وهو اني يواكيم نابوليون ملك بلادي صقلية . اغرب عتي . »

ولما تخلص من حضور قضائه الذين كانوا يتباحثون في الردهة الملاصقة لسجنه جعل يخاطب بحرية فكر الضباط الموكل بهم أمر خفارتهم ... وكان الكلام الذي خاطبهم به على مثال الرسالة الموجهة منه الى زوجته وأولاده ويستدل منه على أن فكر الحق سبحانه وتعالى كان ينتابه وهو متأهب للارتحال عن هذه الدنيا وخلا به كاهن من كهنة بزوقدموه له فقبله رجاء التعزي به ونيل الميتة الصالحة على يده ...

وتتم مورات واجبات المحتضرين وناول الكاهن حسب طلبه رجاء الحصول على دفن مكرم الكلمات التالية التي كتبها بيده ووقع عليها : « اعلن اني أموت موت المسيحي الصالح . » ثم أنه عهد الى الكاهن في تسليم ساعته الى خادمه ارمان الامين لاستغنائها عنها من ذلك الحين .

وجعل مورات يمشي في طول الغرفة وعرضها مدة بضع دقائق ثم أنه جلس على سريره وأسند رأسه الى كلتا يديه وانبسط لديه وهو على تلك الحال جميع أدوار حياته منذ الايام التي قضاها في الفندق الى الحين الذي دخل فيه قصر الملك . وخيل اليه أن حياته كانت كحلل ذهبي أو كذبة لامعة أو حكاية من حكايات الف ليلة وليلة . وكان مورات كقوس قزح ظهرت في خلال ماضية ولكن ماعتم طرفا تلك القوس أن تواليا في غمام ولادته وسحاب موته . وفي آخر الامر ثاب الى نفسه فرفع رأسه فكان جبينه ساكنا بيده أنه ممتقع . ودنا من مرآة فصنف شعره ولم يفارقه شيء من اطواره الغريبة فاعتبر نفسه خطيباً لغنية ولذلك احب ان ياتى خطيبته بهيئة جميلة .

وكانت المحكة في أثناء ذلك الحين تصدر الحكم عليه بالموت بدعوى اثارته  
الخواطر على الحكومة الحالية وفقا لقانون وافق هو عليه من عشر سنوات  
ارهابا للتأثرين في كاليا ولكنه لم يضع قط ذلك القانون موضع الاجراء .  
فتلوا عليه صورة الحكم بصورة علنية فأصغى اليه كأنه يصغي الى قصف  
المدافع في ساحة الهيجاء من دون أن يبدو عليه شيء من التأثر أو شيء من  
الاستخفاف . ولم يطلب عفواً ولا مهلة ولا استئنافا ...

ثم انه تقدم من ذاته نحو الباب كما انه يريد الاسراع للوصول الى الغاية المعين  
له الوصول اليها . وكانت أمام ذلك الباب عرصة ضيقة وقف على حبل انتظاره  
فيها اثنا عشر جنديا وبأيديهم بنادق محشوة . ولم يكن ضيق المكان يمكنهم من  
الوقوف في محل يحجب عن عينيه فطاعة الموت . ولما اجتاز مورات عتبة غرفته  
لقيهم أمامه وجها لوجه . فأبى أن يدعهم يعصبون عينيه والتفت الى الجنود وقال  
لهم مبتسما : « يا أصحابي لا تعذبوني باخطائكم المرمى : فايا كم أن ترتجف أيديكم  
وحذار من تصويب بنادقكم الى وجهي فصوبوها الى قلبي وها هو أمامكم . »  
ولما قال هذا الكلام وضع يده اليمنى على صدره ليدلهم على موضع القلب  
وكان قابضا بيده اليسرى على نوط صغير فيه صورة زوجته وأولاده الاربعة وكانه  
شاء أن يجعلهم يشهدون ساعته الاخيرة أو اراد أن تكون صورتهم مرسومة في  
ناظره كما هي مرسومة في تخيلته . خفض عينيه على الرسم وتلقى العيارات النارية  
من دون أن يشعر بها وهو مستغرق في التأمل في صور احبائه . وسقط جسده وقد  
خرقته عن قرب اثنتا عشرة رصاصة وذراعه ممدودتان ووجهه مكب على الحضيض  
كأنه يعانق تلك المملكة التي أصابها والتي لم يسترجعها الا لتكون مدفنا له .

وعلى هذه الصورة انتهت حياة أشجع جندي من جنود العصر الامبراطوري  
وهو رجل لا يعتبر أكبر من أترابه ولداته بل يعد من أجراً رفاق الاسكندر  
الحديث ...

وقد استوجب أكثر مما استوجبه الجنود والساسة الاطراء الذي ينذر أن  
يستوجبه من يتولون شؤون الدول : أي « رجل المروءة » بكل معنى هذه الكلمة  
على أن التاريخ الذي يدخر للناس المدح والقدح سيستمطر على هذا الراحل الكريم  
شايب الدموع



أحد مناظر جزيرة القديسة هيلانة وجميعستون



## أوجين بوهرنه

— ١ —

ولد أوجين بوهرنه في باريس في ٣ سبتمبر سنة ١٧٨١ من الفيكونت الاسكندر دي بوهرنه أحد قواد الجيش وجوزفين تاشر دي لا باجري الخلاسية المولودة في المرتينيك وأدخل الغلام مدرسة هاركور في باريس بينما كان والده منتخبا بلدة بلوى منتظما في سلك الجمعية الوطنية في سنة ١٧٨٩ وقد عين في مابعدسكريتيرا لهذه الجمعية فرئيسا لها .

وقد أصاب الميسو دي بوهرنه منزلة عالية في هذه الجمعية في سنة ١٧٩١ حينما كانت البلاد بلا حكومة والافكار متهيججة متهيجا شديدا وحدث في أثناء ذلك أن أوجين كان مارا في شوارع فنتنبلو مع والده فخياه الجمهور المتحمس مناديا اياه باسم « الامير ولي العهد »

وهذا الامر من غرائب الاتفاق فان هذا الغلام الذي قدر له أن يجلس على درجات عرش الامبراطورية عدة سنوات كانوا وهو مار مع والده يلقبونه بلقب يطلق على ولي عهد فرنسا .

وسار أوجين في سنة ١٧٩٣ مع والده الذي عين قائدا لكبر الجيش الرين وكان في الثانية عشرة من عمره ووضع في مدرسة ستراسبورغ في أثناء المدة القصيرة التي قضاها والده في قيادة الجيش وكان يذهب الى المعسكر لمشاهدته وقد تعود منذ نعومة أظفاره سماع لعلمة المدافع وقعقة السلاح .

واسكن دوام الحال من الحال فان الحوادث السياسية اضطرت ذلك القائد الجمهوري الى الاستقالة من منصبه فدعي الى باريس ومثل أمام محكمة ثورية قضت عليه بالموت فصعد الى المقصلة في ٢٤ يوليو سنة ١٧٩٤

وكانت حكومة الكنفنسيون في ذلك العهد تجازي في غالب الاحيان على هذا الوجه قوادها سواء كانوا غالبيين أو مغلوبين في الحرب واستولت الحكومة على أموال الجنرال دي بوهرنه فبقيت ايمه بلامال ولها ولدان قضي عليها بالقيام

بأودهما فأبقت ابنتها هورتنس في منزلها ووضعت أوجين عند نجار ليتعلم النجارة وكان في الثالثة عشرة من عمره ووقف كل محبته البنوية على والدته من ذلك الحين ولم تطل مدة إقامته في حانوت النجار لأن الجنرال هوش أخذه حاجباً له وأخذه معه الى جيش الغرب ولم يكن هذا المركز الرفيع لفتى في الرابعة عشرة من عمره ثابتاً فان الجنرال هوش أرسله الى والدته بعد معركة كيبرون في ٢٧ يونيو سنة ١٧٩٥ .

وحينئذ فكرت عقيلة دي بوهرنه تفكيراً جدياً في تعليم نجلها فعمدت في ذلك الى أستاذ في سان جرمان انلاي في محل اقامتها .

وكان الجنرال بونابرت في ذلك العهد في باريس يهتم بتقليم اظفار الاحزاب فحدث أن فتى جاء في أحد الايام الى مركز القيادة العامة وكان هذا الغلام صبيح المحيا تتقد عيناه ذكاء فطلب مواجعة القائد العام ولما مثل بين يديه التمس منه أن يعاد اليه سيف والده فأحسن القائد العام وفادته وجامله في الحديث مسروراً بطلبه ولما دفع السيف الى الفتى لم يتمالك هذا عن حبس عبراته عن الانهمار ولم يقل تأثير هذه المكربة في الوالدة عن تأثيرها في الولد فجاءت بنفسها لتشكر للجنرال بونابرت صنيعه

فأثر في الجنرال بونابرت عمل عقيلة دي بوهرنه وخلبت محاسنها لبه ومعم أن رد لها زيارتها وكان ذلك تمهيداً لعقد قرانه بها .

وقد غير هذا القران مجرى حياة أوجين الفتى فلما رافقت عقيلة بونابرت زوجها الى إيطاليا في غد يوم قرانهما وعد الجنرال أوجين بأنه لا ينساه وكان قد ابتدأ بونابرت يحبه وصمم على أن يجعله من المقربين اليه وأن يسهل له الوصول الى ذرى المعالي ولكن نجل جوزفين لم يكن متعلماً تعليماً كافياً فقال له زوج والدته : « ادرس جيداً واعمل بمجد فتسد ما في تعليمك الابتدائي من الخلل وبعد ذلك أعني بأمرك . »

فأقبل أوجين على الدراسة بنشاط وكد وقد قال هذا الفتى في هذا الصدد : « إني في الشهور الخمسة عشر التي قضيتها وحدي في سان جرمان بذلت ما في وسعي لتعلم الرياضيات والتاريخ والجغرافية واللغة الانكليزية وكنت عالماً بأنني سأجازي على جهدي ومواظبتي على الدرس . »

وتلقى أوجين مرسوماً من باراس رئيس حكومة الديركتوار الاجرائية في ٧ ديسمبر سنة ١٧٩٧ بتعيينه ملازماً ثانياً في الآلاي الاول في الفرسان وكان بونابرت قد قدم تقريراً بذلك الى حكومة الديركتوار وبلغه الساعي الذي حمل اليه ذلك المرسوم أمراً بالانطلاق الى جيش إيطاليا حيث كان الجنرال ينتظره فبادر الى موافاة سنده وقد بقي فيما بعد ملازماً له في الايام العصيبة التي مرت عليه .

وحالما وصل عينه بونابرت حاجباً له وعهد اليه في مهام دقيقة لانه انس فيه ذكاء شديداً ومهارة عظيمة واوشك هذا الشاب مرة ان يبيت صريعاً في مهمة فوضت اليه في أثناء هرج قتل فيه الجنرال دوفو ملحق السفارة في رومية وكان السفير يوسف بونابرت وقد قتل هذا الجنرال بطيشه وخطاه .

ولا يخفي ان هذا الجندي الشاب الذي واجه المنية مرات كثيرة في ميادين الوغى في أثناء خمس عشرة سنة في الديار الاوربية تعلم الحرب في ساحاتها وفي ١٨ مايو سنة ١٧٩٨ صاحب الجنرال بونابرت الى مصر

ولما فتح الفرنسيون جزيرة مالطة اندفع في المعركة اندفاعاً شديداً ووفق الى انتزاع راية من العدو وكانت أعماله الباهرة في مصر تنمة للأعمال الكبيرة التي كان قد ابتدأ بها في اوربا في فاتحة حياته الحربية فشهد مواقع الرملة وشبريس والاهرام وجرح امام أسوار عكا وجرح ايضا في رأسه امام أسوار يافا ولذلك لم يتمكن من الاشتراك في موقعة ابي قير في ٢٥ يوليو ١٧٩٩ . ولما رجع بونابرت من غزواته سكن حدة هذا الشاب وخفف من غلوائه ورقاه الى درجة ملازم مكافأة له على بسالته .

وكان اوجين بوهرنه في باريس في ١٨ برومير الى جانب بونابرت لما قلب هذا حكومة الديركتوار وشهد اوجين الحوادث التي ختمت بها الثورة وكانت مدرجة لزوج والدته للقبض على السلطة وصيرورته قنصلا اول

ولما انطلق بونابرت الى إيطاليا كان اوجين بوهرنه في الجيش الاحتياطي وكان من مهمة هذا الجيش بعد اجتيازه لجبل سان غوتار وزحفه الى بليزانس ان يشغل النمساويين ليسهل عمل جيش لان . ولم يكن اوجين بني عن طلب اسناد مهمة خطيرة اليه يتسنى له فيها أن يتم بأسرار جرأته واقدامه ولكن شق عليه

كثيراً ألا يحضر معركة منتبلو التي اشتهر فيها لان ولقب فيها بمدبر شال وجعل اسرته معدودة من جراء هذا الامر بين الامر المشهورة ولم يستطع اوجين اخفاء تأسفه فأعاضه الجنرال بونايرت من ذلك بان مهد في وجهه السبيل للأشهر في معركة مارنغو

وقضى اوجين ليلة ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ في طوري دي غارافولو وفي الغد نشبت معركة هائلة امتاز فيها على اقرانه باسره الاعداء في ساحة الهيجاء فرقي الى رتبة قائد كوكبة من الفرسان ولم يكن قد تجاوز السنة التاسعة عشرة من عمره ولما عاد اوجين من هذه المعركة التي ظهر فيها ظمراً مبيناً بالاعداء أقبل على العمل كما لوف عادته ولم يشترك في البعثات التالية ولكن بونايرت لم يذهل عنه فرقاها الى رتبة امير لواء في سنة ١٨٠٢ من دون ان يتوسل بوسيلة ما لاصابة هذا المنصب الجديد .

## ٢

### تنصيب اوجين بوهرنه

#### حاكماً في ايطاليا

وبينا كان اوجين بوهرنه يعيش عيشة هنيئة يقضي معظمها في الدرس وبينما كانت البلاد تذوق وقتياً طعم السلم كان الجنرال بونايرت وقد عظمت انتصاراته يمهّد السبيل للصعود الى العرش وعصب جبينه بتاج الامبراطورية فاستبدل بلقب فنصل اول لقب امبراطور وكان نجل جوزفين مقدراً له في الحالة الجديدة ان يعمل النفس بآمال كبيرة في المستقبل .

انشئت الامبراطورية الفرنسية الجديدة في ٢٤ مايو سنة ١٨٠٤ وتوطدت اركانها في انظار الملا الاوربي على اثر حفلة تتويج منشئها وقد جاء الحبر الاعظم من رومية الى باريس في ٢ دسمبر من السنة عينها لتكريس الامبراطور الجديد وهو يأمل ان يصيب من نابوليون البر بما وعده به .

وشاء نابوليون ان تكون الحفلة مصطبغة بصبغة سناء لم يسبق له مثيل فألف وليجة من رجال خدموا الوطن خدماً جلية واصابوا حظوة عنده وكان



اوجين في مقدمتهم وقد جمعت فيه جميع الزايا التي تؤهلها الى احتلال منصب رفيع ولذلك اراد نابوليون ان يمنحه الاثرة على غيره فعيّنه قائداً لفرسان الصيادين وعهد اليه في حمل الخاتم الامبراطوري في خلال حفلة التتويج ليقدمه الى الحبر الاعظم في الحين المعين . وكان الامبراطور قد رقى ربيبه الى درجة امير فرنسوي ليمهد في وجهه سبيل الوصول الى الحالة التي يعده لها وسماه كبير مستشاري الامبراطورية ونورد الكلام نفسه الذي فاه به الامير اوجين لما رقى الى تلك الدرجة السامية : « اقول ولا احاذر في القول لومة لائم ان المكانة الرفيعة التي اوصلني اليها الحظ لم تبعثني على الاستعلاء ولم اسكر بسلافة العظمة وبقيت عائشا بين جنودي وضباطي من دون ان اغير شيئاً من عاداتي او من تصرفي معهم وقد تساءلت علي كتب التهنية وكانت تقبض مدحاً وتؤكد لي صدق مرسلها واخلاصهم فقدرتها ما تستوجب من التقدير كما نني عرفت في ذلك الحين ماحقته لي الاختبار فما بعد وقد اثار في شيء واحد في ذلك الموقف وهو الكلام الذي كتبه الامبراطور في المرسوم الذي وجهه الى مجلس الشيوخ ليشعره بترقيتي الى الدرجة التي جاد بها علي . . . »

وأراد نابوليون بعد قليل من الحين أن يعينه كبير امنائه فاعتذر اوجين عن قبوله لهذا المنصب وقال : انه يشعر بأن دما عسكريا يجري في عروقه ولا يأنس من نفسه ميلا الى الانتظام في سلك المقرئين المنزلقين . والحق يقال أنه كان في ساحة القتال اكثر ارتياحا منه الى قضاء وقته في ظلال البلاط بين التملق والدسائس وقد عرف نابوليون هذه الخلطة فيه فلم يصصر على تعيينه في المنصب الذي كان قد اختاره له .

وشخص نابوليون الى ميلانو في ٢٦ مايو سنة ١٨٠٥ بعد حفلة التتويج في باريس بستة أشهر ليمتوج ملكاً على ايطاليا فبارك الـ كـردينال كبرارا التاج الحديدية وهو تاج ملوك لمبرديا لتقديم المشهور فوضعه نابوليون على رأسه وقال : « الله اعطانيه خذار أن بمسه أحد . »

وأراد الملك الجديد بمد هذه الحفلة أن يترك في هذه المملكة شخصاً يبوب عنه ويكون معروفاً باخلاصه فاختار الامير اوجين نائباً عنه وعين مدينة ميلانو مقراله وكان يحبه كأنه ابنه الحقيقي وقدمه للاملة الايطالية ولم يكن له الا اربع

وعشرون سنة من العمر في ذلك العهد وعين له المسيو ميجان وزيرا ومستشارا .  
واقبل اوجين على التذرع بجميع الذرائع الميسورة له لاسعاد ايطاليا وتوفير  
الاقبال لها وليس له مطمع الا نيل ثقة الامبراطور به وتحقيق ماعلقه عليه من  
الآمال . فعمل على توسيع نطاق اليسر في الولايات الشمالية ووضع قوانين  
استرشد في وضعها بالحكمة والتروي اتميزت الصناعة في البلاد وانجز في مانطو  
الحصون التي كان الامبراطور قد شرع في تشييدها وفتح الطارق وانشأ ادارة خاصة  
للجسور والطرق وعني الامير اوجين بالمحاكم وتطهيرها من الفساد الذي تلصص  
اليها في اثناء الحرب وجعلها تقضي بموجب قانون نابوليون وقانون المرافعات  
الجديد وانشأ مدارس وعضد التعليم ومد لواء حمايته على الفنون الجميلة والصناعة  
والتجارة ولطف معاملة المسجونين وبنى اسطولا صغيرا وقد دل هذا الحاكم  
الجديد الذي لم يطلو من عمره سوى خمس وعشرين سنة ولم يكن قد تخرج قبلا  
تخرجاً كافياً على فن الحكم على انه يعرف حق المعرفة ما بين الشعب وحاكمه من  
الفرق البين في اللغة والاخلاق والعادات وما بين بلاده وبلاد شعبه من الفرق  
في الاحوال الجوية

وحاول الايطاليون غير مرة ان يلقوا عن مناكبهم نير الاجنبي وامكنهم  
فشلوا في مساعيهم وعلموا ان اليد التي تسلطت عليهم من حديد وهي يد  
نابوليون العظيم ولكن الاحوال كانت تقضي بأن يسير نائب العاهل في ايطاليا  
على خطة المجاملة والملاينة وان يجاهر بالاهتمام بشؤون الشعب الملقاة اليه بمقايد  
ادارته . وكان اوجين بوهرنه متحلياً بالصفات اللازمة لمثل هذا النائب .

واذا لم يكن نجح جوزفين قد أوتي دهاء امتاز به عن اقاربه فانه ولا مرأى  
رزق ارادة شديدة وذوقاً سليماً كان الامبراطور يقدرهما حق قدرهما وكان خبيراً  
بجميع ضروب الاقتصاد في ادارة الشؤون ولذلك تسنى له ان يقتصد ٩٢ مليون  
فرنك في خلال السنوات الثماني التي قضاها في منصبه . ولا بد من القول بان  
البلاد التي كانت ادارتها مسندة اليه تشتمل على نحو نصف بلاد ايطاليا وقد  
اشتهرت بمخضبيها وهي تتألف من تسكانيا والالب اليوليانية .

ولما زحف الجيش العظيم الى استرلتز شعر الامير اوجين بدبيب الحماسة يدب  
في صدره واشتد فيه النزوع الى مشاطرة ذلك الجيش قتال الاعداء والتنكيل

بهم فالتمس من الامبراطور الترخيص له بموافقة الجيش ولكن العاهل لم يوافقهم على طلبه وفضل ان يعهد اليه في حماية الحدود النمسية لصد النمسيين عن غزوة ايطاليا فانقبض صدر الامير لما بلغه امر الامبراطور لان دمه كان يغلي غليانا ويدفعه الى خوض غمار القتال ولكن احترامه للسلطة العليا عقل لسانه عن الشكوى فسكافاه نابوليون عن امثاله لاوامره وكان شديد العطف على ربيبه ففكر في بناء صرح مستقبليته بنزويجه وكان العاهل قد ابصر الاميرة أوغسطينيا اميليا كريمة مكسيميليان يوسف ملك بافاريا فاعجبه ملاحظه فيها من الصفات النبيلة وجمال الخلق والخلق فطلبها من والديها لربيبه الامير اوجين فوافقوه والداها على طلبه بعد ماترددا في الامر وانتظرا ريثما يأتي الشاب لرؤية الفتاة وكان هذا في مقره في ميلانو ولما انتهى اليه الخبر خف الى مونيخ حيث كانت والدته ونابوليون ينتظرانه فقدماه الى خطيبته وبعد ماتم التعارف وانس كل من الشاب والفتاة ميلا الى الآخر عقد قرانهما بعد اربعة ايام في ١٤ يناير سنة ١٨٠٦ في حفلة شائعة شهدها كبار البلاطين الفرنسي والباصري وكانت العروس في الثامنة عشرة من عمرها وانعم عليها نابوليون بدوقية بارم وبلزانس اما اوجين فانه لما عاد نهائيا الى باريس في سنة ١٨٠٧ تبناه نابوليون رسميا واعلن ذلك في مجلس الشيوخ واطلق عليه اسم نابوليون اوجين دي فرانس ومنحه لقب « أمير البندقية » وعينه خليفة له على عرش ايطاليا ومن ذلك الحين لم يكن يناديه الا « يا ابني » . فهتف الحاضرون هتافا شديدا لما أعلن نابوليون تبنيه لـ اوجين وكانت وجوههم طافحة بالبشر والابتهاج اما الامير اوجين فلم يكثر لهذه المظاهرات لزعمه أنها موجهة لنابوليون فلحظ هذا ذلك وقال له : « اشكر لهم يا اوجين فانهم يصفقون لك . »

وكان المرسوم الامبراطوري الذي اذيع في ميلانو مؤرخا في ١٦ فبراير سنة ١٨٠٦ ولكن الامبراطور راعى بعض الاسباب السياسية ولم يعلنه قبل هذا الحين وكان ينطوي على خمس مواد أعرب فيه الامبراطور الشديد الحول والطول عن ارادته فكانت كبرياؤه تبعثه على الاعتقاد بانه سينشئ أسرة مملكة يكون هو ارومتها ولكن الحق سبحانه وتعالى يدبر غير ما يفكر به الانسان فانه حطم الصنم الخزي في الرجلين في الحين الذي شاء .

وعاد الامير اوجين وزوجته الى ايطاليا واستأنف مهمته فيها وكان جل اهتمامه منصرفا الى ارضاء نابوليون باعماله . ولم يكد يصل الى ميلانو حتى تلقى أمراً من باريس بالوقوف بالمرصاد للجيش النمساوية وكانوا يخشون من هجومها على ايطاليا في الحرب الجديدة التي اوتدت نيرانها في سنة ١٨٠٧ . وكان في اثناء قيامه بمهامه الحربية انه ولدت له ابنة في ١٤ مارس سنة ١٨٠٧ مماها جوزفين مكسيميليانة اوجيني نابوليونة وقد شاء نابوليون ان يظهر عطفه المتواصل على ربيبه الذي تنباه فمنح الطفلة لقب اميرة بولون وقد انشأ خصبها لها .

على ان الامير اوجين مع ما اشتهر به من الصدق والاستقامة مر عليه زمن جنح فيه عن الطريقة المثلى وجارى تيار سياسة نسجت على منوال الدسائس وتحرير الخبر انه وضعت وثيقة ايطالية على مثال الوثيقة ( الكونكوردا ) المعقودة في سنة ١٨٠١ بين الكرسي الرسولي وفرنسا فان الجنرال ميولي استولى على انكونا اثمارا بأمر نابوليون وقد اشتد النضال بين السلطة الروحية التي لا تلتين مجستها لاحد والسلطة الامبراطورية التي كانت اوربا تتطامن امامها وكان رجل شيخ ليس له من سلاح الاحقه قد توخى التصدي لهذه السلطة الاخيرة وكان نابوليون في درس في ذلك الحين فانفذ كتابا الى الامير اوجين اغلظ فيه الكلام عن الجبر الاعظم وكان هذا الامير يستطيع ان يلطف المسألة بعدم نشر الكتاب ولا سيما لانه لم يكن مأمورا بذلك ولكن لما رأى قواد الامبراطور ان مولاهم يتعمد تحقير رئيس الكنيسة الكاثوليكية الاكبر توهموا انهم موعز اليهم بسلوك مسلكه واستدرج الامير اوجين الى هذا الامر فأرسل كتاب الامبراطور الى البابا بيوس السابع وضم اليه مذكرة كتبت باهجة التحقير وقد بقيت هذه المذكرة وصمة عار لطخت برودة سمعة الامير كل حياته رغما مما حاول بعض الكتاب ان ينشروه ليدفعوا عنه معرة اللوم من هذا القبيل .



الحفير البرطاني يمنع نابليون عن المرور في جزيرة القديسة هيلانة



٣

## أوجين بوهرنه

### في حروب الامبراطورية

وكان نابوليون شديد الميل الى اغداق سحائب نعمائه على كل فرد من افراد اسرته وهو ينوي بذلك ان يؤلف منهم بلاطاً مائلاً لبلاط اقدم الامبراطوريات الاوربية وكذلك آمر الامير اوجين بوهرنه على المرشال ماسينا وقلده قيادة جيش ايطاليا واسند اليه ادارة شؤون الحكومة فيها .

وزحف كل من الارشيدوق جان والارشيدوق شارل من جهتين مختلفتين في شهر ابريل سنة ١٨٠٩ من دون ان يكون قد سبق اعلان الحرب بين فرنسا والنمسا وكانا يقودان ١٢٠ الف مقاتل واستصحبها معها المسيودي هورماير السياسي المشهور لانه كان مطلعاً على جميع اسرار الدسائس في البلاد الالمانية والبلاد الايطالية . وكان الامير اوجين في ذلك الحين في بلما نوفا وهي مدينة صغيرة في ولاية اودين ولم يكن يتوقع الهجوم عليه قبل اواخر شهر ابريل ولم يكن عنده الا فرقة سيراس وفرقة بروصيه وكان يتفقد طلائع جيشه مؤتمراً باوامر نابوليون . وكانت الفرق الست الاخرى المؤلف منها الجيش موزعة على اما كن تبعد عن مركز القيادة العامة . ولما فوجيء الامير اوجين وكان قليل الاختبار مع تعوده الحرب لم يتمكن من الحيلولة دون تقهقر طلائع فرقة الجنرال بروصيه ولم يستطع صد جيش الارشيدوق جان عن عبور الايزنو ولم يلق بدا من للتقهقر واجتازت فرقاً سيراس وبروصيه التغلياً منتو بأمر الامير اوجين وزحفنا الى ليفنزا وهو مكان مجهولون حقيقة موقعه . وقضى النمسيون أربعة أيام في الزحف من الحدود الى ضفاف التغلياً منتو ولم يعرف الامير اوجين أن يقتحم الفرصة من هذه المهلة الطويلة فان قائداً غيره من القواد المحنكين كان يستطيع أن يحشد جنوده ويستعد لمواقعة العدو بهم ولكنه لم يفعل ذلك بل أزمع التقهقر لئلا يعرض جنوده للمعالف ومع ذلك لم يشأ بما فطر عليه من الجرأة والاقدام وبما كان يهب في صدره من نسبات النبل والانفة أن يتقهقر تقهقراً يتوهمه العدو انهزاماً .

وكان جيشه مؤلفاً من جنود شابت نواصيهم في ساحات الروع وكانوا قبلاً تعثر بهم الجمهورية ومع حبهم لربيب قائدهم الأكبر الذي كان يقودهم إلى ميادين الشرف لم يرقهم تردده في موازنة العدو فأطالوا لسان الانتقاد له وشكوا من قلة اختباره في فن الحرب ولا يخفى أن الانتقاد عند الجنود وعند طلبة المدارس لا يلبث أن ترتفع به أصوات المنتقدين وينتشر بسرعة فسمع الأمير أوجين انتقاد الجنود ورأى تقتق بنائق صبرهم وكان سكان بلدة ساشيل يجارونهم في المجاهرة باستنأائهم من تردد الجيش الفرنسي في مناهضة العدو وكان هؤلاء السكان يحشمون من اقتراب النمساويين ويتوسلون إلى القائدين بالاهمليهم ويولهم ظهره . وكان الموقف حرجاً رهيباً : فمن الجهة الواحدة يشعر الجنود بقلق شديد ومن الجهة الأخرى يصر القواد على طلب مناخزة العدو والموت في ساحة المجد . وكان السكان مرتاعين من دنو النمساويين وطلبوا من الجيش الفرنسي الدفاع عنهم . وكل ذلك كان يحجري وجيش الاعداء بزحف ناعم البال .

تجمع الأمير أوجين قواده وكانوا أشد اضطراباً منه فتسقطهم عن رأيهم في تلك الحال ولكن أولئك الشجعان الذين اشتهروا بالبسالة والاقدام في الحروب لم يؤثتوا موهبة البراعة في قيادة الجيوش فنضاربت آراؤهم في المجلس الذي عقدوه فكان بعضهم يرى التقهقر ضرورياً وكان غيره يرى عكس رأيه ويشير بالاندفاع إلى معترك الهيجاء وقد كان من الضروري في ذلك الموقف أن يكون بينهم داهية يستطيع بنظرة واحدة أن يدرك ما يجب عليه عمله ليميز الموقف ويدفع الغوائل ويدود عن الدمار ولكن الأمير أوجين لم يكن ذا جرأة على رد مزاعم قواده وتسفيه الآراء الفائلة التي أبدوها فقرر العمل برأي الأكثرية أي مقاتلة العدو وأذاع على الجيش النشرة الآتية :

« أغار علينا الجيش النمساوي وهذا العمل أقدمت عليه حكومة فيينا غير مراعية لمكارد امبراطورنا الكريم وقد تناست استيلاءنا على ألم وانتصارنا في معركة استرلتز المشهورة ودخولنا فيينا ظافرين ومعاودة الصلح المعقودة في رسبورغ وقد أعيدت إليها بموجبها الولايات التي لم تحسن النمسا الدفاع عنها . »  
« أيها القواد والضباط والجنود يطلقون عليكم لقب « جيش ايطاليا » وليس لي ما أزيد عليه شيئاً أو لا يذكركم هذا اللقب بوجوب اتيان الاعمال



الباهرة . لقد طال عليكم عهد البقاء بلا عمل ولكن أعداءكم فتحوا لكم الابواب للخروج من هذه الحال فأشرقت عليكم شمس المجد ولا يذهب هذا اليوم بلا نتيجة قيمة فأنا أعرفكم ويجب عليكم أن تتخذوا لكم شعاراً « النظام والثقة » وعلى كل منكم أن ينهض بما يجب عليه فنحز بعمولته تعالى رضاء نابوليون . «  
أجل إن هذا الكلام منم حماسه وطنية توقظ الشجاعة من مريضها ولكن الامير اوجين ورئيس أركان حربه شربنتيه لم يحسنا وضع الخطة الحربية وإدارة الحركات العسكرية للوصول الى نيل الانتصار فلم يراع الامير موقع الارض ولم يقف على موقف العدو وفعل عكس ما كانت تقتضيه الحنكة وفن الحرب فوزع فرقته على أماكن متعددة ولبت وحده في مكانه ينتظر هجوم العدو .

وانكسر اوجين وجيشه امام النمساويين في مساء ١٥ ابريل في بوردينوني وفي ١٦ منه في ساشيل وكتب قائد جيش ايطاليا الاكبر رسالة موجزة الى الامبراطور في مساء ١٦ ابريل هذه ترجمتها :

« يا أبني احتاج صفحك . خشيت من ملامك ان انا احجمت فواقعت العدو واهزمت . »

ولا ينبغي للمؤرخ ان يشوه وجه الحقيقة فان الامير اوجين تم في ذلك الوقت العصيب باسرار شجاعة وهمة نادرين ولكن وفرة عدد العدو ودهاء قواده وخبرتهم في مواقع ذلك الاقليم فتت في عضد الامير اوجين ورجاله المغاوير وعلاوة على ذلك لم يكن له من العمر الا ثمانى وعشرون سنة ويستنتج من هذا ان الملوك والحكومات لا ينبغي لهم ان يستسلموا الى العواطف الشخصية لاسناد المناصب السامية الى اشخاص لا يستطعمون - مع كفاءتهم الشخصية - ان يدللوا مايقوم في وجوههم من المصاعب وقد قال المسيو تيارس الشهير في هذا الصدد : « انهم كثيرا مايبدلون دم الجنود الثمين ويعرضون حفظ البلاد للخطر فالملوك ورؤساء الجمهوريات يقلدون اولادهم او اخوتهم أو المقربين اليهم من غير اصحاب الكفاءة مناصب تجعل حياة رجالهم مستهدفة لنبال المهالك وحظوظ بلادهم رهن الخطر . »

في مثل الاحوال التي بسطانها كان الامير اوجين قادرا على تولي قيادة فرقة من الجيش من دون ان يكون قادراً على تولي قيادة جيش كامل ولا سيما حين

يكون في هذا الجيش قواد نظير لامارك البالغ من العمر تسعا وثلاثين سنة وغروشي الذي كان في الثالثة والاربعين من عمره في ذلك العهد وحين يكون القائد الأكبر يحارب جيشا يقوده قائد هام كالارشيديوق جان النموسي وقد عرف نابوليون في الحال الخطأ الذي ارتكبه ريبه فبادر الى مجاوبته على رسالته وكتب اليه للمرة الاولى كتابا جافيا واليك بعض ما جاء في هذا الكتاب

« لا بأس من اندحاركم وقد كان يجب علي ان اتوقعه حين قلت شابا خاليا من الاختبار قيادتكم على انني لم اشأ ان يتولى الامراء البافاريون والسكسونيون والورتمبرجيون قيادة جنود من بلدانهم وسأرسل اليكم مددا يسد مسد الخسارة التي منيتم بها أما الانتصار الذي اصابه العدو فأسأصيره عقبا ولكن لا بد لي من ان اقف على الحقيقة لئلا تسنى لي هذا الامر وانا خالي الذهن من كل خبر يتعلق بذلك وأراني مضطرا الى مراجعة النشرات الاجنبية لعلني أصل الى الحقيقة التي ضللتكم علي بها وأنا أفعل ما لم أفعله قط وما يجب ان يعرض عنه قائد محنك فاطير باسطا جناحي في الهواء من دون ان ادري ما يجري حوالي واممري ان بقا في جاهلا للحقيقة يقض مضجعي . »

ثم أضاف نابوليون الكلام الآتي ومنه يستشف ما يدخره من تقدير ماسيناحق قدره :

« الحرب لعبة خطيرة يعرض فيها الانسان شهرته وجنوده وبلاده لنبال الخطر والعاقلة يأمن من نفسه ميلا او تقورا من الحرب ومزاوتها ولم يخف علي انكم تغالون في ايطاليا بالغض من كرامة ماسينا فلو ارسلته قائدا لجيشي فيها لما نزل بهذا الجيش منازل من البلاء فماسينا معروف بمقدرته الحربية ويجب عليكم ان تحنوا الرؤوس جميعكم امام هذه المقدرة المجربة واذا كانت فيه عيوب فينبغي لكم ان تغضوا عليها الطرف فخل من لاعيب فيه وقد اخطأت باسنادي اليك قيادة الجيش ... »

أجل ان هذا الكلام كان شديد اللهجة وقاسيا ومما بعث عليه هو ان اوجين قصر في ارسال الايضاح اللازم مع النشرة الرسمية

وكان ان الصمت الذي طال اجله اياما ساء الامبراطور وصبر الامور كثيرة التعقيد في نظره

وكان كلام الامبراطور السابق كطعنة نجلاء في صدر الامير اوجين الشاب فصمم على نسخ ما علق بذهن الامبراطور بانتصاره انتصارا باهرا وقد قرن الفسکر بالعمل فانه كان يرغب من صميم قواده ان يرى الجنرال مكدونال الى جانبه فلم يمض عليه وقت طويل حتى جاءه هذا القائد المجرب الهمام .

وتقدم جيش الارشيدوق جان النمسوي الى نهر الاديج وهو يمر ذلاذل النصر وقد أضع في ذلك الاقليم فرصة ثمينة اغتنمها اوجين فانه في خلال الايام الثمانية التي قضها العدو بلا عمل ثاب اليه روعه واستعرف مواقع العدو واكثر من مخالطة قواد جيشه وشدد عزائمهم بعد ما كان انكسارهم في ساسيل قد أوهاها .

وتفقد الجنرال مكدونال الاماكن المجاورة فابصر ذات يوم عن بعد عددا كبيرا من الجنود ومعهم عدد الحرب وخيل اليه انهم يتقهقرون ميممين فريول وانهم من النمسويين ولكن ما علم ان انقلب توهمه حقيقة فوخز جواده ودنا من اوجين واثار بيده الى ما كان يبصره وقال : « لقد انتصر الامبراطور في المانيا فانزحف الى الامام »

وقد أصاب الجنرال مكدونال في حدسه فان بابوليون انتصر على جيش الارشيدوق شارل انتصارا باهرا في راتسن ولكن الامير اوجين ورجاله لم يكونوا قد تلقوا تلك البشري . فاشرق جبين اوجين لما بلغه هذا الخبر غير المنتظر وشد وراء الجيش النمسوي وكان الخوف قد دخل على النمسويين فقاتلوا مكرهين وليس لهم مطعم الا في الاسراع في الهرب واشتدت الحماسة في قلوب الفرنسيين فزحفوا بقيادة الامير اوجين الى جهات الالب السكادورية الجنوبية ونموا باسرار جرأة عجيبة بين الاديج وبيافي وانتهى القتال في ٧ مايو ١٨٠٩ بعد ما ترك النمسيون ٢٥٠٠ قتيل ومثل هذا العدد من الجرحى وعددا كبيرا من المدافع والذخائر الحربية في ساحة الروع .

واستؤنف القتال في ٩ مايو فظفر اوجين ظفرا مبينا بالارشيدوق جان في ١٢ منه في سان دانيالي واوزوبوا وانهمز النمسيون ومعهم ثلاثون الفا من جنودهم وقد تركوا ١٨ الفا في ميدان الوغى فكان في هذا الانتصار تعويض

للامير اوجين عن الانسكسار الذي لقيه في ساسيل وقد تلقى نابوليون نشرة من جيش ايطاليا نذكر منها الفقرة التالية :

« تصرف الامير تصرفاً جديراً بان الامبراطور وقد اعجبت برباطة جأشه وجراًة مقدمه . » وكان الانتصار الذي أصابه الفرنسيون في ايطاليا حلقة جديدة تضاف الى سلسلة الانتصارات التي ظفر بها الفرنسيون في تلك البلاد ولما انتهى خبر هذا الانتصار الى نابوليون وهو في فينا طلب من الامير اوجين ان يقدم اليه فيها فبادر الامير الى تلبية الطلب ماراً بكارنثيا واستولى وهو مار فيها على قرية ملبورغتو الصغيرة ووصل الى الجيش العظيم فسر به نابوليون سروراً عظيماً وقال « لم يقدم عليّ مدفوعاً بموامل الشجاعة بل بموامل العواطف » ونسخ انتصار الامير اوجين وانضمامه الى الجيش العظيم ما كان قد علق بالاذهان على اثر الانسكسار في ساسيل .

وكان اعداء نائب الملك قد سمعوا لتنكير نابوليون عليه واتهامه بالعجز عن تولي القيادة العامة على ماتقدم بيانه فاغلظ له نابوليون الكلام في الرسائل التي وجهها اليه ولكن الامبراطور نسي ما جرى في الماضي لما انتهى اليه خبر الانتصارين اللذين احرزهما الامير اوجين في بيافي وسان ويله .

وكان امام هذا الامير الشاب مجال واسع لاطهار ما امتاز به من الجرأة والمقدرة الحربية فانه ساق المتالف وهو على مرتفعات ليوبن الى جيش الجنرال يالاشيش ولم يكن عدد رجال اوجين يزيد على ٣٣ الفا وحينئذ تيسر له ان يزحف الى فينا من دون ان تتصدى له العقبات وبعد ما اذن لرجاله بان يستريحوا حيناً من الزمان ذهب بهم الى نوستادتم الى اودنبورغ ليرصد حركات الارشيدوق جان وسكناته ووصل في ٩ يونيو الى ضفاف نهر رعب فلقبي مكدونال وسر كثيراً باجتماعه به

وانتقدت نيران المعركة في ١٤ يونيو حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً فكانت معركة هائلة وكان المكان النازل فيه النمسيون افضل من المكان الخيم فيه الفرنسيون من الجهة الحربية ولكن كان عدد الجنود متساوياً من الجانبين وكان الامير اوجين يتنقل بين صفوف جنوده راكباً جواده في ساحة القتال ورصاص العدو يتساقط عليه كالوبل فكان يشجع الجنود وينمش قوى الضباط

ويجازف بنفسه مجازفة ببسالة نادرة عجيبة وأتى القواد سيراس ودوروت وسيفيرولي أعمالاً عظيمة تدل على جرأة لا يفل حدها وقد استولوا على قرية سزابادهيجي وكانت عملهم هذا فاتحة الانتصار فان فرقة ساهوك هجمت على الاعداء على ضفة رعب النيني وأكرهتهم على الاستسلام فاسرت منهم عدة آلاف وغنمت مقادير كبيرة من المدافع وأتلفت قسماً مما لم تستول عليه ولما رأى قواد الجيش النمساوي أن رجالهم خذلوا دخل عليهم الخوف وتزلزلت أقدامهم فتقهقروا وقد ساعدتهم موقع الأرض وانتشار الظلام على التقهقرياً بنظام ولم يفقد الفرنسيون في هذه المعركة سوى ألفي رجل وكان لهم فيها تعويض عما نالهم من الخسارة في معركة ساسيل أما خسارة النمساويين فكانت عظيمة فمات عدد قتلاهم الذين عدوا بالآلاف تركوا في ميدان الوغى ثلاثة آلاف جريح وتاه منهم ألفان وسقط في أسر الفرنسيين ٢٥٠٠ وحانت المرشال مكدونال في ساحة الروع المنتصر الشاب وكان يهتم دائماً بأمه وقد سمي نابوليون هذا الانتصار «حفيد مارنغو»

٤

## الامير اوجين

وطلاق نابوليون لجوزفين

وجعل الامير اوجين مركز قيادته العامة في برسبورغ بعد معركة وگرام وقد اشترك فيها هو وجيشه ولكنه ما لبث ان رجع الى ميلانو وكانت الحال تقتضي وجوده فيها على انه لم يطل مدة إقامته فيها فقد كانت منتظراً وقوع حوادث خطيرة في فرنسا فدعاه اليه نابوليون الى باريس في ٢٦ نوفمبر ليقاوضه في ما كان ينوي أن يفعله لتطليق جوزفين دي بوهرنه ورأي أن الابن يكون أفضل من غيره لتبليغ والدته ما يبتغي أن يبلغها إياه مما عقد عليه عروة العزم فكتب اليه ما يأتي : « يا ابني أريد أن تغادر ميلانو بحيث تستطيع الوصول الى باريس في ٥ ديسمبر أو ٦ منه تعال وحدك ومر بفنتنبلو . وكان الامبراطور قد صمم على كتمان مقاصده قبل وصول اوجين تخف هذا الى السفر على جناح

السرعة امتثالاً للامر وكان في أثناء السفر يطلق باز الفكر في جو التفكير وقد توم صيحة ما قالت له زوجته وهو ان الامبراطور دعاه الى باريس ليذيع رسمياً انه يتخذه ولياً لمعهده .

وفي حديث دار بين نابوليون وكباسارس أنثى الامبراطور على الامير أوجين وقال انه يمنحه الاثرة على غيره ونوه بما أداه من الخدم المشكورة للدولة وبمزاياته الحميدة ولكنه لا يمكنه أن يتخذه ولياً لمعهده ليخلفه على العرش في فرنسا لانه لم يكن متحدرًا من دم امبراطوري ولان أعضاء الاسرة البونابرتية العابثة بهم عوامل الحسد لا يلينون لأوجين مقادتهم ولا يخضعون لسلطته أبداً .

ولم يبق السر مكتوماً كل السكتان فانه تسرب من القصر الامبراطوري الى الخارج وحالما وصل أوجين الى باريس خفت شقيقته هرنس الى لقائه وأوقفته والدموع تلج في عينيها على ما كان الامبراطور قد صمم عليه . فأدرك الامير أوجين في الحال تداعي صرح مجده وتمثل في ذهنه انه اذا طلق نابوليون جوزفين وتزوج بامرأة أخرى وولدت له أولاداً جلسوا بدلاً منه على عرش فرنسا وإيطاليا . أجل انه لم يسع قط وراء عرش فرنسا ولم يرغب فيه ولكنه كان يرى ان مملكة إيطاليا تخصه وانها ميراث له فقد حلت عليه الآن ضربة مزدوجة بصفة كونه ابناً وأميراً وأبصر انهيار بناء مقاصده العالية الذي كان قد شيده في ذهنه وكيفما كان الامر لم يكن له مندوحة عن تلقي تلك الضربة الشديدة بصدر رحب وعزيمة متينة فقد كان من المقضي عليه أن يكون عضداً ومعزياً لوالدته وشقيقته وقد قضت عليهما الاقدار بأن تجرما كثر وس المهانة مترعة الى اصبارها .

ودخل أوجين على الامبراطور فضمه نابوليون الى صدره وطاقه وباح له بأسرار عطف شديد ولكن أوجين لم يعبأ بشيء من ذلك لان الطعنة التي طعن بها فؤاده كانت نجلاء وحسبه أن يتصور والدته هاوية عن العرش حتى تدك دعامته . وأدخله نابوليون على جوزفين فوق كل من الابن والام على عنق الآخر وكان أوجين يتعذب لاجل والدته وشقيقته أكثر مما يتعذب لاجل نفسه فكان يقول : « يجب على والدتنا أن تباعد وأن نباعد معها لنكفر في العزلة عن عظمة وقتية أقلقت حياتنا أكثر مما زينتها . »



نابوليون يمي مذكراته علي لاس كاس الحدث





وكان نابوليون قد اسند قبلا الى اوجين منصب العضوية في مجلس الشيوخ ولكنه لم يجلس على كرسيه للمرة الاولى الا ليتلو فيه السطور التالية التي دمجها يراعة الامبراطور نفسه : « والدتي وشقيقتي وانا مدينون بكل شيء للامبراطور فقد كان لنا ابا حقيقيا وسيلقانا في كل حين ولدين مخلصين له وخاضعين لاوامره » فهناك فرنسا يقتضي ان يشيخ منشيء الاسرة الرابعة بين اولاد يتحدرون من صلبه ويكونون ضماناً لسمادة الجميع ولجند الوطن

« ولما وضع التاج على مفرق والدتي بيد زوجها العظيم باسم الامة جمعاء عاهدت والدتي على بذل كل ما عندها من العواطف في سبيل مصلحة فرنسا ... وقد تأثرت نفسها غير مرة من رؤيتها عوامل الاسى تمزق بمداه قلب رجل تعود ان يتسلط على الاقدار وان يوسم الخطى في الطريق الذي يوصله الى غرضه السامي . »

وما من أحد يشك في ان هذه الكلمات لم يفه بها اوجين الا بطرف شففيه وانه لم يقرأها الا مكرها لان معرفة الجميل حملته على ذلك وكان ايضا يخشى ان يستاء منه الامبراطور اذا هو رفض ما أمره به .

ولما قضى الامر ونفذ السهم رافق اوجين والدته الى المامايزون واحاطها بنطاق حبه البنوي ليجعلها تنسى عظمها الزائلة

وكانت زوجة اوجين قد بقيت في ميلانو وكانت على اتصال معه بالمكاتبة وجعلتها نفسها السكبيرة تقهر القدر الذي رشقها بسهمه فكتبت الى زوجها ما يأتي : « محبت ايماننا من جدول العظماء ولكن كتبت في سجل السعداء »

وعاد الامير اوجين الى ميلانو ولكنه لم ير بدا من الرجوع الى باريس ليشهد ولادة ملك رومية في ٩ ديسمبر سنة ١٨١٠ وقد حضر هذه الحفلة بصفة كونه اميراً فرنسياً ولكن قلبه كان مع الامبراطورة المنزوع التاج عن جبينها . ولما شخص نابوليون وماري لويز الى شربورغ رافقهما الامير اوجين . ومع انه كان راغباً في اعتزال السياسة رضي بان يقبل من الامبراطور لقب غرندوق فرنكفور واقترح نابوليون على الامير اوجين في سنة ١٨١٠ ان يقبل تاج اسوج الذي قبله برنادوت فيما بعد ويقول بعض المؤرخين ان الامبراطور كان يرغب رغبة صادقة في ان يرى ربيبه جالسا على عرش غستاف ادولف ولكن الامير الشاب

اعتذر عن قبول ذلك لانه كان يرى نفسه غريباً في تلك البلاد وبعيدا عن وطنه  
وآثر البقاء في ايطاليا معتصماً بعري الدين الكاثوليكي الذي ولد فيه  
وكان الامير اوجين في اثناء مقامه بميلانو يقضي معظم وقته في الدرس  
ويسعى لتحسين احوال بلاده وكان بينه وبين الامبراطور مكاتبات تدل على  
لين جانبه وطول باعه في الشؤون الادارية ولم يترك ميلانو الا للانضمام الى  
الجيش العظيم لمحاربة روسيا.

٥

### معركة روسيا - عبور البرسينا

وذهب الامير اوجين الى باريس في ابريل ١٨١٢ ليودع والدته قبل انطلاقه  
الى معركة روسيا فاجتاز المانيا بجيشه الايطالي المنظم ميمماً مايناس فبلوك  
وهناك اسندت اليه قيادة الفيلق الرابع . وبينما كان في ضواحي مدينة بلوك على  
ضفاف الفستول قدم عليه وفد من بولونيا ليقدم له تاج بلاده . وكان الاقدار  
اصرت على وضع اكليل على مفرقه ولكنه نبذ ماكانوا يقترحونه عليه .  
وكتب الكونت دي سيفغور قائلاً : « كان نائب الملك في ايطاليا نازلاً في  
ماريوبول على رأس ٧٩٥٠٠ من الباطاريين والايطاليين والفرنسيين وانتقل  
الى كروني في اول يوليو بعد ماضم شمل جنوده الذين كان الزمهرير قد برح بهم  
وكانت الدوسنطاريا تفتك بهم فتكا واستطاع ان يعبر الدوينا بعد جهد شديد  
بينما كان الجنرال دوكتوروف الروسي يتقهقر برجاله وشهد المعارك في استروفنو  
وموهيليف وارندى فيها بمطارف الفخر والمجد وأدى الامير اوجين في موسكو  
خدماً جليلة للامبراطور نابوليون ايدت ما كان مشهوراً عنه من الشجاعة والاقدام  
فانه بما أوتي من المقدرة الادارية والحنكة العسكرية تمكن من دفع الغوائل عن  
الجيش العظيم في حاصمة القياصرة القديمة واستطاع ان يحتل حصن بورودينو  
المنيع وكانوا يعتبرونه مفتاحاً لتلك المواقع فكان من وراء عمله هذا الظفر العام  
وقضت الحال بعد ذلك بالعودة وكان ذلك اعظم الاهوال واشد المخاوف  
ويقول الجنرال دي سيفغور في هذا الصدد ما يأتي :

« احاط الروس على ضفاف نهر النوب بالفرقة الرابعة عشرة التي كان الامير اوجين يقودها فشاء هذا القائد المقدام تخليصها ولكن الجنود والضباط كان البرد القارس قد خدر جسمهم فان درجة الحرارة هبطت الى العشرين تحت الصفر بالمقياس المئوي وكانت الرياح الصرصر تزيدها شدة فاضطجع الجنود على الرماد الحار وحاول القواد على غير جدوي أن يروهم العدو محيطا بهم يتحفن للانقضاض عليهم وكان الرصاص والقنابل تتساقط عليهم كالمطر المدمر ولكنهم اثاروهم اذ اناصموا وقالوا انهم يفضلون الموت على تحمل مشاق تلك العيشة وشظفها وقد تمكن الامير اوجين بشق النفس من انقاذ ساقه الحرس . »

وشرع الجيش العظيم في التجهيز في ١٩ اكتوبر ١٨١٢ ووقع قتال في ٢٤ منه في مالو اياروسلوتز ووايازما وكان زحف الامير اوجين الى كراسنوي قد جعله معدوداً من دهاة القواد فانه استطاع بحيشه القليل العدد ان يضلل الروس عن تعقبه وكان عدد الروس ثلاثين الفا ووصل الى كراسنوي حيث كان نابوليون فاتبج الامبراطور بمقدمه وعانقه وكان يظن أنه لن يبصره .

وخلص الامير اوجين المرشال ناي في ضواحي اورخا وكان الروس قد اوشكوا أن يحيطوا به وبرجاله في ليل ٢٨ نوفمبر ثم عبر البرسينا ولهذا العبور ذكرى مؤلمة في تاريخ الجيش الفرنسي لانمحوها يد الدهر فان الجنود الفرنسيين ذاقوا من العذاب اشكالا والوانا في عبورهم لذلك النهر . واسندت الى الامير اوجين قيادة طلائع الجيش بعد يومين

وصمم نابوليون في ٥ ديسمبر ١٨١٢ على ترك الجيش والرجوع الى فرنسا وفاوض في هذا الامر الامير اوجين ومورات وبرتيه والقواد الاخرين ثم قلده ملك نابولي القيادة العامة . وكان من المعروف عن مورات انه متناه في البساطة في علاقاته الاجتماعية بقدر ما كان شجاعا في الحروب ولذلك لم يستطع أن يضطلع بالمهمة التي عهد فيها اليه فاستاء منه كثيرون من القواد وفي جملتهم الامير اوجين وكان هذا شديد الرغبة في العودة الى ايطاليا فكتب الى الامبراطور ما يأتي .  
« يا صاحب الجلالة وقفت حياتي على خدمتك ويشق علي ان استعملها لمجد غيرك ولا سيما حين تكون عواطف هذا الشخص عدائية نحوى وجلالتك

تعرف حقيقة هذه العواطف ولذلك أجرؤ على الاستئذان من جلالتك بالرجوع الى ايطاليا في الحين الذي تراه ملائماً .

فلم يمالئه نابوليون على طلبه وكتب اليه من همبورغوفي مايلي :  
« يا ابني انهض بما يجب عليك واتسكل علي . »

فاذعن الامير اوجين لمشيدة مولاه وبقي مع الجيش ولم يكن يبتغي العودة الى ايطاليا الا للابتعاد عن المكان الذي التى فيه مورات الشقاق بين القواد .

وعادت الهجة الى فؤاد الامير اوجين فكتب الى زوجته : « دعي المزاح جانباً وانتظري ان تبصري كثيرين منا فقدوا انوفهم وآذانهم وهل يمكنك ان تصدقي يا عزيزتي انه لم يبق معي سوى الفي رجل من فيلتي الكبير وقد جرح نحو نصفهم . »

وبعد أيام قليلة ادعى مورات انه مريض ففصل عن الجيش مغادراً اياه ليعود الى نابولي ولم يكن له من مبرر لعمله هذا وقد حمله على ذلك وهن المزيمة والتواني وانتشر بين الجيش السبب الحقيقي لذهاب مورات . ولما انتهى هذا الخبر الى نابوليون كتب الى ربيبه الكتاب الآتي :

« يا ابني تقلد قيادة الجيش العظيم ويسوؤني أن لا اكون منذ البدء قد ذلتك هذه القيادة واؤمل انك تضطلع بهذه المهمة وانك لا تفقد عدداً كبيراً من هذا الجيش فافات لايمكن اصلاحه . »

وعاد القائد العام الجديد بالجيش الى مغدبورغ مذلاً مصاعب شتى تصدت له في طريقه . وكان عبور البرسينا بمثابة مقبرة للجيش وابدى الامير اوجين شجاعة تفوق الطوق البشري لانقاذ فلول الجيش فكان يقبل عشار فريق منه صرخته الشدائد وينفخ روح الجرأة في فريق آخر تداعت عزائمه وقد اعتقد ان وجود شخص يتولى الزعامة في مثل ذلك الموقف الحرج ويكون رابط الجأش بعيد النظر قادراً على انعاش قوي الجيش امر لامند وحة عنه .

ولا يخفى ان جميع المؤرخين الذين كتبوا عن تفهم الجيش العظيم الى مغدبورغ اثنوا على اختلاف منازعهم السياسية على ما ابداه الامير اوجين من جرأة المقدم وحسن الادارة في ذلك الموقف العصيب وكان للامير اوجين نصيب كبير في الانتصار في معركة لوتزن في ٢ مايو سنة ١٨١٣ فانه كان يقود جيشاً

نجرا مؤلفا من ١٥٠ ألف مقاتل وخمسة قواد أكبر منه في العمر . وبعد ما قام بتلك الاعمال الحربية الباهرة عاد الى ايطاليا وانتهى اليه وهو فيها ان حماه ملك بافاريا انتظم في سلك المحالفة المؤلفة لناواة نابوليون وأرسل هذا الملك رسولا يحمل الى صهره رسالة يدعوه بها الى ترك نابوليون ويعدده بان يجعله يصيب تاج مملكة في مقابل انحيازه الى الحلفاء ولكن الامير اوجين اجابه جوابا يدل على الانفة والكرامة ومن جملة ما كتبه اليه ما يأتي :

« انا مدين بكل شيء لنابوليون ولايسعني أبدا الانفصال عنه وربما تضطري الاحوال قريبا الى الالتجاء الى مونيخ ولا تخالجي ادنى مرة في أن ملك بافاريا يفضل أن يستقبل صهرا بلا تاج على صهر بلا شرف . »

وألح الرسول على الامير اوجين بقبوله اقتراح حميه ولكنه ظل مصرا على الرفض . ومن المدهش ان زوجته الاميرة وافقته على رأيه لانها كانت على جانب عظيم من عزة النفس وقطعت كل علاقة باسرة والدها ولم تبد أي أسف على فقدان تاج يفقدها المحافظة على اعز شيء عندها وهو كرامتها .

وعاد الجيش النمساوي الى غزو ايطاليا ولكن الامير اوجين صمد له بعزيمة لا يفل حدها وبقي شهرين يقاتل بخمسة وثلاثين ألف مقاتل ستين الفا من الاعداء وظهر عليهم أخيرا في ١٠ فبراير سنة ١٨١٤ بعد ما كسرهم شر كسرة وقد فتك رجاله فتكا ذريعا برجال حميه فان هؤلاء البافاريين الذين كانوا من أعاني سنوات يطبقون الفضا بالهتاف لامبرطور الفرنسيين حينما ذهب الى مونيخ ليشهد حفلة زفاف كريمة مليكهم الى الامير اوجين جاهدوا بنكران جميل فطيح بعد ما !نقذت فرنسا بلادهم وحررتها وجعلتها مملكة وأغنتها باسلااب النمسا .



## آخر حياة اوجين بوهرنه

ودخل الحلفاء باريس في ١٣ ابريل سنة ١٨١٤ وكان ذلك فائحة تداعي صرح الامبراطورية فاضطر الامير اوجين الى عقد هدنة مع المارشال دي بلغارديانسوي الذي كان يحاصر مدينة مانطو وتم الاتفاق في هذه الهدنة على ارجاع مانطو وبلاد لمبرديه الى النمسا ورجوع الجنود الفرنسيين منها الى فرنسا مجتازين جبال الالب ونشر الامير اوجين في هذا الصدد الذئيرة الآتية على جيشه :

« أيها الجنود الفرنسيون ستعودون قريباً الى بلادكم ويسرني ان اعود بكم اليها وما كنت لاتنازل لغيري - في غير الاحوال الحاضرة - عن السير بكم أيها الشجعان الى موطن الفخار بعدما قد فتم بانفسكم الى موطن الهلكة ولكن مهام خطيرة تقضي عليّ بالافتراق عنكم .

« أيها الجنود الفرنسيون ثقوا باي لا انسى ابدا الثقة التي وضعتموها فيّ في آونة المخاطر وفي الاحوال السياسية الشديدة التعقد واعلموا اني سأظل شديد التعلق بكم وسأدخر لكم عرفان الجميل وعلاوة على ذلك يخطب الشعب الايطالي ودمكم ويحترم ما ازددتم به من السجايا الكريمة » .

وكان الامير اوجين يتوهم انه يحق له أن يظل في منصبه وان ذلك واجب عليه إلا أن الحوادث تراكمت متزاحمة بسرعة تجعل يراعة المؤرخ عاجزة عن بيان الحقائق فقد نص في معاهدة فننبلو على احتلال الجيش النمساوي لايطاليا وعلى تنازل نابوليون وخلفائه عن وضع التاج الحديدي على مفارقهم وكان ذلك خاتمة لمهمة الامير اوجين السياسية والحربية فانه سلم المارشال دي بلغارديانسوي البلاد وقلاعها وانطلق بأسرته الى باريس .

ولا بد من القول ان شني الشؤم تلك التي اجتازتها الامبراطورية والنكبات الشديدة التي اصابتها اوهت عزائم قواد الجيش الفرنسي ورجال الحكومة الامبراطورية بحيث رأوا ان الامر قضي ولم يبق لهم مطمع باستعادة مجدهم الضائع . وتألف حزب في فرنسا جاهر بمبادئه على رؤوس الاشهاد ونهذ المحاذرة

وبث في الامة نظرية فخراها أن الملوك دون سواهم يستطيعون ان يخاصوا البلاد من الاجنبي ويعيدوا اليها السلام والسكينة وان الحال تقضي بابتعاد نابوليون وذويه عن ملعب السياسة ولم يتأسف الامير اوجين على مغادرة ايطاليا ولم يقبل الحكم فيها إلا بعد ما رفضه يوسف بونابرت وقد خدم الامير اوجين نابوليون خدمة صادقة في اثناء انامته في ايطاليا ولما خرج من هذه البلاد ترك مليونين وسبع مئة الف فرنك في خزانة حكومتها وكان ذلك نتاج حسن ادارته واقتصاده . أجل ان الحكومة النمسية اعترفت فيما بعد بان هذا المال للامير اوجين ولكنها لم تؤد شيئاً منه لاله ولا لاولاده فلم يرفع الامير صوته بانشكوى ومحمل بهمة عالية تحامل الاقدار عليه ونكران جميل البشر نحوه . واستمال الامير اوجين اليه احترام الايطاليين ومحبتهم له بحكمته ولين جانبه وكان له في هذه العواطف التي اظهرها له الشعب الايطالي سلوانا عما حل به من البلاء ولما عاد الامير اوجين الى باريس اراد نابوليون ان يعطيه علامة أخيرة عن عطفه عليه واحترامه له فانعم عليه بلقب مرشال ولكن الامير التمس من الامبراطور ان يعفيه من قبول هذا اللقب لانه كان يرى أن مهمته العسكرية انتهت . وبينما كان نابوليون سائراً على طريق المنفى في جزيرة الباء أخذ الامير اوجين وأسرته طريق مونيخ ومنها ذهب الى فيينا لحضور المؤتمر واعطى الامير اوجين في معاهدة فنتنبلو في ١١ ابريل سنة ١٨١٤ تمويضا قدره عشرون مليون فرنك في مقابل عقارات وحقوق كانت له في ايطاليا وابتقى له المؤتمر حقوقه في اقليم انكون وقبض خمسة ملايين فرنك من ملك الصقليتين ولكنه ترك هذا المبلغ لحيته في مقابل دوقية الختمبرج وامارة ايشستاد وقد صار من ذلك الحين يعرف باسم دوق دي الختمبرج .

وكان الامير اوجين يقيم في قصره بمدينة بايروت في اثناء « الايام المئة » فلم يشترك في الحوادث السياسية التي وقعت في سنة ١٨١٥ وشطرت الجيش الفرنسي شطرين متعادين وكان الدوق دي الختمبرج يرى ان حزب نابوليون لا يرجى قيامه من عثاره لان موارد قوى فرنسا كانت قد نضبت وكانت دعائم شجاعة جنودها قد تقوضت وكان الحلفاء يحتلون بلادها ولذلك لم يكن من سداد الرأي والحكمة التماذي في الترس بالاقدار .

ويزعم بعض الذين كتبوا ترجمة الامير اوجين دي بوهرنه ان الملك لويس الثامن عشر كان يحترم هذا الامير ويقدر صفاته العالية حق قدرها فعرض عليه منصب « كنييتابل » ولكنه رأى ان هذا المنصب غير لائق به بعد ما كان كملك في ايطاليا . وقد بقي محتفظا بلقب مرشال فرنسوي في عهد البوربون ولم يشأ ان يشكر فضل نابوليون عليه بخدمته ملوك فرنسا فان نابوليون كان بمثابة أب حقيقي له .

ولما كانت والدته مريضة في المالميزون استقبل الامبراطور الاسكندر وكان هذا العاهل قد شاء ان يعود زوجة نابوليون الاولى ويظهر لها اهتمامه بامرها فظهر القيصر للامير اوجين علامات عطف وود صادرة عن صدق واخلاص ولكن اوجين اوشك في ذات يوم ان يعتقل بامر الاسكندر نفسه لما كان نابوليون في جزيرة البا ولم ينج من الوقوع في حباله الاعتقال الا بعد ما قطع عهدا بالا يغادر فينا وكانت الحلفاء قد اكرهوه على الإقامة فيها وقد سمى الامير اوجين بعد ذلك رغما من هذا الامر الى الالتجاء الى مكارم القيصر وكلته المسموعة الافراج عن سجين القديسة هيلانة . فكان جواب عاهل الروس مفرغا بقلب الود واللفظ ولكنه ظل جبراً على ورق .

وبعد وفاة والدته في ٢٩ مايو سنة ١٨١٤ غادر فرنسا ولم يعد اليها قط بعد ذلك وكان في اثناء مرض والدته يستنفذ المجهود لتعزيتها وتخفيف اوتار غصص الموت عنها . ولم ينزل الى معترك السياسة قط في عهد البوربون بعد نفي العاهل نابوليون الى جزيرة القديسة هيلانة وكان ان هذا القائد الهصور الذي تنقل في بلدان اوربا على صهوة جواده في عهد نابوليون الكبير اراد أن يستريح من مشاق الحروب ومشكلات السياسة فأثر الانزواء في بيته بين افراد أسرته يتذوق طعم المعيشة البيتية اللذيذة وكانت اواخر حياته هادئة ساكنة كما كانت اوائلها . ولما عاد نابوليون من جزيرة البا في اول يونيو سنة ١٨١٥ انعم عليه بلقب نبيل من نبلاء فرنسا وكان هذا اللقب آخر علامة شرف نالها .

وطلب ولي عهد أسوج يد جوزفين كريمته الكبرى في سنة ١٨٢٢ وفي اثناء حفلة العرس أصيب الامير اوجين بفالج شديد صرعه فبادروا الى معالجته والعناية به وافترس الامير اوجين واستأنفوا حفلة الزواج بين مجالي الابهام





نابوليون على سرير الموت



ومظاهر السرور ولكن الداء عاد اليه بعد سنة بشدة قضت عليه وعلى الآمال التي كانوا يعلقونها عليه فتصرفت حبال حياته في مونيخ بين اسرته في ٢٠ فبراير سنة ١٨٢٤ وهو في الثالثة والاربعين من العمر . ولما بلغ نعيه ملك فرنسا قال : « اني آسف على مصرع الامير اوجين فقد كان رجلا كريما معروفا بصلاحه . » والذي يزور كنيسة القديس ميخائيل في مونيخ يبصر ضريحها فخما من الرخام الناصع البياض صنعه النحات تور والدسن الدانمركي المشهور فان كريمة ملك بافاريا وأيم الامير اوجين ارادت ان تخلد ذكرى زوجها العظيم بأقامة ضريح يليق به واكتفى النحات بان يحفر هاتين الكلمتين « شرف وأمانة » عند قاعدة تمثال الامير وهما كافيتان للدلالة على هاتين الصفتين الكريمتين اللتين كان نجمل جوزفين دي بوهرنه ممتازا بهما .

## ٧

### تأبين تيارس لـ اوجين بوهرنه

والدة السلطان محمود الثاني

اقتطفنا ترجمة الامير اوجين بوهرنه من تاريخ القنصلية والامبراطورية لد'هية السياسة الفرنسية ادولف تيارس والى القارئ الكريم نتفة من تأبين تيارس لـ اوجين بوهرنه : « اوجين دي بوهرنه من أجل الصور التي ظهرت في هذا العصر وهو مثال تام للشجاعة والمروءة وقد دعا أحد اساتذة التاريخ جان دارك وماري ستوارت وماري لـ كنزسكا أشهر النساء اللواتي امتزن بالفضيلة وشرفن بلاد فرنسا ولو ذكر هذا الاستاذ اسماء الرجال الذين امتازوا بالفضيلة لوضع ولامراء اسم اوجين دي بوهرنه الى جانب اسماء دي غيكلان وبايار وطوردين وسواء كان في ساحة اهلبيجاء أو في بلاط نابوليون أو في قصره بميلانو أو في قصره بباروت بعد سقوطه عن منصبه العاليه بقي حافظا سكينته واطفه البادين على جبينه . »

وكان اوجين بوهرنه وضاح الطلعة جذابا وقد استطاع مع تباين الاحزاب وغليان عواطفها ان يستميل اليه احترام جميع الاحزاب لان الجميع كانوا يعتبرونه جنديا هاما وقائدا شجاعا مترفما عن المطامع وصغائر الامور . وكان شديد الشكيمة مستقلا في الرأي وقد خدمته الاقدار في أحوال شتى ووضعته على درجات العرش ولكنه لم يعمل قط الى الجلوس عليه ، وكان نابوليون قد جعله نائبا للملك في ايطاليا ولكنه كان يحاذر ان يستخدم ما له من المنزلة السامية عند الامبراطور للتعسف عن محبة الشرف أو تخيانة الشعب الذي كان يتولى حكومته وقد عرف نابوليون حقيقة اخلاق ربيبه وصدقه واخلاصه ولذلك جاهر وهو على تلك الصخرة الصماء في جزيرة القديسة هيلانة بما كان يكنه للامير اوجين من الاحترام وشهد بذلك قائلا : « ان اوجين لم يحملني قط على الاستياء منه . »

ونختم هذا الفصل بقولنا انه كان للامير اوجين بوهرنه ثمانية اولاد ولكن لم يبصر أحد منهم النور في أرض فرنسوية ولم يكتف الحظ بان يعبس في وجوههم لما جاؤوا الى الوجود بل ظل متنكرا عليهم في كل حياتهم وكان ذلك مناقضا لحياة الامير والدم فانه بعد ما ابلى بلاء حسنا في سبيل فرنسا في خلال عشرين سنة قضى عليه القدر المعتبر بان يقضي نحبه في ارض غربة في ميدان حروب الاسبراطورية الاولى .

وقد توفي بعض اعقابه في المانيا وانتحل البعض الآخر المذهب الارثوذكسي ونالوا لقب اصحاب السمو الامبراطوري الروسي وصاروا معروفين باسم رومانوفسكي ولم يبق أحد منهم في فرنسا .

وقبل أن نختم هذه الترجمة نذكر شيئا عن نسبية لجوزفين دي بوهرنه والدة صاحب هذه الترجمة وهذه النبذة مأخوذة عن ترجمة السلطان محمود الثاني الذي يعدونه أبا للاصلاح في تركيا :

كان لجوزفين دي لا باجري ( الامبراطورة جوزفين ) نسبية تدعى ايمه دوبوك دي ريفري ولدت في جزيرة المرتينيك في سنة ١٧٧٠ ولما بلغت الثامنة عشرة من عمرها ساقها الاقدار الى التزوج بالسلطان عبد الحميد الاول فولدت له السلطان محمود الثاني وتحرير الخبر ان هذه الفتاة لما كان لها من العمر ثمانى سنوات ارسلت الى مدينة نانت في فرنسا لتتلقى العلم في أحد الاديرة فقضت

فيه عشر سنوات وبينما كانت راجعة الى المرتينيك هجم قرصان جزائري على المركب الذي كانت فيه في عرض البحر واسره وتقايموا الاسلاب والغنيمة فوقعت الفتاة آية دوبوك دي ريفري في حصّة زعيم القرصان ولما نفرس فيها وابصرها آية في الجمال خطرت له في الحال فكرة ارسالها هدية الى مولاه السلطان عبد الحميد الاول رغبة في بقاءه حاصلًا على عطفه . ولما وصلت الفتاة الى القسطنطينية ووقعت عليها عين السلطان خلبته بحسنها الفتان فتزوجها بعد ما اكرهت على الاسلام لانه لم يكن لها في اليد حيلة وولدت غلاما سموه محموداً وعنيت بتربيته عناية عظيمة جاءت بثمار يانعة في مستقبل حياته فوجدت فيه روح الفضيلة ونشأته على حب الخير والاصلاح في بلاده وظلت مقيمة في القصر السلطاني الى سنة ١٨٢٧ فنزلت بها علة ناهكة أدنتها من شفير القبر فمادت اليها ذكرى حداتها واحبت ان تموت على الدين الذي ولدت فيه فدعت لمعلمها السلطان محموداً اليها وهي مضطجعة على سرير الموت وقالت له : يا بني انا موشكة ان اموت ولي عندك طلبية او مل انك لاتنض بها علي . فقال لها محمود : ان رغائبك يا اماء بمثابة اوامر تصدرينها لي . فقالت ولكن الامر الذي اطلبه منك في غاية الصعوبة : فقال لا بأس من ذلك قولي ماترغبين لحاجتك مقضية . قالت : رغبتي هي اني اريد ان اموت على دين آباائي واريد ان تأتيني بكاهن كاثوليكي

فاجفل محمود في بدء الامر لما سمع كلام والدته ولكنه مالبت ان وعدها باجابة سؤلها لان هذا السلطان كان على جانب عظيم من الهوادة وكانت تربية والدته قد اثرت به كثيرا ولما خرج من غرفة والدته دعا اليه احد حجابيه وارسله الى رئيس الكبوشيين في دير القديس انطونيوس في القسطنطينية يحمل اليه فرمانا سلطانيا وكان هذا الرئيس يدعى الاب كريزستوم ( فم الذهب ) وكان الوقت ليلا ولما ايقظوا الرئيس وابصر الحاجب دخل عليه الخوف الشديد وتوهم ان ساعته دنت لانهم لم يكونوا يرسلون الحاجب السلطاني في مثل تلك الساعة الا لامر جليل فطلب الحاجب من رئيس الدير ان يقرأ المرسوم السلطاني ثم يتبعه الى القصر وكان زورق ينتظره فركبه وكان فيه اثنا عشر مجذافا من الشبان الاشداء وما عتموا ان اجتازوا به البوسفور

ولما وصل الرئيس الى القصر أدخل بأشارة من السلطان غرفة فاخرة الرياش

وكانت امرأة مريضة مضطجعة على سرير ولم يكن الى جانبها الا الطبيب ثم دخل السلطان وهو يذرف الدموع منتحبا وقال : « يا اماء اردت ان تموتي على دين آبائك الذي ولدت فيه فقد اتيتك بكاهن كاثوليكي »  
قال السلطان هذا الكلام وخرج هو والطبيب وبقي الكاهن مختليا بالسلطنة الوالدة ساعة من الزمان فاعترفت له بجميع خطاياها وشمرت بان حملا ثقيلا انزل عن منكبيها ولما دخل السلطان ابصر الكاهن يناولها القربان المقدس لان ذلك الكاهن كان قد استدرك الامر وجاء بالقربان معه وما لبثت المريضة ان جادت بنفسها الكريمة .

## هرتنس بوهرنه

### ابنة جوزفين وام نابوليون الثالث

#### ووصيتها لولديها

في اوائل شهر نوفمبر سنة ١٧٩٠ وصلت الى مدينة طولون قادمة من جزيرة المرتينيك سيدة تصحبها ابنتها وهي فتاة في السابعة من عمرها تبدو عليهما علامات الخوف فانهما غادرتا تلك الجزيرة فرارا من ثورة اشتعلت نيرانها ولسكنهما لم تكادا تظا زارض فرنسا حتى علمتا انها ملعب ثورة لامثيل لها. فالام هي جوزفين دي بوهرنه حفيدة حاكم مقاطعة فرنسوية والفتاة هي ابنتها هرتنس دي بوهرنه وبعد وصول جوزفين دي بوهرنه الى فرنسا انطلقت ومعها كريمةها الى فنتنبلو لموافاة زوجها وقد كان مسنداً اليه في ذلك الحين منصب رئاسة الجمعية الدستورية وارثاى الوالدان ان يسرا في ادخال ابنتهما هرتنس الصغيرة الى مدرسة دير الاباي اوبوى ليجعلاهما بمنجاة من كل ما يخشى من المكاره الناشئة عن الحوادث في ذلك الحين الا انها لم تطل المكث في ذلك الدير فأخرجت منه بغتة في ١٠ اغسطس وهو تاريخ هجوم الغوغاء على قصر التويلري وقد تلا ذلك الهجوم تدمير الاديار والمدارس . وفي تلك الاثناء جعل المسيو بوهرنه قائد الجيش الين

إلا انه لم يلبث طويلا في قيادته لصدور امر يقضي بفصل جميع النبلاء من مناصبهم في الجيش فاعتزل في قريته للاشراف على عقاراته ولكنه لم يلبث ان القى القبض عليه وزج في السجن . وبعد بضعة أيام قبض على زوجته . وحدث أن هرتنس الصغيرة لما استيقظت ذات صباح علمت أن والدتها دخلت عليها وقبلتها من دون ان توقظها وأنها سيقت الى السجن ولم يبق لها من سند تعمل عليه إلا شقيقها البالغ اثنتي عشرة سنة من العمر فهذا القى سعى على غير طائل لخلاص والديه وصدر امر يقضي على جميع اولاد النبلاء بتعلم مهنة من المهن فاختار بوهرنه الحداث مهنة التجارة . وكانت هرتنس الصغيرة تشهد بعيثها من المنزل المقيمة فيه بشارع البنيار جميع حوادث الثورة تجري وهي لا تدرك لها معنى .

وجاء يوم ٩ ترميدور ( من شهور الثورة ) فدخلت على هرتنس سيدة مقنعة وقبلتها قائلة لها انها سمعت لاخلاء سبيل والدتها فنجحت وكانت تلك السيدة عقيلة تاليان . وعادت جوزفين الى بيتها في ١٨ ترميدور من السنة التالية وأطلق ايضا سراح الجنرال هوش في اليوم عينه وكان هذا الجنرال صديقا لوالد هرتنس فلما أعيد الى الجندية بعد خروجه من السجن طلب ان يؤخذ بوهرنه الحداث الى الجيش وكان ذلك فاتحة خدمته العسكرية . وأدخلت هرتنس في خلال ذلك مدرسة انشأتها في سان جرمان عقيلة كهبان وصيفة الملكة ماري انطوانات .

وكانت تلك الفتاة تخرج في بعض الاحيان من المدرسة فذات ليلة صحبت والدتها الى ليلة ساهرة فتقرر في تلك الليلة حظ هرتنس ووالدتها ونحن نكتفي بإيراد ما كتبته هي عن هذا الحادث

« . . . وكان عدد المجتمعين كبيرا فجلست على المائدة بين والدتي وجنرال كان ينحني ويحاول التقرب منها ليخاطبها بلهفة فكانت تضطر الى التراجع الى الوراء وقد تمكنت من التأمل في محياه من دون ان يعلم فوجدته بهي الطلعة ترسم على وجهه سماء القوة والذكاء الا انه كان مصفرا ، وكان يتكلم بمحذة ونزق . وكان ذلك الضابط الجنرال بونايرت . »

ومع معارضة هرتنس وشقيقها في زواج والدتهما بالجنرال بونايرت صممت

الام على الاقتران به في ١٩ فنتوز من السنة الرابعة وقت ماأسندت اليه قيادة جيش ايطاليا .

وعقب ذلك سلسلة انتصارات عديدة نالها ذلك القائد وكانت معلمة هرتنس تقول لها : لقد أصبت حظا بكون زوج امك قائدا كثير الفتوح

فقات هرتنس : ولكنه أصاب فتحها لن انساها ابدا وهو فتح قلب والدتي . وعاد الجنرال بونايرت من ايطاليا بعد اشهر وسكن منزل جوزفين بباريس وكانت هرتنس المبتهجة برؤية والدتها مستاءة من رؤيتها التغير الطارىء في البيت بوجود بونايرت قاهر ايطاليا فكتبت مايلى : « ما اعظم التغير الذي حدث في مسكننا الصغير فهو يغص بالقواد والضباط وقد صعب على الخفراء منع الناس من الدخول لمشاهدة القائد الظافر . »

وانطلق بونايرت الى مصر بعد حين من الزمان ومعه شقيق هرتنس فرافقت جوزفين زوجها وابنها الى طولون تاركة هرتنس في مدرسة عقيلة كعبان مع كارولين شقيقة بونايرت ونحن نذكر كيف عرفت تانك الفتاتان حوادث ١٨ برومير واليك ما كتبت هرتنس في هذا الصدد :

« في ليلة ١٨ برومير ارسل اليينا الجنرال مورات المقيم بحب كارولين اربعة من جنوده ليوقعونا على ما حدث في سان كلو وما كان من ارتقاء الجنرال بونايرت الى منصة القنصلية . فليتصور القارئ مجيء اولئك الجنود الاربعة ليلا الى دير فيه نساء فرما كان في ذلك الامر بهجة الا ان عقيلة كعبان لم تنس قط تلك المخالفة لقواعد اللياقة وقد دونت ذلك في مذكراتها . »

وتخير القنصل الاقامة في قصر الكسمبور بعد فتنة ١٨ برومير ولكنه هجره بعد حين من الزمان واتخذ قصر التويلري مسكنا له . وقد قالت جوزفين لابنتها على اثر ذلك الانتقال : ان ذكرى ماري انطوانة تقض مضجعي .

وأزف الحين الذي ذكروا فيه مسألة زواج هرتنس فادركت من سماعها كلام القنصل الاول انها لا تستطيع اتخاذ بعل غير موافق لرغبته ولمصلحة الدولة واضطرت الى الاقتران بشقيقه لويس بونايرت ولم يكن أحد من الزوجين راغبا في ذلك الزواج ولكنهما رضيا به مكرهين .

ومعلوم ان الزواج الذي يتم على كره يكون وخيم المغبة ولا سيما متى اجبرت



عليه فتاة رقيقة الشعور خيالية الافكار حادة المزاج كابنة جوزفين . ومع ما كانت عليه طباع الزوجين من التنافر لم يلبثا ان ولد لها غلامان في مدى سنتين وهما نابوليون شارل ونابوليون لويس .

ولما انتدب زوجها للجلوس على عرش هولندا لم تجد مندوحة عن المضي الى تلك البلاد لموافاته . ولا يخفى على أحد ان ابنة جوزفين لم تخلق لتكون ملكة فالبلاد التي تربعت في سريرها جاهرت بعداوتها وبما زاد الطين بلة اتصاف زوجها باطوار غريبة .

وفقدت هرتنس ابنها البكر على أثر مرض قصير الامد فغادرت هولندا شاخصة الى جبال البرنات لترويح النفس بعد تلك الصدمة العنيفة التي اصابها . ثم انها عادت الى باديس واقامت في منزلها بشارع شيرتي ولم تخطر على بالها العودة الى بلاد القاع تلك البلاد الممقوتة او مسا كنة بعلمها ذلك الرجل المكروه . وكانت تعيش في باديس في وسط يختلف اليه الفنانون وينتابه هواة الفنون الجميلة فعنيت بالتصوير ونظم الاناشيد وقد اصبحت الشودة « الانطلاق الى سورية » التي نظمت عقدها الشودة وطنية . وفي ٢٠ ابريل سنة ١٨٠٨ ولدت غلاما ثالثا وهو شارل لويس نابوليون وهذا صار فيما بعد امبراطورا وقد عرف باسم نابوليون الثالث .

وكانت فكرة الطلاق تجول منذ عهد بعيد في ذهن العاهل نابوليون وقد جسم تلك الفكرة بفتة حادث ظاهره تافه الا انه عجل في حمل العاهل على تقرير رأيه هذه المرة ففي حفلة اقامها رفقاء اوجين بوهرنه في الجندية هتفوا له مطلقين عليه اسم خليفة نابوليون ولما درى هذا بالامر فار فائره وجاهر في مساء ذلك اليوم عينه لجوزفين برغبته في تطليقها وقد شهدت هرتنس ذلك المشهد فكان له وقع سيء في نفسها لم تنسه طول حياتها .

وتزوج نابوليون بماري لويز النمساوية بعد اشهر قتالت هرتنس محنة شديدة حين تلقت الامر بحمل وشاح الامبراطورة الجديدة في حفلة العرس . وكانت تأمل ان تكافأ على ذلك بنيلها من الامبراطور الترخيص بالطلاق الا ان نابوليون لم يبد رضى به فاضطرت الى الشخوص مرة ثانية الى هولندا قاصدة زوجها . ولكن حدث لحسن حظها وحسن حظ تلك البلاد ان ذلك الملك الغريب

الاطوار عزم فجأة على التنازل عن العرش فهجره وانطلق من دون ان يخبر أحدا حتى ولا زوجته بالمكان الذي أمه فادارت هرتنس الشؤون نائبة عنه حينما من الزمان ريثما ضمت مملكة هولندا الى الامبراطورية الفرنسية .

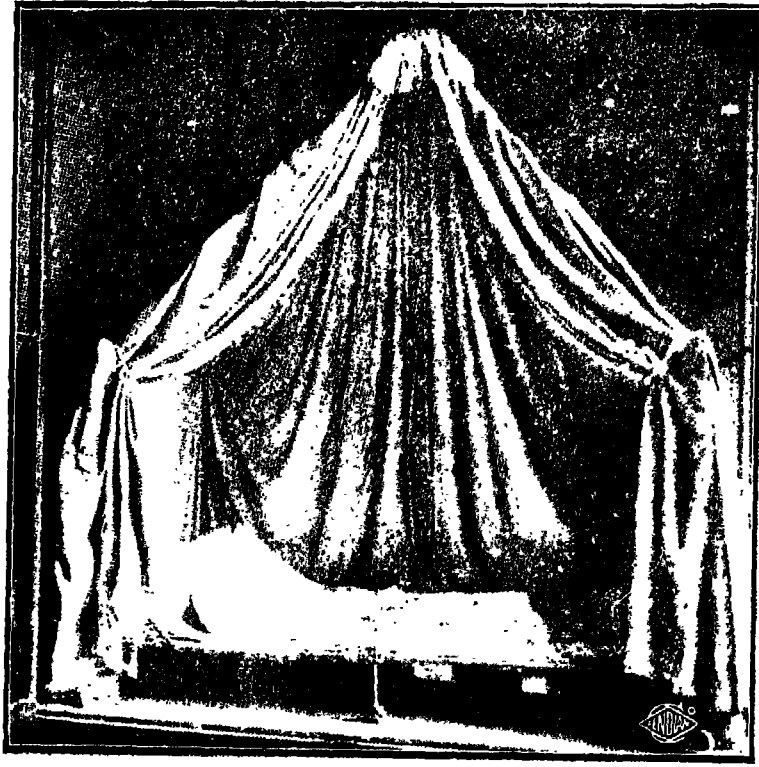
وتلمصت هرتنس في هذه المرة من مملكتها وزوجها معاً فقرّر الامبراطور اجازة الطلاق وعين لها مرتبا قدره مائونا فرنك فتنفست الصعداء وجعلت مقامها في باريس حيث عاشت بابهة عظيمة وعلى هواها وأصبحت دارها مثابة رجال العلم وأرباب الفن .

وكانت الحوادث تتعاقب بسرعة في تلك الاثناء وكان صرح الامبراطورية يميل الى التداخي وبقي في فرنسا الحلفاء المنتصرون وأجبر الامبراطور على التوجه الى جزيرة البا .

واطالت هرتنس لسان الشناء على الملوك المتحالفين لحسن معاملتهم لها فكان قيصر الروس يجيء تقريبا في كل يوم الى المالميزون لمشاهدتها وقد قال : « اتيت الى هذه البلاد للاقتصاص من نابوليون ومن غرائب الامور اني لا أجد لذة الا بمعاشرة اسرته » . ونالت هرتنس بمساعدته مرتبا يبلغ اربع مئة ألف جنيه ودوقية انشئت لاجلها مع ابقائهم لها عقاراتها في سان لو .

ولكن ما عتمت ان انتشرت فجأة اخبار رحوع الامبراطور فبهت الناس وخفت هرتنس للملاقاة معبودها المائد من متفاه ولكنه لم يكرم وفادتها واتهمها بمالأة اعدائه عليه فكبر الامر على ابنة جوزفين ودافعت عن نفسها بقوة اضطرته الى اغضاء الطرف على ما أئته في اثناء غيابه .

ثم ان نابوليون بعد ما قهر في واترلو احتاج الى شخص فرج كرتبه فاستقبلته هرتنس في المالميزون استقبالا محفوفا بجميع محلي الاحترام وظلمت منه ان يقبل منها عقداً من الالماس تبلغ قيمته مائونا من الفرنكات . ولم يحد الامبراطور يغادر البلاد حتى أمرت بترك باريس في مدى اربع وعشرين ساعة فاخذت ولديها وتوجهت بهما الى طرغوفيا بسويسرا ثم الى كنستانس حيث ابتاعت قصر ارمبرغ ولم تجد في معزلها هذا الراحة التي كانت تنشد لها . فلما نشبت ثورة سنة ١٨٣٠ صارحها كبير نجلها برغبته في الاشتراك في الفتنه الايطالية فأنكرت عليه ذلك ولكنه لم يتحول عن عزمه فسار الى فلورنسة وفي السنة التالية توفي فيها .



سرير نابوليون النقال



ولم يبق لتلك المرأة المنكودة الطالع سوى ولد واحد فصممت على اتقاذه من غائلة الاحداث مهما كلفها ذلك الامر من الضحايا والمشقات وبذلت المجهود لابقائه على مقربة منها في ارنمبرغ الا أن لويس نابوليون كان ذا مطامع كبيرة فعالج تلك الحركة المعروفة بحركة ستراسبورغ خفية عن والدته فكان من أمر تلك الحركة وتبعها الوخيمة عليه ما كان . فتصدع قلب تلك الام وخافت عليه من نزول النوازل والمالم الملمات وخفت الى باريس وانطرحت على قدمي لويس فيليب طالبة منه العفو عن المجرم فنهجها الملك سؤالها مشروطا عليها ان تبرح فرنسا في مدة ٢٤ ساعة . وكانت تلك الحوادث شديدة الوطأة على صحتها فكتبت في ٣ اغسطس سنة ١٨٣٧ الى ابنها نزيل اميركا ما خلاصته « تعال يا لويس تعال لتغضم عيني » . « فبادر الامير لتلبية نداء أمه ووصل قبل تقطع انقاسها المعدودة بزمان قصير فقاضت روحها في سويسرا في ٣ اكتوبر من تلك السنة . وأقام لها الامير لويس نابوليون ضريحاً في كنيسة روابل الى جانب ضريح والدتها لا يزال رفاقها فيه وكانت الملكة هرتنس موصوفة بالدكاء والدهاء كما يستدل من كلامها الموجه الى نجليها بمثابة وصية ومشكاة يستنبران بها وهذه خلاصته :

« يعتبر حظ البونا برتيين من اغرب الحظوظ في الازمنة الحديثة فهم الآن مستهدفون للنكبات الشديدة من دون أن تتيسر لهم المجاهرة بكلمتهم الاخيرة فيمكنكم بواسطة اسمنا أن تصبحوا ملحوظي المسكنة في اوربا القديمة وفي العالم الجديد على السواء وفي كل مكان وكل زمان لم يطرأ تغير على البشر فهم على الرغم منهم يحترمون ذرية اسرة هادنها الاقدار والاسم المشهور اول نصير بوجود به القدر على من ينتهي الوصول به الى مدى بعيد . ان نابوليون منشئ شهرتنا سحق الشعوب تحت اثقال مطامعه الا انه احيا موات الآمال الجسيمة عند جميع الصماليك وحرك عوامل الاعجاب في كل قطر فأنا عرفته في حالي القوة والضعف ولا أصوره لكما كنتال كامل فكثيراً ما كانوا يشبهونه بقصبة مطلية بالحديد . وقد تسلطت عليه تقيصتان : الضعف وعدم التكتم . ولما كان من طبعه الاكثار من الكلام كانوا يستدرجونه الى كشف الغطاء عن جميع أسراره فمالك مقضي عليه بان يصمت او ان يتكلم من دون ان يقول شيئاً وكثيراً ما يستمعون عليه بنقيصته ليبلغوا أوطارهم منه . وكان نابوليون في غالب الاحيان

ينقاد للاصدقاء الاقدمين او المتملقين الجدد فتجنبا الانقياد لشخص يصعب عليك  
فيما بعد التملص منه . على انه يجب ان ترعيا حق الامانة لاصدقائك فذلك  
يستميل اليكما تعلق الناس بكما . انما في النكبة الحالية الحالة بنا تجهلان مصيركما  
ومع ذلك لا تقفلا باب قلبيكما في وجه الامل وافتحا اعينكما وترصدا الفرص  
الملائمة . وان اغلقت فرنسا افلانها ثانيا من ايديكما ففي ايطاليا والمانيا وروسيا  
وانكثرت اسباب تنسيبان بها للمستقبل وفي كل مكان تطرا بوادر افكار ترفع  
الى اوج السؤدد وارث اسم مجيد . فلك ولاخيك الحق بان تكونا بعد ملك  
رومية وارنين لنا بوليون اذ ان عمكما يوسف ليس له سوى بنات وعمكما لوسيان  
جعلته اطواره الغريبة يفلت من يده فرصة كان يستطيع فيها مضى انهازها ليجلس  
على اقرب درجة من العرش وهو على ما أعرفه رجل لا يخلو من المقدرة العقلية  
فهو جريء ومحتمل الا ان حدثه جعلته يضيع فوائد مشروعات كان الاقدام  
هاديا له في معالجتها وهو البطل الحقيقي ليوم ١٨ رومير بعد ما نال الضعف  
والتردد والجن من نابوليون في ذلك اليوم . وابدى لوسيان بعد واترلو كثيراً  
من الشجاعة لما قلبت الاحداث ظهر الجن لاسرته فنسج على منوال نبلاء  
ايطاليا في القرن الخامس عشر مجاهداً مهمة عالية لمبايعة نابوليون الثاني . ولوجرى  
نابوليون على رأي اخيه منقادا الى ذوقه السليم لقذف انصاره الى نهر السين  
اولئك المشاغبين المؤلف منهم مجلس النبلاء والمجلس الاشتراعي وتمكنوا باشارة  
واحدة من اجراء ذلك الامر بمناصرة البقية الباقية من الجيش واستطاعوا فيما  
بعد ان ينازعوا الاعداء ارض فرنسا قدما فقدموا وكان من الممكن ان تكون  
الحكومة المطلقة سببا لخلاص الاسرة الامبراطورية ولكن لسؤ حظ تلك الاسرة  
لم يكن زعيمها في ذلك الحين الا خيال نفسه . وقد ابصرته عند منتصف الليل  
صاعدا الى العربية ليوافي جيشه عند حدود بلجيكا فعانقني مبتسماً الا ان وجهه  
كان منقبضاً انقباضاً تؤلم رؤيته فكانت نفسه مريضة كما كان جسمه وقد نهكه  
ما بذله من الجهد في الحرب التي أجاج سعيها في أثناء الشهور الثلاثة . ومنذ  
ذلك الحين أعادت اليه الراحة في جزيرة القديسة هيلانة شيئاً من صفاء ذهنه  
ولما كان ذاعقل راجح وكان تام الخبرة باخلاق البشر نظم هناك حياته ودفاعه  
ومجده بلباقة الممثل في الملعب حين يتقن الفصل الاخير من مأساته .

ان الفتنة استنزفت قوة البحث بادلاء الحجج عند الفرنسيين لكنهم لم يسدوا آذانهم عن تماع الصوت البشري ففي الحركات المؤثرة وطلاقة اللسان ما يستطيع ان يوقظ الهمة في الشعب ولكن لا تدوم تلك البقطة مدة طويلة فحذار ان تتخذها بها وتجنبنا القرص التي ينهزها المتربصون بالحكومة لابقاظها فالبوربون الذين استولت عليهم الحماقة ضلوا عن سواء السبيل بترك العناصر المتطرفة تفعل ما تريد في ديارهم وباغضاء الطرف عن خطباء الندوة النيابية الذين يشعلون نار تلك العناصر وربما نجم عن ذلك حريق هائل .

لا تنسيا انكما اميران ولكن لا تنسيا ايضا الاحكام المنفيين انما في ظلها فلقبكما حديث العهد فاذا ابتغيما ان تصيراه رفيعا ومكرما وجب عليكما ان تبينا انكما تستطيعان النفع . فان انما رأيتما ان ذوي الاموال يخشون على اموالهم من الضياع فعداهم بان تكونا ضامين لها واذا شك الشعب من مظلمة فأظهر له انكما انما ايضا تشكوان من تلك المظلمة وأقنعاه بان خلاصه لا يكون الا على ايديكما . واقول بالايجاز ان مهمة البونابرتين هي المجاهرة بالصدقة لجميع الناس فمن مهمتهم ان يكونوا وسطاء ومصلحين . واعلموا انه لا يتعذر عليكما ان تصبجا كعمود او كفاد او كوسيط بين الاقدار السماوية العنيفة ومصلح البشر فالبشر يميلون الى الالتجاء الى عناية منظورة فلا اسهل من ان يكونوا مودة الشعب فهو في بساطة الاحداث واذا رأى انهم يعمنون بأمره استنام اليهم ولكنه ان هو آانس منهم الاستبداد والعبث بحقوقه قاب لهم ظهر المجن وخرج عليهم وهو لا يصددهم ان هم تجملوا معه في الكلام واغفلوا في القول لاعداء وهميين يصورونهم له حاملين على ايذائه ،

نهيا لكل خطب مفاجيء ريثما تتيسر لكما تهية الحوادث ولا تسبئا الى احد ولا تستسهما الى اي كان وأكرما وفادة الجميع حتي الفضوليين واصحاب الاغراض والمستشارين فيمكنكما ان تجنبا ثمار الفوائد من جميع هذه الامور وارصدا القرص لتغنمها فلا تحدث مهزلة او مأساة من دون ان يكون لكما مغنم من ورائهما . وكونا في كل مكان ولازما جانب التعقل والحرية ولا تجاهرا بوجودكما الا في الحين الملائم »

## الكردينال فش

لم تكن اسرة بونابرت معسرة وإنما لم تكن مومرة وكان الاب بونابرت عم نابوليون يعيش على شيء من الرخاء مما كان يصيبه من المال بصفة كونه رئيسا لشمامسة كاتدرائية اجا كسيو وكان لنسيبه ابن وهو يوسف فش اخو لانيسيا الرضيع وقد ولد هذا في اجا كسيو في سنة ١٧٦٣ وارسل الى مدرسة اكس الاكلييريكية لما بلغ السادسة عشرة من عمره ولما سيم كاهنا دناه نسيبه اليه وعينه في مركز يعود عليه بشيء من المال وبعد أشهر توفي الاب بونابرت وخلفه الاب فش في مركزه مع صغر سنه . وكان متحليا بالصفات الكريمة ومحافظا على اقامة القروض الدينية ونوافلها في مواعيدها ولم يدع سبيلا للالسن لا تنقاده ولكنه لم يكن شديد الذكاء .

ولما اشتعلت نيران الثورة وقررت الجمعية الدستورية ان تطلب من جميع رجال الاكابروس ان يقسموا يمين الامانة للدستور لبي الاب فش الطلب وهو يقصد تجنب الاختلاف مع السلطة وشهرت الحرب الاهلية في كورسيكا ونهض باولي لناوأة فرنسا والقي الرعب في قلوب السكان فهربت لانيسيا بونابرت واولادها واخوها الاب فش في سنة ١٧٩٣ وذهبوا الى مرسيليا ولم يكن معهم شيء من المال .

فزرع الاب فش ثوبه الاكلييريكي وطلب منصبا مدنيا في جيش الاب وكان ثلاثة من اولاد اخته قد دخلوا في خدمة الحكومة فعين يوسف سكرتيرا لموظف كبير وجعل نابوليون كابيتان في المدفعية واسندت الى لوسيان وظيفة ناظر لمخازن الجيش في سان مكسيان في الغار . ونال الاب فش المنصب الذي طلبه بما كان لاسرته من العلاقات باصحاب المكانة العالية وقضى أيامه من ذلك العهد في الجيش نابذا ما كان مركزه الديني يقضي به عليه ولحق بجيش الجنوب متنقلا معه الى جميع الاماكن التي كان ينتهجها .

وجاء الوطني فش الى باريس في أواخر عهد حكومة الديركتوار وكان باقيا في منصبه المدني في الجيش وكان يقضي حياة شديدة الاضطراب فكان على اتصال



ودى دائم بمشاهير رجال الثورة ولم يكتف بمرتبته الذي كان ينفق القسم الاكبر منه على أسرته وقد كانت تشمر بالضيق بل زاول نوما من التجارة فكان ينتاب محال المصورين ويشترى الصور منهم ثم يبيعها

وكان نابوليون في اثناء ذلك يتدرج في المناصب حتى اصبح قنصلا اول حينئذ نصح الوطني فش لابن اخته ان يتقرب من رومية ويفاوضها في عقد وثيقة معها (كونكوردا) لاعادة الديانة الكاثوليكية الى ما كانت عليه في فرنسا ولما ابرمت الوثيقة تذكر الوطني فش انه كان قسا فطلب من رومية ان تحله من التأديبات التي استوجبتها لما حلف اليمان المذكورة آنفا فبادر البابا الى اجابة طلبه وعاد الاب فش الى السلك الاكثريكي والى مزاولة فروض المذهب الكاثوليكي ونوافله وأراد البابا بيوس السابع في سنة ١٨٠٢ ان يرضي بونابرت القنصل الاول فوافق على تعيين الاب فش رئيسا لاساقفة ليون ورقاه في السنة التالية الى درجة الكردينالية وارسلته الحكومة الفرنسية سفيرا لها في رومية فسافر الى مركزه الجديد واختار شانو بريان سكرتيرا له وكان للكردينال فش في ذلك الحين تسع وثلاثون سنة من العمر .

ولما انشئت الامبراطورية طلب الامبراطور الجديد من البابا ان يأتي الى باريس لرأس حفلة تكريسه وبعد ما تردد بيوس السابع في الامر رضي أخيرا بالانطلاق الى باريس وتقديمه للكردينال فش ليعمد كل شيء على الطريق ليلقي الخبر الاعظم احتفاء عظيما في جميع الاماكن التي يمر بها وانتظر البابا في ابرشيته بليون واقامت للحبر الاعظم احتفالات دينية ومدنية فيها في ١٩ نوفمبر و ٢٠ و ٢١ منه من سنة ١٨٠٤ وقامت في باريس قبل حفلة التتويج بيوم واحد عقبة لم يكن بد من تمهيدها وهو ان زواج نابوليون وجوزفين كان مدنيا فقط ولم يشأ البابا ان يكرس الامبراطور الجديد الا اذا اثبت هو وزوجته ان قسا كاثوليكيما بارك قرانهما فحل الكردينال فش هذه العقدة ونصب مذبحا في ردهة مجاورة لغرفة جوزفين وبارك والابواب موصدة زواج نابوليون بأيم بوهرنه في الساعة الرابعة بعد الظهر . وذهب الكردينال بعد ساعتين لمواجهة البابا فسأله بيوس السابع : هل تمت حفلة الزواج الدينية يا ابي العزيز . فاجابه الكردينال نعم تمت أيها الاب الاقدس .

فقال البابا بناء عليه ارى ان كل شيء حسن وسأرأس الحفلة غدا في كنيسة نوتردام .

وعين الكردينال فش المستشار الديني الاكبر في الامبراطورية وعين له مرتب كبير وعهد اليه علاوة على ذلك في تولي الرئاسة الدينية في جميع القصور الامبراطورية التي لم تكن خاضعة لسلطة الاساقفة في الابريشيات المشيدة فيها وفوض اليه نابوليون أيضا توزيع الصدقات ومنحه سلطة تكاد تكون مطلقة لتعيين الذين يراهم ملائمين لكراسي الاسقفيات الفارغة .

وللكردينال فش الفضل في اتيان عمل كان كبير الفائدة لفرنسا وهو انشاء الرسالات الاجنبية

وكان الكردينال فش في عهد الامبراطورية كله وفي أخرج الاوقات حين سجن نابوليون بيوس السابع والحق به غضاضة وسيطابين ابن اخته والحبر الاعظم وكان مرنا في سياسته فانه مع خدمته لمقاصد نابوليون ومطامعه ومع تجنب قطع علاقات الامبراطور بالحر الروماني ظل حاصل على ثقة البابا به وكان يستوجب الثقة باعماله هذه ولم تكن هذه الاعمال تعارض سياسة الامبراطور مع أن هذه السياسة كانت في غاب الاحياء غنيمة وموسومة بسمه الظلم . وكان من أشد الصعوبات التي لقيها نابوليون مسألة فسخ زواج أخيه جيروم بالآنسة باترسن وقد اقترن بها جيروم في بلتييمور وهو في التاسعة عشرة من عمره فلما عاد الى باريس وعرف نابوليون بامر زواجه ابرق وارعد وقام وقعد واجبره على الانفصال عن زوجته وبادر الى ارسال الكتاب الاتي الى البابا بيوس السابع :

« ارغب في ان تصدر قداسكم براءة بالغاء زواج اخي جيروم بالآنسة باترسن من بلتييمور في الولايات المتحدة وانه ليسهل عليّ فسخ هذا الزواج في باريس ولكنني افضل ان يتم ذلك في رومية ليكون ذلك عبرة رادعة للامر الكاثوليكية الماسكة عن تزوج ابناها ببنيات الاسر البروتستانتية فارجو من قداسكم أن تفعلوا هذا الامر بلا ضجة وحين ينتهي الي أن قداسكم تريدون ان تفعلوه ابادر الى فسخ الزواج من الوجهة المدنية . »

وبعد مادقق بيوس السابع في هذه القضية ونظر فيها من جميع وجوها أجاب انه لايسعه الغاء هذا الزواج فحينئذ جمع نابوليون كبار اللاهوتيين

الفرنسيين وواعز اليهم بأن يعقدوا مجمعا مستندين في ذلك الى قرارات الجمع التريدينتيني وخوها احتفاظ الملوك بحقوقهم في الغاء زواج افراد أسرهم فعقدوا الجمع وقرروا الغاء زواج جيروم بوناپرت بالانسة باترسن لان الامبراطور نابوليون زعيم الاسرة البوناپرتية يقيم التكبر على هذا الزواج فبادر العاهل الى وضع قرار الجمع موضع الاجراء أما الكردينال فش فلم يشأ التدخل تدخلا علنيا في هذه القضية مخافة أن يستهدف لنبال التبعة ومجنبنا لاغضاب البابا من جهة ونابوليون من جهة أخرى ولكنه كان وهو وراء الستار يبدي رأيه في المسألة ويوفق بين النظريات المتضاربة ويجعل اعضاء الجمع يسلسون مقاديرهم للامبراطور ويقضون لباتنته .

وبذل الكردينال فش مجهوده لتسهيل رجوع الرهبان الى فرنسا وكان رجال الثورة قد مزقوا ثملهم واكرههم على الجلاء عن البلاد فاستقبلهم في ابرشيتة بليون وساعدهم على لم شعهم وقد كان هذا الامر في غاية الصعوبة بعد ما كانوا قد تشنتوا تحت كل كوكب من سنة ١٧٩٢ ونال الكردينال من الامبراطور مرسوما يحيز لجميع الرهبان الرجوع الى فرنسا بملابسهم المعروفة وكانت هذه الملابس قد زالت من فرنسا من عهد بعيد وأعيد اليهم كثير من حقوقهم وامتيازاتهم المسلوقة منهم فاقبل الرهبان بهمة ماضية على انشاء المدارس الجانية في جميع انحاء البلاد لتعليم الفقراء وقد كانت المدارس « العلمانية » في تلك الايام قليلة وغير وافية بالحاجة ولم يكونوا يحسنون ادارتها . وكان الخلاف يشتد بين رومية وفرنسا وتزداد المسائل الطارئة بينهما تعقداً فاحاز الكردينال فش الى ابن اخته واضطر بحكم الضرورة الى الاختلاف مع البابا وطلب اقالته من منصبه كسفير واستأذن من بيوس السابع بالانصراف في مقابلة تجاوز فيها حدود مايجب عليه من الاحترام لرئيسه الاكبر وعرج على ابرشيتة في ليون وهو عائد الى باريس ونظم في اثناء اقامته فيها شؤون رهبان « الشارتروز »

ولما وصل الى باريس اغلظ له الامبراطور الكلام وعنفه على ما ابداه من الضعف في الدفاع عن سياسته وتأبيدها في الثائيكال ولكن لم تطل مدة استياء الامبراطور من خاله فانه لما وزع نابوليون التيجان والمناصب السامية والعوارف السنية على اشقائه وشقيقاته وانسابه ونسيباته في سنة ١٨٠٦ لم ينس الكردينال فش فانه عينه مساعدا لرئيس اساقفة راتسن كبير اساقفة المانيا بحيث يخلفه في

منصبه بعد موته وكان في هذه الأبرشية مليون نفس ومن حقوق رئيس اساقفتها ترؤس الجمعية الدينية الجرمانية في فرانكفورت على الماين ومنح الكردينال أيضا لقب صاحب السمو ولكنه كان يؤثر على كل ذلك الربيع السنوي البالغ ثلاث مئة ألف فرنك وكان يقبضها من دخل المكس في بلاد الرين ووافق البابا على جميع هذه الأمور ببراءة خاصة خلافا للأصول التي كانوا يجرون عليها قبل ذلك العهد ومن غرائب الأمور أن ذلك الموظف البسيط في مصلحة تموين الجيش أصبح في أقل من عشر سنوات كردينالا ورئيسا لاساقفة ليون وكبير اساقفة غاليا والمرشد الديني الأكبر للإمبراطورية وعضوا في مجلس الشيوخ ومن الحائزين لنشان جوقة الشرف من درجة « غران اوفيسيه » ونشان « الحيزة الذهبية » ومعاوناً لصاحب السمو الأمير كبير اساقفة المانيا وقد كان في جميع هذه الألقاب ما يجعله يروح تحت إعبائها ولكنه اضطلع بها كل الاضطلاع وكان له في باريس قصر فخيم في شارع « مون بلان » يستقبل فيه ويأدب فيه المآدب التي لم تكن تقل في التأنق عن مآدب الأمراء والملوك . ولا حضرت الوفاة الكردينال دي بلوى رئيس اساقفة باريس في ١٠ يونيو سنة ١٨٠٨ أراد نابوليون أن يعين الكردينال فش خلفا له بحيث يجعله في وقت واحد رئيسا لاساقفة باريس ومساعداً لرئيس اساقفة راتسبن ورئيسا لاساقفة ليون فامثل الديوان الاسقفي في باريس لاوامر الامبراطور ولم يرفض الكردينال فش ترشيحه لرئاسة اساقفة باريس ولكن البابا شدد التنكير على ذلك فأثر الكردينال فش البقاء في كرسي ليون وعين لكرسي باريس الكردينال موري مع نفور بيوس السابع من تعيينه .

واستمر المراك بين البابا والامبراطور وقد انتهى الامر باعتقال الخبر الاعظم وارساله الى دير الشارتر ووزي فلورنسة في بدء الامر ومنه ارسل الى سافون ففنتنبلو . وكان البابا بيوس السابع يعتبر نفسه محروما السلطة الادبية اللازمة في معتقله ولذلك اتي تثبيت الاساقفة الذين عنهم نابوليون اخيرا تثبيتا قانونيا وكان في جملتهم الكردينال موري وقد رضي الكردينال فش بأن يتولى رئاسة المجمع النبي عقد وقرر ارسال رسالة الى البابا يطلب بهامنه التسليم بما يقترحه نابوليون



قبر نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة



فاجاب بيوس السابع انه لا يقرر شيئاً في هذا اذا لم ترجع اليه حريته ويرجع بكرامة الى رومية .

ونشأت مصاعب دينية جديدة لما اراد نابوليون تطبيق جوزفين في سنة ١٨٠٩ وكان الامبراطور قد عقد له على زوجته عقد ديني قبل حفلة التتويج بيوم واحد ولذلك لم يكن نابوليون يستطيع ان يعقد زواجا جديدا قانونيا في نظر الكنيسة قبل أن يلغي زواجه الاول . وكان موقعنا على التقريب ان البابا يرد طلبه فصمم على الاستغناء عنه وطلب من هيئة مجمع ابرشية باريس الديني ان يقرر فسخ زواجه بجوزفين واورد شاهدا يؤيد ذلك فسخ زواج شارلمان بالاميرة ايلثروود وزواج فيليب اوغسطس بالاميرة انجلورج وشهد الكردينال فش بان زواج جوزفين وقد باركه هو تم بغير شهود فاستند المجمع الى هذه الشهادة وقرر ان هذا الزواج عقد خلافا لمقررات المجمع التريدينثيني وابطله وكان عمل الكردينال فش موصوما بوصمة الضعف فانه اذعن لقرار استبدادي وسخر ضميره لمشية جائرة ولم يكتف بذلك بل اقدم بلا تأم ولا تحرج على عقد زواج ابن اخته بالارشيدوقة ماري لويز

ولا نقيض في الكلام عن سني الامبراطورية الاخيرة حين كان الامبراطور في عراك دائم مع الباباوية وحين كان الكردينال فش يعالج تجنب الاختلاف مع ابن اخته مع بقائه متعلقاً بالكنيسة ففي ٢٠ مايو سنة ١٨١١ منح سرالهاد ملك رومية الصغير مجل الامبراطور وولي عهد الامبراطورية . ولما ابى الكردينال فش الموافقة في السنة التالية على تعقب بعض الاساقفة واعتقالهم امره الامبراطور بالذهاب الى مركزه في ابرشيته . ولما نقل بيوس السابع من سافون الى فنتنبلو ومر بليون ليلا لم يجرؤ الكردينال فش على الخروج للقائه بل اقتصر على كتابة رسالة اليه يؤكد له بها اخلاصه

وقد ضبط رجال الشحنة هذه الرسالة وارسلوها الى نابوليون حين كان في روسيا . وانتهى الامر بسقوط نابوليون في سنة ١٨١٤ فعاد بيوس السابع الى رومية وشخص اليها أيضاً الكردينال فش بعدما نفته حكومة لويس الثامن عشر فاستقبله البابا ولم يذكر الا الخدم التي خدمه بها خال الامبراطور ورخص له بالاقامة في رومية مع اخته لانتيسيا .

وطلب لويس الثامن عشر من الكردينال أن يستقيل من رئاسة اساقفة ليون فرفض الكردينال رفضا شديدا ما طلبه منه الملك مستندا في رفضه هذا الى الحق القانوني ولم يتمكن البابا لاون الثاني عشر خليفة بيوس السابع من اقناع الكردينال فش بالاستقالة مع شدة الحاحه عليه وسويت المسألة أخيراً بحافظة الكردينال على لقبه وتسمية السيد دي برني رئيس اساقفة البي السابق وكيلا لادارة شؤون الابريشه .

ولما جلس الملك لويس فيليب الاول على عرش فرنسا في سنة ١٨٣٠ سعي الكردينال فش الى العودة الى كرسيه حتى أنه اعد العدة للسفر ولكن عرضت مصاعب حالت دون ذلك وقد اتت من جانب الكرسي الرسولي . فبقي الكردينال فش في رومية يعيش عيشة الكبراء حتى حضرته الوفاة في ١٣ مايو سنة ١٨٣٩ فقضى بالداء الموروث في اسرة بونابرت اي بمرطان المعدة وقد نقل رفاته بحسب رغبته في وصيته الى اجاكسيو في سنة ١٨٥١ وضم الى رفات اخته لاتيسيا في كنيسة القديس يوسف .

وفي اجاكسيو شارع اطلق عليه اسم الكردينال فش وفي المدينة مدرسة كبيرة بشارع غرانفال بنيت على اسمه ايضا وقد ادى خدما جليلة لمسقط رأسه وهم يدخرون له مرغان الجميل في تلك المدينة

## نابوليون الحقيقي

كما وصفه كاتبه دي بوريان

لما كانت شهادة الشاهد العياني تفوق في القيمة شهادة الناقل صممت على نشر فصل أخذته من كتاب وضعه دي بوريان كاتب نابوليون الخاص وهذا الرجل لم يكن يضم حبا شديدا خالصا لمولاه . وقد لازمه مدة طويلة في روحاته وغدواته حتى كان واقفا على خافيه وباده ومطلعا على عجره وبجره .

وكان في كل يوم يدون في مذكراته الحوادث التي يشاهدها موجهها اليها ملاحظاته وانتقاده وما تستوجهه من مدح أو قدح وكان يفعل ذلك منقاداً الى ذوقه التاريخي ولم يخطر له قط أنه سينشر يوما من الايام هذه المفكرات . وكان نابوليون يعد كاتبه في مستواه ويتخذة أمينا على أسرارهِ ويوليه



ثقة غير محدودة . وقد كان دي بوريان صديقا للعاهل في أيام الدراسة وكان هذا يوقفه على جميع مقاصده وتدابيره وخططه ويدعوه اليه مرات كثيرة في الليل ويطلب منه أن يأتيه في الساعة السابعة من صباح كل يوم . وكانت ذاكرة دي بوريان عجيبة وكان يحسن التكلم والكتابة بعدة لغات وقد امتاز بسرعة خاطره في معالجة الاساليب الكتابية . وكان أيضا واسم الخبرة في الادارة والقانون العام وشديد السرعة ومحصنا للاسرار . ومع كل هذا لم ينج دي بوريان من مطاعن خصومه الذين حسدوه على منصبه فلقوا الى جميع ضروب الدهاء لكي يسقطوه في عين مولاة ويفقدوه الخطوة عنده . ومازالوا يستنفدون موارددهم جميعها حتى عرفوا أن دي بوريان يضارب مضاربات مالية رجاء الكسب فاتهموه بأنه يستفيد من وجوده في منصبه العالي ليحشد الثروة وكان القنصل الاول يستاء كل الاستياء من الذين يتوسلون بوسائل غير مشروعة لجمع الاموال . فنال نابوليون في ذات ليلة دي بوريان كتابا جاء به سرا رجل مجهول وقال له اقرأه ثم قال له : يا صديقي الحميم لا بد لنا من الافراق فانت تعلم سبب ذلك كما أعلمه أنا ولم يسع دي بوريان لبراءة نفسه مما اتهموه به ففارق رفيقه القديم في مدرسة بريان بعدما تعانقا

وزعم بعضهم ان الامبراطور أوصد بابه فيما بعد في وجه كاتبه القديم فهذا الزعم فاسد لان دي بوريان بقي يكثر من التردد على سان كلو وعلى المالميزون حيث كانت جوزفين تكرم وفادته

وكان بعد ذلك أن دي بوريان أقبل على المضاربات المالية فكان النجس حليفه ويقال أن اقباله عليها حال دون عودته الى خدمة الامبراطور

واتخب دي بوريان بعد سقوط الامبراطورية عضوا في مجلس النواب ثم جعل كاتباً للسيو دي فيلال رئيس الوزارة في عهد الملك لويس الثامن عشر .

وسافته الاقدار في سنة ١٨٢٨ الى بروسل عاصمة بلجيكا وجيبه فارغ والديون متراكمة عليه ففكر في الانتحار ليتخلص من شقاء هذه الحال وقد بلغ التاسعة والחסين من عمره ولكن حظه ساعده في هذه المرة على التخلص من الضيق فانه تعرف برجل اسمه لدفوكا يعني بنشر الكتب فجاء هذا وطلب منه أن يدفع اليه المفكرات التي كتبها عن نابوليون لكي يطبعها فيعطيه ستين الف فرنك في مقابا

ذلك فرضي بعد التردد باجابة طلب لدفوكا . وبرزت هذه المفكرات من خدرها في سنة ١٨٢٩ فكان اقبال الناس عليها عظيما . وقيل أن نائرها كسب بنشرها مبلغا لا يقل عن مليون فرنك في ذلك العهد .

### ملامح نابوليون

قال دي بوريان

« أني لكي أجعل جميع الناس يقفون على حقيقة حال نابوليون بونابرت عقدت العزم على كتابة فصل خاص أضمنه كل ماشهدته من حياته المادية والأدبية وما عرفت من ذوقه وعاداته وطباعه وأهوائه . أجل ان المصورين والنقاشين رسموا صورته على النسيج أو صنعوا له تماثيل من الرخام ومع أن بعضهم أصاب في تمثيله فلا بد من القول أنه ليس ثمة من صورة شديدة الشبه به أنهم استطاعوا تصوير حجمته بشكل نافي وصوروا جبينه مصعرا ووجهه مصفرا كثير التفكير إلا أن نظره الكثير التحرك لم يقدروا أن يصوره تصويرا صحيحا فان هذا النظر كانت تحركه ارادة أسرع من البرق ففي الدقيقة عينها كان نظره الحاد الثاقب يتحول من اللين الى الشدة ومن الارهاب الى المجاملة فتبدو له هيئات مختلفة تعبر عن الافكار الهائجة في نفسه . وكانت له يدان ناعمتان يفتخر بهما ويخصهما بعناية فائقة وينظر اليهما بارتياح واعجاب وهو يتكلم . وكان يزعم أن له أسنانا جميلة ولكنه ما أصاب في زعمه هذا كما أصاب في زعمه عن يديه .

### عاداته في التنزه والاستحمام

واذا تنزه وحده أو مع غيره في البيت أو في الحديقة مشى وظهره محني قليلا ويداه وراء ظهره وأكثر من اجراء حركة غير اختيارية في كتفه اليمنى رفعه اياها واجراء حركة أخرى في الوقت عينه في فمه من اليسار الى اليمين والذي لا يعلم أن هاتين الحركتين من قبيل العادة يتوهم انهما من قبيل الحركات التشنجية وقد كانت

هاتان الحركتان في واقع الحال تنبئان عن إجهاد عقلي شديد واضطراب فكري عظيم يحوم حول خواطر كبيرة .

وكان بعد رجوعه من التنزه يكتب أو يملي علي ما يحول في خاطره وكان صلب العود فلا يشعر بالتعب وهو على صهوة جواده في ميادين القتال وكان كثيرا ما يسير ماشيا خمس ساعات أو ست ساعات من دون ان يشعر بتعب .

وكان من عادته وهو يتنزه مع أحد بآنس به ان يتأبط ذراعه مستندا اليها وكان يقول لي كثيرا حينما كان قنصلا اول : « ترى يا بوريان كم أنا قليل الاكل والشرب ونحيف الجسم وكأني بالنفس تناجيني بأنه حين يمضي من عمري اربعون سنة اصير فاحش الاكل مترهل الجسم وانني مع ذلك اكبر من الرياضة البدنية ولكنه حذر لا بد من وقوعه . »

وكانت هذه الفكرة تعذبه وحيث لم يكن عندي من الدلائل ما يجعلني أوافقها عليها كنت أقول له أنه مخطيء في حدسه .

وكان شديد الولوع بالاستحمام وبعد من الضرورات وقد تعود أن يقيم في حمامه ساعتين متتاليتين في كل يوم وكنت في أثناء ذلك أقرأ له خلاصة الجرائد أو بعض مقالات جديدة متضمنة هجوا قبيحا موجه اليه فانه كان يريد أن يسمع كل شيء ويعرف كل شيء وينظر الى كل شيء بنفسه . وكان في أثناء مقامه في الحمام يفتح دائما حنفية الماء الساخن فترتفع الحرارة الى درجة تجعل القراءة صعبة علي من جراء البخار الكثيف المتصاعد والحائل بيني وبين الصحف التي اتدبرها فاضطر حينئذ الى فتح الباب .

#### استقامة طبعه

وكان بونايرت معتدلا في كل شيء متجنبا الافراط والتفريط ولم يفته ما يذيعونه عنه من الاخبار السيئة وكان في بعض الاحيان يعيل صبره لمعرفتها .

أو لم يستفرض بين الناس أنه كانت تنقابه نوب صرع تشبه نوب « النقطة » ففي السنين الاحدي عشرة التي قضيتها معه بلا افتراق عنه لم يبد لي أدنى أعراض تدل على هذا المرض فقد كان سليم الجسم متين البنية .

وهب توهم أعداؤه أنهم يحرقون من شأنه باذاعتهم عنه أنه مصاب بهذا

المرض فان أنصاره ومريديه الذين يظنون أن النوم لا يتفق مع العظمة لم يكونوا صادقين في زعمهم بأنه يحى لياليه ساهرا فان بوناوت كان يكاف غيره السهر حين بغوص هو في لجة الكرى وكان يريد أن أوقفه في الساعة السابعة صباحا من كل يوم فكنت أسبق غيري الى دخول غرفته وحينما أوقفه يقول لي في غالب الاحيان وهو متناعس : يا بوردان أرجو منك أن تتركني أنام أيضاً قليلا .

واذا لم يكن شيء مهم كنت أعود اليه في الساعة الثامنة وبالاجمال كان ينام سبع ساعات في كل يوم ويقيل بضع دقائق بعد الظهر . وقد أوعز اليّ بألا أكثر من الدخول عليه ليلا وألا أوقفه حين يكون عندي خبر سار أبلغه اياه فلا شيء يدعو الى الاسراع في ذلك ولكنه كان يود أن أوقفه في الحال اذا كانت نمة خبر رديء .

### نابوليون في الصباح

وعند استيقاظه يبادر خادمه الخاص الى حلق لحيته وتسوية شعره وبينما الخادم يجري له ذلك أقرأ له الجرائد مبتدئا بمجريدة « المونيطور » ولكنه لم يكن يتم الا بالجرائد الانكليزية والالمانية فيقول لي وأنا أقرأ الجرائد الفرنسية « انتقل الى غيرها فانا أعرف ما فيها فهي لانكتب الا ما أريده .. » وكثيرا ما كنت أتعجب من نجاته من الجرح حينما يلتفت بغتة وخادمه يحلق له ذقنه .

وحينما يفرغ من لبس ثيابه — وكان شديد التأني في الملبس مبالغا في النظافة — ينزل الى مكتبه فيوقع العرائض الخطيرة التي أكون قد طالعتها في مساء اليوم السابق وكان في أيام الاستقبالات والاحتفالات يوقعها حينما كنت أذكره بأن أصحابها يفتظرونها أمام مكتبه وفي المواضع التي يمر بها . وكنت أكتفيه مؤونة العناء بقولي لأصحابها قبل خروجه ما منحهم اياه وما حبسه عنهم .

ثم يقرأ الكتب المفتوحة على منضدته بعد أن أكون قد رتبته بحسب أهميتها فيكل الى المجاوبة عليها وكان في بعض الاحيان يجاوب عليها بيده ولكن هذا كان نادرا لان المجاوبة على الكتب المرسلة اليه كان مجلبة لضجره . ويأتي

خادم المائدة في الساعة العاشرة ويخبره ان طعام الصباح مهياً فنزل . وكان الصبح دائماً بسيطاً .

وقد يطلب في الصباح لحم دجاج معالجاً بالزيت والبصل ويشرب قليلاً من الخمر وكان يؤثر خمر بوردو ولاسيا خمر برغونيا ويتناول فنجاناً من القهوة القوية بعد الغداء والعشاء .

ولم يكن يتناول شيئاً بين الوجبات ولا ادري لماذا نسب اليه بعضهم شدة الولوع بالقهوة ومن المرجح ان الذين نسبوا اليه هذا الامر يتوهمون انه يارق في الليل وان الاكثار من تناول القهوة يسبب له هذا الارق

وكان اذا اضطر الى اطالة السهر من جراء بعض الشواغل لا يجرع القهوة بل يتناول الشكولاتا ويجعلني أنجرع معه فنجاناً منها ولا يفعل ذلك الا حينما يتماهى بنا السهر الى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل . وقالوا أيضاً أنه كان مفرطاً في التدخين فقولهم مردود لانه كان يتناول التبغ نشوقاً بمقادير قليلة موضوعة في علبة وعنده عدد كبير من اللعب .

علو همته وحبه لفرنسا

وكان بونابرت شديد الميل الى أمرين : المجد والحرب ولم ير مشرق الجبين الا في الحرب أو مقطب الجبين الا في وقت الراحة وكان يروقه اقامة الانصاب ويملاً فؤاده نموذج اقامة الابنية الفخمة ولم يفقه ان الانصاب جزء من تاريخ الشعوب وان بقاءها مدة طويلة دليل على مدنية هذه الشعوب بعد انقراضها بعد طویل وتدل الاجيال المتأخرة على حدوث هذه الفنون المعدودة في بعض الاحيان من الاساطير .

وقد خدع من الطريق الواجب عليه سلوكها للوصول الى الغاية التي يؤمها فعلاماته واعلامه موضوعة على الانصاب المرفوعة في عهده ولكن لماذا ينسبون قصر الاور القديم الى عهد ملكه بوضعهم عليه احرفاً كاذبة فان حرف N المحفور في كل مكان لم يكن ليقوى على نحو حوادث التاريخ فوضعه بدلا من الاحرف المحذوفة لا يغير ترتيب الازمنة ولكن لا بأس من ذلك فان نابوليون كان موقناً أن الفنون الجميلة تزين الاعمال العظيمة بشهرة واسعة وتخلد ذكر الملوك الذين احاطوها بعنايتهم وشجعوها

وقال لي بونايرت مرة : « ان الشهرة العظيمة ضجة كبيرة وكلما عمل الناس في سبيلها كثر امتدادها الى مدى بعيد فالشرائع والانظمة والانصاب والامم تسقط ولكن الضجة تبقى ويكون لها دوي في الاجيال الآتية » هكذا كان يفكر في مثل هذه الامور .

وكان يقول لي : « ان قوتي تتعلق بمجدي ومجدي يتعلق بالانتصارات التي اصبحتها وهي تسقط ان لم اجعل قاعدتها المجد والانتصارات الجديدة وقد جعلني الفتح على ما أنا عليه والفتح دون سواء يحفظني كما أنا »

هذا هو الفكر المتسلط عليه وقد جعله دائم التفكير في حروب جديدة وكان يزعم انه اذا بقي جامدا في مكانه لا يأمن السقوط وهذا ما كان يجعله ميالا الى التقدم الى الامام وعنده ان العمل بلا عظمة ولا قوة لا يمد عملا وهذه الحاجة الشديدة متعلقة بالانظمة التي وضعها وكان يقول : « الحكومة المولودة في السناء محتاجة الى أن تبهر الانظار وتدهش الناس وحالما تفقد اللعنان تسقط . »

ولم يكن في الحقيقة مستظاعا ان تطلب الراحة من شخص كان الحركة بعينها وكانت عواطفه نحو فرنسا تختلف عنها لما كان حدثا فقد بقي مدة طويلة ضيق الصدر عند تذكره فتح كورسيكا التي كان يعتبرها موطنه له دون سواها ولكن ما لبثت هذه الذكرى ان احدثت وصار يحب فرنسا محبة عظيمة وكان جنانه ملتها بتشوقه لرؤيتها عظيمة وأولامة في العالم تخضع جميع الامم لشرائعها وكان يرى اسمه مرتبطا باسم فرنسا باربطة لا تنقسم عراها ويجمع الناس يرددونه في الازمنة المتأخرة . وفي جميع اعماله كان الحاضر يحى أمام المستقبل كما أنه كان في جميع الامكنة التي تقذفه اليها الحرب ينظر ماثلا لدى فكره الرأي العام الفرنسي .

وكما كان الاسكندر الكبير في اربل يعلق اهمية على استمالة الرأي العام اليه في أثينا اكثر مما يعلقه على قهره دارا لم يكن بونايرت في مارنغوني عن التفكير في ماعساهم أن يقولوا في فرنسا . وكان قبل اضرام المعركة بهم بما يجب عليه أن يفعله في حالة الانكسار اكثر مما يهتم بما يفعله في حالة الانتصار



اوجين بوهرنه ولد في سنة ١٧٨١ وتوفي في سنة ١٨٢٤





وكانت مطامعه الشديدة تدفعه نحو السلطة الا أن السلطة التي أصابها زادته طمعا على طمع ولم يفقه احد في الاعتقاد بهذه الحقيقة وهي أن أعظم الحوادث تكون في غالب الاحيان نتيجة لامور تافهة وهذا هو السبب الذي من اجله كان يتوقع تلك الحوادث ولا يستنزلها فيشاهدها تنهياً وتنضج فيثب اليها مفاجئاً ويسيرها على هواه

### رأيه في الناس

ولم يكن بونايرت ميالا بطبيعته الى احترام الناس بل كان يحترقهم كلاً طال تعرفه بهم ورأيه هذا في الناس ناشىء عن الاختبار ومؤيد عنده ببعض الامثلة الظاهرة وبعد عنفه نتيجة لهذا المبدأ الذي كان يكرره دائماً وهو : «مخلان بحر كان العالم : الحرف والمصلحة»

وأى احترام يشعر به بونايرت لطالبي الرشد من صندوق الاوبرا فهذا الصندوق الملقى فيه مبلغ كبير من عائدات الملعب ينفق قسم منه لتسديد ما يريد من النفقات على الملعب والقسم الباقي ينفق في طرق سرية فكان بعضهم يقبض مبالغ كبيرة بورقة يوقعها دوروك وكثيرا ما كانوا يبصرون اشخاصا لايسين أزياء مختلفة يدخلون من الباب الصغير من جهة شارع رامو وان صديقة مصر التي كان البريطانيون قد اطلقوا سبيل زوجها المسكين اكثر من التردد على ذلك الصندوق وكمن مرة اجتمع امامه في وقت واحد العالم والممثل والخطيب المصقع والموسيقي المشوه . وفي يوم واحد جاء ذلك الصندوق كاهن ثم محظية فكرر ديزال (فش) .

وكان من اكبر مصائب بونايرت انه لم يكن يصدق بوجود الصداقة وانه لم يكن يشعر بالحاجة الى الحب وكمن مرة قال لي : « ليس الحب سوى كلمة ... انا لا أحب احدا ... انا لا أحب اخوتي وقد اشعر بشيء من الحب ليويسف وذلك من قميل العادة لكونه اخي البكر ... احب ايضا دوروك . ولم اذا احبه . لان طباعه تعجبني ... فهو بارد وجاف الخلق وصلب المسكر ... ولا يذرف الدموع ابداً ... ولا يهمني هذا الامر البتة فاننا ادري انه ليس لي اصدقاء حقيقيون ... انظر يا بوريان لنُدع النساء يبيكين فهذا امر يعنين ... اما انا فلا

شيء يجعل قوادى برق ... فينبغي للانسان ان يكون ثبت الجنان والا فليجنب الحرب والتمرس بالحكم

وكان بونايرت في علاقاته مع الهيئة الاجتماعية بحسب التحرش بالناس لتفتيق بنائق صبرهم على صورة ينفرون منها وحينما كان يفور فائره كان يظهر ذلك بما يفوه به من الكلام فان اهاناته الشديدة ولو اذع كلماته وتخدم غيظه كانت مدبرة بتصميم سابق .

واذا اراد اظهار استيائه من احد كان حضور الشهود يشجعه على ذلك فيوجه اليه كلاما قاسياً حاداً محقراً على انه لم يكن يكتر من سوررات الغضب هذه فلا تحدث الا حينما يتحقق جرم الموجه اليهم كلامه .

واذا اراد توبيخ احد على حدة كان يبتغي ان يحضر ذلك المشهد شخص ثالث وقد لاحظت كثيراً انه يجد في ذلك ما يزيد في جرأته على انه كان حينما يخلو بالانسان وحده وهو يعرف طباعه يتأكد انه يتغاب عليه برباطة جأشه وصدقه وقد قال لاحد أصدقائه وهو في جزيرة القديسة هيلانة انه لم يكن يدعوا شخصاً ثالثاً الى الحضور الا ليجمل لتلك الضربة صدى بعيداً وعندى ان ذلك لم يكن غرضه لانه لو كان صادقاً في قوله هذا لسهل عليه توجيه توبيخه جهاراً وانما كانت له اغراض اخرى .

وقد لاحظت في اثناء المدة التي قضيتها معه انه لم يكن يحب الاختلاء باحد فكان حينما ينتظر أحداً يقول لي : ابق هنا يا بوريان . وحينما يخبرونه بتقديم شخص ينتظره كوزير او جنرال مثلاً هم بالخروج فيقول لي بصوت منخفض ابق هنا والحق يقال ان بقائي في ناديه لم يقصد به انتشار ما أسمعه من الحديث بين المملأ فليس من طبعي ولا من الواجب عليّ ان اذيع مثل هذه الاخبار .

وكان بونايرت ينظر بمقلة الاحتقار الى رجال الثورة المشهورين بسفك الدماء والمطخعة أيديهم بدم الملك فيسأم من اضطاراه الى اظهار خلاف ما يبطن في حديثه معهم وكان كلامه عند تحديثه إياي عنهم مقترناً بالتقزز .

وقال مرات كثيرة لكباساريس وهو يعرفك أذنه بلطف : يا عزيزي كباساريس لا استطيع شيئاً فمألتك واضحة كالشمس في رائحة النهار فلو قدر وعاد البوربون لكان الشئ من نصيبك . فكان كباساريس يتبسم عند سماعه هذا الكلام

تبسما مكرها عليه وقال له ذات مرة : دع عنك مثل هذا الهزل القبيح في حضري

### بعض عاداته

وكان لبونابرت عادات غريبة وذوق فريد في بابه فكان يغني كلما لقي مقاومة أو شغل خاطره فكر مزعج ولسكن صوته كان قبيحا . فكان يجلس إلى مكتبه ويستلقي إلى الورا حتى يكاد يقع . وقد نهته إلى ذلك مرارا . وحينما يكون في هذا الموقف يفرغ غضبه على ساعد كرسيه ويعزقه بسكين لم يكن يستخدمه لغير هذا الامر . وكنت دائما أهيم له أفلاما صلبة لانه كان مقضيا علي بسبب مهمتي لديه أن أقرأ كتابته فيهمني والحالة هذه أكثر من غيري أن يكتب كتابا تسهل قراءتها . وكانت أصوات الاجراس تؤثر فيه تأثيراً غريباً لأدري سببه فيصني اليها بلدة وارتياع . وحينما كنا تنزه في المالميزون في الطريق المؤدي إلى سهل روابل كانت أصوات الاجراس في هذه البلدة تقطع حديثنا فيقف لثلا يجعله وقع اقدامنا يفقد شيئا من هذه الاصوات التي يفعم سمعها فؤاده بهجة . وكثيرا ما كان يستاء مني لانني لم أكن أشعر بمثل ما يشعر به من هذه الجهة . وكانت حواسه تتأثر كل التأثر فيقول لي بصوت متهدج : « ان هذا يذكرك في بالسنين الاولى التي قضيتها في بريان حينما كنت سعيدا . . . » وحينما تصمت الاجراس يعود إلى تأملاته الكبيرة ولم أشاهد بونابرت في غير مواقع القتال مسرورا بقدر ما كنت أشاهده مسرورا في حدائق المالميزون .

وكنا نذهب في أوائل عهد القنصلية إلى المالميزون في كل يوم سبت عند المساء فنقضي فيه يوم الاحد ويوم الاثنين في بعض الاحيان . وكان بونابرت يهمل العمل قليلا في المالميزون لكي يتمكن من التنزه ومراقبة أعمال الإصلاح والتزيين التي يعملها فيه وكان في بدء الامر يزور الاماكن المجاورة إلا أن تقارير رجال الشحنة جعلته يعدل عن هذه الزيارات فان انصار الملكية كانوا يترقبونه ليختطفوه .

وكان في الايام الخمسة الاولى التي قضاها في المالميزون يتسلى في بعض الاحيان بتحرير حساب ربيع أراضيه ولم ينس شيئا من أمر العناية بالحديقة والبقول فبلغ

ربما ثمانية آلاف فرنك وكان يقول ان هذا لا يستهان به ولكن يجب على الانسان الذي يسكن هذا المكان ألا يقل دخله عن ثلاثين ألف جنيه . وكان يهيج فؤاده في خلال مقامه في هذا المكان أن يبصر امرأة ممشوقة القوام مرتدية ثوباً أبيض تنزه في ظل الاشجار الملتفة الاغصان الكثة الاوراق ولم يكن يطبق أن يبصر النساء يلبسن ثياباً ملونة وخصوصاً الثياب القائمة اللون . وكانت عينه تقضى برؤية النساء البادئات وتنفّر من رؤية النساء الحوامل فيندر أن يدعو أمثالهن الى الحفلات والولائم .

وكان حاصله على كل ما يحتاج اليه الانسان ليدعى في الهيئة الاجتماعية رجلاً لطيف المعاشرة ولكن كانت تنقصه الارادة ليكون كذلك . ولم يكن يتظاهر بالعظمة الا طمعاً باستمالة الناس اليه وكان الذين لا يعرفونه يشعرون في حضرته بعاطفة تهيب تفوق ارادتهم .

وكان الانسان يشعر عند جوزفين الفاضلة في أثناء غياب المولى بهجة وغبطة يزيدهما بهاء لطف هذه السيدة الممتازة بمكارم أخلاقها ولين جانبها وكان كل شيء يتغير عند وصوله فتتحول الانظار اليه ليتكفوا من قراءة ما يبدو على صفحة جبينه مما يحول في جنانه ويروا هل هو راغب في الصمت أو ميال الى الكلام وهل هو مسرور أو مكتئب . وكان في غالب الاحيان يكثر من الكلام راوياً الحوادث بشكل يخلب الالباب وقلما دارت أحاديثه على أمور بهجة أو تافهة بل على المباحثة والمجادلة وكان عند احتدام الجدال يستدرج الى كشف ما يريد تخبئته في صدره وكان يسر أحياناً بأن يسرد جلسائه حوادث تدل على اعتقاده بما يقع في المستقبل أو حوادث عن عودة الارواح وبروي ذلك دائماً وقت ما يحج الليل ويهيئ الحاضرين لسماع ذلك بايراده وبعض عبارات رصينة . وكانت جميع أحاديثه مفعمة لطفاً خلافاً وأموراً ونكات مستملحة ويكثر في أسفاره من مثل هذه الاحاديث ومن علامات البهجة عنده ان يصفر باهامه وسبابته أو يعرك طرف اذن جليده بلطف وكان يقول في الاحاديث المرفوعة فيها « الكلفة » بينه وبين من تعودوا مجالسته : « أنت بليد . أنت مغفل . انت غر . أنت أحمق . أنت أبله » وما شاكل ذلك ولكنه لم يكن يستعمل قط هذه الالفاظ بصورة جدية وكانت لهجته في استعمالها تدل على الغاية المقصودة من ورائها .

## نابوليون والطب والشعر

ولم يكن نابوليون يعتقد بفعل الطب ولا بتأثير الادوية التي يصفها الاطباء فيتمكلم عنه كما يتكلم عن فن يكترون فيه من الافتراضات والمزاعم ولا يزعم شيء اعتقاده من هذه الجهة فقد كان ذا عقل قوي لا يعتقد الا الحقائق المقررة . وهو ذو ذاكرة ضعيفة من جهة الاعلام والالفاظ والتواريخ ولكنه ذو ذاكرة عجيبة من جهة الحوادث والامكنة واذكر أنه ونحن ذاهبون من باريس الى طولون نبه فسكري الى عشرة أمكنة تصلح لان تضرم فيها نار القتال ولم ينس ذلك قط .

ولم تكن محاسن الشعر تستهويه ولم تكن أذنه ماعدا ذلك متعوده التمييز بين أوزان الشعر صالحتها وفاسدها ولم ينشد شعرا من دون ان يحتل الوزن الآن الافكار السامية كانت تبهره وقد اكبر كورنايل كثيرا وقال لي ذات يوم بعد حضوره تمثيل رواية « سنا » : « لو كان رجل ككورنايل يعيش في أيامي هذه لاتخذته وزيرى الاول فانا لأعجب بأشعاره فقط بل أعجب بذوقه السليم ومعرفته الواسعة لقلب الانسان وعمق سياسته »

وقال وهو في جزيرة القديسة هيلانة : « لو كان كورنايل في عصري لرقينته الى مرتبة الامراء » ولكنه لم يكن في الحين الذي حدثني عنه يفكر في عمل ملوك وامراء

## نابوليون والنساء

أما التأدب مع النساء فلم يكن من طبع بونايرت وقد ندر أن خاطبهن بكلام سار وكثيرا ما أساء اليهن من حيث لا يريد كقوله لمن مثلا : « ما أشد احمرار ذراعك . ما أقبح تصفيف شعرك . ما بالك تلبسين هذا الثوب الوسخ ، أولا تغيرين ثيابك . لقد أبصرتك أكثر من عشرين مرة لابسة هذا الثوب . . . » وكان قليل الشفقة يحب أن يجعل الناس ينفقون أموالهم من دون أن يبالي بذلك وكان يهتم بملابس زوجته وهي من جهتها كانت ذات ذوق ممتاز وهذا

ما جعله ينتقد غيرها من النساء ومن صفاته حب التأني وصار يحب البهرجة والزينة فيما بعد الا أنه لم يحب قط أن تخرج النساء عن دائرة الحشمة وتذمر غير مرة في مفتتح عصر القنصلية من زى الاثواب العارية فيها الاذرع والاعناق والصدور

### كرهه للمقامرة

ولم يكن يحب المقامرة وهذا من حسن حظ الاشخاص المدعوين الى ناديه وحينما كان يضطر الى الجلوس على مائدة اللعب كان يبدي التذمر والتأفف وحينما كان يتنزه مع ضيوفه كان يهيجهم جميعاً بما يخاطبهم به على أنه كان يؤثر محادثة العلماء ولا سيما الذين رافقوه الى مصر كهنريج وبرتولاي ويسر بمحادثته لشبتهال ولاسيبيد وليرسياني ،

وأقول بالايجاز ان من يريد أن يحكم حكماً صائباً على بونابرت وبقدرة حق قدره يجب عليه أن يبصره في طليعة جيشه وليس في ردهة من رده قصره . أما لباسه فالمسكري منه يوافقه أكثر من أجل لباس مدني وقد قيل لي أنه لما ارتدى اللباس المدني للمرة الاولى بقي لا يسا اربعة سوداء فلم يظهر ذلك مثلاًماً مع ثوبه فلما أبدوا له ملاحظة بهذا الشأن قال : « لا بأس من ذلك فاني لا أحب أن أفقد الهيئة العسكرية تماماً » .

وكان القنصل الاول يدفع نفقاته الشخصية الا أنه لم يشأ أن يجعلهم يدفعون ثمن الاشياء العامة الناتجة عن مساومات سابقة مع الوزراء لبعض دوائر الحكومة فكان يؤخر هذه المبالغ بالتجائه الى حجج شتى وأسباب غريبة وهذا مادعاً فيما بعد الى تعيين لجنة للنظر في حساب المبالغ المتأخرة وكان عنده مبدءاً ثابت وهو أن جميع ملتزمي تقديم الحاجات للحكومة لصوص .

وكما قلل وزير من دفع ما هو مقرر في موازنته نظر اليه بونابرت بلاحظة الرضاء فديكريس وزير البحرية أصاب حظوة عنده لانه جرى على نهج اقتصاد بحر الخراب في بعض الاحيان على ملتزمي تقديم الحاجات للبحرية .

## نابوليون والدين

أما من جهة الدين فقد كانت له افكار مبهجة وقد قال لي في ذات يوم : « ان عقلي يجعلني أنكر بعض الامور الا أن ما بقي لي من تأثيرات حدائتي يلقيني في وهدة الشك . »

وكان يحب الاسهاب في الكلام عن الدين وقد أبصرته مرات كثيرة ونحن في مصر أو على متن السفينة « الشرق » والسفينة « مويرون » يتدخل بعناية في أحاديث دائرة بحدة على هذا الموضوع فيسلم مختاراً بكل ما يبرهنون له عليه ولكنه لا يحب أن يسمعه يتكلمون عن المذهب المادي فاذا ذكر اننا بينما كنا ذات ليلة ونحن على متن السفينة « الشرق » وحولنا أشخاص يتباحثون في هذه العقيدة المنكرة رفع بونايرت عينيه الى السماء ودلهم على الكواكب وقال لهم بسكينة : « تحاولون البحث في هذا الموضوع على غير جدوى يا حضرة السادة فمن صنع جميع هذه الاشياء . » وكان كثير التساهل من جهة الدين فلم يطق أن يرى أحدا مضطهداً بسبب معتقده الديني .

وها أنذا أذكر عادة من عادات بونايرت الغريبة وهي جلوسه نصف جلسة على المنضدة التي أمامه فكان مثلاً يجلس على هذه الصورة على منضدتي ساندنا ذراعه اليسرى الى كتفي اليمنى وهاذا ساقه التي لاتصل الى الارض ويملي علي وهو يهز المنضدة فيزعجني كثيراً في الكتابة .

## صلابة عزمه

وكان يأنف من الرجوع عن قرار أصدره مع اعترافه بأنه مخالف للعادلة فلم يكن شيء من الاشياء يجعله يعود الى الوراء سواء كان في الاشياء الصغيرة أو في الاشياء الكبيرة لانه كان يعتبر أن في التقهقر هلكة وقد شهدت حادثاً يدل على تصلبه في حال لا أنساها أبداً وهو حادث الجنرال لاتور دواساك وكان القنصل الاول يظهر أنه متأثر من الضرر الذي سببه له ولكنه أراد أن يترك الزمان يمر قبل اصلاح هذا الضرر وقد قام خلاف بين قلبه وتصرفه فتأثر من ذلك ولكن

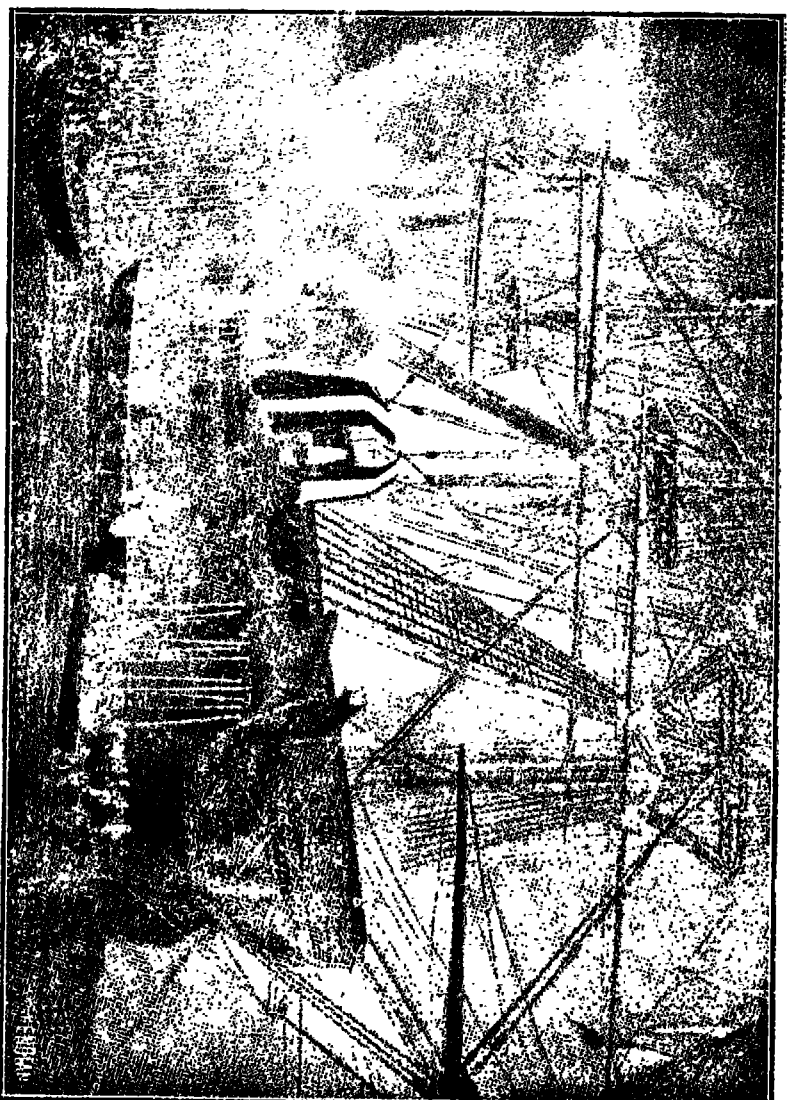
جودة قلبه صممت أمام ما كان يعده من مقتضيات السياسة .  
ان بونايرت لم يقل قط «أخطأت» بل كان يقول «ابتدأت أظن أن ثمة شراً»  
على أنه مع هذا المبدأ الذي يلائم الفيلسوف أكثر مما يلائم رئيس الحكومة  
لم يكن بونايرت بغيضاً ولا منتقماً ولا ميالاً بطبعه الى سفك الدم . أجل اني  
لا استطيع أن أدفع عنه معرفة جميع الملام الذي جرت به اليه شريعة الحرب السائدة  
ومقتضياتها القاهرة وانما أقول أنهم تحاملوا عليه كثيراً من هذا القبيل .  
وأؤكد أن بونايرت كان يعدني ما عدا دائرة سياسته رقيق الشعور جيد القلب  
كبير الشفقة شديد المحبة للاولاد . ويندر أن تحمد رجلاً شريفاً يعيل الى الاولاد .  
وكان بونايرت في حياته الشخصية على جانب عظيم من البساطة متساهلاً أمام  
الضعف البشري لانه يعرفه حق المعرفة ويقدره حق قدره .  
انا أعلم أنه ستقوم علي قيامة المعارضين ولكنني أوجه كلامي الى ناشدي  
الحقيقة ومحبيها فقد عشت مع بونايرت واطلعت على جميع خفايا حياته ولا القى  
الكلام على عواهنه وعلى كل حال أفلا يجب علينا أن نراعي حصة الزمان والاحوال  
التي تؤثر جد التأثير في الانسان . أفلا يجب علينا أن نميز بين طالب العلم وقائد  
الجيش والقنصل الاول والامبراطور اذا رغبنا في ان يمد الناس الحكم الذي نبرزه  
عليه صادراً بنزاهة وبلا تفرض . »

## رأي اللورد روزبري

في نابوليون بونايرت

كان سائح بريطاني عائداً من رومية الى بلاده في صيف سنة ١٨٦٣ فمرج  
على باريس ليقضي فيها يومين وكان هذا السائح من طلبة مدرسة ايتون وقد  
صاحبه احد اساتذة هذه المدرسة في رحلته كدليل يرشده وكان اهم شيء لفت  
انظار هذا الشاب ضريح نابوليون وقد كتب استاذُه عنه انه كان من اكبر المعجبين  
بنابوليون واسرته وكان هذا الاعجاب مبنياً على التروي لان هذا الشاب نال  
قسماً وفيراً من الذكاء والفراصة وكان الشاب الذي نحن في صدد الكلام عنه يدعى  
اللورد دلمني وهو الذي عرف فيما بعد في العالم كله باسم اللورد روزبري .  
وانتقل اللورد دلمني من مدرسة ايتون الى جامعة اكسفورد وقبل ان





السفينة «بل بول» التي جلبت رفات نابليون من جزيرة القديسة هيلانة إلى فرنسا في سنة ١٨٤٠



ينجز دروسه فيها توفي جده فانتقل اليه اسمه واصبح من ذلك اليوم معدوداً من أعيان المملكة ولكنه قضى عشر سنوات لم يسمع احد صوته في اثنائها في مجلس الاعيان . ولما كان في الرابعة عشرة من عمره قال له احد وطنيين في احدى المآدب انه سيصبح يوماً رئيساً للوزارة ولكن اللورد روزبري الشاب لم يكن شديد التسرع لاصابة ذلك المنصب الرفيع بل سار اليه بطريق طويل . وكان الناس يكثر من الكلام عن جياده المطهمة وتأنقه في ملبسه وميله الى الفنون والملاذ العالمية وكان مشهوراً عنه انه لطيف المعاشرة محباً للمجون وانه يستطيع كل شيء حتى الشغل نفسه حين يروقه ذلك وكان اقاربه يأسون بعشرته والذين دونه منزلة يمشقونه لانه كان يهتم بمحاجاتهم وينفس كربهم ويذيلهم امانهم .

واقترن اللورد روزبري في سنة ١٨٧٨ باغنى فتاة في بريطانيا المظمى وهي الانسة حنة دي رتشيلد كريمة البارون والبارونة ماير دي رتشيلد المشهورين باحسانهما في بلادها وند اثار هذا القران عاصفة انتقاد شديد وحرك عوامل الحسد في قلوب كثيرين من الاعيان ولكن ما لبثت هذه العاصفة ان هذأت وهذه العوامل ان سكنت لما عرف الناس حقيقة خلق الزوجة الكريمة الجريئة المخلصة الامينة التي انتقامها اللورد روزبري وقد كانت لها اليد الطولى في معونته في الانتخابات العامة في سنة ١٨٨٠ واعيد على أثرها فتح ابواب قصر وستمنستر على مصاريعها في وجه داهية السياسة البريطانية الاكبر المستر غلادستون وكان اللورد روزبري العامل الاكبر لفوزه فكان قصر دلمني مركز تلك الحركة السياسية ولا يخفى أن تنظيم المعركة يكون في بعض الاحيان اصعب من نيل النصر وكان اللورد روزبري يستطيع ان يصيب كل شيء بعد ذلك الفوز الباهر وبعد قبض حزب الاحرار على ازمة السلطة ولكنه لم يقبل شيئاً . ولما اسندت اليه وكالة وزارة الداخلية بعد ثمانية عشر شهراً عرف الجميع اي عضد متين نالته الوزارة . ولما تقلد المستر غلادستون وزارته الثالثة عين اللورد روزبري وزيراً للخارجية فاشتهر فيها باقدامه وتيقظه وبراعته ولكن الاحرار المتحدين ناووا الوزارة بقضية الحكم الذاتي في ايرلندا وزعزعوا اركانها . ولما خلا اللورد روزبري الجو ركب مركب الرحيل الى البلدان المؤلفة منها الامبراطورية البريطانية وقد صحبته قرينته في رحلته هذه فطاف حول الارض في سني ١٨٨٢ و ١٨٨٣ وغشي

كندا وأستراليا ودرس بذهنه الثاقب وحكمه الصائب ما كان من العلاقات بين بريطانيا العظمى ومستعمراتها البعيدة وذهب في سنة ١٨٨٧ الى الهند وبعد ما قضى فيها حيناً من الزمان عاد الى بلاده وحقيقته مماؤة معلومات خطيرة كانت له عدة عند الحاجة ولم يكن الاستمرار مبدءاً انتحله اللورد روزبري وجعله مسيطراً على جميع اعماله بل كان يراه اوراً من الامور المادية يقتضيه اتساع نطاق العلم والصناعة على ما كان مشهوراً في اواخر القرن الماضي فالبخار والسكر بناء بتقريبهما الابداع وتفسيرهما المسافات اوجدا مساواة حقيقية في الحقوق والواجبات التي لم تكن في الماضي سوى نظرية وهمية وقد وضعا حداً نهائياً للعلاقات القديمة التي كانت البلا. البريطانية مرتبطة بها بمسعمراتها وقد كان اللورد روزبري ومريديه شأن عظيم في تسكين مخاوف ارباب من مرامي الاستعمار واقناعها بانها لم يكن المراد به الاعتداء والانتح بل كان ذلك مسألة تنظيم ائتلافي لا يقصد به تهديد أحد أو النيل من كرامته .

ولما عاد اللورد روزبري الى بريطانيا العظمى عين عضواً في مجلس ولاية لندن ورئيساً له وقد انشئ هذا المجلس بموجب قانون جديد فهذا المنصب أبقى أثراً خطيراً من آثار حياته السياسية بقطع النظر عن المناصب السامية التي انتدب لها فيما بعد فان تربية الشخصي واليومي بالديمقراطية في أكبر مدينة حديثة جعله يفهم ما كان غامضاً عنه وأطلعه على أسرار انتصرف بعواطف الناس واستمالتهم وقد كان هذا الامر من مميزات الطبيعة فصائح أشخاصاً فانوا يدعونه « المستر روزبري » واستمال اليه على هذا النمط المشغولين بالسياسة من عامة الشعب ولم يفعل ذلك بتملقه اياهم بل بمعاملة اياهم معاملة اللند وبرزانه وجد وكان وهو جالس على منصة رئاسة ذلك المجلس — وكانت زوجته توافيه اليه في بعض الاحيان — يجعل الجلسات أشبه باجتماعات « عائلية » يسودها الود والاخلاص والاهتمام بالشؤون من وجهة المصلحة والاعمال العملية واستطاع بما أوتي من سعة الخبرة ورعاية الصدر وشدة الشكيمة من رد تهجم الكائدين لحجسه وكان شديد المحاولة على قانون تعيين مدة الخطابة وقد جعلت ١٥ دقيقة للخطيب بحيث كان يذكر الخطيب بهذا القانون حين ينقضي ربع الساعة ويظل الخطيب ماضياً في الخطابة وكان همه منصرفاً الى حل المسائل حلاً عملياً نابذاً كل ما كان من شأنه اقدام الاضطرابات السياسية في المسائل البلدية الصرفة وقد كان من نتيجة

أعمال هذا المجلس الذي أصبح لسان حال المدينة ان محافظها قصرت يده في كثير من الاعمال واجتزىء بالقليل من الفخفة التي كانت تحيط بموكبه الرسمي وكانت تحاكي الحفلات التي يقيمونها في « المرافع » ومعظم الفضل في هذا التعديل والاصلاح يرجع الى اللورد روزبري .

ونزلت باللورد روزبري بلية كبرى في خريف سنة ١٨٩٠ فانه نجح بزوجه التفاضلة وقد اضطر من جراء ذلك الى هجر السياسة والشؤون العامة ولكنه عاد اليها في سنة ١٨٩٢ لما عاد المستر غلادستون الى تقلد الوزارة ولم يكن له في البرلمان الا اقلية ضئيلة ولم يقبل ذلك الوعيم تقلد السلطة الا لمعالجة تحقيق المشروع الذي كان يصرف اليه هامة النفس وهو استقلال ايرلندا الاداري وقد وافق عليه مريدوه « ونفسهم حزينة حتى الموت » واغتنم مجلس الاعيان هذه الفرصة لاستعادة ما فقدته من ميل الامة اليه بقيامه على هذا المشروع وقد لقي اللورد روزبري سبيل الوصول الى تأييد المشروع مفروشة بالاشواك وكاد يكون منفردا في مجلس نخاصم له وقد قضت عليه الحال بأن يتخذ خطة الهجوم في كل يوم ولكنه كان وهو كالفائد الاعزل الذي لم يكن له جيش يعمل عليه لا يلقي مندوحة عن المناجزة ا كثرية هائلة ولم تكن الحال مقصورة على انتقاد الموقف الحالي بل كانت تقتضي مصادمة المبدأ الثابت المبني عليه ذلك المجلس الاعلى والسعي للقضاء على الوراثة وهو المشروع النائل لسلطته بالوراثة وكان يجب عليه أيضاً أن يحمل المجلس على التساهل معه والاصفاء اليه والتصفيق له وقصارى الكلام أن يكون ثوريا بلباقة ووقحا بمنكة ومهدداً من دون أن تشتم في كلامه رائحة الاهانة . وقد قضى لبانته وكانت خطبه الرنانة في ذلك العهد من آيات البلاغة تدخل الآذان بلا استئذان وتهدم بمول التهم ماشيده خصومه من صروح المعارضة وكان يتعاشى كلام التهم الجاف البارد ويستبدل به كلاماً مقنعاً مؤثراً في العواطف ولذلك لم ينقم عليه خصومه لبذاءة لسانه كما ينقمون على غيره فكان اليوم الذي يحمل فيه اللورد روزبري عليهم سالقا ايام بلسانه الحاد يوما مشهودا كأنه يوم عيد .

وكان شرف بريطانيا العظمى وسلام العالم يقتضيان توقف الشمس عن مسيرها كما كان القدمون يزعمون أو توقف الارض عن دورانها كما نعتقد نحن لامتداد

أسباب عمر المستر غلادستون ولكن لم يتم ذلك . ولم تحدث هذه الاعجوبة فانه لما بلغ المستر غلادستون من العمر عتيا وجعل الضعف يلم بكل عضو من اعضائه وبكل حس من حواسه الواحد تلو الآخر لم يلق مناصا — وهو في معظم قوته السياسية والعقلية — من القاء اعياء السلطة عن عاتقه والتنازل عنها للورد روزبري وزير الخارجية في وزارته وقد تحققت حينئذ النبوة التي تنبأوا بها له من ثلاثين سنة أي أنه يترجم في دست رئاسة الوزارة .

وكان عبء الميراث الذي ورثه اللورد روزبري من المستر غلادستون ثقيلا بنوء به غيره ولا يرضى بقبوله لان حزب الاحرار كان في ذلك العهد قد هبط الى درجة لم يهبط الى مثلها منذ مئة سنة فانه فقد ما كان يربطه من الصلة ببعضه ببعض وأصبح نظامه اسما لغير مسمى ورق جانبه وبات برنامجا خبرا على ورق وكان اعضاؤه متدابرين ينظر الواحد منهم الى الآخر شزرا ولا يفعلون الا ما تدعوهم المصلحة الخاصة الى فعله لان الانانية كانت متسلطة عليهم بحيث لم يكن زعيمهم يعول عليهم في آونة الشدة وكانت مسألة استقلال ايرلندا الذاتي كحجر ثقل علق في عنق كل فرد من افراد حزب الاحرار

وهل وفق اللورد روزبري الى اعادة الوحدة والحياة الى حزبه المتفكك الاوصال الموشك القضاء المحتوم أن ينزل به ؟ الجواب على ذلك بالنفي وقد يكون اللورد روزبري الرجل القادر على ذلك الامر ولكن الفرصة لم تكن مؤاتية له فقد يكون حين لا ينبغي لاحد ان يعارض القوة الهادمة عملا بما فاه به أحد معاصري كرومول وهو : «يجب على الامور أن تبلغ غايتها من الفساد لكي يمكن اصلاحها» ولم يكن في استقالة اللورد روزبري ما يجعل الناس ينسونه فان ميلهم اليه ازداد بعد اعتزاله المناصب . وها قد مضت اعوام على زيارته لقصر «الانفاليد» في باريس وقد قال ان ذكرى هذه الزيارة لم تفارق ذهنه قط في جميع ادوار حياته على مثال ظهور ارواح الموتى للاحياء طلبا لصلواتهم لكي ينجوا بها من العذاب وكانت تلك الذكرى تقتضي وضع كتاب تنجالي به الحقائق ولكن وضع مثل هذا الكتاب يلزمه فسحة من الوقت فوجدها اللورد روزبري في سنة ١٨٩٥ لما تفككت اوصال حزب الاحرار وتضعضعت احواله . ولم يكن مندوحة عن عرض تلك الصورة عرضا واضحا بعد ما كان الابهام والغموض يحفان بها وكان بعضهم

يحاول أن يجعل سيرة الامبراطور العظيم من نوع الحكاية أو من باب اساطير  
الاولين ففي سنة ١٨٩٩ نشر الفيكونت دي غروشي والمسيو غيلوى مذكرات  
غورغو القيمة فاما بالنقاب عن حقيقة تلك السيرة وحينئذ استطاع اللورد روزبري  
أن يستند الى هذه المذكرات ليضطلع بمهمة كان يحلم بها من عهد بعيد ،

ويستطيع القراء أن يتحققوا صحة هذا الكلام بخطاتهم الكتاب الذي  
وضعه اللورد روزبري في هذا الصدد فيروا فيه ما يحرك ساكنات الانتباه في  
قلوبهم ويشير الدهش من مريضه ويبعث على التأثر الشديد ويعلموا في الحال أن  
المؤلف طالع وفهم جميع الاسانيد البريطانية والفرنسية التي يستند اليها المؤرخون  
الذين كتبوا تاريخ نابوليون والامبراطورية الاولى وانه بعد ما محصها كمؤرخ  
نظر اليها بعقلة السياسي المحنك الخبير باظهار دقائق الامور للعيان بايراده اعتبارات  
فلسفية يتصيد بها القاريء من سرد حوادث تلك المأساة الالهية الذكر ويذكروا  
كلمة استاذ مدرسة ايتون وهي ان تلميذه الشاب « كان من اكبر المعجبين بنا بوليون  
واسرته وكان هذا الاعجاب مبنيا على التروي . . . »

ولكتاب اللورد روزبري شأن عظيم في تاريخ نابوليون الكبير ويزعم فريق  
من المؤرخين انه كان لنابوليون يد في بعض الحوادث والاسانيد الملفقة التي  
اذاعها لاس كاس فبعد ما اقام النكير على مؤتمر فيينا من جراء قضائه المبرم على  
نابوليون عباد وايد بلا مسوغ نظرية التأمين العام التي جعلت الحلفاء يحصرون  
نابوليون حصرا لانهاية له مع انه لم يكن متمردا ولا اسير حرب ولا جانيا حكمت  
عليه محكمة قانونية . واسترشد اللورد روزبري بفكرة محمودة وهي تبرئة ذمة  
ابناء وطنه من مقتل نابوليون واستعان بنتيجة تشريح جثمان الامبراطور على  
اصابة غرضه فان الرجل العظيم لم يمت في جزيرة القديسة هيلانة بداء الكبد  
الكثير الانتشار بين سكان تلك الجزيرة وكان الامبراطور يدعي انه مصاب به  
ولكن أولا يتلخص من سياقة الحوادث ان الاحوال الجوية في تلك الصخرة  
الصماء عجلت في ظهور السرطان الموروث فيه وقصرت عمره عشر سنوات أو  
عشرين سنة . انها مسألة طبية من خصائص الاطباء تقرير حقيقةها .  
واللورد روزبري من طبقة الكتاب الذين ولدوا وملكة الكتابة فيهم فهو

من امثال لاروشفو كولد وهاملتن وسان سيمون فانه وهويتوخى المجاهرة بالحقيقة يجمع اشياء كثيرة في جملة واحدة يخيل للقارئ ان الموازنة مفقودة منها من جراء ذلك وحين يبلغ منه التأثر او حين يسبح فكره في فضاء الخيال يخرج عن دائرة الانشاء التقليدي ويكتب بلهجة عالية وكلام واسع النطاق يستفز العواطف وينير الازدهان واستقبل البريطانيون كتاب اللورد روزبري بحماسة شديدة لانه اوقفهم على حقائق قاسية بكلام صريح وتلقاه الفرنسيون بارتياح لانه يعبر عن عواطفهم الصادقة ولا يسعهم ان يقرأوا بلا تأثر مثل هذه العبارة « كان وراء نابوليون فرنسا ولها مقدرة على بذل جهود تدل على الشجاعة والاقدام وعلى تحمل الشدائد بصبر لاتنقصم عراه ولها ايضا مقدرة على كل شيء ماعدا المستحيل . »

وسننشر شيئا من كتاب اللورد روزبري لاطلاع القراء على رأيه في نابوليون داهية فرنسا الاكبر .

### النفى

قال اللورد روزبري :

كنا نود لو كان بالامكان ان نجعل كل ما كتب في هذا الصدد لان قراءة مثل هذا الامر يتمتع لها البريطاني ولا يسمعه الا التأسف على انباء حكومته لخفارة نابوليون وعلى القيام بهذه المهمة قيا ما يبعث على تجليها بمجلباب الصغارة وعلى اختيارها اشخاصا لاخلق لهم لاجراء او امرها واذا كانت ذكرى القديسة هيلانة تثير الاشجان في قلوب الفرنسيين فان هذا الاسم يثير ما لا يقل عن ذلك عندنا نحن البريطانيين .

وقد لانكون قادرين اليوم على ابراز الحكم بالنزاهة على موقف الحكومة البريطانية في سنة ١٨١٥ فان هذه الحكومة كانت زعيمة للمحالفة التي اسقطت نابوليون مرتين عن العرش وقد انقضت بريطانيا العظمى على ذلك اكثر من ثمانى مئة مليون جنيه لارسال نابوليون الى جزيرة البالكما جاء في احصاءات تلك الايام وهو مبلغ لا يستهان به وكلف رجوعه بريطانيا العظمى ملايين اخرى علاوة على الرجة التي اصيب بها جهاز اوربا العصبي وليس بالسهل تقدير عدد الرجال الذين اغتالهم الحروب النابوليونية لان عددهم يحصى بالملايين وكان غرض الحلفاء -



اي مايجب عليهم نحو الشعوب التي تكبت بالنكبات الفادحة — ان يحولوا دون فرار نابوليون مرة ثانية من منفاه. ونحن نعتقد انه كيفما كان الامر لا يستطيع نابوليون ان يقهر اوربا بعد ما قهرته في واترلو لان معين عزيمته لضرب وتفتت ايضا وسائل قوة فرنسا ولا يرجي نهوضها من عثارها في السنوات الباقية من حياة طاهلها ولكن الحلفاء لم يشاؤوا الوقوف عند هذه الاعتبارات ولو وقفوا عندها لاستهدفوا لنبال الملامة . . . فان نابوليون سواء كان مريضاً او معافى عاملاً او خاملاً يصبح حين يكون طليقاً قطباً تدور عليه جميع القوات الثورية في اوربا ونحن والحالة هذه نوافق على وجوب منع نابوليون عن البقاء متمتعاً بحرية الحركة والعمل . أجل ان هذا الامر شاق عليه ولكنه كان هو في نوبته شديد الوطأة على العالم ويعتبر ذلك من بعض الوجوه اعظم اكرام تستطاع تأديته له

استسلم نابوليون مختاراً الى بريطانيا العظمى وقد طلب الحلفاء منها ان تتخذ تبعة المحافظة على شخصه ولا ندرى كيف رضيت حكومتنا بالقيام بهذه المهمة وكتب اللورد ليفربول الى اللورد كاسلري وزير الخارجية في ذلك العهد : « ياليت ملك فرنسا يامر باطلاق النار على بوناپرت او بتعليقه على عود المشنقة فذلك افضل حل لهذه المعضلة المعقدة » . واليك المهاج الذي تحداه للافصاح عن نظريته وبسطها للورد الدن وزير الحقانية : « يجب علينا ان ننظر الى المسألة من احد وجهيها فاما ان يعود نابوليون الى التابعية الفرنسية كفرد بسيط واما ان يكون عياراً ساق البعوث وهو من الذين ينكر القانون اعمالهم وتلفظهم الهيئة الاجتماعية وتبرأ منهم الشريعة » وكان اللورد ليفربول كان يريد ان يقول : يسلم نابوليون الى لويس الثامن عشر بصفة كونه واحداً من رعيته ليعامله معاملة المتمرّد الذي يشق عصا الطاعة او ينبذ من الهيئة الاجتماعية ويعامل معاملة الحيوان المؤذي . وقد كتب الى اللورد كاسلري كلاماً في هذا الصدد تشتم منه رائحة التأسف وخواه « انه اذا لم يأنس ملك فرنسا من نفسه مقدرة على معاملة نابوليون كتمرد فنحن نقوم بابقائه معتقلاً . »

ويقول واتر سكوت ان كثيرين من الناس في بريطانيا كانوا يرون في سنة ١٨١٦ انه يجب ان يدفع نابوليون الى لويس الثامن عشر ليعاقبه معاقبة الشاق

لعصا الطاعة ولحسن حفظ وزرائنا الذين لم يقدموا لنا موضوعات تستوجب الثناء عليهم كفانا هؤلاء الوزراء مؤونة عار يلصق بنا لو كانوا قد دفعوا نابوليون لملك فرنسا ليقته رميا بالرصاص كما فعل بالرشال ناي .

ونرى والحالة هذه ان عمل حكومتنا في تلك الحال لم يكن فيه شيء من الكرامة ولكن نهض احد الاعيان وهو دوق سسكس واتفق مع اللورد هولند على الاحتجاج جهاراً على عمل الوزارة فان نابوليون الذي فكر في ريق الامر في تمستوكل ثم في حنيبعل لو لم يكن واثقا بعزة نفس بريطانيا العظمى لما استضافها وقد كان يأمل انه اذا ما اتخذ اسم السكولونل مويرون صديقه القديم وقد صرع في اركول الى جانبه حين دفع عنه سهم الردى بتغطيته اياه بحجسه بأذنون له بان يقيم في انكلترا ويعيش عيشة القرويين فيها ولكن ما كان نابوليون يبتغيه لم يكن من الامور الممكنة الموافقة عليها لان انكلترا لم تكن بعيدة عن فرنسا ولان عرش البوربون كان قد اصبح لسبب يصعب ادراك كنهه قطبات دور عليه سياستنا ولا يكون هذا العرش وطيد الاركان مادام الشعب الفرنسي يعلم ان كولونيلا بين العمرين يدعى نابوليون يقيم في مكان لا يبعد اكثر من عشرين ميلا عن شواطئ فرنسا ولم تكن قوة من القوات تحول دون وصول التوسل او الشفقة الى قلب ذلك الحار الشديد الحول والطول لان نابوليون كان في اوربا داهية زعزعة العروش وانظمة الهيئة الاجتماعية ومع بقاء السكولونل مويرون ساكنا في مقره ومتجنباً لاحداث اي قلق لا يستطيع احد ان يمحو التقاليد والذكرى وحوادث الماضي وقد كشف نابوليون الغطاء عن الحقيقة من هذا القبيل لحاشيته الصغيرة فانه لما انتهت اليه رسالة تنبئه عن تحول الرأي العام في فرنسا قال : « ياليتنا كنا في انكلترا . . . » وعلاوة على ذلك كان مقامه في انكلترا باعنا على انواع كثيرة من القضايا الحقوقية - من دون ان يكون له شأن فيها - مما يخلق للحكومة مشكلات شتى . ومما جعل الوزراء البريطانيين يعضون في عزيمتهم خوفهم من عطف الامة البريطانية عليه واعجابهم به لان بريطانيا العظمى مع ما اصابته من الظفر المبين لم تكن مرتاحة اليه وحين نعيد في الذهن ذكرى السنوات الست التي انقضت بين وارلو ووفاة نابوليون يسهل علينا ان نفهم ان وجود ريب الثورة الفرنسية في بريطانيا العظمى لا يكون مؤاتيا بوجه من الوجوه



شارل بونابرت والد نابوليون ولد فى سنة ١٧٤٦ وتوفى فى سنة ١٧٨٥



لمصلحة حكومة المحافظين ولا يؤيدها ابداً وقد كتب اللورد ليفربول الى اللورد كاسلري في هذا الصدد ما يأتي : « لا تخفى عليك عواطف القوم في هذه البلاد ونخشى من أن يصبح في وقت قصير موضوعاً للتطفل وحسب الاستطلاع ومثيراً للعطف في الأفتدة » وكان اقبال الناس على بليموث لرؤية الامبراطور مصداقاً لقول اللورد ليفربول وقد كانت العاهل الهاوي عن عرشه متكنفاً بهالة من المجد يسطع بهاؤها ولم يكن هذا الامر يخفى عليه نفسه فقد قال وهو في جزيرة القديسة هيلانة إنه لو عاش في انكلترا لاسئال اليه قلوب الانكليز وكان قد فتن مايتلند الذي ذهب به الى انكلترا كما كان قد فتن قبلاً اوشر الذي سار به الى جزيرة البا . وبعد ماترك نابوليون السفينة بلروفون تسقط مايتلند بحارتها عن رأيهم في الامبراطور فقالوا له : « دعهم يغلطون الكلام عنه ماشاءوا ولكن لو عرفه الشعب البريطاني كما عرفناه نحن لما مسوا شعرة واحدة من شعر رأسه » وهذا رأي بحارة السفينة نرمبرلند فيه ايضا فقد قالوا عنه : « انه رجل شديد الصرامة لا يستوجب ما نزل به من البلاء » وكان بحارة السفينة التي اقلت مونشنو يرون مثل هذا الرأي عنه ولما غادر نابوليون السفينة « اندتند » التي نقلته الى جزيرة البا خاطبه الربان باسم البحارة متمنيا له « عمراً طويلاً وراحة في أثناء مقامه في الجزيرة وحظاً اسعد في المستقبل » وبعد اجتماع الاميرال هونام والربان سنهوس بالامبراطور مرتين رأيا ان ماكانا يشعران به من النفور منه زال وقد كتب سنهوس من هذا القبيل : « شعرت انا والاميرال بان بفضاءنا القديمة أحتت » وكان ثمة خوف اعظم فقد قال اللورد كيث : « وبما لهذا الرجل فلو تمكن من مواجهة سمو الامير وصي المملكة لاستطاع بعد نصف ساعة ان يصير صديقا حميما له . » وابلغوا نابوليون اخيراً ما يحاذرونه من بقاءه في انكلترا وقد قال له أحد السياح ان الحكومة البريطانية لا يسمها ان تتجاوز عن اقامته في بلادها مخافة أن يهب الناقون عليها ويقلدوه الزعامة عليهم وقال له غيره انه معهم يقولون للورد ليفربول واللورد كاسلري ان الباعث على ارساله الى جزيرة القديسة هيلانة خوفهم من اتحاده مع الحزب المعارض للكييد للقباضين على ازمة السلطة ونجزيء بما بسلطانه في هذا الشأن ونقول ان في اقامة نابوليون في انكلترا خطراً على الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية معاً .

ومن المحتمل انه لا يمكنه أن يقيم في القارة الا في حصن حصين وقد يكون مقامه في بعض البلدان مثيراً للمواطف اثاره تحكي ثوران البركان وقد يستهدف في غيرها لنبال الاهانة أو القتل . ولو وافقوا على ارساله الى الولايات المتحدة لكان فيها بعيداً عن رقابة الدول له وقد كان لمن مصلحة خطيرة في تقليم اظافر دهائه وشل حركته وقد قال هو نفسه انه لو فسخ له في النزول في الولايات المتحدة لما اكتفى بما اكتفى به شقيقه يوسف من تشييد المباني وزراعة الارض بل كان قد استنفد الجهود لانشاء دولة . وأكد لنا منطولون ان المكسيكيين عرضوا عليه تاج امبراطوريتهم بعد وصوله الى جزيرة القديسة هيلانة ولكن تأكيد منطولون من هذه الجهة يفتقر الى الاثبات ففي مثل الاحوال التي بسطناها لا يستغرب إيثار جزيرة القديسة هيلانة على غيرها لتكون مقراً ل نابوليون وكان مؤتمر فينا قد فكر من سنة ١٨١٤ في اختيار جزيرة القديسة هيلانة معتقلاً للمليك جزيرة الباسجين وقالوا ان تلك الجزيرة بمثابة «فردوس» في الاقاليم الاستوائية وقد قال اللورد ليفربول ان الجزيرة بعيدة وفيها منزل جميل لاقامة نابوليون اجل انه كان يسهل عليه الاقامة فيه براحة ولم يصدر اللورد ليفربول امره بالضيء عليه بذلك المنزل وقال اللورد ولتن نفسه ان حالة الجو في تلك الجزيرة بديعة ولكنه لم يذهب اليها للاقامة فيها وكان ينظر بعين التفاضل الى حظ نابوليون ويرى أن مبدأ عيشته واعماله لمصاحبة غيره لم يكن شيئاً مذكوراً ولم يكن في جزيرة القديسة هيلانة سوى مرفأ واحد ضيق جداً فكانوا يبصرون عن بعد السفن التي تندو منها وكان يحق للسلطة فيها الامتناع عن الترخيص للسفن المحايدة بنغشيان الجزيرة .

وكانوا يلقون لهم مسوغاً لاختيار الجزيرة وتفضيلها على غيرها للغرض الذي توخوه ومع ذلك كان اختيارها ضربة شديدة على نابوليون ورفاقه وكان قد جرى في وهمهم ان شر شيء يتوقعون وقوعه هو اعتقالهم في قلعة دميرتن أو في برج لندن فالفرنسوي القح لا يطيب له المقام طويلاً في خارج بلاده وقد خيل اليهم ان جزيرة القديسة هيلانة في طرف المعمورة وقال نابوليون لما بلغه أنهم صمموا على ارساله اليها انه لا يصل اليها حياً ولكنه ماعثم ان ثابت اليه رباطة جأشه وظهر بمظهر الاتفة وعزة النفس وذاق طعم عذاب شديد في بدء

الامر قائمهم حظروا عليه اخذ سافاري ولالمان معه ويقول شاهد بريطاني  
جلمودي القواد ان التفريق بين نابوليون ورفيقه المذكورين اثر فيه تأثيرا عظيما  
فاخذوها وأخذوا معها فريقا من حاشيته واركبهم سفينة أفلتهم الى جزيرة  
مالطة وقد اختاروها معتقلا لهم ودفعوه الى كوكبرن فسكاد هذا يطير فرحا  
من المهمة التي انتدبوه لها وصاروا من ذلك الحين يطلقون على نابوليون اسم  
الجنرال بونابرت ويؤدون له الاكرام الذي يؤدونه لجنرال بريطاني متقاعد أي  
محال الى المعاش ومالبت ان عرف ان الجنرال البريطاني المتقاعد ليس له منزلة  
يغبط عليها فاعطوه قمر في السفينة طولها اثنتا عشرة قدما وعرضها تسع أقدام  
ولما أراد أن يستعمل القمرة المجاورة لقمرته مكتبا له قالوا له انها مشاع لجميع  
الضباط « فتلقى ذلك التبليغ باذعان ورحابة صدر » ولما خرج الى متن السفينة  
حاصر الرأس ظل الضباط البريطانيون لابسين قبعاتهم كأن لسان حالهم يقول :  
لا حاجة لنا الى الظهور بمظهر التأدب مع قائد متقاعد . وكان من عادة نابوليون  
ألا يبقى على مائدة الطعام اكثر من عشرين دقيقة فكان يتضايق من طول مكث  
البريطانيين على هذه المائدة وكان هو بعد ان يتناول القهوة يصعد الى متن السفينة  
وقد قال عنه الاميرال كوكبرن من هذه الجهة : « انه كان يفعل ذلك خلافا  
لقواعد الآداب المرعية واظن ان الجنرال لم يقرأ كتاب اللورد تشسترفلد في  
قانون الآداب » فلم يغمض الفرنسيون رفاق نابوليون العين على ذلك الانتقاد  
المقرون بالتهكم المر فان احدى السيدات الفرنسيات اجابت على الاثر جوابا في  
محله باهجة شديدة وكان فخوي جوابها ان الاميرال نفسه لم يقرأ كتاب اللورد  
تشسترفلد كما يجب عليه ان يقرأه لان صاحب هذا الكتاب اسهب في انتقاد  
الذين يطلبون القعود على المائدة لشرب الخمر . وقال الاميرال بعد ذلك :  
« لا يخفى علي ان الجنرال بونابرت يميل في بعض الاحيان الى الظهور بمظهر  
الامبراطور ولكنني لايسعني ان اوافق على ذلك » وصمم على المضي في عمله  
تنفيذا للخطة التي اختطها وقد كذب بعد أيام في هذا الصدد ما يأتي : « لم انظر  
الجنرال بونابرت كثيرا اليوم فاني لما رأيت انه يحاول ان يظهر بمظهر عظمة غير  
لائقة به اضطررت ان افهمه ان يخلي عنه مثل هذا الامر . » أو لايتوهم القارئ

ان الاميرال كوكبرن يبتغي ان يتصير مروض الاسود فنحن لستنا في عهد «الامير الاسود» حينما كان أحد ملوك فرنسا اسيرنا.

وكان «مزشنو» نفسه المندوب الفرنسي يرى انهم يتطرفون في اساءة معاملة اسيرهم مع كون هذا المندوب من الذين يقولون بوجوب التشديد في معاملة نابوليون وقد أورد الكلام الذي فاه به نابوليون ن هذا القبيل وهو: « فليقيدوني بالقيود اذا شأوا ولكن يجب أن يعاملوني بما استحقه من الاكرام »

وكان كوكبرن كرجل من الاعيان البريطانيين الزاعمين انهم خبيرون بقانون الآداب يجد ان اخلاق نابوليون ينقصها الكياسة وان ماهو عليه من التأدب محدود بحسب طبيعته وقد تنازل الاميرال في يوم ذكرى مولد نابوليون ان يشرب نخبه وقد قال عن ذلك : « اظهر الجبرال بوناوت انه متأثر من هذه الكياسة » وقال الاميرال فيما بعد وهو يلمح بلطف الى ما بينهما من الفرق في الموقف : « اني مستعد دائما للسير اليه نصف الطريق حينما أراه يتصرف بما يجب عليه من رقة الجانب التي تليق به ويعرف حقيقة موقفه الحالي . » واخيرا تصرف نابوليون تصرفا مبنيًا على التعقل حتى ان الاميرال نفسه قال عنه : « انه اظهر في اثناء السفر سعة صدر من جهة الريح وحالة الجوا أكثر مما اظهره رفاقه . » وكان له ما لهم من بواعث الشكوى فانهم كانوا في السفينة مزدحمين وكانت الحكومة البريطانية قد اوقفت السفينة نرمبرلند في حال وصولها من الهند لتنقل اليها نابوليون وترسله فيها الى منفاه ويؤكدون ان ما كان فيها من ماء الشرب أصبح غير صالح وقليلًا وكانوا ينظرون الى المستقبل بعين الخوف والجزع ولو أبدت السيدتان الفرنسيتان شيئًا من الجزع في مثل تلك الحال لاغضي الطرف على تبرمهما ولكنهما تجلدا لئلا تصيبهما قوارص كلام كوكبرن وانتقاده المر .

ولم يكن الاميرال نفسه ساكن الخاطر فان بحارته كانوا يضمرون ثورة عواطف تحت ظاهر هادى فأبوا في بدء الامر رفع المرساة في بورتسموث وقضت الحال بان يجلبوا الى السفينة قوة عسكرية كبيرة لاجبارهم على الاذعان للنظام ويتمنذر وصف احاديثهم وموقفهم في اثناء السفر فكانوا يشبعون رؤساءهم



ضرباً ولكما ووضع خفير على باب قرّة الامبراطور ليحول دون اتصاله بالبحارة  
ويزعمون ان نابوليون قال لسكوكبرن انه متأكد ان كثيرين من هؤلاء البحارة  
ينتصرون له وكان مقضيا على السر جورج كوكبرن ان يقوم بمهمة شاقة وهي  
تعويد نابوليون الاذعان لمقتضيات موقفه واكره البحارة على الامتثال  
لمقتضيات النظام .

ووصل نابوليون الى جزيرة القديسة هيلانة بعد انقضاء ثلاثة اشهر على  
تسليمه لمايتلند ولكن بقي الاميرال معهوداً اليه في القيام على خفراته ربما  
يصل محافظ الجزيرة الجديد لانهم رأوا أن المستر ولكس الذي كان محافظا لها في  
ذلك الحين لم يكن — علاوة على كونه من موظفي شركة الهند — قادراً على  
الاضطلاع بالمهمة الجديدة التي شاوروا اسنادها الى محافظ الجزيرة اما ولتن  
فكان يرى غير رأيهم ولذلك بقي كوكبرن متولياً خفارة نابوليون الى شهر  
ابريل سنة ١٨١٦ وحينئذ خلفه السر هدسن لو

### نابوليون والديمقراطية

تنبثق حقيقة ناصعة من الاحاديث التي دارت على اترلو ونتائجها ومع ذلك  
قل من اكثرت لهذه الحقيقة فلا بد من جلاء الغامض بشأنها ولما كان نابوليون  
يدير رحي الحديث على الحوادث الماضية ويقول انه كان ينوي بمسح معركة  
واترلو ان يرأس حركة ثورية فانا نظن انه كان مغروراً او انه كان يبتغي تضليل  
افكار السامعين وقد قال في جزيرة القديسة هيلانة « ان ذكرى حدثاتي تقذف  
الذعر على قوادري » وقد اصاب كبد الحقيقة في قوله هذا فانه شاهد الثورة عن  
كثب ووقف على جميع حوادثها وكان صديقاً لشقيق روبسبيار ولكنه بعد ما  
حكم فرنسا واصاب سلطة مطلقة عليها صار يشعر بنفور شديد من كل ما يشبه  
الثورة والاضطراب ولم يشعر احد من الذين شهدوا عصر الرعب باكثر مما كان  
يشعر به نابوليون من النفور من الثورة فان المشاهد التي وقعت عينه عليها ابقت  
في نفسه ذكرى سيئة لتلك الفوضى ورغبة شديدة في المحافظة على النظام وتعزيزه  
وقد كان ميسوراً له ان يفوه بمثل الكلمة المأثورة عن خلفه في الامبراطورية اي  
« انا ضمين للنظام » ولكنه لم يتسن له القيام بهذا الامر حتى النهاية .

ولم يكن ذلك سرا مكتوماً عن أحد من الذين كانوا يخاطبونه ويقفون على عجزه وبحره وقد قال شبتال ان نابوليون كان يخاف من الامة فان أقل استياء يبدية الشعب وايسر هياج يشور وابسط فتنة ينفثح بابها تؤثر فيه اكثر مما تؤثر فيه اعظم معركة يندحر فيها ولذلك كان دائم التيقظ من هذه الجهة فكان يدعو اليه وزراءه ويقول لهم انه ليس للشعب عمل يعمل به وانه يخشى من اصغاء ارباب الصناعة لسماح اصوات المحرضين المحرضين وانه يحاذر حدوث ثورة بين العمال من جراء حاجتهم الى الطعام اكثر مما يحاذر نتيجة معركة يقاتل فيها جيشاً مؤلفاً من مئتي الف مقاتل فكان يوصي على مقادير من المنسوجات والرياش ويسلف اصحاب المصانع والمعامل الكبيرة مبالغ من المال وحدث انه اضطر مرة الى اتفاق خمسة وعشرين مليون فرنك لتسكين معضلة صناعية من هذا النوع وقد كتبت عقيلة دي ريموزا في هذا الصدد ما يأتي : حينما اسمع احدهم يقول انه لا اسهل من جعل الناس يحترمون ارادته بالقوة اذكر ما كان يقوله الامبراطور عن المصاعب التي كانت تصدى له ... حينما يضطر الى استعمال القوة مع ابناء بلاده واذكر ايضا انه كان يقول لوزرائه حينما كان مجلس الوزراء يقرر استعمال الشدة في بعض الاحوال : وهل تؤكدون لي أن الشعب لا يشور وقد همموه يصف بارتياح المعارك التي يوقد نيرانها أو يسمع الناس يروونه له ولكنه يتمتع وجهه حينما يسمعونهم يقصون عليه اخبار الحوادث الفظيعة التي يرتكبها الشعب النائر . »

وكانت الثورة قد بصمته بخاعها بصمة لم ينسها كل حياته فكان ممثلاً وقد تجسست فيه ولكنه لم يكن يني عن مكافئها سراً مع معرفته ان هذه المكافئة عقيمة وكان يقول :

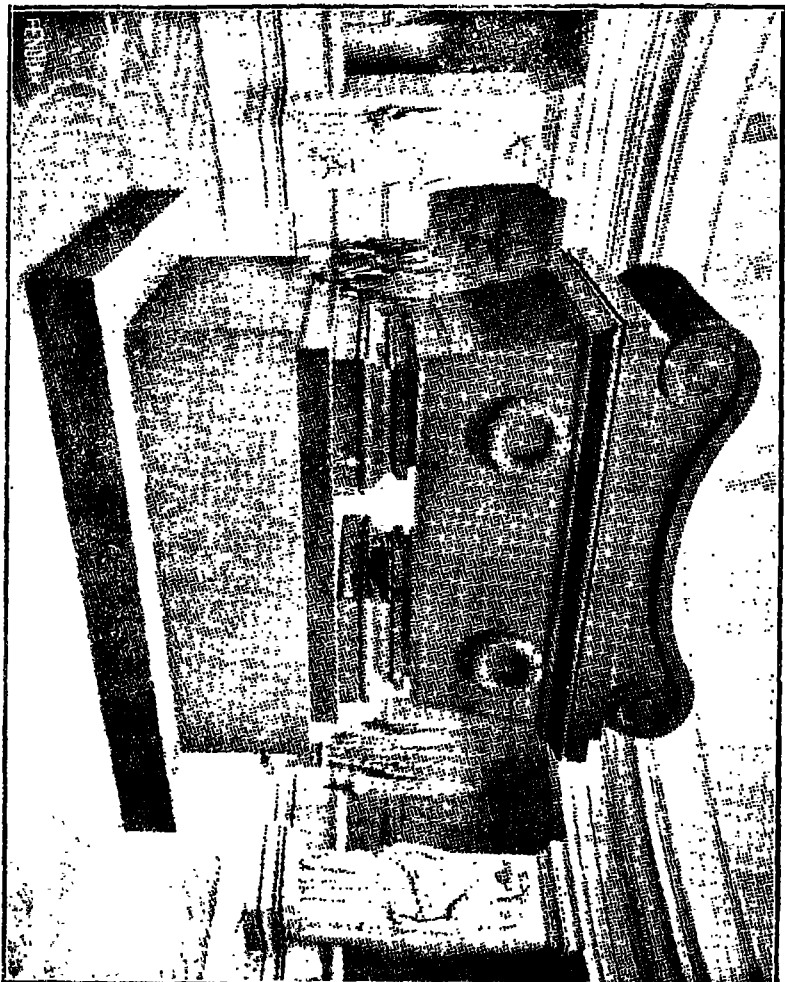
« ليس بين الهيئة الاجتماعية والثورة سواي فانا استطيع الحكم كما اشاء ولكن ابني سيضطر الى انتحال مبادئ الاحرار » وقد اصاب في قوله هذا لان قرن الثورة اخذ يذر في الشهور العشرة التي قضاها في جزيرة البا وكان نابوليون يفكر دائماً في هذا الامر ولم يكن تفكيره به للاسترشاد بل كما يفكر في امر يجب عليه تجنبه أجل انه كان ابن الثورة ولم يكن لهذا الابن من هم الا خلق امه .

وكان يخشى من فكرة اطلاق النار على الشعب وظل يتأسف كل حياته على العمل الذي عمله للضرب على ايدي الثائرين في قنديغار وكان يخاف من نقمة الشعب عليه من جراء ذلك ولم يكن يحجم عن شيء من شأنه ان يسكن هياج الشعب حينما يكون هذا الهياج ناجماً عن الحاجات المادية فكان ينفق المال عن سعة في هذا السبيل الا ان كرهه للثورة واستياءه من أعمال الثائرين كانا يفوقان المظاهرات الشعبية العظيمة لانه لم يكن يبتغي التمرس بالثورة وكان من ورائها خلاصه وخلّاص عرشه ولم يكن من مزيد على نفوره منها ولو كان قد ابصر باحتقار وتأفف لويس السادس عشر بحبي الجماهير من قصر التويلري وهو لا بس القبة الحمراء على رأسه ولم يكن نابوليون يشاء قط أن يلبس مثل هذه القبة دقيقة واحدة ولو كان في لبسها ضمان حريته وخلّاص أسرته في المستقبل واحتشدت الجماهير ( اي الغوغاء كما كان يسميها نابوليون وهو في جزيرة القديسة هيلانة ) بعدمعركة واترلو حول قصره وطلبوا منه أن يسير في مقدمتهم للقاء العدو لأنهم كانوا يعتبرونه الحاجز الوحيد في وجه اصحاب الاقطاعات الذين كانوا يبتغون استرداد اموالهم وفي وجه الاجانب الذين كانوا يطعمون في الاستيلاء على فرنسا ولما سمع نابوليون صخبهم قال كلاماً بفصح به عن حقيقة الحال : « ماذا تبتغي مني هذه الجماهير اني وجدتني في حالة الشقاء لما قبضت على ازمة الحكم وهاءنذا اتركها في حالة الشقاء نفسها » وقد حفظ منطولون ذكرى ذلك اليوم الخطير فقال جاء الى الامبراطور « الايان » وجمع غفير من جهة دسكرة سانت انطوان وطلبوا منه ان يقودهم الى مصادمة العدو ولما احد الخطباء الى ١٨ برومير فاجابه نابوليون « كانت الامة متفقة في ١٨ برومير على احداث تغيير في حالتها في ذلك العهد اما اليوم فالحالة تقتضي اجراء غدران من الدم الفرنسي وانا لاسفك قطرة دم ابداً للدفاع عن مصلحتي الخاصة » ولما انصرف الجمع خاطب الامبراطور منطولون بصراحة قائلاً له : « لو استخدمت قوة الغوغاء الوحشية لانتقلت باريس ولا مراة وضمنت بقاء التاج على مفرقي من دون أن الجأ الى الحرب الاهلية ولكن هذا الامر لا بد من سفك غدران من الدم الفرنسي لاصابته فاي قوة تستطيع التسلط على العواطف والبعضاء والانتقام حينما يتهجر بركانها ولا يسعني ابداً ان انسى انهم جازوا بي من « كان » في وسط الهياج والصياح وقول القائلين : « فليستط

الكمية فليست الايمان وانى اؤثر فقدان التاج على ابقاء آثار التأسف في قلوب الفرنسيين » وبينما كان يزحف الى باريس كانت عودة البوربون الى الحكم تثير عواصف الحنق في أفئدة الشعب ولو شاء نابوليون مجازاة الشعب الناقم على البوربون لحوفه من انتزاع الارض والامتيازات من يده بعد ما كان قد أحرزها في الثورة لحف معه مليونان من الفلاحين الى العاصمة ولكنه لم يشأ أن يكون « ملك الغواص » فان مثل هذه الفكرة كانت تقيم عواطفه وتعمدها .

وحدث في اثناء لقامته في لونوود في جزيرة القديسة هيلانة انه فاه بكلام يشتم منه ما يناقض هذه الفكرة فقال حينئذ : « كنت استطيع مقاتلتهم باليعقوبيين فاليعقوبية بركان يهدد الهيئة الاجتماعية بثوران دائم ويسهل تحريك هذا البركان في روسيا فيتداعى به عرش برلين وقد كان يسهل علي في مثل تلك الحال أن اخطو خطوة واسعة لتعزيز الدولة الفرنسية فان بروسيا اصبحت بعد فريدريك ومتصبع في المستقبل اكبر عقبة في سبيل القيام بمشروطاتي الخطيرة في فرنسا . وحينما ترفع القبعة الحمراء في برلين تصبح جميع القوة البروسيانة في ايدينا ويتسنى لنا استخدامها لسحق روسيا والنمسا ... ولا يبقى ما يحول ... دون اعادة ... حدود الامبراطورية الى مكناها الطبيعي أي نهر الرين وجبال الالب وبعد هذه الخطوة الاولى اشرع في انمام عمل الامبراطورية الفرنسية العظيم واغتنم جميع القرص والاحوال اما بقوة اليعقوبية واما بقوة جيوشي لانثىء محالفة كبيرة من بلدان القارة الاوربية يكون امبراطور الفرنسيين زعيمها واجعل حدود هذه الامبراطورية في النيمن ولا يبقى الاسكندر الا عاهلا للبلاد الروسية الاسوية ومحطم التاج الامبراطوري في النمسا وتنشئ المجر مملكة وتصبح بوهيميا مملكة ايضا وتصبح النمسا المملكة الثالثة المؤلفة من تمزيق اوصال امبراطورية ماري تريز . » يروي منطولون هذا الكلام الغريب ويقول ان نابوليون فاه به في ١٠ مارس سنة ١٨١٩ قبل وفاته بنحو سنتين ولا شيء فيه يشبه رأيه في بروسيا واليعقوبية وقد يلوح لنا أن هذا الكلام ضرب من الهذيان يراد به السعي لانتحال سياسة اخرى وقد تكون تجربة « الايام المئة » قد جعلته يعتقد انه لا يكون لديه سوى تلك

ضريح نابليون في الانفاليه بباريس





الوسيلة للبقاء في منزلته اذا عاد الى فرنسا وقد لمح الى ذلك في الحديث الذي دار بينه وبين مترنيخ في درسده ومما قاله حينئذ : « قد يتداعى عرشي ولكني اهدم العالم تحت انقاضه . »

وادرك تاليران بقوة ذهنه ورباطة جأشه من ابتداء « الايام المئة » ان النجاح الوحيد الذي كان نابوليون يتوخى اصابته هو جعل تلك الحرب حربا وطنية فلم يكن جيشه كافيا لذلك الغرض وكانت الحال تقضي عليه بان يعمل على الحزب الذي خرج منه واتخذ انقاضه موطنًا لتقديمه ونال من كرامته مدة طويلة ولم يغرب هذا الموقف الخطير عن علم الاسكندر فآشار على اللورد كلانكر في بالتفريق بين نابوليون والبعقويين . أجل ان مثل هذا العمل كان شاقا على امبراطور روسيا ومع ذلك كان بين الملوك المجتمعين في فيينا واحد مطلع جد الاطلاع على حقيقة الامور وعالم بان الوسيلة الوحيدة التي يستطيع نابوليون التوسل بها لقضاء لباتته هي الرجوع الى ما كان عليه في بدء حياته الجندي أي ربيب الثورة التي تجسمت فيه .

وقد قال لافالت الحقيقة في عبارة فاه بها في هذا الصدد : « ان الاحد عشر شهراً التي قضاه لويس الثامن عشر على العرش عادت بفرنسا القهقري الى سنة ١٧٩٣ » وقد تحول نفور الناس في هذه المدة القصيرة الى شكل مؤامرات ولكن الناس كانوا ينوون ان يجلسوا لويس فيليب على العرش كملك دستوري ولم يكن يهجس في ضمائرهم ان يعيدوا الى العرش الطاغية الذي أبعد عنه . ولما عاد الامبراطور الى باريس ذعر من رؤيته التغير الذي نشأ فيها . فان احترام الناس ومحبتهم له ضعفا ضعفا ظاهرا وقد قال انه لو عرف وهو في جزيرة البا ما طراً على فرنسا من التغير لبقى في الجزيرة وكان يدعو اليه لافالت مرتين أو ثلاث مرات في النهار ويبحث معه ساعات طويلة في حالة البلاد الجديدة . وقال لافالت : ولو أصاب الامبراطور النصر وعاد الى عاصمته وهو يجر ذلادله لتصدت له مصاعب داخلية كثيرة لم يكن يسهل عليه تذليلها وقد ظهر فيما بعد ان رغبة البلاد في رجوع الامبراطور كانت أقل من رغبتها في ذهاب البوربون وحالمسا تقلص ظل هؤلاء عنها سكنت الحماسة في الحال وشعر نابوليون بذلك بما أوتيته من قوة الملاحظة وقال لوزير هنأه باتيانه اعجوبة حقيقة في العودة الى الاستيلاء على

فرنسا : « مهلا يا صاح فقد انقضى عهد الاطراء ولا يخفى علي انهم تركوني اجيء كما تركوا غيري يذهب . »

ويكفي أن نورد مثالا واحدا للاستدلال على حرج الموقف فان نابوليون استعاد لقبه القديم « امبراطور بنعمة الله ودستور الامبراطورية » فكان هذا اللقب مثيرا للاستياء عند الكثيرين في البلاد وقد أجاب مجلس الشورى على ذلك باعلان عقيدة « سيادة الشعب » فكان عمله هذا قذى في عين الامبراطور ولكنه اغمض عينه على القذى وتجاوز عن غطرسة مجالسه وبذاءة رجالها وظهر بمظهر السكينة التامة وكان يدري ان الانتصار يعمد في وجهه سبيل الرجوع الى ما كان عليه في الماضي وان الانكسار يبعث اصحاب الافكار الجديدة على قلب عرشه اذا لم يستطع ان يلجأ الى قوة اعظم من قوة المبادئ الحرة أي قوة الثورة ولكن لماذا لم يتخير أمرا من هذين الأمرين ولماذا لم يستثر فرنسا الثورية ويتولى زعامتها . ان ادارة هذه الحركة كانت تستفز مطامعه في شببيته فحينما كان قنصلا أول لم يكن يتردد في مثل هذا الامر ولكنه بعد ماصار امبراطورا أصبح ابعد نظرا وعرف انه اذا فعل ذلك جعل مسألة وراثة العرش هدفا للخطر فتصبح الدكتاتورية « شخصية » وحينئذ يكون موقفه كموقف سيلا او ماريوس وليس كموقف اوغسطس قيصر وشارلمان ومما يلفت النظر من هذا القليل كلامه لمنطولون وقد تقدم بيانه وهو : « وضمنت بقاء التاج على مفريقي » ولم يدر ذكر الخلاف في كلامه لانه لا يفتح ولا تصرح بما فان قبوله مثل ذلك الموقف بعد ما كان صاحب المقام الاعلى في البلاد يعتبر انحدارا عن عرش مجده وعلاوة على ذلك كان كما ذكرنا آنفا ينهر من كل مائشتم منه رائحة الثورة وقد كان مستحيلا ان يصبح نبي ثورة جديدة أو بطلها بعد معركة واترلو ومع ذلك لو أتبع له ان يعرف الغيب ويفتح مغالبق المستقبل ويدرك ما كان ينتظره في جزيرة القديسة هيلانة من الشقاء المبرح وغطرسة سجانيه وشظف تلك المعيشة المحاكية للموت لكان قد نبذ دبر اذنيه جميع الاعتبارات التي بسطانها ولذلك اذعن لتصاريف الاقدار واقام يتوقع ما يأتيه به الغد وحدثته النفس بان معيشة الزراع الاميركي افضل من رئاسة لجنة الامن العام .

ونشأت بين نابوليون ومجلس النواب عداوة لم يكن يسهل ابقاء نارها



مطبوعة تحت رماد السكتان في اليوم الاول بعد رجوعه ومع ما كان من التويه على الناس في مثل هذه الحال كانت الساطتان تعملان كل منهما من جهته من دون أن تلقي احدهما ستار المواربة على اعمالها ومن دون أن تنخدع الواحدة منهما باعمال الاخرى فكان البرلمان ينوي ان يستخدم نابوليون - بصفة كونه قائداً مجرباً - لدفع غزوات الاجنبي والحيلولة دون رجوع البوربون وكان يطمح بان يذله او ان يتملص منه بعد خروجه من الحرب ظافراً وقال فوشه في هذا الصدد : « حالما ينطلق الى ساعة الروع تملك ناصية الموقف وياليتها يصيب النصر في معركة أو معركةين ولكنه سيفشل في المعركة الثالثة وحينئذ يأتي دورنا للعمل . » هذه الفكرة كانت تجول في اذهان رجال البرلمان في ذلك العهد ولكنهم كانوا كالأدعي المذكور عنه في حكايات الجن انه يستعجد بالجن لقضاء اغراضه ولكن لا يبقى فيما بعد قادراً على التخلص منهم . امانا بوليون فانه اسلس مقادته للبرلمان وغرضه من ذلك أن يقدم للعالم ضماناً على حسن نيته وان يأمل الحصول بواسطته على الرجال والاموال اللازمة له وكان قد قرر في ذهنه ان يتملص من البرلمان بعد ما يحرز النصر المبين وقد صمم بعد «ليني» على العودة الى باريس واستعادة السلطة المطلقة بعد ما يقهر البريطانيين وكان كل من الخصمين العنيدين مطالعاً على اسرار سياسة الآخر وكان روح النفور من حكومة نابوليون قد ساد البرلمان حتى ان كثيرين من الاعضاء كانوا ميالين الى اندحار الجيوش الفرنسية ولم يكتفوا ابتهاجهم حينما انتهت اليهم اخبار معركة واترلو وحيث ان نابوليون كان واقفاً على حقيقة اميال رجال البرلمان ومجاهرتهم بالعداوة له فقد شعر بضرورة العودة الى باريس بعد النكبة التي حلت به وقد انحنى عليه بعضهم باللوم لانه لم يخيم على الحدود ويسعى لضم فلور جيوشه ولكن لم يكن له فائدة من وراء ذلك لان البرلمان نفسه كان يناوئهم ويتعمد خلعهم والاعراض عن شدا زره وكان الجميع واقفين على مقاصد البرلمان وما كانوا ينوون عمله لما وصلت اليهم اخبار واترلو ولما رأى نابوليون ان اوربا جمعا قامت عليه وان بلاده تعمدت خذله دلم انه يتعذر عليه العودة الى القتال ولو كان عنده قوات تفوق القوات التي كان يتيسر له حشدتها .

ويقضي بنا هذا الاستطراد الى موضوع آخر فانه مع معرفة الجميع لما كان

بين الامبراطور وبرلمانته من النفور والعداوة يصعب على الانسان ان يفهم كيف أن اسم نابوليون بقي ثلاثين سنة علامة الاتحاد لجميع الاحرار في القارة الاوربية مع ما كان قائما من النضال الشديد بين نابوليون والحزب الدستوري فان نابوليون لم يكن يميل قط الى الحرية ولا الى الراغبين في توطيد اركانها وكان يتحكم على هؤلاء باطلاقة عليهم اسم «الفكرين» فان هدفه الاسمى في حكومته كان قوامه النظام والعدالة والقوة والاستقامة ولم يكن يدخل عليها ما يعدها الا ما يراه ملائما باستعمالاته بدعاة الرجال ولا يفسر معنى حكاية الحرية المانوسة اليه الا بتواري الذين سنوا دساتير سنة ١٨١٥ بعد رجوع البوربون وقد قابلهم الناس باحتقار وبعد نسيان حادثة «الايام المئة» ولم يذكر الناس الا كون نابوليون ربيب الثورة وانه حقر الاسر المالكه القديعة الاوربية وشوهها من دون ان يرى حرمة قدميتها او تقاليدها او القابها وكان الشعب يرى فيه ممثل الثورة والجيش يرى فيه المجد ولم يذكر أحد او لم يهتم أحد بان يذكر انه تنازل عن عرشه مختاراً وآثر الاستسلام لاعدائه على رأسه ثورة شعبية .

ولو ذكر الشعب هذا الامر لرأوا معاملة نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة تكفيرا عنه ولم يجهل نابوليون ما كان لاعتقاله من الفائدة لذكراه وقضيته فان موته في المنفى بعيدا عن الناس محاذي اغلاله وجميع معاييه وقد نسي الناس استبداده الشديد الوطأة واستنفاد موارد مال فرنسا ودم ابنائها وغزوة الاجانب لها مرتين بما ارتكبه من الخطأ وأصبحت ذكراه موضوعا لحكاية عجيبة بعد ما تطهرت من جميع هذه التذكارات وكان الفلاحون في فرنسا عضدا له بعد الجند لاعتقادهم انه خير واق لهم من عودة اصحاب الاقطاعات الى مظالمهم القديمة وحاجزا حصينا دون عودة شكل الاحكام السابق واستعادة النبلاء ورجال الدين لاموالهم المحجوزة في ابان الثورة ولذلك كانوا شديدي الحرص على مجده وقد عاشت بين ظهرانيهم ذكرى الاعمال العجيبة التي عملها وقد استطاع بيرانجه ان يمحصر الفكرة الشعبية في قصة فلاحه لم تذكر نصرا واحدا من الانتصارات التي اصابتها واليك ترجمة ماقاله في هذا الشأن :

« سيتكلمون عن مجده في الاكواخ حينما طويلا ولا يبحث سكانها بعد خمسين سنة الا في تاريخه . »

هذا ما ذكره هذا الشاعر في قصيدته البديعة وذكر في قصيدة أخرى ما يأتي :

« يا أولادي إنه مرّ في هذه القرية والملوك وراءه »

ويتأدى بنا الكلام إذا قلنا أن نابوليون أصاب تكريم الاجيال التي جاءت بعده ولكن معها كتب الانسان في هذا الموضوع فلا يركب مركب الغلو والشطط فانه أحرز تكريماً عظيماً لم يحرزّه أحد من البشر فلم يكن معروفاً في فرنسا بلقب جنرال أو قنصل أو امبراطور أو مشهوراً باسمه العظيم فقط بل كانوا يسمونه « الرجل » وابنه كان معروفاً باسم « ابن الرجل » والحق يقال إنه كان رجل « التصور الشعبي » وأصبح الاحرار لا يحلفون إلا باسمه فان شخصيته الهائلة جعلته ملكاً مطلقاً أكثر من نفوره من القوضى ولكن هذا الرجل المعروف بريب الثورة ومحقر مكانة الملوك كانت هالة من المجد تحديق باسمه وقد أرضى الذين يعتصمون بمبدأ المساواة بانشائه أسرة مملكة رابعة وهو الذي نشأ من العدم واضطر البوربون الى الجلاء عن فرنسا والاقامة في البلدان الاجنبية وقد سحق زعماء تلك « المحالفة المقدسة » التي كانت شديدة الوطأة على أوروبا وحرقهم وحاول أن يخذل آخر شرارة من الثورة الفرنسية الكبرى وكان يظهر إنه يمثل بغض الحرية ولا بدع إذا كانت صورة نابوليون تصبح كعبود للاحرار في القارة حينما ينظرون اليها من ذلك الوجه وقد بصمت فيما بعد بمثل هذه البصمة الظاهرة فان الديمقراطية صاحبة السلطة أو الدكتاتورية الديمقراطية التي نشأت عنها في فرنسا فكرة انشاء الامبراطورية الثانية وجدت ارتياحاً اليها في البلدان الاخرى وكانت بمثابة تراث سياسي تركه نابوليون أو وصية نهائية خلفها للاجيال التي جاءت بعده .



## أحاديث نابوليون

ليس من الصواب ان تجمع جميع كلمات الرجل العظيم بعد تواريه عن ملعب هذه الدنيا فالذهن المتعود المثابرة على العمل اذا انقطع فجأة حكي قاطرة مسكة حديد لا تدرى الى أين تذهب وحيث لا يكون للكلام غاية مقررة فلا يكون من سيطرة عليه فالرجل العظيم يخطر له ان يتكلم وحده وحينئذ تنفجر في صدره مراحل الشهوات والموجدة والاحتقار ولم يكن هذا الامر يخفى على نابوليون فكان يقول : « اصبتم بوضع حد لكلامي فانا أقول أكثر مما أريد حينما أفيض في الكلام في موضوعات تهمني كثيراً . » ولكن لم يكن في أحاديث نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة مثل ذلك الاندفاع في الكلام . أجل انه كان في بعض الاحيان يهيج هائجه على حاكم الجزيرة أو يفور فائره عند رؤيته التضيق الذي كانوا يعاملونه به أو يقذف الجزيرة نفسها بلواذع الالفاظ ولكنه كان على الغالب ساكن الجأش كثير التفكير وكانت افكاره تجري على أسلّة لسانه بصوت طال وكثيرا ما كان كلامه ينتهي باستنتاجات متناقضة . وقد لاحظت ذلك التشتت في فكره عند رجوعه من جزيرة البا وقال في هذا الصدد : « لم أشاهده قط ثبت الجنان كما شاهدته في ذلك الحين فلم يكن يخاطب أحدا بكلام قارس ولم تكن بنائق صبره تتفتق بل كان يصغي الى كل شيء ويناقش في كل شيء بذكائه النادر وسمو افكاره وكان يعترف بخطأه بصراحة مؤثرة أو يبرهن عن موقفه بفراسة لا يضاهيه فيها اعداؤه . »

وليس في ما جمعه من أحاديث نابوليون ما يشفي الغليل فبعد سنتي القنصلية الاولين ندر ان يبوح بما يكنه ضميره في أحاديثه والذين كانت يبوح لهم بمكتومات صدره في بعض الاحيان — كبرتيه ودوروك وبرتران — حبسوا لسانهم عن الافضاء الى غيرهم بما كانوا يسمعون منه . وما من أحد يمر في انه كان يحسن الكلام في الجمهور ولكنه حينما كان يتكلم في الجمهور لم يكن يعرب عن حقيقة فكره بل كان يفصح عما يريد هو أن يجعل الناس يتوهمون ان كلامه يترجم عن افكاره . ولنا من امثال ذلك كثير من الاحاديث في جزيرة القديسة هيلانة لانه كان يحيط به رجال يدونون الحوادث يوما فيوما وكان

يعرف ذلك . وحينما كان قابضا بيده على ناصية السلطة كان يفوه بكلام صريح فصيح بليغ في الجمهور ويورد فيلمان امثلة كثيرة من ذلك مما اتصل اليه من نربون . ولا يخلو كلام فيلمان من العمل . وفي جميع المفكرات المكتوبة عن عهد الامبراطورية أمثلة من أحاديث نابوليون . ولكن اذا أردنا ان نقف على الحقيقة في الاحاديث المنسوبة اليه وجب علينا أن نبحث عنها في غير تلك المفكرات وعندني أن رودرر أصدق من سواه في بيان حقيقة كلام نابوليون فهو يورد لنا أمثلة من الانشاء الاصلي في عهد القنصلية حينما كان نابوليون جمهوريا في الظاهر مع كل ما يحيط به وكان يتدرب على فن الحكم المدني قبل طموحه الى عصب جبينه بالتاج فهي شذرات من خطبه في مجلس الدولة ومن أحاديثه في المالميزون وسان كلود وهي أحاديث مسهبة دارت بعد ذلك ونقلت حرفا خرفا بالتدقيق . وحسبنا ان نقرأ خلاصة الاحاديث بين رودرر ونابوليون في يناير وفبراير ١٨٠٩ وفي سنة ١٨١١ ولا سيما في سنة ١٨١٣ وهي اظهر ما لنا نابوليون من الحديث فكلامه فيها مختصر وصريح وعنيف في بعض الاحيان ولكنه جم الفائدة فكان له تأثيرا فتانا له سر يجعله يحرك جميع عوامل قواه العقلية ويحصرها في أمر واحد ويحمله بما يورده من الشواهد والمقالات التاريخية مما توحى اليه سعة حيلته الطبيعية ومعرفته بالجنس البشري اجمالا وبالذين تمزس بهم بنوع خاص

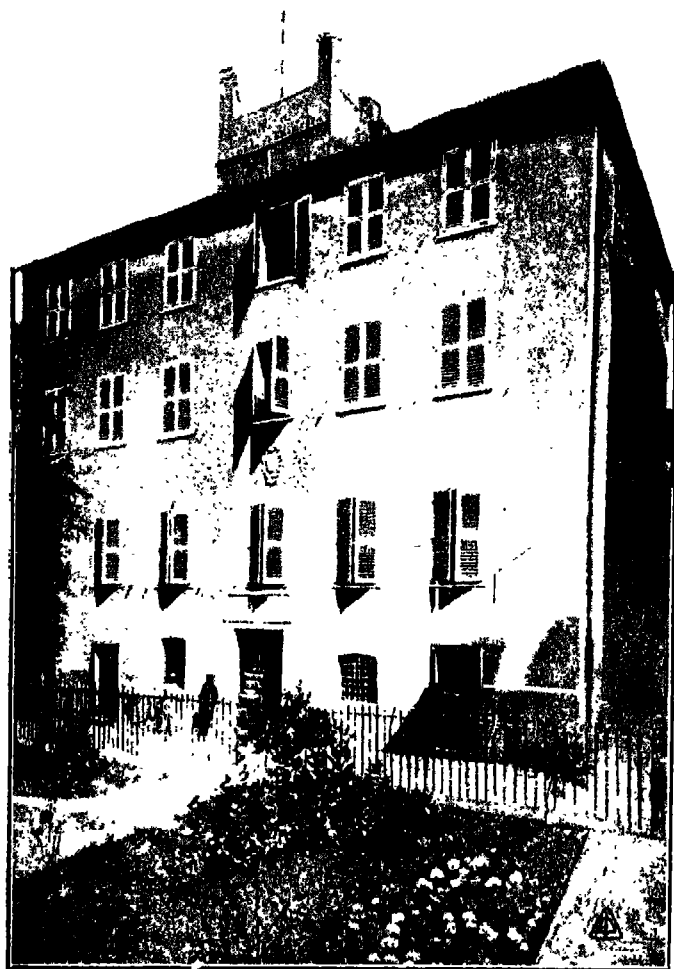
ويتعذر حصر أحاديث نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة فهي موزعة في نحو عشرين كتابا يختلف بعضها عن الآخر في عدم تماثله في الصحة والثقة به . ومعلوم انه لايسهل فصل الزوان عن القمح فبعض تلك الكتب املاه نابوليون فالكلام الذي املاه له أهمية وقيمة خاصة به ولكنه لا يعد من باب الاحاديث واذا بحثنا عن الرجل كما يظهر من حديثه فيكون ما نقله غورغو اصدق مما نقله غيره فمنطولون لا يماثله في الذكاء ولا يبعث كلامه على الاعتقاد به ولا سانس يخلط ويركب واوميرا يترجم الى الانكليزية احاديث بلغة ايطالية وهي أحاديث ممزوجة بالحدة خطيرة الشأن ولكنها ليست موضع الثقة فغورغو يروي لنا رواية صحيحة ويصور لنا صورة حقيقية يحو منها ما تحاول عواطف الوجود والحسد الصاقه بها

ان للحوادث التي يرويها اهمية كبيرة ولكن اظهر شيء فيها هو الحقيقة البادية بها بشكل طبيعي خال من التزييق والتنعيق فهي ليست تذكارات عن ادوار حياته في أوج مجده بل هي رسوم وقتية وحينما نجد فرقا بينها وبين الحوادث التي يرويها لاس كاس ومنطولون فلا نتردد طرفة عين في تصديقها فهما يحاولان في الاحوال العصبية ان يجللا بطلهما بمطرف فاخر ضاف أما غورغو فيصوره بالشكل الذي يجده فيه سواء كان في حمامه أو في سريره في ثوب الصينة أو في مبادله في حالة السرور او في سورة الغضب ونذكر حادثين على سبيل التمثيل وهما مصرع ناي ومصرع مورات :

كتب منطولون ان الامبراطور قال في ٢١ فبراير « ان قتل ناي جريمة لا تغتفر لان دمه كان مقدسا عند فرنسا ولم يكن لتقهره بانتظام في روسيا من مثيل وقد كان يجب ان يلقي عمله هذا ستارا على جريمة الخيانة العظمى اذا كان ثمة خيانة عظمى قد ارتكبتها المرشال ناي ولكن ناي لم يكن مليكه قط . . . » وقد كان الناس يتوقعون مثل هذه العواطف من نابوليون ولكنهم لم يتوقعوها منه في ٢١ فبراير لان خبر مصرع ناي لم ينته اليه الا في اواسط مارس .

وتختلف رواية غورغو عن رواية منطولون فانه قال ان نابوليون غير رايه من هذا القبيل فقد قال ذات يوم انهم « قتلوا » ناي وقال في يوم آخر : « ان المرشال لقي ما يستحقه فيجب على الانسان ألا ينكث بكلامه وانا احتقر الخونة . . . فنائي لطخ بردة كرامته وأنا أتأسف على ذلك لان ناي بطل مجرب في ساحة القتال ولكنه اخفق في مسامه لجنوحه عن الجادة القويمة . » وقال انه اخطأ بمنحه اياه عصا المرشالية وكان يجب عليه ان يقيه قائدا فرقة لانه كما قال كافارلي كان جريء المقدم عالي الهمة . وقد سلك مسلك الخائن في سنة ١٨١٤ وتصرف تصرف السافل كما لو ف عاداته فاذا قابلنا هذا الكلام بكلام دوقه انغوليم لما قرأت كتاب دي سيفغور وجاشرت بما تشعر به من وخز الضمير حينما قالت : « لو عرفنا في سنة ١٨١٥ ما فعله المرشال في معركة روسيا لما زلت به صرعة المنية »

ونورد ايضا الكلام الذي فاه به نابوليون في روسيا عن ناي لما قال :



بيت بونابرت في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا





« ما اعظم هذا الرجل وما اشجع هذا الجندي . عندي في اقبيّة التويلري مئتا مليون من الفرنكات وأفضل أن اعطيها فداء عن المرشال ناي »  
ونستنتج من كلام نابوليون الدال على تغيير رأيه في ناي انه لم يئس اجتماعه به في فنقنبلو في سنة ١٨١٤ ولم يصفح عن تصلفه في سنة ١٨١٥ لما جاهر على رؤوس الاشهاد بانه عاد بالامبراطور في قفص ولم ينتدبه نابوليون الى قيادة جيش الا قبل معركة ليني بيوم واحد وكان ذاك البطلان قد اصبحا عدوين .

ولما وصل نبأ مقتل مورات الى نابوليون وقد جاءه به ثلاثة أشخاص الواحد بعد الآخر . ولما قرأ له لاس كاس نعيه قبض العاهل على ذراعه وقال له : « كان الكاليريون اكثر شفقة من الذين ارسلوني الى هذا المكان واكرم منهم » ثم صمت .

وحمل اليه اميرا ايضا خبر مصرع مورات فتلقاه بسكينة وسأله : هل قتل مورات في ساحة الحرب فتردد في بدء الامر في القول له ان خنته تقذ فيه حكم الاعدام كما ينفذ في المجرم ولما كرر عليه السؤال اوقفه على واقم الحال فاصفى الى كلامه من دون ان تتغير هيئة وجهه .

ونقل اليه غورغو في نوبته خبر مقتل مورات فسمعه من دون أن تبدو عليه علامات التأثر ثم قال : لا بد من أن تكون الحماقة قد دفعت مورات على ركوب مثل ذلك المركب الخشن . ويؤلمني أن اعرف ان اولئك الاجلاف قتلوا شجاعا كهورات واجه الموت مرات كثيرة في ميادين الوغى فقتله أمر فظيع ، ولما ائسك بعضهم عمل فردينان وقال : لم يكن ينبغي له أن يقتله على تلك الصورة قال الامبراطور : « ان امركم غريب ايها الشبان فقد فاتكم أن مسألة العرش لا نمحتمل المازح فهل كانوا يعتبرونه قائدا فرنسويا بعد ما انقضى وقت طويل على تركه لقيادة الجيش الفرنسي وهل كانوا يعدونه ماسكا ولم يعترفوا به ملكا قطفانه أمر بقتله بالرصاص كما أمر بشنق كثيرين غيره » وقال غورغو ان علامات الألم كانت تبدو على محياه حينما كانوا يقرأون له الجرائد المنشور فيها ذلك الخبر ولاندري في الحقيقة من من الثلاثة كان أول من ابلغه نعي مورات ولكن نشعر أن رواية غورغو منسوجة على منوال الحقيقة وقد قال له نابوليون

فيما بعد : « ان مورات لقي ما يستحقه وانا المخطيء في ذلك فقد كان يجب علي أن ابقيه مرشالا والا اجعله دوق دي برغ وملك نابولي »

ويعلم القاريء لماذا نؤثر الاعتماد على رواية غورغو عند اطلاعه على الاثثة التي سنوردها عن احاديث نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة وفضلا عن ذلك كان نابوليون يكرر الكلام الذي يفوه به ولذلك نرى في كلامه ما يؤيد أقواله السابقة في المفكرات التي كتبت عنه في منفاه .

وكان الدين من أهم الموضوعات التي كانت رعى الحديث تدور عليها في جزيرة القديسة هيلانة وكان نابوليون يسر بان يقرأ التوراة بصوت حال عند اجتماع رفاقه في ناديه ولم تكن قراءته لها في كل حين ناجمة عن روح ديني وقد رأوه في ذات يوم يبحث في سفر صموئيل وسفر الملوك عن النصوص المؤيدة للملكية الشرعية ومع ذلك كان يقرأها في بعض الاحيان لغرض ديني . ويقال أنه كان كثير الاعجاب بالقديس بولس وكان في تلك الايام المدلهمة في حياته يوجه افكاره الى مسائل الايمان من دون أن يكون في عمله هذا ما يبعث على اعطاء القدوة الحسنة . وقد قرأنا أنه كان يشير بيده الى القللك ويفوه بكلام يشف عن اعتقاده بوجود الله مع انكار الوحي . وذكرنيومان ما كان من اعتقاد نابوليون بالدين وهو في جزيرة القديسة هيلانة فقد كان يقابل مجد قيصر والاسكندر الباطل بقوة المسيح الحية ويقول : « وهل يمكن ان يكون ادنى من اله » ولكن كلام نابوليون الحقيقي يختلف عن هذه الزعم . وكان غورغو يتكلم عن الكواكب والخالق بكلام يعبر عما كانوا ينسبونه الى نابوليون في ذلك الصدد ولكن الامبراطور أوقفه عن التماذي في الكلام .

ويقال أن نابوليون كان شديد الميل الى الدين الاسلامي وكان ينتقد الدين المسيحي لعدم قدميته ويقول لو كان هذا الدين قد نشأ منذ انشاء العالم لاعتقدت به وان النصرانية لولا صلب المسيح واكليل الشوك لما بقيت الى أيامنا هذه وكان يزعم أنه لا يقبل ديننا يشجب افلاطون وسقراط والانكليز وقال ما هو الباعث على القضاء على الانسان بالعذاب الابدي واعترف ايضا بان براهين الائمة المصريين أثرت فيه فهم يزعمون ان الانسان حينما يعبد ثلاثة آلهة يكون ولا مراء من عبدة الاوثان

وقال ان الدين الاسلامي ابسط من الدين المسيحي واسمى منه فقد انتشر في نصف الكرة الارضية في عشر سنوات اما الدين المسيحي فقد انقضت ثلاث مئة سنة لتوطيد اركانه ، وقال مرة اخرى ان الدين الاسلامي هو أجل الاديان وقد تمادى به الكلام ذات مرة الى القول « نحن المسلمين » واذا كان يفضل الاسلامية على النصرانية فقد كان يفضل المذهب الكاثوليكي على المذهب الانكليكاني وعلل ذلك بقوله ان الذين يدينون بالمذهب الكاثوليكي لا يفهمون معنى صلاة الغروب التي يصلونها ويجب الا يزال عن بصيرتهم الستار المضروب عليها . ومن رأيه أن الكهنة يجب أن يتزوجوا ولكنه قال انه يتردد في الاعتراف لكاهن متزوج لثلاث يوح هذا الكاهن بسر الاعتراف لزوجته وتمادى به الغرور الى القول بانه بصفة كونه « ممسوحا بالزيت المقدس » يستطيع ان يسمع اعتراف الناس ولم يكن يجب سلسلة المناصب في الكنيسة ولا الطقوس وكان معارضا للباباوية ومن جملة أقواله ان بريطانيا العظمى وشمال اوربا حسنا صنعا بتحررها من نيرها . ومن السخافة الا يكون رئيس الدولة رئيسا روحيا لها أيضا ولذلك تأسف لان الملك فرسيس الاول لم يتحرر ويحرر شعبه بانتحاله مذهب الاصلاح الديني كما كان ينوي أن يفعل . ولما تبرم نابوليون من مناضلة الباباوية ندم على عدم انتحاله لذلك المذهب بدلا من عقد تلك الوثيقة ( الكونكورد ) فكانت الامة تحذو حذوه وتتخلص من نير رومية . وكما تقدم في العمر جاهر بمعاداة النصرانية وحسر اللثام في آخر الامر عن فكره من ذلك القبيل فقال : « لقد قر رأيي فلا اعتقد ان يسوع ( كاله ) وجد فكانوا يشنقونه ككثيرين من المهوسين الذين كانوا ينتحلون النبوة يزعمون أنهم مسحاء وكان كثيرون يزعمون مثل هذا الزعم في كل سنة »

وانتقل في الكلام من العهد الجديد الى العهد القديم فقال : « ان موسى داهية وكان اليهود ساقطين وجبناء وقساة » وقال أنه يبتغي أن يدون مذكر موسى وكان قليل الايمان بالمخلص .

اما من جهة العواطف الانسانية فكان يجاهر بانه على مذهب الماديين ويزعم ان الانسان ولد في حيز تكتنفه حرارة جوية عالية . وزعم مرة اخرى انه صنع من التراب كما كان يقول هيرودس ان طين النيل كان يتحول الى جردان

في عهده . ولما دبت حرارة الشمس في ذلك التراب خلق منه الانسان باتحاد التيارات الكهربائية : فليقل الناس ماشاؤوا أن يقولوه فكل شيء مصنوع من مادة يختلف شكل تنظيمها . وقال : « أمرت بأن يشقوا الأطباء امامي فوجدت باطنها يحكي باطن الانسان ولكنه كائن اكمل من الكلاب أو الاشجار وهو يعيش عيشة أفضل من عيشتها . فالنبات أول حلقة من السلسلة التي تنتهي بالانسان ولا يخفى علي ان هذا الامر يخالف الدين ولكنه رأيي فلسفنا جميعنا الا مادة » وكان يقول ايضا : « ماهي الكهرباء والمغناطيسية . هما سران عظيمان من أسرار الطبيعة واطن ان الانسان نتاج تياراتهما ونتاج الجو وان الدماغ يخرج تلك التيارات ويعطي الحياة وان النفس مركبة من التيارات المذكورة وهذه تعود بعد الموت الى الاثير ومنه تنتقل الى ادمغة اخرى »

وقال مرة لغورغو : « يا عزيزي غورغو حينما تموت تتوارى من الوجود فما هي النفس . وحينما ينام الانسان أو حينما يصبح يختل الشعور اين تكون نفسه . » وقال مرة اخرى : « لو خيرت في اتخاذ دين لعبدت الشمس فأنا تحبب كل شيء الخصب وهي اله الارض الحقيقي . »

وزعم بعضهم انه كان يخاطب غورغو بمثل ذلك الكلام بقصد المزاح معه لان غورغو كان شديد التدين . ونظن انه كاف يفوه بذلك ليجعل النظرية الارثوذكسية تبدو بكل قوتها . لكنه كان في غالب الاحيان يقول انه لا يؤمن بالله منتقم ومجاز « لان خيار الناس يكونون ناعسي الجذ وشرارهم ميموني الطالع وسرون ان ناليران وامثاله سيموتون في أسرهم . »

وقال غورغو ان برتران كان يتصور ان الامبراطور « متدين » ونحن نعتقد ان نابوليون كان متدينا بخلاف ما كان يظهر في احاديثه من الاحاد ولكنه كان يجب عليه أن يرجع الى الدين بعد ما كان قد ابتعد عنه كثيرا فهو ريب الثورة التي جحدت الدين ومع ذلك وجد في نفسه قوة كافية لاتباع اعظم عمل في حياته يدل على الشجاعة وهو اعادة الكنائس في فرنسا الى ما كانت مخصصة له وعقد الوثيقة مع البابا واجبار رفاقه في الجندية الى مرافقته الى الكنيسة لسماع القداس مع نفورهم من ذلك واستهزائهم به وكيف كانت الاسباب التي بعثته على ذلك فلا بد من كونها قوية لحملها اياه

على الخروج على جميع التقاليد في سن الرجولية لان الايمان ومزاولة الدين -  
وكانا يزاوان في الخفاء بين الشعب المدني في فرنسا - لم يبق لهما أثر بين الجنود  
وقال لافالت في عرض كلامه عن حملة مصر : « كان الجنود الفرنسيون قد نبذوا  
كل فكرة دينية . »

وروى لافالت ايضا نكتة غريبة عن ضابط فرنسوي كان معه في سفينة  
مشرفة على الفرق ان ذلك الضابط تلا الصلاة الرئيسة من أولها إلى آخرها  
ولما زال الخطر خجل الضابط من نفسه واعتذر قائلاً : « لي من العمر  
ثمانين وثلاثون سنة ولم اصل من ائمتين وثلاثين سنة ولا اعلم كيف استطعت  
تذكر تلك الصلاة وأؤكد لكم انه يتمذر علي الآن ان اتذكر منها كلمة ما . »  
ودام هذا النغور من الدين الى آخر حكم نابوليون رغما من عقد الوثيقة مع  
البابا . وقال لافالت انه لما احتفل بالتقديس بحضور الامبراطور في « الايام المئة »  
ولى جميع الحاضرين المذبح ظهورهم

ولا يخفى ان الزمان الذي قضاه مع الجنود في المعسكرات وعلافته بالتأثرين  
وخلافه مع البابا أبعده عن الدين الذي ولد فيه وقال تاليران لهنري غريفيل ان  
لويس الثامن عشر لما وصل الى باريس دهش لما رأى ان المكتبة التي كانت الى  
جانب مكتب الامبراطور كان معظمها مؤلفاً من كتب اللاهوت وكان نابوليون  
يكثّر من تدبر تلك الكتب وسأل غرانفيل تاليران هل يظن ان نابوليون كان  
متديناً فاجابه تاليران : « اظن انه كان متديناً وكان ميالاً الى معالجة الموضوعات  
اللاهوتية . » وكل ما نقوله في ذلك ان اعتقاد نابوليون الديني لم يكن يقل عن  
اعتقاد خلفه على العرش ووزيره تاليران

وكل ما يقال في هذا الصدد ان المسائل الدينية كان لها شأن عظيم في احاديث  
نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة فكان تارة يشك وتارة يردد ويستدل على  
حالة نفسه الحقيقية من ملاحظة ابداءها بالكلام التالي : « ان الاحق يقول انه  
يموت بلا اعتراف فهناك اشياء كثيرة تجهلها ولا نجد سبيلاً الى التعبير عنها . »  
وما قاله عن اسرار الديانة نطقه على ما كان يشعر به عن تلك الاسرار اي :  
« هنالك اشياء كثيرة تجهلها ولا نجد سبيلاً الى التعبير عنها . »

والى جانب تلك الموضوعات الكبيرة التي تضيق فيها الافكار موضوعات

كثيرة عاجلها نابوليون معالجة تعرب عن اخلاقه وتهمنا بقطع النظر عن تذكاراته المختلفة وآرائه في المستقبل وهذه الآراء على ما يروها لاس كاس ومنطولون تشبه برامج سياسية عامة اكثر مما تعبر عن افكاره الخاصة ولم يكن ما كان يجول في خاطرها من هذا القبيل في بعض الاحيان واخرج منطولون مرة من محفظته ورقة كتب عليها مشروع دستور املاه عليه نابوليون للامبراطورية الفرنسية ليعمل به فيها في عهد نجله . ولا نذري هل ذلك الدستور حقيقي ولكن نعلم ان ناشري مؤلفات نابوليون اغفلوا نشره . ونميل الى التصديق ان هذا الدستور وضع في أثناء عزلة «هام» لاعادة حكومة البونا برتين وقد اعيدت بعد حين قصير . على ان الناشرين الرهيمين نشروا «التعليات التي املاها لابنه» في ١٧ ابريل ١٨٢١ قبل وفاته بايام على ما اشار اليها منطولون ويظهر ان تلك التعليقات حقيقية .

وغني عن البيان أن نقول ان كل ما قاله الامبراطور عن البريطانيين هو في غاية الخطورة فانه في جميع حياته حارب بريطانيا العظمى على اشكال شتى ومع ذلك كان يجهل كل الجهل حقيقة امرها ولما كان في عنفوان مجده كان مترنخ في انسكراترا وقال « ان نابوليون كان يظن عن بريطانيا العظمى كل ما كان يروقه ان يظنه عنها وكانت افكاره عنها تخطيء المرمى وهذا يبعث على العجب لان انتصاراته التي كان يحرزها كانت معظمها يرجع الى تعمقه في معرفة حقيقة احوال خصومه وكان في ابان حكمه يتدبر الصحف الانكليزية ويراقب السياسة البريطانية بعين يقظي . وكان المقربون منه يعرفون مقدار ما يؤثر فيه انتقاد الصحف الانكليزية له ولم يكن يكثرث الا لانتقاد تلك الصحف . وكان يحب ان يترجوا له جميع العبارات المتضمنة سبابا وشتما له وكان يفور فائره عند اطلاعه عليها ومع ذلك لم يكن يتكلم عن البريطانيين وهو في جزيرة القديسة هيلانة من دون ان ينم عن جهل لاخلاقهم وعاداتهم ومما قاله عنهم : « لو قيض لي الذهاب الى لندن (سنة ١٨١٥) لاستقبلوني استقبال المنتصر وجاهرت سوقة الناس بموالاتي واستملت الي امثال غراي وجرانفيل . » وكأنه كان يظن انه ولو دخل لندن دخول الفاتح لكانت النتيجة نفسها وقال لاس كاس : « كانت اربعة أيام تكنيني لدخول لندن وما كنت لادخلها دخول الفاتح بل دخول المحرر

وكننت جددت عهد ولیم الثالث وفتته بالكرم والزاهة وكانت جيوشي في غاية النظام تتصرف فيها كما تتصرف في باريس وما كنا نطاب من الانكليز تضحية ولا اتاوة وما كنا نجمعهم يعدوننا فالحين بل اخوانا قدموا عليهم ليعيدوا اليهم الحرية وحقوقهم المسلوبة وكننت اقول لهم ان يضموا متفرق شملهم وان يعملوا في سبيل نهضتهم وانهم اخواننا الكبار من وجهة التشريع السياسي وانه ليس لنا مطمع الا برؤية هنائهم ويسرهم وكننت صادقا في قولي هذا فلا تنقضي بضعة اشهر حتى تصبح تانك الامتان المتعاديان متحدتين بمبادئهما ومصالحهما. « والحق يقال انه لم يكن يصدق شيئا مما اعرب عنه في كلامه السابق ولم يفقه به الا لانه كان مجهل كل الجهل اخلاق الشعب الذي كان يزعم انه يستطيع التصرف به على هواه . وكان يسر بان يسمع لاس كاش يروي له النكات التي سمعها في خلال اقامته في انكلترا وفضاخ البلاط البريطاني وكارلتن هوس . فساله الامبراطور : « وماذا كننت تعمل هناك » ولم يكن رفاقه قادرين على تعريفه بالاخلاق البريطانية فكان غورغو مثالا يظن ان « الشعب » الذين كانوا يكترون من الكلام عنه في انكلترا هو فرقة سياسية او كما كان يظن الذين نشروا مفكراته ان « الشعب » كان من طلائع حزب الاحرار .

وماذا كان نابوليون يفتكر عن البريطانيين . إنه مع اغلاظ الكلام عنهم في غالب الاحيان كان يحترمهم وقد قال عنهم ما يأتي : « لو كان عندنا نصف ما عند البريطانيين من الروح الوطنية لقصرت الامة البريطانية عن اللحاق بنا . » وكان في بعض الاحيان يتمثل بقول باولي : « الامة البريطانية أمة تجار » وكان أيضا يستهزئ بالامة التي قبلت مهمة اعتقاله بعد ما كانت من ألد أعدائه ولكنه كان يؤدي لها في بعض الاحيان ما تستحقه من الاكرام كقوله مثلا : « إن البريطانيين أشد صريمة منا وهل يتصور فرنسوي إن مثل روميلي وهو زعيم يشار اليه بالبنان لحزب كبير ينتحر وهو في الخمسين من العمر من جراء وفاة زوجته . وهم أشد اعتصاما منا باهداب المبادئ العملية في كل شيء فيمجدون وطنهم ويتزوجون وينتجرون بسهولة تفوق السهولة التي نذهب فيها الى الاوبرا وهم أشجع منا ويمكن القول إن نسبتهم اليها في الشجاعة كنسبتنا فيها الى الروس وكنسبة الروس فيها الى الالمان وكنسبة الالمان فيها الى

الايطاليين . ولو كان عنسدي جيش بريطاني لفتحت به العالم ودرت حوله من دون أن تهبي عزيمته ولو كنت مختار البريطانيين كما كنت مختار الفرنسيين في سنة ١٨١٥ لامكنني أن أنكسر في عشر معارك كمعركة واترلو من دون أن أفقد صوتاً واحداً في المجالس وجندياً واحداً في الجيش . . . ولا تهني بي الامر الى امتلاك ناصية الحال . « فاذا فكر القاريء في صاحب هذا الكلام وفي الظروف التي فاه به فيها نظم عقود الشئاء على أخلاق البريطانيين الوطنية ووفائها حقها من المديح .

ولما كان في أبان سطوته سنحت له فرصتان وفي فيهما بريطانيا العظمى حقها من الشئاء في أحاديث خاصة فحدث مرة ان أوغست دي ستال قال له إنه لا يستطيع خدمة الحكومة الفرنسية من جراء اضطهادها لوالدته فقال له نابوليون : « بناء عليه ينبغي أن تذهب الى انكلترا إذ لا يخفى عليك إنه ليس في العالم سوى أمتين عظيمتين وهما الامة الفرنسية والامة البريطانية ولا يستحق غيرهما أن يقام له وزن . « وحدث مرة أخرى في أثناء حروب اسبانيا ان الجنرال فوى ييم باريس واجتمع بالامبراطور ثلاث مرات فقال له نابوليون : « قل لي هل يقاتل جنودي قتال الابطال ؟ » فقال الجنرال : « نعم يا مولاي إنهم يقاتلون كالأسود . » فقال نابوليون : « وهل يخافون من الجنود البريطانيين ؟ » فقال الجنرال : « إنهم يقدرونهم حق قدرهم يا مولاي ولكنهم لا يخافون منهم . » فقال نابوليون : « ولكن البريطانيين غلبوهم دائماً . . . كريسي وازنكور ومارلبورو . . . » فقال الجنرال : « ولكن معركة فنتنوى يا مولاي . . . » فقال نابوليون : « إن تلك المعركة فسحت في أجل الملكية أربعين سنة . »

وفي أثناء إقامة نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة توهم أن اللادي ملكولم قالت انه يبغيض البريطانيين فقال لها بشدة إنها مخطئة فهو لا يبغيضهم بل يحترم أخلاقهم ومما قاله لها : « خانوفي وأدت تلك الخيانة الى وجودي على هذه الصخرة الصماء في عرض المحيط وأنا معتقد ان في بريطانيا العظمى كراماً أكثر مما في غيرها من البلدان ولكن فيها أيضاً من اللئام طائفة لا يستهان بها فبريطانيا العظمى تجمع النقيضين . والبريطانيون من جنس يختلف عن جنسنا فهم شرسو الاخلاق يميلون الى سفك الدم وخوفهم من الموت أقل من خوفنا منه ولكنهم يemonون بمحاضرهم أكثر مما يعنون بمستقبلهم . »



وكان يحكم حكما صائبا على احكام البريطانيين الحصار البحري ولكنه كان ينتقد انتقادا مرا خطة ساستهم وقال انه لا يفهم — ونحن نشاطره نظريته — كيف انهم لم يستفيدوا فائدة كبرى من حروبهم الطويلة وانتصاراتهم ويظن ان ما اتهموا به بكونهم امة من التجار اثر في شعورهم وساءهم كثيرا وقد شاؤوا ان يظهروا للملا ما طبعوا عليه من الالفة وعزة النفس « وقد ينقضي الف سنة قبلما تسبح لهم فرصة للبلوغ ببلاذهم الى قمة العظمة . وفي الحالة التي صاروا اليها لاسبيل الى الضن عليهم بشيء » وقال ايضا : « انه من خرق الرأي ان تترك باتافيا للهولنديين وبوربون وبند يشري للفرنسويين . » اما هو فلا يعطي فترا منها لولا تعليل النفس بطرد البريطانيين من الهند وقال : « كان يجب على وزراء بريطانيا ان يحتمكروا التجارة في بحار الهند والصين وألا يسمحوا للفرنسويين او لغيرهم ان يتخطوا حدود رأس الرجاء الصالح والآن يستطيع البريطانيون ان يملوا شرائعهم على العالم طرا ولا سيما اذا اخرجوا جيوشهم من القارة الاوربية وارسلوا ولبن الى اراضيه ليقيم فيها واقتصروا على مد لواء سيادتهم على البحار فينئذ يتسنى لبريطانيا العظمى ان تجري كل ما تبغيه . » وقال في ذات يوم « يحتاج البريطانيون ان يكون عندهم وزير اكبر كاللورد تشاتام الشيخ . »

وقال ايضا : « فرض البريطانيون على فرنسا غرامة قدرها سبع مئة مليون وفرضت على بلادهم غرامة تزيد على عشرة مليارات فهم فرضوها بقوة حراهم اما انا ففرضتها بقوة برلمانهم . »

واقبل نابوليون على تعلم اللغة الانكليزية على يد لاس كاس وظل مقبلا على ذلك من شهر يناير الى شهر ابريل من سنة ١٨٩٦ وكان تارة يبدي رغبة شديدة في ذلك وتارة يبدي تبرا منه ثم ترك تعلمها . وكان قبلا قد حاول درس تلك اللغة في اثناء السفر من انكلترا الى جزيرة القديسة هيلانة ولكنه ضجر من ذلك وقال لاس كاس في هذا الصدد ان تلميذه نجح نجاحا باهرا في تعلم اللغة الانكليزية حتى صار يفهم ما يقرأ وانه له فيها ولكن لفظه كان رديئا جدا . وكان يقرأ تاريخ بريطانيا العظمى بامعان ولم يكن قبلا قد اهتم به منذ خروجه من المدرسة وقال : « ارى في مطالعتي لتاريخ « هيوم » ان الامة البريطانية شرسة فما اكثر الجرائم في تاريخها فان هنري الثامن اقترن باللادي سيمور في غد اليوم الذي قطع فيه رأس

أن بولن فنجح لانفعل مثل هذا الامر ونبرون نفسه لا يرتكب مثل تلك القذائع والملكة ماري ... ان قانون العقوبات الذي يسرون بمقتضاه عندهم غريب في بابه . « وكان أهم شيء في مطالعته لذلك التاريخ وضع مقابلة بينه وبين كرومول وقد قال ان بين عهد الملك شارل الاول والثورة الفرنسية تشابها ولكن تتمتعز المقابلة بين موقف كرومول وموقفه ( اي نابوليون ) فالامة الفرنسية انتخبته ثلاث مرات بملء حريتها ولم تحارب الجيوش الفرنسية الا الاجانب . وكان كرومول متحملا بصفة خطيرة وهي كتمان افكاره وكانت له مواهب سياسية كبيرة ونظر صائب في الامور ولم يأت في حياته عملا يدل على خرق الرأي . أما من جهة كونه قائدا عظيما فلم يكن نابوليون يعرف عنه كثيرا من هذا القبيل ليمبدي رأيه فيه

وابدى ملاحظتين خطيرتين مذهمتين عن تاريخ فرنسا فقال : « ان القديس لويس كان مغفلا » وقال للادي ملكولم : « ان هنري الرابع كان ولا مشاحة أعظم ملك جلس على عرش فرنسا . « ولكنه كان يقول هذا الكلام للاجانب وكان يقول خلاف ذلك للمقربين اليه : « لم يعمل هنري الرابع عملا عظيما قط وقد حاول فلتير بملاحمته ان يجمله في مكانة عالية وذلك ليحقر منزلة لويس الرابع عشر لانه كان يفضيه واضحك حينما اقرأ ان رجلا يدعى ماسون قال لفرديريك ملك بروسيا ان هنري الرابع كان اكبر قائد بين المتقدمين والمتأخرين . لا انكر ان هنري الرابع كان رجلا كريما شجاعا يكر على اعدائه والسيوف بيده ولكنه كان احمق . اما لويس الرابع عشر فقد كان أعظم ملك ظهر في فرنسا . . وكان جيشه مؤلفا من اربع مئة الف مقاتل . والملك الذي يستطيع أن يحشد مثل هذا العدد من الجنود لا يكون رجلا عاديا ولم يكن لسواي وسواء مثل هذه الجيوش الجرارة » . ويزعم نابوليون انه لو كان في عهد الملكية القديمة لرقى الى درجة المرشالية لانه لفت اليه الانظار حينما كان ملازما في الجندية ولا يصعب عليه الترقى حتى يصل الى درجة كولونل وحينئذ ينتظم في سلك اركان الحرب تحت امرة مرشال فيعمل أعمالا تهمد في وجهه سبيل التقدم .

وله وجهة نظر في تاريخ فرنسا الحديث لا يسعنا أن ننظر اليها نظرة جديدة فقد قال في مارس سنة ١٨١٥ : « يا ليت الملك والامراء لا يزالون باقين فالجنود

ينحازون الي ويبطشون بالملك والامراء ولا يبقى من وجه لبقاء لويس الثامن عشر على العرش » وكان في بعض الاحيان ثور فيه سورة الغضب فيفرغ كاس سخطه على فرنسا نفسها ويقول « لقد انتهكوا حرمة فرنسا واصبح الشعب الفرنسي مثلوم الشرف ومتجلببا بمجلباب اللؤم والجبن وهو يستوجب ذلك لانه بدلا من ان يلتف حولي ولائي ظهره »

وكان يتكلم عن اسرته من دون ان يزن كلامه بميزان التحذر ومن دون ان يجد غضاضة في بيان خمول أصلها وربما كانت حرية افسكاره من هذا القبيل هي التي جعلته متميزا عن العاهل الذي يولد في مهد النعمة ولم يذكر أحد شيئا عن العاهلين معاصريه الاسكندر وفرنسوى بأنهما يتحدنان مع حاشيتيهما عن شؤون اسرتيهما الخاصة ومن هنا تعرف العلامة التي يفرقون بها بين الدعي والاصيل وكانت القيصرة كآرين تشكلم عن اصلها وفصلها بمثل الصراحة التي تشكلم بها نابوليون لانها لم تولد بجوار درجات العرش

وكان نابوليون يقول ان اسرته من الاسر التي يشار اليها بالبنان في كورسيكا. وانه لايزال له عدة انساب في الجزيرة وقد قال في هذا الصدد : « لي نحو ثمانين نسيبا ... وانا موقن ان الذين انضموا الى مورات في سنة ١٨١٥ كانوا من انسابي . » وقد اخطأ نابوليون بقوله هذا لان انسابه لم يكن لهم علاقة بمورات ولم يشتركوا معه في الحملة التي غرر فيها بنفسه وطوح بها الى المهالك ولم يكن يهتم نابوليون ان يعدوه كورسيكيا لانه كان يعتبر نفسه فرنسويا قبل كل شيء وقد قال من هذا القبيل : « ولدت في سنة ١٧٦٩ بمد ما ضمت كورسيكا الى فرنسا . » وبنهه خصومه بانه استبدل صك ولادته بصك ولادة شقيقه يوسف الذي ولد في سنة ١٧٦٨ قبل ضم الجزيرة الى فرنسا . وحدث أن أحد محافظي ليون كان قد سمع بهذا الامر ، ولم يكن من اصحاب الكياسة والنباهة فقال في خطبة خطبها امام الامبراطور : « وما يقضي بالمعجب المعجب يا صاحب الجلالة ان تحب فرنسا محبة عظيمة وتضحي بكل شيء في سبيلها وانت لست فرنسويا . » فقال الامبراطور : « لما سمعت منه هذا الكلام وليته ظهري ... » وبقطع النظر عن جنسيته الفرنسية كان يفضل انتماءه الى ايطاليا أو تسكانيا على انتمائه الى كورسيكا وكان يقول . « كانت اسرتي في تسكانيا من

نحو مئتي سنة فلي رجل في ايطاليا واخرى في فرنسا . « ولا يشق على القارىء معرفة مقدار فائدة تينك الرجلين له لانه كان صاحب الامر والنهي في فرنسا وايطاليا كاتيهما . ولم يكن انتسابه الى اصل كورسيكي يجديه نفعا ولذلك كان يحب أن يتبرأ منه بقدر ما يستطيع .

وكان يبدى ملاحظات غريبة عن نسبه وقد خطر لاحدهم ان يجعل ذلك النسب متصلا بصاحب . « السكامة الحديدية » فقال ان حاكم بينيارول - وكان السجين المجهول معتقلا في قلعته - كان يدعى بومبار فزف كريمته الى السجين ( وكان نابوليون يزعم ان ذلك السجين شقيق للملك لويس الرابع عشر ) وساعدها سرا على الذهاب الى كورسيكا تحت اسم بونابرت . وقد قال نابوليون عن هذه الاشاعة : « كان تصديق هذه الحكاية الملفة منوطا بكلمة واحدة مني » ولما دارت المفاوضات على اقترانه بالارشيدوقة ماري لويز اهتم والدها الامبراطور فرانسوى بنسب صهره وارسل اليه ملف اوراق يشير الى انه متحدر من دوقات فلورنسه فضحك الامبراطور عند اطلاعه عليها وقال لمارنيخ « اوهل تظن اني اهتم بهذه السخافات وهب كان ذلك صحيحا فما فائدتي منه : ان دوقات فلورنسه كانوا ادنى مقاما من عهال المانيا فلا ارضى بان تكون منزلي ادنى من منزله حمي . واظن ان مكاني مساوية لمساكنته وشرفي لا يتجاوز منتينوت فاليك عنى هذه الاوراق . »

وهناك قرابة أخرى رفيعة الشأن قد لا ينبذ الانتساب اليها فانه قال ان بونابرت هو بوناروتي نفسه فهل كان يعتقد انه نسيب لميخائيل انجلو . وقد تأسف لانه لم يتركهم يذيعون قداسة نسيبه بوناونتورا او بونيفاشيوس بونابرت فكان اخوانه الرهبان يباهون بهذا الشرف ولو انفقوا لنيله مليون فرنك ولما ذهب البابا من رومية الى باريس اقترح عليه ذلك الامر واوشك نابوليون ان يوافق على اقتراحه وقال حينئذ : « ان ذلك يستميل الي جميع الرهبان الكبوشيين » ولكنهم فكروا فيما بعد ان ذلك العمل يبعث على الهزاء وهو وخيم المغبة في كل مكان ولا سيما في فرنسا .

ولم يكن نابوليون يكتم عن اصدقائه شيئا من اسرار امرته فقال ذات يوم عن والده انه توفي في منبلياي في الخامسة والثلاثين من عمره وقال مرة أخرى

انه مات وله تسع وثلاثون سنة من العمر وانه كان منغمساً في الملاذ مسرفاً يتصير الاعيان وانه لما حضرته الوفاة لم يكن حوله رهبان كثيرون ومع ذلك كانت آخرته صالحة بحيث كان جميع الناس في منبلياي يزعمون انه مات قديساً وخدم الحظ عم والد نابوليون فاعاد الى الاسرة ما فقدته من الثروة ووات غنياً وبما قاله نابوليون حينما تكلم عن وفاته « ان بولين اخذت كيس نقوده من تحت وسادته بينما كان يجود بنفسه . »

وكان الامبراطور يتكلم بسكينة عن الراجيف التي انتشرت عن كون باولي والده وكان يدحضها بادلائه بحجة مقنعة بيد انها لم تكن مما يليق أن تذكر ومع ذلك كان باولي يعتني به اعتناء الاب بابنه وبما كان يقوله له : « انت يا بونابرت من الرجال الذين يذكرهم بلوطرخس المؤرخ اليوناني ولست من المتأخرين . » وكان حينما يتكلم عنه امام الناس يقول : « لهذا الشاب رأس كرأس قيصر على جسم كجسم الاسكندر وفيه عزيمة تعادل عشرة اضعاف عزيمة سيلا . » وكان والدها نابوليون جميل الصورة . وقال نابوليون : « لما كانت والدتي حبلتي بي كانت ترافق والدي في الحرب المتقدمة ناراها في كورسيكا فشغق عليها القواد الفرنسيون ونصحوا لها بان تلد في بيتها واقول انها حبلى بي قبلما ضمت كورسيكا الى فرنسا ولكن لما ولدني امي كانت الجزيرة قد خضعت لفرنسا . » وكانت النقطة الاخيرة تهمهم وتهم أسرته كثيراً

وهنا مجال لان نذكر ما كان لنا نابوليون من العلاقة بكورسيكا فانه ولد فيها وعاش فيها حتى بلغ التاسعة من عمره وعاد اليها في أول رجوليته . وقضى فيها ثلاث سنوات وشهرين بين أول يناير سنة ١٧٨٦ ويونيو سنة ١٧٩٣ ثم قضت عليه الاحوال بمغادرة الجزيرة ولم يعد اليها فيما بعد الا عند رجوعه من مصر فنه قضى فيها حينئذ مدة قصيرة وابصرها مرة اخرى عن بعد وهو سائر على طريق جزيرة البيا ومع ذلك لم تفارقه كورسيكا قط وكان لها في حياته تأثير شديد وكان في السنوات الاولى التي قضاها في الجزيرة انه خاصم بوتزو دي بورغو خصاماً شديداً كانت له عواقب وخيمة عليه لانه كانت لبوتزو دي بورغو يد في سقوط نابوليون في المرة الاولى .

وبعد ما غادرت والدته نابوليون جزيرة كورسيكا ووصلت الى مرسيليا أصبحت في حالة ضيق شديد فلم يكن معها شيء من المال وكان معها اولادها الصغار اما نابوليون فلم يكن في جيبه الا ورقة قيمتها خمسة فرنكات فصمم على الانتحار وبينما هو واقف على ضفة السين وهو على تلك الحال وافاه صديق له وأمدّه بمبلغ من النقود واخرجه به من ذلك المأزق الحرج . وكان يقول : ولدت والدتي ثلاثة عشر ولداً وكنت انا ثالثهم فهي امرأة ولود . وانتهى اليه كتاب من والدته وهو في جزيرة القديسة هيلانة فأثر فيه ذلك الكتاب تأثراً شديداً حتى مزقه فانها مع تقدمها في السن وفقد بصرها كانت تبغني الذهاب الى جزيرة القديسة هيلانة ومما قالته في كتابها : « انا طاعنة في السن ويشق علي أن اقطع التي ميل في البحر وقد اموت في اثناء الطريق ولكن لا بأس من ذلك فاني اموت قريية منك . » اما مرضعه فانها عاشت مدة طويلة بعد وفاته وترك لها في وصيته مبلغاً من المال وقد ذهبت الى باريس لتشهد حفلة تتويجه واطهر البابا عطفاً شديداً عليها حاج كامن غيره والدته واصبح نجل تلك المرأة رباناً في إحدى السفن البريطانية

وكان نابوليون يكثر من الكلام عن زوجته ويكشف اسرار حياتهما البيتية ويتساءل هل أحب في حياته حبا حقيقيا ثم يقول ان المرأة التي أحبها . قليلا هي جوزفين ومما قاله عنها : « انها كانت تكذب دائماً على التقريب ولكنها كانت تتمن في أساليب الكذب وحين كان الكلام يدور على سنها كانت تتلعم وتحاول كتمان الحقيقة والذين كانوا يهتمهم رضاؤها كانوا يملأونها على زاعمها بحيث كانت نتيجة متابعتهم لها على قولها تبين ان اوجين نجحها ولد وهي في الثانية عشرة من عمرها ... ولم تطلب مني شيئاً لنفسها ولا اولادها رأساً بل كانت تحملني ديناً يقدر بالملايين . » وكانت تقيصتها الكبرى غيرها المستمرة ومع ذلك لم تكن تغار من ماري لويز بل هذه كانت تغار منها ولما حاول الامبراطور ان يأخذ زوجته الثانية لزيارة زوجته الاولى اجهشت ماري لويز في البكاء وتذرت بجميع ذرائع الدهاء للحيلولة دون ذهابها لزيارة جوزفين .

وقال نابوليون : « ان ماري لويز كانت متناهية في بساطة القلب وكانت

نحبنى ولو كان لها مستشارون صادقون ولو لم يكن الى جانبها منتبلوا اللئيم وكورفيزان  
الوغد لسكانت ولا مرء قد ذهبت معي الى جزيرة البا وعلاوة على ذلك عين لها  
والدها نيرغ السافل ليلازمها في روحاتها وغدوانها . « وهذه هي المرة الوحيدة  
التي لمخ فيها نابوليون الى خيانة زوجته وقد كان قبلا يحاول ان يلقي السر على  
ذلك الامر ومع ذلك كان لا قالت قد اطلعه على كل شيء من هذا القبيل في أثناء  
الايام المئة وشاع ذلك عند الجميع في البلاط . وظل الامبراطور يحسن الظن  
بماري لويز واليك ما كان يقوله عنها : « انها امرأة صغيرة حبيبة يروعها وجودها  
بين الفرنسيين الذين قتلوا عمتها ولم تكن تكذب قط وكانت كثيرة التحفظ  
وتبش في وجه الجميع حتى الذين كانت تمقتهم وكانت اذكي من والدها ولم تكن  
تطيق زوجة ايها وحينما كانت نحتاج الى المال كانت تطلبه مني وتسرحينا  
اعطيها عشرة آلاف فرنك وكان الانسان يستطيع ان يستودعها اسرارها . وقال  
لها والدها قبل مغادرتها لقينا : حينما تخملين بالامبراطور اظهري له الطاعة في  
كل شيء . وكانت فتاة فتانة وجيدة القلب وقد خلصت حياتي ومع ذلك اظن  
اني مع حبي لها كنت احب جوزفين اكثر منها فاني اخترت هذه بنفسى وقد  
صحبتني في السراء والضراء وارتقيت معها في سلم المجد وكانت معدن اللطف  
ولم يكن يثبطها شيء عن مرافقتي الى جزيرة البا ولو ولدت لي ولدا لما افترقت  
عنها قط ولو تم ذلك لسكان من يمن طالعها ويمن طالع فرنسا ، فالتسا قضت علي  
ولولا افتراضي بماري لويز لما حاربت روسيا « ثم قال انه صمم على عدم الزواج  
اذا ماتت ماري لويز وحينما يفكر الانسان في الحالة التي صار اليها في جزيرة  
للقديسة هيلانة يرى في كلامه هذا مزيجاً من المهزلة والمأساة

وامح تلميحا مؤلماً الى نجله لما قدم له غورغو في يوم عيده في ١٥ اغسطس  
باقة ازهار زعم انها مرسله من ملك رومية قتال بخشونة : « ان ملك رومية  
لا يفكر في ولا فيك « ولكن وصيته واحاديثه كانت تدل على ان فكره كان  
دائماً مع ولده وكان ينوي لورق ولدا ثانيا ان يعطيه ايطاليا كلها مملكة له  
وان يجعل رومية عاصمة لها .

وقال نابوليون ان كارولين زوجة مورات كانوا يعدونها بلهاء حينما كانت  
صغيرة ولكنها لما كبرت أصبحت ذكية وحسنة ولم يستطع كظم غيظه لما انتهى

اليه خبر زواجها الثاني ولم يصدق هذا الخبر في بدء الامر فانها بعد ما قضت مع مورات عشرين سنة وبعد مصرعه بخمسة عشر شهرا تزوجت في فينا وكان لها اولاد كبار . وقال نابوليون عنها . « ان هذا الامر لمن اعجب الامور التي مرت علي . . . ما غرب أطوار البشر . . . فالحب كان المحرك لمواطن هذه الحبيثة في جميع ادوار حياتها . »

وبعد ما تلقى نابوليون نبأ زواج كارولين جلس على المائدة لتناول الطعام والغضب يغلي في صدره ولا يستطيع تسكينه فافرح جام سخطه على الطاهي زاعما انه لم يحسن طبخ الطعام وقال غورغو ومنطولون انهما لم ينظرا الا براطور قبلا على مثل تلك الحال من الغضب فامر بالطاهي ان يجلد ويترد . اجل ان ذلك المشهد مؤلم ومضحك معا ولم يصدر الخطأ عن الطاهي بل عن كارولين . ولم يكن زواج شقيقته الباعث الوحيد على فوران غضبه والراجح ان ذلك الخبر اعاد على ذهنه ذكر يوم في سنة ١٨١٤ علم فيه ان مورات خانه وحارب فرنسا مجرده وقد شعر الامبراطور في ذلك الحين باحتقار لمورات وقد رفعه من حضيض التحول الى ذروة العرش ولكنه وجه غضبه الى كارولين لعلها انها هي المتسلطة على ارادة زوجها .

ولم يسبب في الكلام عن اخوته فقال عنهم : « ان اخوتي اضروني كثيرا وقد اخطأت باجلاسي يوسف الفر على عرش اسبانيا فقد كان يجب ان اجلس عليه ملكا حزوما عزوما ولم يكن هم يوسف وهو في مدريد الا اصطيات النساء . . . وهو لا يعرف شيئا من الشؤون العسكرية وان يكن يزعم ان له خبرة واسعة فيها . . . وليس له قلب . » ولما وهنت قوى نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة اصبح شديد الشبه باخيه يوسف .

ولما انتهى اليه ان شقيقه لوسيان ولويس ينظمان الشعر الركيك في مدح البابا قضى العجب من تلك الاطوار الغريبة . وقال نابوليون ان لوسيان كان يرغب في الاقتران بملكة اتروريا بعد ١٨ برومير وقال انه يقرن بامرأة سافطة اذا حالوا دون اقترانه بالملكة وقد انجز ما هددهم به وقال الامبراطور ان لوسيان لم ينفع شيئا في اثناء الايام المئة ولكنه طمعت نفسه الى الدكتاتورية بعد واترلو وقال ان ما كان بينه وبين الحزب الجمهوري من العلاقات من خمس



عشرة سنة يضمن له ميل حزب المعارضة فيتولى الدكتاتورية ويسند قيادة الجيش الى نابوليون ولما سمع الامبراطور ذلك الكلام الغريب التفت الى كارنو فقال له هذا بلا تردد معبرا عن عواطف الجمهوريين : « مامن احد منهم يرضى بان يستبدل دكتاتورية دهائك بدكتاتورية رئيس مجلس الخمس مئة . »  
وكان يتكلم قليلا عن اليزا وهي دون سواها من جميع افراد الاسرة تشبهه بطباعها واخلاقها وسمو مداركها وقد يكون ذلك باعشا له على قلة محبته لها .

ولم يتكلم كثيرا عن بولين الفتاة المحاسن المستعبدة للشهوات وعلاوة على ذلك يظهر ان الناس لم يكثرثوا لتلك الاسرة فقد كانت غريبة في اطوارها وقد نشأت في الفاقة والخلول وترعرعت فيهما فانتحلت الحق الالهي بلباقة عظيمة ولم تفاخر اسرة البوربون ولا اسرة هبسبورغ بسمو مكانتهما الملكية بمثل ما فاخر به اولئك الملوك الذين لم تمتد اسباب حكمهم كثيرا فيوسف كان يعتقدانه يستطيع ان يثبت قدمه في اسبانيا لو اخرج نابوليون جنوده منها وكان لويس يعتقد الاعتقاد نفسه وهو في هولندا وهذا ايضا كان اعتقاد كارولين ومورات في نابولي . وماعثم جيروم ان انشأ بلاطا في وستفالي يحاكي بلاط لويس الرابع عشر في العظمة والمحافطة على « الرسميات » وكانوا جميعهم مكابرين ومتصليي الرأي بيد ان ما امتازوا به من المزايا الحسان والنقاىص الفاضحة كان عاديا . وكانت شقيقات العاهل يظهرن بمظهر العظمة وقدامتازت كارولين واليزا بمواهبهما النادرة وكان لاخوة نابوليون واخواته ما كان له من صلابة العود وشدة الشكيمة والاعتداد بالنفس وكثيرا ما كانوا يزدرون به ولم يستنكف بعضهم من الجاهرة بعداوته وحاولت شقيقته صاحبتا المقام الملكي ان تصر ما حبال العلاقة به وان تفاوضا العدو بصفة كونهما صاحبتى سلطة مستقلة وكان لوسيان يزعم أنه يليق بمنصب العمى من منصب نابوليون . وقال « باسكيه » ان العهد المقطوعة وعواطف المودة المقدسة كانت عراها تنقسم في تلك الاسرة العجيبة حالما يلوح لهم تدبير سياسي

ولم يقتصر نابوليون في احاديثه على شؤون أسرته بل كان يتطرق الى الكلام عن عشقه وغرامه وقال انه كان له سبع عشقات في حياته وان هذا العدد

كبير وكان يتكلم بخفة عن عقيلة فالفسكا وقد كان حين اشتد هيامه فيه بهامع اعتقاده بأن البولونيات شديديات الميل الى دس الدسائس وقال ان تاليران سهل له السبيل الى الوصول اليها . وقال ذات يوم لغورغو انه لما كان ناقما عليه اراد قبل سفره الى جزيرة القديسة هيلانة ان يزوجه بها ولكنه لا يفعل ذلك الآن لان عواطفه نحوه تغيرت

وقد سر باقترانها بالمسيو دورنانو وقال : « انها غنية ولا بد من ان تكون قد ادخرت واني سخوت بالعطاء على ولديها » فقال غورغو : « بقيت جلالتك مدة طويلة تجري عليها رزقا شهريا قدره عشرة آلاف فرنك » فاجر الامبراطور وقاله : « وكيف عرفت ذلك » فقال غورغو : « لم اكن بعيدا عن جلالتك وكان أهل البلاط جميعهم يعرفون ذلك »

وقال نابوليون ذات يوم ان من البواعث على سخطه على مورات هو ان الملك يواكيم حجز في سنة ١٨١٤ اموال عقيلة فالفسكا في مملكة نابولي

وتكلم بصراحة عن علاقته بالآنسة جورج وعقيلة غراسيني وعقيلة دوشاتل وعقيلة فاليانو وعقيلة بلابرا ولمح غورغو الى امرأة اخرى من دون ان يذكر اسمها وهي عقيلة فوراس وقد قال عنها نابوليون « كانت في السابعة عشرة من عمرها وكنت قائداً اكبر للجيش » ووقت ما كان جالسا على العرش ظن الناس انه عرض عن معاشرة النساء وكان الامر كذلك وقد علل هو ذلك بقوله انه من طابعه شديد الشعور وقد خشي من تسلط النساء عليه وتأثيرهن فيه ولذلك تحاشى عشرتهن ولكنه جاهر فيما بعد بأنه اخطأ من هذا القبيل وقال : « اذا عدت الى العرش فسأخصص ساعتين في كل يوم لمخادتهن وساتعلم أشياء جمة منهن . » وحاول في الايام المئة أن يصلح ما ارتكبه من الخطأ بعدم الاكتراث لهن في الماضي وكيفما كان موقفه في فرنسا تجاههن فانه افاض في الكلام في هذا الموضوع في جزيرة القديسة هيلانة فحينما كان الحديث يجره الى ذكريات مؤلمة كان يقول « دعونا من هذا ولنتحدث الآن عن النساء . » وحدث مرة وهم على المائدة لتناول الغداء ان الجدال احتدم بينهم لمعرفة اي النساء اجمل السمينات ام الرقيقات وكان يدلي بالبراهين ليؤيد رأيه في تفضيل المرأة الشقراء على المرأة السمراء وكان يقول لا بد من قتل الوقت

وكان من الطبيعي ان يفضل الكلام عن معاركه على جميع الموضوعات ولم تكن تلك المعارك تقل عن ستين فكان يتكلم عنها بصراحة تامة ويقول : « الحرب فن قائم بنفسه واؤكد لكم اني اضرمت نار ستين معركة ومع ذلك لم اعرف عنها اكثر مما عرفته عن اول معركة وكان قيصر يحارب في آخر معركة كما كان يحارب في اول معركة من معاركه »

واخذ على حاتمة تبعة معركة روسيا فقال : « كنت صاحب السلطة وعلى وقع الخطأ ( ولم يشأ ان يعترف بمثل هذا الاعتراف بعد معركة واترلو ) ولما عرفت وانا في درسد ان اسوج وتركيا لاتباهران بمناصري كان يجب علي الا اظل ماضيا في حملي . . . أجل اني مع كل ذلك ظفرت بالروس في موسكو . . . وقد ارتكبت خطأ كبيراً باطالة مكثي في تلك المدينة ولولا ذلك لكان مشروعني بالنجاح وكان ينبغي لي ألا اقيم فيها سوى خمسة عشر يوماً وان اقضي بعد دخولها على فلور جيش كوتوزوف والذهاب الى مالوجاروسلافتر والزحف الى تولا وكالوفا والاقتراح على الروس ان اجلو عن بلادهم من دون ان ادمر فيها شيئاً » ولم يكن نبي عن القول : « ان زواجي بالارشيدوقة بعثني على محاربة روسيا . » والحق يقال انه توهم انه يستطيع الاعتماد على النساء وقال أيضاً : « ان بروسيا تطمع بتوسيع نطاقها » ولذلك ظن ان تينك الدولتين تشايعة على التكتيل بروسيا وانه يستغني بهما عن سواهما وقال بعد ذلك : « لقد تسرعت فكان يقضى علي بان اقضي سنة على ضفاف النيمان وفي بروسيا لكي يتسنى لي القضاء عليها » ومما لا بد من الاشارة اليه هو انه كان يبغض بروسيا بغضاً شديداً فكان يحذسه كان ينبئه بما تدبره له بروسيا من المعاطب .

وقال مرة أخرى : « كان اكبر خطأ ارتكبه في تلست فقد كنت استطيع خلع ملك بروسيا عن العرش ولكنني ترددت في ذلك حيناً من الزمان واثاموني ان الاسكندر لم يكن ليقم النكير علي ذلك بشرط ألا استولي على مملكة بروسيا وجاءني امير شاب من اسرة هوهنزلرن كان في جملة الضباط في اركان حرب برتية وطلب مني ان اجلسه على عرش بروسيا ولو كان متحدراً من فريدريك لبادرت الى اجابة سؤاله ولكن الفرع الذي كان ينتمي اليه كان قد انفصل من نحو ثلاث مئة سنة عن الارومة وصدقت ما كان ملك بروسيا يلني به من تأكيد ولائلي »

واعترف بأنه ارتكب خطأ مشؤوما بعد تقهقره في روسيا بعدم ارجاعه اسبانيا الى فردينان ولو فعل ذلك لكان جيشه قد زاد مئة وثمانين الفا وذلك من الجنود الذين يخلون اسبانيا وكان هوره في اسبانيا قد ابتدأ حينما اشتد الخلاف بين ملك اسبانيا ونجله وحينما قال هو : « لنطردهما فلا يبقى البوربون على العرش » وكانه نسي بوربون نابولي .

ويزعم نابوليون ان النمسا كانت سبب سقوطه وقد قال : « لولا معركة اسلنخ لقوضت اركان امبراطورية النمسا ولكنني خسرت خسارة كبيرة في اسلنخ ولذلك عدلت عن ذلك الامر فالنمسا عدوة فرنسا الحقيقية . » وقد ندم على ابقائه عليها وخطر له مرة ان يثير فيها الثورة من ريشتها وفكر مرة أخرى في تقسيمها الى الى ثلاث ممالك : النمسا والمجر وبوهيميا .

واي معركة يعدها اعظم معاركه . هل هي استرلنز . فجاوبه على ذلك : « ربما كانت كذلك » ولكنه يميل الى تفضيل معركة بورودينو على جميع معاركه فقد كانت معركة عظيمة بعيدة عن أرض الوطن وقال عن معركة استرلنز : « ان الجيش الذي توليت قيادته فيها كان أقوى جيش سقته الى ساحة القتال . ومن ذلك الحين صارت جيوشي تفقد شيئا فشيئا مما امتازت به من المزايا الحربية . » وكان جيشه في معركة وغرام اكثر عددا من الجيوش التي حارب بها وكان ينوه دائما بالخطوة الحربية التي رسمها في معركة اكهل وبياهي بها قائلا : « ان الخطوة التي رسمتها فيها كانت احسن خطة رسمتها فاني قاتلت بمخمسين الف مقاتل مئة وعشرين الفا وانتصرت عليهم . » ولو غاص في لجة الكرى في الليلة السابقة للمعركة لما استطاع قهر اعدائه فيها وقد قال في سياق الكلام عنها : « ايقظت لان برفسه يرحلي لانه كان مستغرقا في النوم : « فلا ينبغي لقائد الجيش ان ينام في الليل لان الليل وقت عمله ولذلك كان يركب مركبة في النهار لئلا يلم به التعب على غير جدوى وقد انكسر يوسف في معركة فيتوريا لان الناس استهواه .

وكان نابوليون يقول : « ليس القائد الكبير رجلا عاديا ولم اعرف من قواد الثورة من يستطيع التفوق سوى ديزه وهوش وكانت المعركة التي اذكي دموريه سعيها في شمبانيا من أشد المعارك هولا وصعوبة وكان دموريه الرجل الوحيد المشهور في القتال بين الرجال الذين تمهدوا من

الاعيان . » وابدى نابوليون ملاحظة غريبة عن كليبر فقال عنه : « انه كان محرزاً للمعائب الرجال الطوال النجاد ومزايهم العالية . » وقال عن تورين : « هو اعظم قائد فرنسوي وكان يزداد جرأة واقداما كلما تقدم في السن وذلك خلافا للمألوف بين الناس ... وقد فعل ما كنت افعله لو كنت في موقفه ... وهو رجل لو كان معي في وغرام لادرك في الحال مرمى الخطوة التي رستمها وكان كنده يدركها ايضا اما قيصر وحنيبعل فلا ... ولو وفقت برجل كتورين يعينني في معاركي لملكتم العالم ولكن لم يكن معي أحد وحيث لم أكن كان قواذي ينهزمون . ان كنده قائد بطبيعة وتورين قائد بخبرته واعتبره قائدا يفضل فريدريك البروسي ولو كان في موقفه لفاقه في اعماله ولما ارتكب ما ارتكبه فريدريك من الهفوات فان ذلك الملك مع كونه رجلا عظيما لم يدرك حقيقة منافع المدفعية » وقال في حديث له : « كنت في المعارك التي انتصر بها النسب لنفسي نصف الفضل وابقى النصف الآخر للقواد الذين يمتازون فيها بإبلائهم البلاء الحسن والحق يقال ان الجيش هو الذي ينتصر . » وكان ينصف القواد بقوله : « الجيش المتوافرة فيه شروط التنظيم هو الذي يعرف كل قائد فيه ما يجب عليه ان يعمله طبقا لمقتضيات الاحوال فافضل جيش هو الذي يقربنا . كثر من غيره من هذا الغرض الاسمى . »

أما رأيه في قواد جيوش اعدائه فقد كان محتفظا به في ابان حروبه معهم . وقال أحد رفاقه المقربين اليه في عهد حروبه ان نابوليون كان يعد الفيزي افضل قائد ناهضه في ايطاليا ولذلك لم يذكّر اسمه في نشراته الرسمية بيد انه كان يكيل المدبج جزافا لبوليو وورمسر والارشيدوق شارل الذين لم يكن يرهّب جانبهم . والراجح انه صار فيما بعد يرى غير هذا الرأي من جهة الارشيدوق . واني فيما بعد أن يروح لواردن برأيه في دوق ولتن . ولم يكن من وجهه - وهو في جزيرة القديسة هيلانة - لظهار رأيه فيه من دون ميل مع الهوى ولكنه لما كان جالسا على العرش قرن اسم ولتن الى اسمه بشكل غريب لما اكتسح ولتن بلاد البرتغال في اثناء تهاقره الى ليشبونة فقال : « لا يعمل مثل هذا العمل إلا ولتن وانا . » ثم عقب على ذلك بقوله : « ان اكتساح اقليم البلاتينا اعظم عمل اضطلع به لوفوى . »

وكان يأسف على جزيرة البافقال بكآبة : كنت من سنة في جزيرة الباف...  
وكان مستطاعاً لي ان أرتع في بحبوحة الرغد والهناء في تلك الجزيرة مع ما كان  
معي من المال الوافر ومع ما كانوا يظهرونه لي من مجالي الاكرام ومع مقامي  
بين ظهرائي علماء اوربا وتأليني منهم نواة لا يستهان بها... وكان ميسوراً لي  
أن اشيد صرحاً شاهقاً استقبل فيه على الرحب والسعة جميع الذين يزوروني.  
وكان يتسنى له ايضا ان يفتح ثغور الجزيرة في وجه التجارة . وكان لوسيان -  
وقد كان مجهل حقيقة شقيقه - يبتغي ان يمنحوه استخراج المعادن من  
الجزيرة بحانا

وقال برتران لغورغو أن جزيرة القديسة هيلانة افضل من جزيرة الباف لانهم  
كانوا في هذه الاخيرة يلقون ضرباً شتى من نكد العيش . وما من احد يعمري  
في أنه من اكبر نكبات الدهر ان يتحدر الانسان عن اعظم عرش في الدنيا  
لينزوي في جزيرة صغيرة من دون أن يتحقق انهم يكرمون وفادته فيها ولذلك  
كانوا يشعرون بانهم يصرح عزائمهم في خلال الاشهر الاربعة الاولى في ايام  
اقامتهم فيها . اما في جزيرة القديسة هيلانة فلا يشعرون شعوراً شديداً بذلك  
السقوط لانهم ألقوه . وكان نابوليون يبدي آراء متناقضة من هذا القبيل فكان  
تارة يتأسف على جزيرة الباف وتارة يلعن جزيرة القديسة هيلانة ولكنه أخذ  
ذات يوم يمتدح منها من جهة راحة حاشيته فيها ومما قاله عنها : « نعيش فيها  
عيشة راضية فنستطيع ركوب الخيل فيها وقد توفرت لنا ألوان الطعام والشراب  
على المائدة ونستطيع التجويل فيها اياماً وفي شئنا وهم يكرمونا ويمجلون مقامنا . »  
هذا الكلام رواه غورغو عن نابوليون .

وكان الامبراطور يسهب في الكلام بالتفصيل حينما يتكلم عن جزيرة الباف ،  
فانه لما فصل عن فنتنبلو في سنة ١٨١٤ لم يكن له كبير مطعم في العودة الى  
فرنسا . واول فرصة سنحت له واعادت اليه شيئاً من ذاهب آماله كانت لما  
انتهى اليه انهم دعوا نساء الاعيان الى المأدبة التي اذبت في دار البلدية .  
ومن الموضوعات التي كان يحب الخوض في مجال البحث فيها - وكانت  
طريقة البحث فيها تعرب من دهائه العملي - موضوع نققاته البيئية فكان  
يناقش الحجاب عليها ويقول في بعض الاحيان : لنفرض أن لدينا ميزانية منزل

هولندي يبلغ دخله السنوي مئتي ألف فرنك . . . ولكنه كان يعني بكلامه هذا ميزانية فرلسوي لأن الهولندي لا ينفق من ذلك الدخل الا ثلاثين ألف فرنك . وكان يوماً آخر يبحث في نفقة رجل ارصد لنفقته خمس مئة ألف فرنك في السنة ويقول انه يؤثر على كل شيء حالة ذلك الرجل بشرط أن يعيش في الارياض ويكون له منزل صغير في باريس على مثال المنزل الذي كان له في شارع شنترين . وأكدر لفاقه انه « يستطيع أن يعيش عيشة حسنة جداً في فرنسا باثني عشر فرنكا في اليوم فيكفيه فرنك ونصف فرنك للعشاء ويمكنه انتداب الماعهد الادبية والمكاتب العامة وملاعب التمثيل ودفع جنيته واحد اجرة لغرفته في الشهر . » وانتبه بعد ذلك الى حاجته الى خادم لأنه لم يكن يحسن لبس ملائمه وحده فاضاف مبلغاً آخر الى ميزانيته وقال « يستطيع الانسان ان يقضي عيشة سعيدة اذا خصص جنيها لنفقته اليومية بشرط أن يقدر على كبح جماح رغائمه بشكيمة ارادته ويتمتع بضروب الملاهي بمعاشره اترابه ونظرائه . »

\* \*

## من مفكرات الدكتور انطومرخي

لما اضطر الدكتور اميرا الى مغادرة جزيرة القديسة هيلانة من جراء ما كان هدمن لو يتعمده من التضيق عليه رضيت الحكومة البريطانية بارسال طبيب الى الجزيرة يعني بصحة نابوليون ووافقت على ارسال الدكتور انطومرخي الكورسيكي الاصل وقد طلبت والدته نابوليون وشقيقها الكوردينال فش من حكومة لندن الترخيص لذلك الطبيب بالاسراع في السفر .

واليك ما استهل به الدكتور انطومرخي مفكراته :

« تلقيت وانا في رومية تقرير الدكتور اميرا عن مرض الامبراطور وهذه خلاصته :

« ظهرت في أواخر سبتمبر اعراض تنبئ عن خلل في وظيفة الكبد وكان نابوليون قبل ذلك الحين يصاب بنزلات ويشكو من الصداع ونوب الرؤية وقد اشتدت تلك الاعراض يوماً فيوماً وظهر انتفاخ في الساقين والقدمين واتخذت الالته شكلا اسفنجياً مقروناً بجحر الاسنان ومصحوباً بأعراض التخممة .

اول اكتوبر سنة ١٨١٧ — اشتد الالم وارتفعت درجة الحرارة وصار  
الامبراطور يشعر بثقل في خاصرته اليمنى وبعسر الهضم

ولم يقف المرض من ذلك الحين بل كان يتقدم تقدما بطيئا مستمرا وكان الالم  
خفيفا في بدء الامر ولكنه أخذ في الازدياد حتى صرنا نحشى من حدوث نوب  
كبديّة حادة وكان اشتداد المرض ناجما عن الزلات الشديدة المتوالية

ونحرت ثلاث اضراس من اضراسه فاعتقدت انه كان لها شأن في التهاب عضلات  
فيه واغشيتها وخيل الي ايضا ان الزلات ناشئة عنها فقلعناها في فترات ملائمة  
ومن ذلك الحين قلت النوب . ووصفت له لشفاء الحفر الذي كانت الثة تم عليه  
الاكثر من اكل البقول وتناول الحوامض فأصبحت بغيري بذلك وشفي الحفر  
بالوسائل التي توسلت بها

ومادت ساقاه الى حالهما الطبيعي باستعمال المسهلات والتغميز على انه شعر  
بالم فيهما بعد حين من الزمان ولكنه كان خفيفا وكانت المسهلات والحمامات الحارة  
والعرق الغزير تخفف آلام الخاصرة من دون ان تزيلها تماما وازدادت في  
خلال شهري ابريل ومايو واصبحت غير منتظمة ونشأ عنها امساك البطن  
فلاسهال فاستفراغ مقدار كبير من المواد الصفراوية والمخاطية وصار يشعر بنوب  
منص ورياح باطنية وفقد الشهوة للطعام واصبح يشعر بثقل وقلق وضيق صدر  
وشحب وجهه واصفر وصار بوله حامضا وملونا وبات يشكو من وهن الفكرك  
والصداع ولم يبق قادرا على النوم على جنبه الايسر وصار يشعر بحرارة في خاصرته  
اليمنى وغثيان وقيء في بعض الاحيان تصحبه سقراء حامضة ولزجة . وكان ذلك  
يزداد مع اشتداد الالم وهجره النوم او كاد وصار يشعر بتعب وضعف .

وعاد الالم الى ساقيه ولكنه كان اخف مما كان عليه قبلا وعاد ايضا الصداع  
والقلق والاضطراب والنقل في الشراسيف والى جانب القلب من الامام وكانت  
الحرارة ترتفع عند دخول الليل وتلتهب البشرة وكان يشعر بعمش وألم في القلب  
ويسرع النبض في الحركة ثم تعود اليه السكينة ويعرق عند تباشير الصباح وكانت  
تلك الحالة ثابتة عند المريض . ومن خصائص العرق الغزير عنده اخذ حرارة  
الحمى وكان في جهة الخاصرة اليمنى خراج يشعر به من الخارج حينما يضغط عليه  
وكان لسانه ابيض دائما على اريب وصار نبضه ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة



وكان قبل مرضه ينبض ٥٤ نبضة الى ٦٠ نبضة وصار يشكو من الألم فرق عظم الكتف ووصف له مسهلان لتحريك الكبد والبطن واعداد افراز الصفراء فشعر براحة وقتية وكانت تأثير ذلك يسيرا ووقتيا في أواخر مايو وأوائل يونيو واقترح اعطاؤه الزئبق ولكنه ابي استعماله باي صورة كانت واشير عليه بركوب الخيل للتنزه وبترك الخاصرة بشعرية كل يوم ولبس الفلانلا وبلاستحمام بالماء السخنان وباستعمال الادوية وبترويح الخاطر وملاحظة الحمية في الطعام والشراب وتجنب التعرض للتقلبات الجوية . وكان قد أهمل أمرين خطيرين الرياضة البدنية والسلوى واستطعنا التغلب على عناده في ١١ يونيو فاقنعتنه باستعمال الزئبق فاخذ حبوبا زئبقية وظل يستعملها حتى ١٦ منه وكنت اعطيه تلك الحبوب في المساء والصباح واعطيه مسهلات من حين الى آخر لمقاومة الامساك وغيرت الوصفة بعد ستة أيام واستبدلت الزئبق بالكالومل او الزئبق الخلو ولكن نشأ عنه ألم في القلب وقيء ومغص واضطراب عام في جسمه فعدلت عن اعطائه اياه ولكن عدت الى وصفه له في ١٩ منه فنجم عنه الاعراض نفسها فرجعت الى العلاج الزئبقي الاول واعطيته اياه ثلاث مرات في النهار ووقفت العلاج في ٢٧ منه . والمنزل الذي يقيم فيه شديد الرطوبة وكان نابوليون قد اصيب بنزلة شديدة واشتدت عليه الحمى فعاد الى استعمال العلاج نفسه في ٢ يوليو حتى ٩ منه ولكن لم يأت بالفائدة المطلوبة وكانت الغدد اللعابية على حالها وازداد الارق والتهيج وتوالت نوب الدوار وقد تألبت عليه الاحوال الجوية القاتلة في الجزيرة والجمود مدة سنتين وسوء تهوية المنزل الواطي المقيم فيه وسوء المعاملة والافراد والاهمال وكل ما يهيج ساكنات العواطف . وهل من عجب بعد ذلك اذا ألم الاضطراب بالكبد فلم تقم بوظيفتها واذا كان ثمة من وجه للعجب فهو بطء تقدم المرض وما ذلك الا لصلاية نفس المريض ومثانة بنيته فانها لم تستهدف قط للافراط .

( التوقيع ) باري اميرا

جراح وطبيب الخ

ان هذا التقرير جعلني اصمم على السفر الى جزيرة القديسة هيلانة فركبت البحر في دبتفور طبقا لاوامر الوزارة البريطانية في ٩ يوليو في سفينة تجارية مشحونة دقيقة ولما وصلنا الى رأس بالم دنونا من الشاطئ فاسرعت اليينا

الزوارق وجاؤونا بألوان الطعام الكثيرة وسألنا أحدهم الى أين تذهبون فقلت الى جزيرة القديسة هيلانة . ولما سمع ذلك لبث جامدا ثم قال بصوت متهرج : انتم ذاهبون الى جزيرة القديسة هيلانة ولكن هل مايقال عن وجوده فيها صحيح فسأله الربان ومن تعني بكلامك هذا فنظر اليه ذلك الافريقي نظرة احتقار ودنا منا والتي علينا السؤال نفسه فاجبناه بأنه لايزال فيها . فرنا اليها وهو صامت ثم هز رأسه وقال : ان هذا من المستحيل . فصار الواحد منا يتطامع في الآخر ولم نعرف ذلك الممجي الذي كان يتكلم بالانكليزية والفرنسوية وكان شديد الاعجاب بالامبراطور فقلنا له : وهل تعرفه . — من عهد بعيد — وهل ابصرته — في عنفوان مجده . — واين ابصرته — في القاهرة وفي الصحراء وفي ساحة القتال . — وهل انت مرتاب في المصائب الذي نزل به . — ان ذراعه قوية ولسانه عذب ولا شيء يقوى على الوقوف في وجهه . — وقد بقي ردحا من الدهر يتصرف بمقدرات اوربا . — لا يستطيع اوربا ولا العالم قهر هذا الرجل العظيم فالملك والباشاوات كانوا يفرون امامه وهم لا يملكون على شيء فهو رب الحرب . — واين عرفته . — قلت لكم اني عرفته في مصر . — وهل انتظمت في سلك جيشه . — كنت في الفصيصة الحادية والعشرين وقضينا مدة في سمود والقصر وغيرهما من الاماكن وماذا جرى للجنرال بليار . — لايزال حيا يرزق وقد اشتهر باعماله الحربية في اكثر من عشرين معركة فهل تعرفه ؟ — كان قائدا للفصيصة الحادية والعشرين وكان يضرب في اجواز الفلاة كأنه من سكان البادية ولم يكن يصده حاجز ما عن التقدم . — وهل تتذكر الجنرال ديزه . — لا ينسأ أحد من الذين كانوا في حملة الوجه القبلي فانه كان شجاعا وجريئا وكريما وقد خدمته مدة طويلة . — وهل كنت جنديا . — لم أكن جنديا في بدء الامر بل كنت عبدا لاحد انجال ملك دارفور فارسلوني الى مصر واساؤوا معاملتي ثم باعوني وساقني الحظ الى خدمة حاجب من حجاب ديزه العادل فالبسوفي الملابس الاوربية وعهدوا الي في القيام ببعض الاعمال البيتية فنهضت بها خير نهوض وقد سر السلطان ( الاسم الذي كانوا يطلقونه على الجنرال بونابرت ) مني وامر بان اتقيد بخدمته وكنت اتهيج بك آخر قطرة من دمي في سبيل خدمته ولكن يستحيل ان يكون بونابرت في جزيرة القديسة هيلانة . — ان نكبتة حقيقة فالحياة والمؤامرة .... — ان كل

شيء كان يذل ويخضع له وكانت كلمة لطيفة منه تقيل عشارنا وتزيلنا سؤلنا ولم نكن نرهب شيئاً حينما كانت طلعت تشرق علينا . - وهل حاربت تحت رايتك . - جرحت في إحدى المعارك فارسلت الى الوجه البحري وكنت في القاهرة لما ظهر مصطفى فتحرك الجيش وسرت معه ووصلنا الى ابي قير فما كان أشد سداد رأيي بونايرت وما كان أجراًه في الهيجاء ومن المستحيل ان يظفر به أحد ولا اصدق انه في جزيرة القديسة هيلانة .

واصر على انكاره وجود نابوليون في الجزيرة فلم نشأ أن نمحو من ذهنه ذلك الوهم العزيز عنده واشترينا منه تبغا وبارودا وملابس واشياء أخرى تافهة ثم غادرنا راضيا ومسهبا في الكلام عن الفصيلة الحادية والعشرين وقواده واستحالة وجود رجل عظيم كـنابوليون في جزيرة القديسة هيلانة واقلمت السفينة بنا وقاسينا احوالا في البحر ووصلنا أخيرا الى جزيرة القديسة هيلانة في ١٨ سبتمبر ولما ابصرنا الجزيرة عن بعد في وسط تلك اللجة بدت لنا صخرة صماء موحشة فناجيت النفس قائلا : على هذه الصخرة القوا الامبراطور وقد تألبت الملوك عليه للانتقام منه ونسوا مكارمه حينما كان يظفر بهم في الحروب . وكنا موشكين ان نطأ تربة تلك الجزيرة ونستنشق الهواء نفسه الذي يستنشقه الامبراطور ونشاطر سيد العالم مصيره . ولم يركونا نزل الى الجزيرة حين وصول السفينة اليها بل أخرنا وزلنا الى غد ذلك اليوم فسألت مندوبي الحاكم عن صحة نابوليون فقالوا لي : « ان صحته جيدة جدا وهي افضل من صحتنا . »

وبعد ما حفصوا امتعتنا ومحنوا في جيوبنا اخذونا الى مقر الحاكم هـدـصـنـلو فأحسن استقبالنا ودعانا الى الغداء على مائدته وكان يكثر من الكلام عن كورسينكا ويسألنا عن امور شتى عنها وقال انه قضى مدة في اجا كسيو . واطنب الحاكم في حسن الاحوال الجوية في جزيرة القديسة هيلانة وجودة هوائها واعتداله .

ثم اننا توجهنا الى لونود مقر الامبراطور ولما وصلنا اليه ذهبنا توا الى الجنرال برتران وهو يقوم بتصرف الامور ويكفي نابوليون مؤونة الاهتمام بها وكان جلالته قد تلقى جرائد لندن وأخذ يقرأ في جريدة « المورننغ كرونكل » ما كتبته تلك الجريدة عني فانها اسهبت في الثناء علي بصفة كوني عالما نباتيا

مشهورا ولم تذكر كلمة ما عني كطبيب . فقام في ذهنه اني لم اكن بارعا في الطب ولذلك لم يثق بي وتنكر مني . ولما اخبروه بوصولي كان يفكر عني بمثل ما تقدم بيانه فقال للمرشال الاكبر : « اذهب والنظر وقل لي من هو هذا الرجل الذي ارسلوه الي وتحقق قبل كل شيء عن مقدرة الطببة . »

ودعاني الجنرال برتران مع الاب فينيالي الى الغرفة المجاورة ولما جلسنا سألني عن الوقت الذي تركت فيه رومية وهل اعرف أسرة الامبراطور وكيف حال والدة جلالتهم والكردينال فش ولوسيان وبولين وغيرهم . وكيف اختاروني للسفر الى جزيرة القديسة هيلانة وبأي صفة قدمت اليها وابن زاولت الطب وهل كان معي رسالة لنا بوليون من ذويه توصية بي واي سبب حملني على ترك ايطاليا للمجيء الى تلك الجزيرة الفقراء ومن رأيت في أثناء سفري من رومية الى لندن ومن الذين خالطتهم في لندن وماذا قالوا لي فيها . فجأوبته على جميع الاسئلة التي القاها علي ثم قدمني الى قرينته الكونتة فاحسنت استقبالي وسألني بعض اسئلة عن البلدان التي مررنا بها وبعد ما طرأوا اسئلة من نوع اسئلتي على الاب فينيالي دعونا الى العشاء ودلونا على الغرف التي اعدوها لنا وبينما انا اخلع ثيابي دخل علي الجنرال برتران وطلب مني ان اذهب معه الى الجنرال منطولون فانه ينبغي التحدث معي فسرت معه اليه وانا لا أدري سبب تلك الحركة وقلت له : ان الاتفة دون سواها حملتني على انتجاع جزيرة القديسة هيلانة ولم يكن لي مطعم الا في خدمة اعظم رجل في عصرنا ولم أدخر وسعا للقيام بتلك المهمة حالما علمت انها تتعلق بالامبراطور واني مستعد لتضحية جديدة اذا نبذت خدمتي فاعود في الحال الى اوربا . ثم هدت الى غرفتي وطار الغوم من عيني ولم اشعر بشيء من التعب الذي كنت اشعر به قبلا وعرفت من الطباخ شندليه الذي رافقنا الى الجزيرة اهم القوا عليه اسئلة كثيرة عن سفرنا والاشخاص الذين خالطناهم وما سمعناه من الاخبار وان الامبراطور دعاه اليه وسأله عما قالوه في رومية عن اختيار الطبيب والسكانين وعن اشياء أخرى كثيرة ففهمت من ذلك ان الامبراطور كان شديد التحفظ مني ولم ادر سبب ذلك .

ولما طلع الفجر انتظرت بصبر جل تلك العقدة وجلاء الغامض فدخل علي النكونت برتران وطلب مني ان اقدم تقريرا مكتوبا بالتفصيل عن عمل ولادتي

وسني واسرقي والمدة التي درست فيها وسألني عن المكان الذي زاولت فيه الطب وعن المدة التي قضيتها في مزاولته وأي فرع من الطب تخصصت له فاخبرته بالاجاز في الحال عما طلب معرفته مني واربطه شهاداتي واوراقي وكتاب الكردينال ودعي الابوان فينيالي وبونافينا الى بيان حقيقة حالهما وتقديم البراهين المؤيدة ذلك .

ولم تكرم وفادتنا في لونود وكان الباعث على ذلك انه لم يكن معنا مكتوب توصية فالكردينال فش لم يتيسر له ان يكتب ذلك المكتوب من جراء وفرة اشغاله للامبراطور او للمرشال الاكبر ولم ينتبه احد من أفراد الاسرة الى سد ذلك النقص فارسلتنا الحكومة البريطانية ومعنا توصية من الوزارة فرحب بنا حاكم الجزيرة وكان ذلك كافيا لتحذر الفرنسيين منا . وبعد اخذ ورد قبلونا لاننا فرنسيون وكورسيكيون فمثلت في حضرة الامبراطور في غرفته الصغيرة ولم يكن النورالكثير يدخلها وكان في سريره فدنوت منه باحترام وخشوع ولما رأي على تلك الحال خاطبني بلطف وقال لي بالايطالية ادن مني أنت الذي من رأس كورسيكا وكان يخاطبني فيما بعد باللغة الايطالية في جميع احاديثه معي . ادن مني لكي استطيع رؤيتك وسماحك لان اذني ثقلنا على هذه الصخرة العماء فاقربت منه ورماني بنظرة عطف وقال : كنت قريباً من بلادك في حدائتي الاولى ونزلت الى البر قراب مورسيايا في ميناء ماسينايا وذهبت من هناك الى روليانو وقد ابصرت فيها منزلا جميلا ثم واصلت السير الى تومينو فبورنيسولو ومن هناك شخصت الى باستيا ووجدت مشقة كبرى لوجود جواد ورجل يرافقني وقد وفقت الى ذلك اخيرا . وكان الجواد عاري الاشاجم كانه هيكل عظام ولكنه كان متعودا السير في تلك الطرق الوعرة ووصلت الى باسنيا وقد سررت من دليلي وسر هو ايضا مني .

ولكن حسبنا ما تكلمناه عن تلك البلاد التي لامطمع لي برؤيتها مرة أخرى ففصل لي الآن كم من الزمان اتقضى عليك بعد ذهابك الى كورسيكا للمرة الاخيرة . - سنتان يا صاحب الجلالة . - كم لك من العمر . - نحو ثلاثين سنة . - نوكم لوالدك من العمر . - نحو سبعين سنة . - تقول انه كاتب عدل ولكن هل

يمهدو حذو زملائه في تزوير الصكوك في بعض الاحيان . - ان والذي يحترم  
عند وطنيه وقد احرز ثقة الجميع . - بناء عليه لاسبيل الى الشكوي منه وهل  
تذكر فتحي لايطاليا في المرة الاولى . - احفظ لذلك ذكرى مهمة . - كان الجميع  
متحمسين وكانوا يهتفون هتافا يطبق القضاء ويزدحون محتشدين في الاماكن التي  
أمر بها ويكرموني اكرامهم لمعبودهم . وظلوا مقيمين على عهد الامانة والاخلاص  
لي وانت لا تستطيع تذكر ذلك لانك كنت حدثا في ذلك الحين وبعد عودتي من مصر  
نزلت في اجاكسيو ثم في فريجوس وكانوا يبالغون في تكريمي واکرام وفادتي . -  
اذكر يامولاي ظهورك غير المنتظر وقد غير وجه اوربا وكنت الصمم باعجاب ما  
كانوا يروونه عن اعمال الجنرال بونا بارت الخطيرة وكان الناس يشربون نخبك  
يا صاحب الجلالة ويتمنون لك التوفيق . - وكم كان لك من العمر لما فصلت عن كورسيكا  
.. نحو خمس عشرة سنة : - في ليفورنو كثيرون من وطنيك الاغنياء . - نعم  
يامولاي وقد اصبح كثيرون منهم معدودين من الاعيان وهم يلقون رعاية  
لدى الفرندو . - وهل درست في بيزا . - ابتدأت بدروسي في ليفورنو  
واكملتها في بيزا وفلورنسة ثم اتخذت فلورنسة محلا لاقامي ولبثت فيها ازاول  
التطبيب حتى سافرت الى هنا . - وهل كان أهل تسكانيا يحبون الفرندوقة البزا . -  
كانوا يحبونها ويخافون منها في وقت واحد . - وهل كانت تعمل شيئا لاستمالة  
رعيثها اليها . - كانت تعزز الفنون وتظلل العلوم بكنفها وتتولى الحكم لخدمة  
مصلحة الجميع . - انها انشأت في لوك معاهد فخمة ومفيدة واطن انها غنية .  
اولا تظن ان التسكانيين سروا برؤية حاكمهم السابق . . .

ثم قال له نابوليون : ما هو الباعث على قبولك المجيء الي لمشاطرتي المنفى . -  
اؤكد لجلالته اني لا اطمع بالذهب ولا بجزء من غنيمة ما ولم أساوم في الشروط  
لجبيئي فقد اقترحوا علي أن أقدم عليك وحسبي ذلك فخرا ومجدا وليس لي  
مطمع في سوى ذلك . - ولما اذا لم تقرر مرتبا بالاتفاق مع اسرتي قبل تلبية  
دعوة صديقك كولونا . - ليس في المنافع المادية ما يعادل التضحية ولم يحملني  
على تقرير القدوم عليك الا حب المجد وحده . - المجد حسن ولكن لو كانوا قد  
اجبروك على الرجوع من حيث اتيت فاذا كنت تصنع وماذا كان مصيرك . -

إن الاستقبال الذي استقبلوني به كسف بالي وبما زادني الما هو الارتياح في ..  
 أنت كورسيكي وهذا الامر شفع فيك ولا بد من أن يكون الغرندوق مسرورا  
 من رؤيته أحد رجاله يأنيي بمعونته الطيبة على هذه الصحرة الصماء . - اظن  
 ذلك يا حضرة صاحب الجلالة فقد كنت شديد العطف عليه . - عرفتة معرفة حقيقية  
 وكانت ماري لويز تحبه وكان مفتونا بمحاسن ملكة نابولي وكنت أعده أميرا  
 كريم الاخلاق . وهل اطلت اقامتك في رومية . - نحو شهرين . - لقد سبحت لك  
 الفرصة لزيارة أهم معاهدها ويسؤني ألا اكون قد شاهدها وقد صممت على  
 اعادة عظمتها القديمة اليها وجعلها عاصمة ايطاليا ولكن الاقدار لم تشأ ذلك ...  
 وقيم الآن فيها فريق من أسرتي فالبا با شيخ جليل وقد رعت حرمة مقامه  
 السامي في كل حين . . . والآآ . . . كلني بصراحة وقل لي ما تعرفه عن  
 أسرتي وابتدىء بالسيدة الوالدة لانيسيا . - لم تقو النكبات على هدم صرح  
 عزيزتها فهي تناهض الخطوب بما أوتيته من الشجاعة وهي راموز الازعان وعلو  
 الهمة . - وهل تستقبل الناس وهل تخالط الناس في الهبة الاجتماعية وما هو نوع  
 معيشتها . - اعتزلت معاشر الناس ولا تستقبل إلا أفرادا تمنحهم من ذات نفسها  
 واولادها الذين في رومية يلتفون حولها ولكن جميع افكارها وأمانها موجهة  
 الى جزيرة القديسة هيلانة وهي تلتظر كلمة واحدة لترك البحر غير مبالية باللبة  
 لتضمك الى صدرها . - لقد كانت امرأة فاضلة في جميع أدوار حياتها واما فاقدة  
 النظير واحبتي في كل حين أو لم تغادرها في حالة أسى شديد . - كانت في بدء  
 الامر تحاول اخفاء تأثيرها ولكنها ما لبثت أن ثابت الى نفسها وأبدت شجاعة  
 أدبية تفرق طوق الانسان . - انا متحقق أنها لا تحجم عن اقتحام المخاطر التي  
 اقتحمها ولكن هل تخالط الناس . - تزور في بعض الاحيان اولادها ونيافة  
 الكردينال . - وهل يشاهدها الكردينال كثيرا . - عدة مرات في اليوم . -  
 وأولادها . - كل يوم على التقريب . - وبولين . - أقل منهم لان توعدك صحتها  
 يحول دون ذلك . - ومارأيك في مرضها . - لا أعرف حقيقته . - وهل تعرف  
 جميع أفراد أسرتي المقيمين في رومية فكيف خالهم وماذا يقولون عني . -  
 جميع افكارهم متجهة الى جزيرة القديسة هيلانة ولا مطمع لهم الا في خلاصك  
 من الاسر . - قل لي بالتدقيق كل ما قاله لك كل منهم بان تبلغنيها فاذا قالت

لك والدتي . - هي واولادها يقفون جميعاً أمواهم في سبيل خلاصك وراحتك  
وعند أول اشارة تتعري من كل شيء ولو اضطرت الى المعيشة في الشقاء والفقر  
المدقع . - وماذا قال البرنس دي كائينو . - قال انه اتفق مع يوسف على أن يأتي  
كل منهما في نوبته لقضاء ثلاث سنوات عند جلالتك اذا لم ترفض ذلك . - وماذا  
قالت بولين . - قالت انها تنتظر أوامرك لتسرع في المجيء الى جلالتك . -  
سننظر في ذلك . ثم ابتسم وقال بعد ماصمت هنيهة : لا أطيق أبداً أن يأتي أحد  
من أفراد أسرتي الى هذه الجزيرة ويتجرع كؤوس الاهانة من الانسكينز  
ولا أريد أن يشهد أحد منهم ذلك خفي أن أتجرعها وحدي . ثم انتقل الى  
موضوع آخر وقال : أو لا تزال السيدة لاتيسيا متمتعة بنضارتها . - انها لا تزال  
على ما كانت عليه من حسن الصحة . - أو لا تزال بولين فتنة للناظرين . - لا تزال  
كما تعهدا . - أنها لم تمن بغير التأنق في ملابسها وارتشاف كؤوس الملاذ  
والمسرات وهل يجتمع لويس بلوسيان . - انهما يجتمعان مرات كثيرة عند السيدة  
الوالدة . - وهل يستقبلان الناس في بيتها . - ان البرنس دي كائينو يستقبل بعض  
الكبراء الذين يركن اليهم أما لويس فيعيش في عزلة . - أو هل تظن انه يقضي  
وقته في التعمد لله . - كذا يقولون ويزعم بعضهم أنه شديد التعمد . فضحك  
الامبراطور وقال : وماذا تعرف عن صحته . - انها في حالة يرثى لها ولم يبق  
للادوية من تأثير فيه . - ما كان أجمل شبيبته لما أخذته معي في جماتي الاولى على  
ايطاليا ولكن خجله كان وخيم المغبة عليه ومن نكد طالعه اني لم أقف على  
ذلك في الحب الملائم ولو اطلعت على حقيقة حاله لكان الآن سليم الجسم  
ولا ضطلع بما اسند اليه من المهام خير اضطلاع ولما قضى عليه السقم بنذ المجد  
والفخار ولكان شاطرنا عظمتنا . وكم للبرنس كائينو من الاولاد . فقلت لم أر  
غنده إلا بنات . - ومن رأيت لما كنت في رومية ، فسميت له الاشخاص الذين  
كنت اجتمع بهم . فقال : أو لا يزال الكردينال من هواة التحف الفنية وهل  
يعنى دائماً بالصور . - يأتونه بمركبات مشحونة ضورا في كل يوم فيفحصها في  
مكتبه ويشترى منها ما يروقه ويرجع ما لا يروقه منها وهو ينفق على شرائها مبالغ  
طائلة من المال . - متى غادرت رومية . - في ٢٥ فبراير . - وهل دفعت لك السيدة  
لاتيسيا مبلغا كبيرا من المال . - مثني ذهب ونحويلا بأثني عشر ألف فرنك على



مدير مصرف في لندن لها عنده نقود . - اظن انها اغنى فرد في الاميرة وقد كنت الوهما على الاقتصاد في نفقاتها وهل شاهدت ماري لويز عند مرورك ببارم . - كانت غائبة عنها وكان الامر قد صدر لي بالألا ادع احدا يدري حقيقة مهمي . - هل عرفت ان لها صلة بوالدتي او بغيرها من اسرتي . - كتبت السيدة الوالدة لها مرتين من دون ان تتلقى جواباً منها . - اظن اهم لا يرخصون لها بالكتابة اليها ومن هم الذين لقيتهم في اثناء سفرك .

فذكرت له اسماءهم واخبرته بكل ما قالوه لي ثم انه قال لي: وهل رأيت الاميرة جوليا في فرانكفور . - استقبلتني بما امتازت به من مكارم الاخلاق . - وكيف حال كريمتها . - انهما كبرتتا وبدتا للانظار فتانتي المحاسن وناضرتين كأنهما وردتان . - اظن ان احدهما ستقترن باحد انجال لوسيان او لم تسمع شيئاً عن ذلك . - التقت علي الاميرة طائفة من الاسئلة عن البكر فشعرت بانها ميالة اليه . - ان قرانها يسرني ولكن هل اكرموا مثواك . - نعم يا صاحب الجلالة . - انها ارق امرأة عرفتها ولها قلب كريم يندر أن يكون لغيرها مثله . وهل ابصرت لاس كاس . - نعم يا صاحب الجلالة . - وكيف حاله . - انه مصاب بعلّة ناهكة . - وهل رأيت نجله عما نوئيل . - كان في ستراسبورغ . - اظن ان الابوين رفيقيك قالوا لي انكم لم تلقوا ادنى مشقة في سفركم من رومية الى لندن . - كان سفرنا ميسراً يا صاحب الجلالة . - متى وصلتم الى لندن . - في ١٩ ابريل . - وكم من الوقت قضيت فيها . - فصلنا عنها في ٩ يوليو . - من هم الذين خالطتهم اكثر من غيرهم . - الاطباء ورجال الفن ولا سيما الذين زاولوا التطبيب في البلدان الحارة . - ومتى مثلتم في حضرة اللورد بانرست . - في غد اليوم الذي وصلنا فيه . - وماهي الاسئلة التي القاها عليك . - سألنا عن رومية وعن الكردينال والسيدة الوالدة والبرنس دي كانيانو وسألنا هل يعتقدون انك مريض . - وماذا اجبتهم . - انهم لا يشكون في ذلك وان تقارير اوميراوستوكو لا تبقي لهم مجالاً للريب . - وماذا قال لك بعد ذلك . - قال ان تلك التقارير غير صحيحة وانه تلقى اخباراً رسمية فخواها انك متمتع بصحة تامة واننا نستطيع ان نكتب الى رومية ونخبرهم بذلك . - وكم مرة اجتمعت به . - ثلاث مرات أو اربع مرات . - وهل قابلت اللورد هولند . - اعطاني البرنس دي كانيانو كتاباً الى سمادته بوصيه بي

.. وهل اكرم وفادتك وهل رحبت بك اللادي هولند .. لم تدخر شيئا من اللطف في استقبالي .. وهل يقيم اللورد هولند في لندن أو في الارياف .. يقيم في مكان يبعد عن العاصمة .. او لم تشاهد او اميرا مرات كثيرة .. كنت اجتمع به في كل يوم .. وماذا قال لك عي وعن مرضي ..

فسردت له بالايجاز ماتضمنه تقرير الدكتور او اميرا فقال لي : وهل هو مسرور مني .. انه مسرور جدا منك يا صاحب الجلالة - اخبرني بالتفصيل عما شاهدته في لندن وعما كنت تعمله في ابان اقامتك فيها .

فقصصت عليه كل ما كان يبتغي معرفته ثم عاد الي اللقاء الاسئلة علي فقال ان لندن مدينة كبيرة فكيف وجدتها .. انها واسعة وكثيرة السكان .. وهل ذهبت الى باريس .. لم اشاهد فرنسا قط .. والآن اذهب لرؤية الجبرال منطولون وادع الطبيب الذي يطببه وباحثه في الامراض التي تصيب الناس في هذه الجزيرة فلا بد لك من استشارة الذين درسوها .

ودعاني الامبراطور اليه بعد ساعات وكان في الردهة ولم يكن فيها سوى شمعة ضئيلة تنيرها فطرح علي عدة اسئلة لها صلة بالموضوعات التي دارت عليها رحي الحديث بيننا قبلنا ثم أخذ يتكلم في علم التشريح والفيزيولوجيا وظاهرات الجنس وكان يبحث فيها بحثا يدل على معارف دقيقة فيها وعلى سداد رأي واصابة نظر واطلاع على الحالة التي صار اليها العلم في ذلك العهد وقد جعلني اقدم امتحانا بشكل حديث دار بيننا من دون أن يظهر انه يفعل ذلك عمدا وامتدت اسباب الحديث بيننا نحو من ساعة في تلك الموضوعات العلمية واسعدني الحظ بان اجابته اجوبة مرضية فصرفني بعد ما جاملني في الحديث بمجاملة حسنة بكلام رقيق عذب وكان السكونت برتران حاضرا للمقابلة .

ودخلت على الامبراطور في ٢٣ منه فوجدته مستلقيا على سريره وكانت الغرفة منارة جيدا فاستطعت هذه المرة أن ابصر تأثير الداء فيه وبينما انا اخصه والاحظ الاعراض فيه كان يوالي اللقاء الاسئلة علي في موضوعات شتى فقال لي : ماذا تري يا حضرة الدكتور هل اظل وقتا طويلا سببا لتخمة الملوك .. ستمعيش بعدهم يا مولاي .. أظن ذلك فاهم لا يمكنهم أن يبعدوا عن اوربا اخبار

انتصاراتنا فستجتاز العصور وتحدث عن الغالين والمغوليين وعن كرام القوم ولثامهم وستبرز الاجيال الآتية احكامها لكنني لا اخشاها . — ان هذه الحياة ملك لك ... ولكنك لم تنته بعد الى غايتها فليك مجال واسع تجري فيه . — كلا يا حضرة الدكتور ان البريطانيين قضوا لبائهم مني ولا يستطيع ان اعيش عمرا طويلا في هذا الاقليم الوبيل الهواء . — ان بنيتك القوية تقوي على جميع الحن . — ولكنها لا تقوى على قوة النفس التي جادت بها علي الطبيعة فالانتقال من حياة شيطنة الى حياة الخمول التام قضت على كل شيء في فقدت عزيمتي ووهنت قواي .

فلم احاول ان اقنعه بخلاف ما كان يرثي فغيرت مجرى الحديث فاخبرني عن نوع معيشته وقال لي : في اثناء حروبننا في ايطاليا كنت اضم ورائي على السرج خمرا وخبزا ودجاجة مقلية وكان ذلك يكفيني سحابة نهاري وكثيرا ما كنت ادعو رفاقي الى مشاطرتي طعامي وشرابي ... ثم اني اسرع في الاكل فلا اضيع الوقت على المائدة وانامصاب بالتهاب مزمن في الكبد وهو مرض البلدان الحارة ولا بد لي من تحمل عواقبه الوخيمة ومن التكبر على هذه الصخرة الصماء عن المجد الذي جللت فرنسا به والضربات التي ضربت بريطانيا العظمى بها وأنت قد ابصرت بعينيك طرق معاملتهم لي ...

.....

ونظم نابوليون وصيته و اضاف اليها الذيل الآتي نصه : —  
« ١ — ارغب بان يتوي رفاقي على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي احببته كثيرا

٢ — اترك للكونت برتران والكونت منطولون ومرشان المال والجواهر والآنية الفضية والخزفية والرياش والكتب والسلاح وبالاجمال كل مالي في جزيرة القديسة هيلانة .

وهذا الذيل كتبته كله بيدي ووقعته وبصمته بشعاري .

نابوليون»

ولما توفي نابوليون اطلع الذين عينهم لتنفيذ وصيته حاكم الجزيرة عليها فانكروها عليهم وقال انه لا يسلم البتة بنقل الجثة وانه يجب ان تدفن في الجزيرة

وبعد اللتيا والتي لم يتمكنوا من اقناعه بتركهم ينقلون الجثة الى فرنسا فلم يروا بدا من الازعان .

وطلبت ان يأتوني بجيس لكي اصنع به قالبا لآخذ صورة الامبراطور فلم يجدوا جبسا ولكن الدكتور برتون هدام الى مكان فيه معدن من الجبس فجأؤوا به وصنعت منه القالب الذي اردت صنعه وبعد ما اخذت به صورة وجه الميت اشرت تشرىح الجثة .

وحضر التشرىح الجنرال برتوان والجنرال منطولون ومرشان منفذا وصية العاهل وحضر ايضا السر توماس ريد وضباط من هيئة اركان الحرب وثمانية اطباء .

وكان الامبراطور قد اوصى بشعر رأسه لاعضاء امرته واليك ملاحظاتي على الجثة :

١ — هزل الامبراطور هزالا شديداً بعد وصولي الى جزيرة القديسة هيلانة واصبح يزن ربع ما كان عليه قبلا

٢ — كان الاصفرار قد علا وجهه وجسمه من دون ان يغير شكلهما ومن دون ان يجملهما بشكل جثث الموتى وبقيت طلعتة جميلة وكانت عيناه مطبقتين فكانه لم يمت بل كأنه مستغرق في النوم وكان على ثغره شيء من الابتسامة وقد انقبضت الجهة اليسرى كأنه يضحك ضحك التهكم

٣ — كان اثر كي على ذراعه اليسرى وعدة ندوب منها ندب في رأسه وثلاثة في ساقه اليسرى وواحد في كعبه للجهة الوحشية وآخر على طرف بنصر اليد اليسرى وكثير غيرها على الفخذ اليسرى

٤ — كان مجموع الطول من ام رأسه الى اخمص قدميه خمس اقدام وبوصتين واربعة خطوط

٥ — وكانت المسافة من طرف الاصبع الوسطى في احدي يديه الى طرف الاصبع الوسطى في اليد الثانية خمس اقدام وبوصتين

٦ — وكانت المسافة من عظم العانة الى قمة الرأس قدمين وسبع بوصات واربعة خطوط

٧ — ومن العانة الى العقب قدمين وسبع بوصات

- ٨ — ومن قبة الرأس الى الذقن سبع بوصات وستة خطوط  
 ٩ — وكان محيط الرأس عشرين بوصة وعشرة خطوط وكانت الجهة مرتفعة  
 والصدغان هابطين قليلا وجهة الأفوخ قوية ومنبسطة  
 ١٠ — وكان شعره خفيفاً ذا لون كستنائي فاتح  
 ١١ — والرقبة قصيرة قليلا بيد انها عادية .  
 ١٢ — والصدر واسعا حسن التركيب  
 ١٣ — والبطن منتفخا وكبير الحجم  
 ١٤ — ويداه وقدماه صغيرة قليلا ولكنها جميلة حسنة التركيب  
 ١٥ — والاعضاء ممتدة ومشتدة  
 ١٦ — وكانت جميع اجزاء الجسم الاخرى على التقريب متناسبة تناسباً  
 عادياً واليك اظهر علامات رأيها في حجمته .

١ — عضو الكتان

٢ — عضو الفتوح

٣ — عضو العطف والجودة

٤ — عضو التصور

٥ — عضو المطامع وحب المجد

ووجدت العلامات التالية من جهة القوى العقلية :

١ — عضو الذاتية أو الفردية أو معرفة الافراد والاشياء

٢ — عضو وضع الشيء في محله والعلاقات بين الجنسين

٣ — عضو التدقيق في الحساب

٤ — عضو التشبيه

٥ — عضو السببية وروح الاستدلال والرأس الفلسفي

وكان قد انقضى عشرون ساعة وثلاثون دقيقة على مفارقة الروح للجسد

فأخذت في التشريح مبتدئاً بفتح الصدر واليك أهم ما وجدته :

كان الجانب الاكبر من غضاريف الخاضرتين متحجرا كالعظام

وكان في الكيس المؤلف من البليورا الى جهة الخاضرة اليسرى نحو ملء

قدح من ماء بلون عصير الليمون

وكانت طبقة خفيفة من الليمفا القابل للتجمد تغطي جانباً من وجه البليورا الجنبية والرئوية المقابلة للجهة نفسها  
وكانت الرئة اليسرى مضغوطة بالانصباب وتجمع الاخلات وقد التصقت  
باربطة كثيرة بالاجزاء الخلفية والجنبية من الصدر والتامور فشرحها بعناية وتدقيق  
فوجدت في القسم الاعلى منها درنا وحفرا تدرنية صغيرة  
وكانت طبقة خفيفة من الليمفا القابل للتجمد تغطي جانباً من وجه البليورا  
الجنبية والرئوية المقابلة للجهة نفسها.

وكان كيس البليورا الجنبية الى جهة الخاصرة اليمنى يحتوي على نحو قدحين  
من ماء بلون عصير الليمون .

وكانت الرئة اليمنى مضغوطة بالانصباب وتجمع الاخلات ولكن نسيجها  
كان في حالة عادية وكاننا تقرقان ولونهما طبيعي وكان الغشاء المخاطي في  
قصبة الخنجر والشعب الرئوية شديد الاحمرار وقد لصق به مقدار كبير من  
البلغم السكثيف اللزج

وكانت عدة غدد في الشعب الرئوية والحجاب المنصف قد تضخمت قليلا  
وكاد الفساد يعثب بها وتكون فيها الصديد .

وكان التامور عاديا وفيه نحو اوقية من الماء الذي يشبه لونه لون عصير  
الليمون وكان القلب مضغما ومع أنه سليم كان عند اسفله مقدار من الشحم  
لا يستهان به . وكانت البطيقتان الوريديتان والرئويتان والاذيتان المقابلتان لهما  
في حالة طبيعية ولكنها كانت مصفرة وخالية من الدم ولم يظهر على الفتحيتين  
علامات تدل على مرض خطير وكانت الاوردة والشرابين القريبة من القلب خالية  
من الدم وفي حالة طبيعية .

أما البطن فكان فيه ما يأتي .

تمدد الصفاق ( البريتون ) من جراء وفرة مقدار الغاز فيه .

رشح رخو شفاف لين يمتد الى الجزئين الملاصقين عادة لوجه الصفاق الداخلي  
وكان الرب ( الشحم الرقيق الذي يغشي الكرش والامعاء ) الكبير في  
حالة طبيعية وكان الطحال والكبد متحجرين ومتضخمين ومملوئين دما ولم  
يكن يظهر على نسيج الكبد الاحمر الضارب الى السمرة ادنى تغير مهم في تركيبه

وكانت حوصلة الصفراء مملوءة من الصفراء الغليظة على شكل جلطات وممددة من جرائها وكانت الكبدة المصابة بالتهاب مزمن ملتصقة التصاقا شديدا بالحجاب من جهة وجهها المجدب وكان الوجه المقعر من الفص الايسر ملتصقا بالقسم المقابل له في المعدة ولا سيما على طول الانحناء اليسير فيها والثرب الاصغر وكان الفص سميكاً ومتنفخاً ومتحجراً في جميع المواضع الملتصق فيها .

وظهرت المعدة في حالة سليمة في بدء الامر وخالية من اثار التهييج والورم وظهر ايضا غشاء الصفاق سليماً ولكن لما دقت في فحصه اكتشفت على وجهه الامامي عند الانحناء اليسير وعلى بعد ثلاث اصابع عن البليورا احتقاناً خفيفاً كانه ورم سرطاني محصور في مكان ضيق وكانت المعدة مثقوبة في وسط ذلك الموضع الصغير المتصلب وكان التصاق هذا القسم بالفص الايسر في الكبدة يسد فتحتة . وكان حجم المعدة اصغر مما هو عليه عادة .

ولما فتحت المعدة على طول انحنائها الكبير وجدت جانبا كبيرا منها مملؤا مقدارا كبيرا من مواد متجمدة قليلا وممزجة بكثير من مادة مخاطية كثيفة يشبه لونها لون نفل القهوة وانبعث عنها رائحة لاذعة ننته ولما استخرجت تلك المادة منها ظهر غشاء المعدة المخاطي في حالته الطبيعية من اصغر عطفة مسدودة الى اكبر عطفة مسدودة فيها باتباع اتجاه الانحناء الكبير وكانت قرحة سرطانية تغطي السطح الداخلي لسائر المعدة وكان مركز القرحة في القسم الاعلى على طول انحناء المعدة الصغير اما اطرافها غير المتساوية وهي على شكل الاصابع واللسان فكانت تمتد امام ذلك السطح الداخلي ووراءه من فتحة المعدة المرئية الى مسافة اصبع عن البليورا وكان قطر الفتحة المستديرة والمنحرفة الى جانبها نحو اربعة خطوط الى خمسة خطوط من جهة الداخل ونحو خطين ونصف خط من جهة الخارج وكان طرفها الدائري متناهي في الرقة وقليل التضريس وضاربا الى الاسوداد ومؤلفا من غشاء صفاق المعدة فقط وكان سطح مقعر رمادي اللون املس يؤلف جدران تلك القناة التي كانت لتصل بين تجويف المعدة وتجويف البطن ولم يحل دون ذلك التصاقها بالكبد . وكان طرف المعدة الايمن على بعد قيراط عن البواب محاطا بورم أو تصلب سرطاني على شكل دوائر بعرض بعض خطوط وكانت فتحة البواب عادية وظهر حول القرحة انتفاخ فطري باد للعيان

وكانت قاعدته الجاسية والكثيفة والمتصلبة تصلبها سرطانيا تمتد على كل السطح المصاب بذلك المرض الخبيث .

وكان الثرب متقلصا ومنتهفا وشديد الصلابة وقد ألم به الفساد وكانت الغدد الليمفاوية في طية الصفاق وهي التي على طول انحناء المعدة والغدد المجاورة اقوام الحجاب قد تورم جانب منها وتصلب تصلبها سرطانيا وكان في بعضها صديد .

وكانت القناة الهضمية ممتدة من كثرة الغازات فيها وابصرت على ظاهر الصفاق وطيئاته بقعا صغيرة حمراء يختلف حجمها وقد تفرقت وبعدت الواحدة منها عن الاخرى . وظهر غشاء تلك القناة في حالة طبيعية وكانت مادة ضاربة الى السواد لرجة تلتصق بجدران المعى الغليظ

وكانت الكلية اليمنى في حالة طبيعية اما الكلية اليسرى فكانت في غير موضعها ومقلوبة على العمود الفقري واطول من الاولى واضيق منها ومع ذلك كانت سليمة . وكانت المثانة الفارغة والمتقلصة تحتوي على مقدار من الحصى وكانت بقع حمراء كثيرة تظهر على غشائها المخاطي متفرقة فيه وكانت جدران المثانة في حالة طبيعية .

وأردت فحص الدماغ لان معرفة حالته في رجل كالامبراطور من أهم الامور ولكنهم منعوني عن ذلك بمدة فاضطرت الى الاذعان .

وفرغت من تشريح الجثة واخذت القلب والمعدة ووضعتهما في اناء من الفضة ملىء كحلأثم جمعت الاجزاء المتفرقة وخطتها وغسلت الجثمان وافسحت مجالا للخادم ليلبسه ثيابه كما كان يلبسه اياها في حياته وهي : الكسوت وسراويل من الجوخ الابيض وصدرى ابيض واربة بيضاء فوقها اربة سوداء مربوطة الى الوراء وبذلة كولونل صيادي الحرس والوشاح الاكبر من نشان جوقة الشرف ونشان التاج الحديدي وحذاء طويل فيه مهاميز صغيرة وقبعة مثلثة الزوايا . وبعد ذلك نقل نابوليون الى ردهة اخرى فدخلها الجمهور .

ولم تحنط الجثة لانهم لم يجدوا المواد اللازمة لذلك فغطوها بالرداء الازرق الذي كان نابوليون يلبسه في معركة مارتنو ووضعوا سيفه الى جنبه اليسر ومصلوبا على صدره . ووضع الاناء الذي فيه قلبه ومعدته الى جانب السرير



المسجى عليه . ونصب مذبح خلف رأسه ليقف الكاهن عليه ويتلو صلاة الموتى ووقف الى اليسار جميع أفراد حاشية نابوليون بملابس الحداد وأقام الدكتور ارنوات على حراسة الجثة بمقتضى الاوامر التي تلقاها .  
وفتحت الغرفة التي عرضت فيها جثة الامبراطور فدخلت الجماهير الغفيرة المحتشدة في لونود بنحشوع واحترام لرؤية الميت وازداد تقاطر الناس في غد ذلك اليوم ليشاهدوا جثمان الامبراطور للمرة الاخيرة ولم يكثرثوا للاوامر التي اصدرها الحاكم بمنعهم عن غشيان لونود .

ولما جاؤوا بالتابوت اضطرت الى ان اضع فيه القلب والمعدة وكنت قد علمت النفس بأخذها معي الى اوربا ولكن الحاكم منعني عن ذلك منعاً باتاً فلم ألق بدا من النزول على ارادته التي لم يكن مرد لها فابقيت القلب في الاناء الذي وضعته فيه ونقلت المعدة الى اناء آخر من الفضة اسطوانتي الشكل كان نابوليون يضع فيه اسفنجته وملأت الاناءين كحلا ولحمتها ووضعتهما في زاوية التابوت ثم وسد الامبراطور فيه على فراش ووسادة وكفن بفسيج من الحرير الابيض وحيث انهم لم يستطيعوا وضع قبعته على رأسه لضيق التابوت وضعوها على رجله ووضعوا الى جانبها اعلاماً مرسوماً عليها النسر وقطعا من جميع النقود التي سكت في عهده ونقشت عليها صورته وادوات مائدته وسلاحه الخ ثم اقل التابوت ووضع في صندوق من الصفيح ولحمت جميع اطرافه ووضع في ضمن صندوق آخر من الرصاص وهذا وضع في صندوق رابع من خشب الكابلي فأقل وختم وهمر ووضع في الموضع الذي كان الجثمان معروضافيه وغطى بالرداء الرمادي المشهور .

وجاء هــصـن لو لـتمـزيتنا وقال انه يشاركنا في مصابنا وان حكومته ابلغته ان يفهم الجنرال بونايرت ان الوقت دنا لاخلاء سبيله وان جلالة ملك بريطانيا العظمى لا يكون آخر من يوافق على ذلك وحيث أن الجنرال بونايرت قضى نـجـبه فقد انقضى كل شيء ومنقوم غدا بما يجب علينا نحوه وقد أمر الجنود بأن يلبسوا ملابس الحداد غدا ويؤدوا له التحية العسكرية .

وقام الجنود في اليوم التالي بالمهمة التي فوضت اليهم وحضر الحاكم والاميرال وجميع اصحاب المناصب المدنية والعسكرية الى لونود للاشتراك في المناحة

وكانت الجماهير تزدحم في الطرقات والموسيقى تصدح بالألحان الحزنة . وبعد الظهر بنصف ساعة حمل الجنود التابوت الى المركبة وسارت الجنازة وفقاً للبرنامج الذي وضعه الحاكم وكان الاب فينيالي يسير في المقدمة وهو لابس ملابسه الكهنوتية والى جانبه هنري برتران الحدث حامل اناء الماء المقدس . وكنت اسير وراءها والى جانبي الدكتور ارنولت . وكان يسير الى كل جانب من جانبي المركبة اثنا عشر جندياً بلا سلاح وقد عهد اليهم في أن يحملوا التابوت على مناكبهم حينما يجدون أن وعورة الطريق تحول دون سير المركبة .

وجاء بعدهم نابوليون برتران الصغير ومرشان ماشيين وكان الكونت برتران والكونت منطولون يسيران وراء المركبة راكبين جواديهما ووراءهما فريق من حاشية الامبراطور

وكانت الكونتيسة برتران وكريمتها هرتنس في مركبة يجرها جوادان يقودهما خدام الكونتيسة .

وتلاها جواد الامبراطور يقوده خادمه ارشيمبو

وجاء بعده ضباط البحرية مشاة وفرسانا فضباط اركان الحرب فرسانا فاعضاء مجلس الجزيرة فرسانا فالجنرال كوفين والمركيز دي منشنو فارسين فالاميرال والحاكم فارسين فسكان الجزيرة

وخرجت الجنازة من لونود على الشكل الذي تقدم بيانه ومرت امام المخفر حيث كانت حامية الجزيرة وعددها نحو الفين وخمسمائة جندي وقد اصطفوا على يسار الطريق وكانت اجواق من الموسيقيين تصدح بالألحان الحزن وقد وقف الواحد منها بعيداً عن الآخر ولما مرت الجنازة سارت الجنود وراءها الى المكان المعين لدفن الجثة ولما دنوا من ذلك المكان وقفت المركبة فدنا الجنود منها وحملوا النعش على اكتافهم وساروا به الى المدفن فترجل حينئذ جميع الفرسان وانحدرت السيدات من المركبات وسار الجميع وراء الجنازة وكان الكونت برتران والكونت منطولون ومرشان ونابوليون برتران الصغير يحملون بساط الرحمة ولما وصلوا الى القبر انزل الجنود النعش عن مناكبهم ووضعوه على حافته وقد اثار مشهد الحفر الحزن من رقدته فانبضت الصدور ووكفت

العبرات وفتح التابوت فصلى الاب فينيا الى الصلوات المألوفة ثم اقبل التابوت وأنزل الى اللحد وكانت رجلا المبت متجهتين الى الشرق ورأسه الى الغرب وحينئذ اطلقت المدافع ثلاث دفعات متوالية وفي كل دفعة خمس عشرة طلقة وكانت سفينة الاميرال تطلق في أثناء سير الجنازة مدافعها فاطلقت خمسا وعشرين طلقة بين الطلقة وأختها دقيقة .

ولما انتهت الحفلة الدينية وضعوا حجراً كبيراً فوق النعش من دون أن يمسه وهالوا التراب عليه . واندفع الجمهور في أثناء ذلك على أشجار الصفصاف التي كانت الى جانب القبر وتنازعوا اوراقها وغصونها واخذوها ليحفظوها ذخائر عندم وذكري لتلك الحفلة المؤثرة التي شهدوها وحاول الحاكم والاميرال أن يمنعاهم عن ذلك ولكنهما لم يفلحا فانتقم الحاكم منهم بمنعهم فيما بعد عن الدنو من القبر فاحاطه بحاجز واقام خفيرين الى جانبه ونقطة عسكرية فيها اثنا عشر جندياً وضابط .

ويبعد مدفن الامبراطور ميلا عن لونود وهو مربع الزوايا وعمقه نحو اثني عشرة قدماً وفيه وضع التابوت على خشبتين كبيرتين متينتين ولم يكن يمسه شيء حوله ولم يرض الحاكم بأن نضع عليه بلاطة نكتب عليها شيئاً كان تينك البلاطة والكتابة تعرفان الناس بأكثر مما يعرفونه عن الامبراطور .

ولما انزل همدن لونا بوليون الى القبر انتهت مهمته فلم يبق عليه الا أن يحرز شيئاً مما خلفه الامبراطور فدخل منزل لونود ويبحث فيه عن كل شيء وفتح رزماً كان الامبراطور قد ختمها بيده قبل وفاته ولكن ذهب بحته سدي ولم يجد الغرض الذي كان يريد ولم يزد ذلك الا اصراراً ورغبة في الاستقصاء في البحث ولم يبرح المنزل الا بعد ما فرغ رجاله من تنظيم بيان بالاثاث ورزم الكتب . وكنا نبتغي أن نحرز شيئاً مما تركه الامبراطور تذكراً تقيساً فضع علينا الحاكم بذلك وبادر الى ابلاغنا ان نهيء الالهة للسفر بمركب من مراكب الحكومة وعلى نفقتها

وقبلما غادرنا جزيرة القديسة هيلانة ذهبنا لزيارة ضريح الامبراطور ورؤيته للمرة الاخيرة فروينا بهدموعنا ونرنا عليه الازهار وودعهنا وداعاً اخيراً .

ولمّا وصلنا الى جيمس تون كان الحاكم وزوجته ينتظراننا ودعوانا الى مأدبة انيقة ادبها لانا وبالغا في اكرامنا .

ولما ركبنا المركب المعد لنا في ٢٧ مايو سنة ١٨٢١ وجدناه قدرا وضيقا فقد كانوا ينقلون فيه البقر والغنم والخنازير وكل ما يحتاج اليه الجزيرة من المؤونة وقاسينا اشكالا والوانا من العذاب والشقاء في اثناء سفرنا وطالت مدة السفر وكاد ما في المركب من الطعام والشراب ينفد واصيب الركاب بالزحار وكانت معنا مئتا جندي من البريطانيين ارسلوا من الجزيرة الى انكلترا فتوفي بعضهم في خلال السفر .

ووصلنا الى انكلترا فاخذت جوازا من سفارة فرنسا للسفر الى رومية وسافرت في الحال الى دوفر ومنها سرت الى باريس مارا بكله فذهبت الى سفارة النمسا وطلبت « التأشير » على جوازي فابت علي ذلك ولكنني لم اعبأ برفضها فواصلت سفري الا انني لقيت مشقة كبرى في الطريق فكان الموظفون النمساويون يشددون في مرافقتي وتفطيش امتاعي وأهتم بالتأمر على الحكومة ووصلت اخيرا الى بارم وكان لي فيها صديق يدعى الكافاليار روسي فقدمني الى الكونت نيبيرغ فاحسن الكونت استقبالي والقي علي طائفة من الاسئلة عن مرض الامبراطور ووفاته وكنت ابتغي ان افضي بمثل تلك الاخبار المفصلة الى الامبراطورة ماري لويز واسلمها كتابا خطه اليها الكونت برتران والكونت منطولون وطلبت من الكونت نيبيرغ ان يرجو من جلالة الامبراطورة ان تأذن بمثولي امامها فقال لي لا استطيع ذلك لان خبر وصولك اثار اشجان الارشيدوقة فهي تندب بسوء حفظها وتلتجب ولا تستطيع ان تستقبلك ولكنني اعرض عليك ان اكون وسيطا بينك وبينها فابلغها ما تقوله لي واسلمها الكتاب اذا لم تحاذر ان تسمنيه . فلم يسعني ان ارفض تسليمه الكتاب فدفعته اليه فتركني وبعد هنية عاد الي وقال لي : ان جلالته اطلمت عليه وهي تأسف على عدم تمكنها من استقبالك وهي توافق على ارادة نابوليون الاخيرة فيما يتعلق بك ولكنها لا تلتقي مندوحة قبل تنفيذها عن عرض الامر لجلالة والدها .

واليك صورة الكتاب الذي ارسله الكونت برتران والكونت منطولون الى الامبراطورة ماري لويز :

لندن في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٢١

يا صاحبة الجلالة

ان الدكتور انطومرخي الذي يتشرف بتقديم هذا الكتاب الى جلالتك  
اعتنى بزواجك العظيم في اثناء مرضه الذي قضى فيه نحبه

وقد عهد الينا الامبراطور في اواخر حياته في ان نبليج جلالتك ان تخصصي  
للدكتور انطومرخي مرتبا سنويا مدي حياته قدره ستة الآف فرنك مكافاة  
له على ما قام به من الخدم في جزيرة القديسة هيلانة وقد رغب في ان تتخذه  
طبيبيا وجراحا في قصره وان تتخذه ايضا الاب فينيالي مرشدا ريثما يبلغ نجله  
سن الرشد حينئذ ينتقل الى خدمته .

ونحن يا صاحبة الجلالة نقوم بما يجب علينا نحو الامبراطور بابلغ جلالتك  
ارادته الاخيرة التي كررها علينا مرارا .

خادما جلالتك المطيعان

الكونت برتران والكونت منطولون

وابلغي الكونت نيبيرغ عطف الامبراطورة علي وارتياحها الى ماقت به  
نحو زوجها ثم اعطاني خاتما ارسلته الي جلالته .  
وكان الجميع في القصر يلبسون ملابس الحداد على الامبراطور فقال لي الكونت  
نيبرغ ان الارشيدوقة لما تلقت نعي زوجها من البرنس مترنيخ شعرت كأن  
صاعقة انقضت عليها وقد شاعت ان يشترك معها جميع البلاط في حزنها والاسف  
على الراحل الذي تبكيه وقررت ان يلبسوا الحداد عليه ثلاثة اشهر وان تقام  
حفلة دينية كبرى للصلاة عن نفسه وقد شهدت الحفلة بنفسها وارادت ان تؤدي  
لنابوليون في وفاته الاكرام الذي كانت تؤديه له في حياته . وسألته عن الامير  
نجيها فاجابني انه بصحة جيدة وانه متوقد الدهن وقد فوض امر العناية به الى  
اشخاص من ذوي الكفاءة وبعد ما دار الحديث بيننا على موضوعات شتى  
ودعته وانصرفت .

وعرجت على فلورنسة في اثناء سفري الى رومية فخطيت بمقابلة الفرندوق  
فالقي علي اسئلة كثيرة عن جزيرة القديسة هيلانة وبعد ذلك سافرت الى رومية

وسرت تواء لمواجهة الكردينال فش ثم ذهبت لمواجهة الاميرة بولين وقد ارادت ان تعرف كل شيء فتأثرت كل التأثير مما سمعته مني عما قاساه شقيقها نابوليون من الالهانة والعذاب . وكان تأثير السيدة الوالدة شديدا لما استقبلتني فتحفظت في الكلام معها ولم اطلعها الا على جزء يسير من الامور التي شاهدتها ولما عدت الى مواجهتها مرة ثانية وجدت انها ملكت ناصية حزنها وقد اضطرت الى سرد بعض حوادث بالتفصيل فنكا ذلك كلوم فؤادها وسالت مدامها وعلت زفرتها فوقفت عن الكلام ولكنها مسخت دموعها وعادت الى القاء الاسئلة علي وقد نشب كفاح بين شجاعتها وحزنها . وحظيت بالمثل بين يديها مرة ثالثة فابت لي علامات العطف والرضاء وانعمت علي بالماساة احتفظ بها احتفاظا شديدا وشخصت الى فلورنسة وكان البرنس كانينو (لوسيان بونايرت) يقيم في بيت بضواحيها فاكرم وفادتي وانهاالت علي الاسئلة منه وكان لمصرع شقيقه نابوليون تأثير شديد فيه .

وعدت الى بارم وواجهت السكونت نيبزغ فكرر علي ان الامبراطورية روماني بلاحظة العطف وسلمني كتابا منها الى سفير النمسا في فرنسا اعربت فيه عن رضاها عن طبيب زوجها وقالت انها مستعدة لتنفيذ ارادته الاخيرة

ولكن قامت اعتراضات شتى علي وصية نابوليون وعينت لجنة للنظر فيها ولما رأى السكونت منطلون ان تنفيذ الوصية سيكون موضوعا للأخذ والرد وباعثا على القيل والقال كتب الى اللجنة وقال لها انه يتنازل عن حقوقه المبينة في الوصية وحذا حذوه رفاقه وعدت الى عيادتي الطبية فذلك خير من رفع القضايا في المحاكم .



## وصية الامبراطور نابوليون الاول

في دار خزائن الاوراق بباريس خزانة حديدية وضعت فيها الوصية التي نظمها الامبراطور نابوليون الاول في شهر ابريل سنة ١٨٢١ بمجزرة القديسة هيلانة وقد صنعت هذه الخزانة في سنة ١٧٩١ لحفظ قرارات الجمعية الوطنية ويشاهد زائر هذه الدار الوصية المشتملة على ارادة نابوليون الاخيرة والمكتوبة بيده والمبذلة بتوقيعه . وهذا الصك المنظم في المنفى جاء به الى اوربا الاشخاص الثلاثة المعهود اليهم في وضع وصية الامبراطور موضع الاجراء وهم السكونت برتران والسكونت منطولون ومرشان خادما الامبراطور الخاص وقد اودع منطولون الوصية في انكبرا زيادة للتحفظ وأخذت عنها نسخة أرسلت الى فرنسا لاجراء المعاملات القانونية بشأنها

وفي سنة ١٨٥٣ طلبت الحكومة الفرنسية الوصية من الحكومة البريطانية طلباً رسمياً وكانت مودعة في خزانة بلاط كنتربري فدفعها اللورد كلارندن مستشار جلالة الملكة فكتوريا الخاص الى السكونت كولونا فالفسكي سفير الامبراطور نابوليون الثالث في ١٦ مارس من تلك السنة . وقد ذكر ذلك في احدى صفحات الوصية وقد صادق السيوديلم رئيس محكمة السين الحقوقية عليها وعلى خمسة ذبول وثلاثة جداول تحتوي على بيان الاشياء التي خلفها الامبراطور الكبير . وذكر أن عدد صفحات الوصية ٤٠ ولكنها لا تشمل في الحقيقة الا على ٣٨ صفحة . ووضعت الوصية المنظمة بموجب الاصول القانونية في مكتب كاتب عدل في باريس يدعى نويل وأخذت الوصية بعد ذلك من هذا المكتب بموجب أمر امبراطوري وأودعت في دار خزائن الاوراق الوطنية . وهناك علاوة على الصفحات التي تقدم بيانها والتي ذيلت بتوقيع رئيس محكمة السين وهي تتضمن وصية الامبراطور ذيل منفصل عنها بتاريخ ١٦ ابريل فصل فيه توزيع امتعة الامبراطور والمال الذي كان معه في جزيرة القديسة هيلانة وقد كتب على غلاف الذيل انه لا يفيض الا بعد وفاة الامبراطور وهو كالذيل الآخر الذي نظم في اليوم عينه وذكرت فيه كيفية الدفن . وكان مع الوصية كتابان املاهما الامبراطور

ووقعهما بتاريخ ٢٥ ابريل وقد وجه احدهما الى الصيرفي لافيت والآخر الى البارون دي لا بويليري مدير الاملاك الخاصة وملاحظات لمنفذي الوصية املاها على مرشان في ٢٦ ابريل وكتب الامبراطور بيده في آخر صفحة منها : « هذه ملاحظات لمنطولون ورتان ومرشان منفذي وصيتي ، وقد نظمت الوصية والذبول المودعة عند مرشان في ٢٧ ابريل . نابوليون »

ولا يخفى أن متصفح الوصية والذبول لا يجد الا خمسة ذبول في المئتين المكتوب في الصفحات المزعوم انها اربعون وذيلًا في غير هذه الصفحات ومع ذلك يذكر الامبراطور سبعة ذبول ومن المحتمل انه كان يعتبر القسم المختتم به الوصية بخصوص الاملاك الخاصة والملاحظات التي املاها ووقعها ذيلين . ويقولون أن الامبراطور حاول في ٢٤ ابريل أي قبل وفاته بعشرة ايام نسخ اربعة ذبول مكتوبة في ثلاث عشرة صفحة كبيرة وكان آخر ما كتبه ووقعه مؤرخا في ٢٧ منه . وقد قال لمنطولون في ذلك اليوم : « أولا يكون من بواعث الاسف يا ابني ألا يموت الانسان بعد أن يكون قد نظم أحواله . »

ولما قرب الامبراطور من النهاية اراد أن يملي على مرشان تدابير جديدة ويوصي لابنه بعقارات في اجا كسيو بجزيرة كورسيكا يبلغ ريعها السنوي خمسين الف فرنك ولكن هذه العقارات لم يكن لها من وجود في الحقيقة فان دماغ الامبراطور كان قد ابتداءً يلم به الخبل .  
واليك وصية الامبراطور :

- ١ -

### الصفحة الأولى

هذه وصيتي اوصك ارادتي الاخيرة لنظمتها في لونود بجزيرة القديسة هيلانة في هذا اليوم الخامس عشر من شهر ابريل سنة ١٨٢١ :  
أولا — أموت على الديانة الكاثوليكية التي ولدت فيها من اكبر من خمسين سنة .

ثانيا — ارغب في أن يدفن رفاقي على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي أحببته كثيراً :



٥ ثالثاً — كنت اني دائماً على زوجتي العزيزة ماري لويز فانا أدخر لها ارق العواطف حتى آخر نسمة من حياتي وارجو منها ان ترعى ابني بمقلة العناية وتدفع عنه المكاييد المجددة بمحدثاته .

رابعا — أوصي ابني بالألأ ينسى أبدا أنه ولد اميرا فرنسويا وبالأأ يرضى بان يكون آلأ بأيدي الحكام الثلاثة الذين يرهقون شعوب أوربا . فلا ينبغي له ان يحارب فرنسا أو يسوق اليها المضرة ويجب عليه أن يضع نصب عينيه مبادئ هذا : « كل شيء للشعب الفرنسي » .

خامسا — اموت قبل يومي مقتولا بيد حكومة الاعيان البريطانية وسفاحها المأجور ولكن لا يلبث الشعب البريطاني ان ينتقم لي .

سادسا — ان ما وصلت اليه فرنسا من النتائج الوخيمة في الغزوتين الموجهتين اليها وقد كان لا يزال عندها موارد كثيرة يرجع الى خيانة مرمون وواجيرو وتاليران ولافايات فانا اصنع عنهم وباليات الاجيال الآتية في فرنسا تحذو حدوي من هذا القبيل .

سابعا — اسدي الشكر لوالدني الفاضلة السكرية وللكردينال واخوتي يوسف ولوسيان وجيروم وشقيقي بولين وكارولين وجوليا وهورتنس وكاترين

### الصفحة الثانية

واوجين عما ادخروه لي من الاهتمام بشأني واصنع عن لويس الذي اذاع في سنة ١٨٢٠ نشرة مفعمة حججا مختلفة ومستندات ملفقة .

ثامنا — اشدد النكير على مخطوط القديسة هيلانة وغيره من المؤلفات الصادرة تحت عنوان « مبادئ وحكم » وقد راق بعضهم ان ينشرها في خلال السنوات الست الاخيرة . فلم تكن القواعد دستورا سرت عليه في اثناء حياتي أجل اني القيت القبض على الدوق دنفان وأمرت بمحاكمته لان سلامة الدولة ومصالحة الشعب الفرنسي وكرامته كانت تقتضي ذلك حين كان الكونت درتوي يتولى المفاوضات — بحسب اقراره — مع ستين سفاحا في باريس واني لو قدر لي وعدت الى سرير الامبراطورية لما ترددت في عمل ماعملته في مثل الحال التي مرت علي .

١ - اترك لابني العلب والاوامر وغير ذلك من الاشياء كالآنية الفضية  
دمريري وسلاحه وسروجي ومهاميزي واواني كنيسة وكتبي وملابس التي  
كنت استعملها وذلك بموجب الذيل (١) وارغب في أن تكون هذه التركة اليسيرة  
عزيزة عنده فتذكره بوالده الذي تحدثه الدنيا عنه .

٢ - اترك للادي هولاند الايقونة القديمة التي اهداها البابا بيوس السادس  
في طوانطينو

٣ - اترك للسكونت منطولون مليوني فرنك دلالة على رضائي عما ابداه  
محوي من الاعتناء البنوي من ست سنوات وتعويضاً له عما اصابه من الخسارة  
في ابان مقامه بحزيرة القديسة هيلانة .

٤ - اترك خمس مئة الف فرنك للسكونت برتران .

٥ - اترك اربع مئة الف فرنك لمرشان خادمي الخاص الاول

٦ - اترك مئة الف فرنك لسان ديني

٧ - اترك مئة الف فرنك لنوفار

٨ - اترك مئة الف فرنك لبيارون .

٩ - اترك خمسين الف فرنك لارشبو

١٠ - اترك خمسة وعشرين الف فرنك لكورسو

١١ - اترك خمسة وعشرين الف فرنك لشاندلياي

١٢ - اترك مئة الف فرنك للاب فينيالي وارغب في أن يبني بيته قرب  
بني نوفودي روستينو .

### الصفحة الثالثة

١٣ - اترك مئة الف فرنك للسكونت دي لاس كاس

١٤ - اترك مئة الف فرنك للسكونت دي لافالت

١٥ - اترك مئة الف فرنك للاربي رئيس الجراحين وهذا افضل رجل عرفته

١٦ - اترك مئة الف فرنك للجبرال براياي .

١٧ - اترك مئة الف فرنك للجبرال ليفيفر دينوات

١٨ - اترك مئة الف فرنك للجبرال دروو .

- ١٩ - أترك مئة ألف فرنك للجنرال كمبرون  
٢٠ - أترك مئة ألف فرنك لاولاد الجنرال موتون دوفرناي  
٢١ - أترك مئة ألف فرنك لاولاد لايبديوار الشجاع  
٢٢ - أترك مئة ألف فرنك لاولاد الجنرال جيرار الصريح في لبني  
٢٣ - أترك مئة ألف فرنك لاولاد الجنرال شرتران  
٢٤ - أترك مئة ألف فرنك لاولاد الجنرال ترافو الفضيل  
٢٥ - أترك مئة ألف فرنك للجنرال لالمان الاكبر  
٢٦ - أترك مئة ألف فرنك للكونت ريال  
٢٧ - أترك مئة ألف فرنك لكوستا دي بستليكا في كورسيكا  
٢٨ - أترك مئة ألف فرنك للجنرال كلوزل  
٢٩ - أترك مئة ألف فرنك للبارون دي منيفال  
٣٠ - أترك مئة ألف فرنك لارنول مؤلف ماريوس  
٣١ - أترك مئة ألف فرنك للكونول بو واطلب منه أن يوالي كتاباته  
في سبيل الدفاع عن مجد الجيوش الفرنسية لخزي الوشاة والهامين .  
٣٢ - أترك مئة ألف فرنك للبارون بينيون واطلب منه أن يكتب تاريخ  
السياسة الفرنسية من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٨١٥  
الصفحة الرابعة  
٣٣ - أترك مئة ألف فرنك لبودجي دي تالافو  
٣٤ - أترك مئة ألف فرنك للجنرال اميري  
٣٥ - هذه المبالغ تؤخذ من الملايين الستة التي وضعتها في المصرف حين غادرت  
باريس في سنة ١٨١٥ ومن الفائدة الناجمة عنها بمعدل ٥ في المئة من شهر  
يوليو سنة ١٨١٥ فما بعد وهذا الحساب يرصده الكونت مونطولون  
والكونت برتران ومرشان مع الصيرفي .  
٣٦ - وكل ما ينتج عن المال الموضوع في المصرف المذكور ويزيد على خمسة  
ملايين وست مئة ألف فرنك المبينة أعلاه يوزع كهيئة على جرحى وأترو  
وضباط وجنود فرقة جزيرة البا بموجب قرار يصدره منطولون وبرتران  
دروو وكمبرون والجراح لاري .

٣٧ - وبعد الموت تدفع هذه الهبات الى الایامی والیتامی وعند عدم وجود هؤلاء تعود الى الامة .

— ٣ —

١ - لما كان ملكي الخاص مخصصي ولا تستطيع أي شريعة فرنسوية أن تنزعه مني فيطلب من البارون دي لا بويليري ناظر الخزانة الخاصة أن يؤدي الحساب عن ذلك ولا بد من أن يكون قد بلغ مالي من الاموال ٢٠٠ مليون فرنك موزعة كما يلي :

أولاً - ما اقتصدته من المال في أثناء أربع عشرة سنة وذلك من المرتب المخصص لي وهو يزيد على ١٢ مليوناً في السنة على ما أذكر .

ثانياً - نتاج هذا المال ،

ثالثاً - رباش قصوري على ما كانت عليه في سنة ١٩١٤ وهذه القصور في رومية وفلورنسة وطورينو وقد اشترت جميع هذا الرياش بمالي الخاص .

رابعاً - تصفية يوتي في مملكة إيطاليا كالنقود والاواني الفضية والمجوهرات والاثاث والكتب ويؤدي الحساب عنها البرنس أوجين وكبانيوني قيم التاج .

الصفحة الخامسة

٢ - اترك نصف ملكي الخاص للضباط والجنود الباقين من الجيش الفرنسي وقد حاربوا من سنة ١٧٩٢ الى سنة ١٨١٥ في سبيل مجد الامة واستقلالها ويكون التوزيع بنسبة المرتبات التي يتقاضونها في أثناء الخدمة . و اترك النصف الآخر للمدن والقرى التي في الالزاس واللورين وفرانش كونتاي وبرغونية وجزيرة فرنسا وشامبانيه وفورست ودوفينه التي نالها خسارة من جراء الغزوات ويخصص مليون فرنك من هذا المبلغ لمدينة بريان ومليون لمدينة ميري .

واقيم السكونت منطولون والكونت برتران ومرشان منفذين لوصيتي .

وهذه الوصية كتبها كلها بيدي ووقعها باسمي وبصمتها بشماري

نابوليون»

نظرت للمصادقة في باريس في المكتب الثاني في اليوم السادس والعشرين من شهر مارس ١٨٥٣ رقم ٣٩ وقد قبض رسم قدره فرنك وخمسون سنتيا وسجل في اليوم عينه في السجل الثلاثين الخ وقبض خمسة فرنكات وخمسون سنتيا  
سوراي

وقعته باسمي انا رئيس المحكمة بموجب قرار صادر في هذا اليوم . باريس  
في ٢٦ مارس سنة ١٨٥٣  
دبليم  
ضم الى مسودة صك مودع عندي انا كاتب عدل باريس ووقع في ٢٦  
مارس سنة ١٨٥٣  
نويل

أما الصفحات من ٦ الى ١٣ فانه يتخللها بضع صفحات بيضاء وهي تحتوي على بيان بالموجودات . وقد كتب الامبراطور بيده في الصفحة الرابعة عشرة ما يأتي : « هذه وصيتي كتبها كلها بيدي . نابوليون »  
وثمة كتابة تدل على دفع هذه الوصية رسميا الى فرنسا وكتابان وخمسة ذبول :  
« ان الوصية والذبول الخمسة والكتابين المنضمة اليها والتي كانت موضوعة حتى اليوم في خزائن اوراق بلاط كتريي دفعها حضرة اللورد كلارندن المستشار الخاص لجلالتها البريطانية الى حضرة الكونت كولونا فالنسي سفير جلالة الامبراطور نابوليون الثالث لدى جلالة الملكة فكتوريا في هذا اليوم السادس عشر من شهر مارس سنة ١٨٥٣

واشعارا بذلك وقعت كما يلي

نظم في لندن في ١٦ مارس سنة ١٨٥٣

ويلي ذلك عبارة التسجيل في فرنسا في سنة ١٨٥٣

سجل في باريس في الدائرة الثانية في ٢٦ مارس سنة ١٨٥٣ الخ وقبض رسم  
عن ذلك قدره فرنكان وخمسة وعشرون سنتيا .  
سوراي

وكتب في الصفحة الخامسة عشرة الذيل الاول المطلوب اجراؤه بالحاح ومفاده تكرار رغبة الامبراطور بان يدفن في فرنسا :

« لوناود في ١٦ ابريل سنة ١٨٢١

هذا ذيل لوصيتي :

١ - أرغب بأن يشوي رفاقي على ضفاف نهر السين بين الشعب الفرنسي الذي احبته كثيرا

٢ - اترك للسكونت برتران والكونت منطولون ومرشان المال والجواهر والآنية الفضية والخزفية والرياش والكتب والسلاح وبالأجمال كل مالي في جزيرة القديسة هيلانة وهذا الذيل كتبته كله بيدي ووقعته وبصمته بشعاري . نابوليون .  
ضم الى مسودة صك استبعاد دفع الى انا كاتب العدل في باريس ووقعته في هذا اليوم السادس والعشرين من شهر مارس من سنة ١٨٥٣ . نويل  
وقعناه وختمناه نحن رئيس المحكمة بموجب قرار هذا النهار

باريس في ٢٦ مارس سنة ١٨٥٣ دبلیم  
نظر للمصادقة في باريس في الدائرة الثانية في ٢٦ مارس سنة ١٨٥٣ رقم ٣٩  
وعقب الرسم وقدره فرنك وخمسون سنتيا سوراى  
اما الصفحتان السادسة عشرة والسابعة عشرة فلم يكن فيهما كتابة ما  
ولم يكتب في الصفحة الثامنة عشرة إلا هذا السطر :  
« هذا ذيل لوصيتي كتبته بيدي - نابوليون »

## ولدان طبيعيان لنابوليون الاول

يقال انه كان لنابوليون الاول اولاد طبيعيون غير نجل الكونتيسة فالسكا والغلام لاون وقد ذكره العاهل في جزيرة القديسة هيلانة في الاحاديث التي كانت تدور بينه وبين المرشال الاكبر برتران فقد نشرت جريدة الطان في ٥ فبراير سنة ١٩٢٩ رسالة ارسلها الاب مس خوري الرعية في قرية بمقاطعة اللوار العليا في سنة ١٨٣٣ الى والدته الامبراطور في رومية وقد اصابته الجمعية النسوية السوداء في فلورنسة نسخة عنها وهذه النسخة محفوظة في دار «مخطوطات» الحكومة في فينا . واليك نص هذه الرسالة :

« باريس في ٢٥ يناير سنة ١٨٣٣ »

اتمحي لكاهن بسيط من كهنة الاريايف بان يقضي مايجب عليه ويذكرك بامور عزيزة قد تكون غيب من ذهنك فانا راع للنفوس في قرية البوشه في مقاطعة اللوار العليا في ناحية كابر . وقد طلبت مني زوجة فلاح غني في القرية

( توفي زوجها وهي ستقضي نحبها قريباً ) ان ابلغك المعلومات التالية واستحلفتني بفروض ديني أن ابلغك ذلك وقد استودعتني جميع ما يمكنه ضميرها من الاسرار وما قالته لي ما يأتي :

« ولدت ولدين من الرجل العظيم ( وهي تعني بالرجل العظيم نابوليون نجلك ) احدهما ابني فكتور ( هذا الشاب مملوء فطنة وهيئته تماثل هيئة ابنك ) والآخر هنري صغرى بناي . وقد اسعد الحظ ابني فكتور كما اسعدني انا ايضاً بان يشاهد الرجل العظيم فانه لما كان حدثاً ناعم الظفر ذهبوا به الى باريس وقد ابصر فيها والدته الرجل العظيم وكانت تبغني على ما قيل لي أن تعني بامر الغلام ولولا زوجة العاهل الثانية لبقى الغلام في باريس مع الرجل العظيم ويجهل الولدان والدهما الحقيقية فابنتي لم تدر شيئاً من واقع الحال وابني نسي ما قالوه له حينما كان غلاماً حديث السن ومع ذلك لا اشاء أن أموت من دون أن أبوح لكليهما بسرّي العظيم وعلاوة على ذلك ترك لي الرجل العظيم ورقة يعترف فيها بان ابني فكتور هو ابنه ولكن لم تبق هذه الورقة في حيازتي وقد يستخدمها بعض الميادين المحتملين لابتزاز المال من اسرة الرجل العظيم »

هذا كلام المرأة الكريمة الاخلاق وهي منزهة عن المطامع والمصالح في مآثلته لي ( وربما لا تطول أسباب حياتها اكثر من شهرين ) وقد افضت الي بهذا الامر لكي ابلغك اياه

وقالت لي ايضاً : ولكن أفراد اسرة باسكيه خانوا الرجل العظيم ( لا ادري ممن تعني بقولها افراد اسرة باسكيه ) فانهم بعد ما جالس لويس الثامن عشر على العرش جاؤوني وهددوني بهدم البيت وقتل ابني اذا ابيت أن ادفع اليهما كل ما كنت احفظه من الرجل العظيم فرأيت أن ادفع الفوائيل عن ابني ( ولم يكونوا يعلمون ان ابنتي كانت ايضاً ابنة ذلك البطل العظيم ) بتسليمهم الورقة الآتفة الذكر

ولا مندوحة لي عن القول لك بانها تلعن افراد اسرة باسكيه لزعما انهم حرموها عشرين مليون فرنك وهبها اياها الرجل العظيم لتكون ارثاً للولدين . وقد استحلفتني هذه المرأة بأن اطلعك على امرين الاول ألا تعتريني لا انت ولا احد من أسرتك الورقة التي كتبها الرجل العظيم واخذوها منها بالا كراه فلم تبق

هذه الورقة في اليد التي كان يجب أن تبقى فيها فليس الذي يحرزها الآن سوى لص منافق . والثاني ترجو منك ان تخبريها هل تمتدكرين انك ابصرت ابنها في التويلري وقد كان سنه في ذلك العهد يتفاوت بين ٤ سنوات و ٧ سنوات وكان يرتدي ملابس اولاد الفلاحين وكان كثير الشبه بنا بوليون حينما كان حدثا نظيره فان تصرحك من هذا القميل يجرها على البوح لنجلها بما يجب عليها ان تبوح له به .

يا حضرة السيدة انا كاهن فاذا كان تأ كيد نفس دينية يكفي لان يجعلك تعتقدين صحة ما اكتبه اليك الآن فصديقي بائي لا اقول الا الحقيقة واعلمي انك لا تخطئين موقع الصواب في تصديق كلامي .

انك لا تعرفيني والثروي يقضي عليك بالاثرفيني بجواب مسهب ولكنني ارجو منك — لاجل راحة ضمير تلك المرأة الثائبة — ان تقتصري على كتابة هاتين الكلمتين : « اذكر اني شاهدت هذا الغلام في التويلري او لا اذكر اني شاهدته فيه » وحينما يقف هذا الشاب على سر ولادته يرى بعد الاطلاع على جوابك هل يذهب اليك او لا يذهب . واظن أنه في كل حال يبتغي أن يشاهد جدته قبل أن يموت وقد جاء المرشال سولت من نحو عشر سنوات الى القرية لرؤية الغلام ولم استطع حينئذ أن أعرف الباعث الذي حمله على المجيء أما وقد اطلمعتني هذه المرأة على ما بسطته لك فاني حلت هذا الطلسم وقد قال لها المرشال ان الرجل العظيم كتب اليه من جزيرة القديسة هيلانة يوصيه خيرا بالغلام ولكنه منع ذلك لايزال وحيدا لا يكثر له أحد .

فتكرمي يا حضرة السيدة بان تشرفيني باقرب ما يمكن بجوابك الموجز الذي التمس منك فانا باق في باريس مدة قصيرة واحب أن أتمكن حين رجوعي من اعطاء جواب مرض للمرأة المحترمة التي اخبرتك عنها .

وسواء اسرعت في ارسال جوابك الموجز او تأخرت فارجو ان ترسله على العنوان الآتي :

الى حضرة الاب مس رقم ٩ بشارع سانت كروي دنطان  
ففي هذا الشارع أخ للولدين من امهما وهو يدفع الي كتابك  
وكتبت عقيلة دي سارتر وفيل قارئة «السيدة الوالدة» جوابا للاب مس في



٩ فبراير قالت له فيه : « ان حضرة «السيدة الوالدة» عهدت الي في ان اكتب اليك واؤكد لك انها لاتعرف شيئاً مما كتبتة اليها وعليه ترجو منك الا تعود الى الكتابة اليها في هذا الصدد . »

وارسلت نسخة عن هذا الجواب الى فيينا بعناية « الجمعية النمساوية السوداء » في فلورنسة فضمت الى رسالة الاب مس المحفوظة في دار « المحفوظات » . ولا يمكن الجزم بصحة ما تقدم بيانه ولا نعلم هل قصد أحد العيارين باتحاله اسم الاب مس ان يمثل دورا سياسيا أو ان يبرز شيئاً من المال من والدة الامبراطور وقد يحدث مثل هذا الامر في الاسر المالكة واسر عظماء الرجال .

## كلمات مأثورة

### لنابوليون الأول

مشيرو الفن - لايحسن التساهل مع مثيري الفن ولا التعامل معهم .  
المخالفات - ان الحلفاء الذين نصيبهم بموالاته الاقدار لنا ونيل الانتصار  
يسلبنا ايامم مخافة النصر لنا ويجعلهم ينقلبون علينا  
أما المصاهرة بين الملوك فلا قبل لها بمقاومة المصالح السياسية .  
المطامع - المطامع الكبيرة خلة من خلال الاخلاق الكريمة فالمتحلي بها اما ان يعمل اعمالا جميلة واما أن يأتي امورا سيئة فذلك منوط بمقدار الشرف الذي يسيره .

الصداقة - الصداقة كلمة فارغة من المعنى

الحب - شر الحب يفوق خيره . والفرار هو الوسيلة الوحيدة للانتصار على الحب . فالدقيقة التي تفرق فيها عن الحبيب هائلة فهي تفصلنا عن كل شيء في العالم ولا يشعر الانسان شعورا شديدا بأنه يجب الا حين الاجتماع بمحبوبه او حين الابتعاد عنه وان المرأة التي يحبها الانسان تكون في نظره أجل امرأة انكثرتا - اذا اتفقت دولتان كفرنسا وانكثرتا حكمتا العالم .

الارسطقراطية - الديمقراطية ترفع السلطة والارسطقراطية تؤيدها وتحفظها وتمتاز الارسطقراطية بمحصر اعمال الحكومة في ايدي يقل الخطر منها عن ايدي

جمهور غفير جاهل يكون أقل دربة . ونلقى الارسطقراطية عند جميع الشعوب وفي جميع الثورات فاذا نزع من الاعيان انتقلت في الحال الى الاغنياء واصحاب الكلمة المسموعة من عامة الشعب واذا نزع من هؤلاء لجأت الى أصحاب المصانع والمعامل ولاذت بكنف الشعب . وفي كل مكان يحرك اصحاب المطامع الشعب يقضى على هذا الشعب بان يعود الى الوقوع في قبضة الارسطقراطية الجيش - حين تدفع الامة عادية أمة أخرى عليها لاتعتقد ابدا رجالا بل تفقد جنودا في غالب الاحيان .

تدل التجارب على ان الجيوش لاتكفي دائما خلاص الامة وان الامة التي يدافع عنها الشعب لاتقهر .

التجنيد أصل الامة ونخها ومظهر أدبياتها ومواضع الاساس الحقيقي لجميع عاداتها . ويكون التجنيد مؤسسة وطنية حين يصبح نقطة من نقط الشرف يحسدها الجميع حينئذ تصبح الامة عظيمة ومجيدة وقوية وتستطيع أن تهزأ بالنكبات والغزوات والعصر .

ويركن الامبراطور الى جنود وطنيين ولا يعول على جنود مأجورين وليس اكبر من الوطنيين الا الشجعان الذين شوهوا في خدمة الوطن . وحيث تكون الحكومة ضعيفة يقبض الجيش على أزمة السلطة وحينما تتناقص النصال تفلت السلطة من أيدي الحكام للفنون والعلوم - ان العلوم التي تشرف العقل البشري والفنون التي تجعل الحياة وتقل الاعمال الكبيرة الى الاجيال الالآية يجب ان تكون مكرمة تسكرها خاصا في الحكومات الحرة .

وللفنون في كل عصر ميراث وهو الكذب فهي تزهري هذا الوسط وتشتهر الجمعيات الدستورية - تتألف الجمعيات الدستورية من أصحاب دسائس أو من اشخاص غير متساوين في الكياسة والمعرفة وهؤلاء الاخرون ينخدعون دائما على التقريب ويصبحون آلات للاولين وشركاء لهم .

السلطة والقيادة - حينما ينكرون على صاحب الامر والنهي سلطته يقضى على كل شيء أصدر الامر او اصمت .

الانسان المخلوق للاممال والسلطة لا ينظر أبدا الى الاشخاص بل الى الاشياء واهميتها ونتائجها .

يحتاج الانسان الى كثير من التحفظ والى أخلاق مجربة شديدة ليتولى قيادة من يكبرونه عمرأ

ينشأ عن الانتصارات والانكسارات اربطة لا تفصم عراها بين الجيوش وقوادها المستقبل - يعجز الناس عن تأمين المستقبل ولا يعين خطأ الأمم الا الانظمة لا ينبغي الملك ان يقوم بعمله كأنه ليومه بل يجب عليه ان ينظر فيه الى المستقبل السعادة - ليس في المطامع واحراز المناصب السامية سعادة الانسان العظيم واصابة امانيه فهو يدع ذلك الى حكم غيره والى احترام الاجيال الآتية . والسعادة الحقيقية في الهيئة الاجتماعية هي في تساوق لذات كل فرد ومزاواتها وليس الوجود سعادة بل لعنة .

الجردة والرحمة - يجب على الانسان ان يصم اذنيه عن هماع صوت جودة القلب حينما يكون ذلك مجلبة للسوء على الشعب تشبه مرحلة الملوك مبلغا من المال يدفع في اليانصيب فالكسب يأتي عن طريق الصدفة والحظ

وان حق العفو وهو أجل صفة من صفات السيادة وانبلها لا ينبغي أن يمنح إلا حينما لا تكون المرحلة الملكية باعثا على تحقير عمل العدالة والعفو العام يمنح للذين ضلوا عن سواء السبيل . ويجب على الانسان ان يدري كيف يصنع وألا يبتقى في حالة عدائية تخرج عواطف القريب وتجرحه نفسه ولا بد من معرفة الضعف البشري والاذعان له بدلا من مقاومته .

الوشاية - لو كانت الوشايات السياسية معدودة جريمة في نظر الخالق لما وجد الملوك نعمة في عيني الحق سبحانه وتعالى .

الاخلاق - الاخلاق الحقيقية تظهر دائما في الحوادث الكبيرة يجب على الانسان أن يكون صاحب اخلاق في مزاولة ادارة الشؤون ومزاولة الحرب ليدرك ضالة النجاح .

يغير العمر وتعود مزاولة الشؤون والاختبار أخلاق الناس . السقوط - الحظ يعين سقوط الأمم

المدني والعسكري — من خصائص العسكري انه يريد الحصول على كل شيء بطريق الاستبداد ومن خصائص المدني انه يريد أن يخضع كل شيء للمناقشة والعقل والحقيقة .

وللمدني الافضلية الاجتماعية على العسكري  
يجب أن يصمت صوت مجد الوطني وسعادته وقت ما تدعوه مصلحة الدولة والخير العام .

الغضب — يخطئ الملك حينما يتكلم وهو محتم غضبا .  
ويجب على الانسان ان يترك الليل ينقضي على الاهانة التي تجرع غصصها في امسه

وينبغي للانسان ان يعرف كيف يسكن فائر غضبه  
المؤامرات — تعرقل المؤامرة المادية حالما تغل اليد التي تقبض على المدينة  
أما المؤامرة الادبية فليس لها حد تقف عنده فهي تنفجر كالبارود .  
ولا يعرف الفرنسيون كيف يتأملون .

الدستور — ليس من دستور في العالم يسرون طبقا لمعناه وبنائه . ويجب أن يسن الدستور على غلط لا يعرقل الحكومة في عملها ولا يضطرها الى خرق حرمة لا ينبغي ان يتقيد الانسان بانظمة الحكومة بالتفصيل فالانظمة يضعها الزمان وقد لايسم الانسان ان يترك مجالا واسعا للتعديل .

حينما تهب العواصف يكون دستور الامة نجمها القطبي الذي تهدي به التناقض — لا استناء ممن يناقضني بل أطلب جلاء الغامض  
قلب الحكومة — الاستيلاء على الحكومة بعمل فجائي يخالف

حقوق الانسان

البلاط — من الخطأ الفاضح للانسان ألا يستطيع التصدر في البلاط  
الشجاعة — ليس للشجاعة العسكرية علاقة بالشجاعة المدنية  
الاجرام — يضطر الملك الى ارتكاب الاجرام في بعض الاحيان ولكنها اجرام تلازم مركزه

القساوة — لا ينبغي ان يظهر الانسان القساوة والشدة بلامسوغ

الاحطار — لاشيء يحرك الشجاعة والهمة في شعب عظيم الا استهدافه للخطر للمحافظة على استقلال بلاده المقدس .

القرارات — لا ينبغي للانسان أن يكابر في السعي وراء تذليل الاحوال العارضة فالاولى به ان يخضع لها فللانسان في الحياة مشروعات كثيرة وقرارات قليلة تعرف الحكمة الحقيقية بالاجال من الجزم بحزم في الامور وفي الاحوال غير العادية يجب أن يكون للانسان عزيمة غير عادية وللصدفة شأن كبير في تقرير عزائمنا

التدابير غير الكاملة — تكون التدابير غير الكاملة مضرّة دائماً ولا تستميل العدو اليها .

يفقد الانسان كثيراً في مزاولة نصف العمل فيجب الا يبصر أو اذا شاء ان يبصر ان يعرف كيف يبدي رأيه

العار — التاج المحفوف بالعار حمل ثقيل على صاحبه

يسهل على الامة أن تلقى رجالاً أكثر مما يسهل عليها أن تستعيد شرفها الاستبداد — لا يكون الاستبداد مطلقاً بل يكون نسبياً

الاستبداد العسكري يناوئ انعواطف الكريمة واستبداد رجال الدين يخنقها ان تحويل الطاغية الى مستبد اسهل من خلع نير جميع الشعوب المتحدة لاشيء أشد ظلماً من حكومة تزعم انها بمثابة الاب للرعية

التفصيل — ان الاشخاص الملقاة على عواتقهم اعباء التبعة الادبية والسياسية هم غير الذين يوافق ان تسند اليهم ادارة حساب بالتفصيل .

الله — كل شيء في العالم يذيع وجوده تعالى

حينما يبدي حكمه ذلك الذي يقيس مقدار الحياة لان تكون عنده جميع المعارف البشرية الا تجارب لا فائدة من ورائها .

السياسة — الحرف يقتل الروح في السياسة ويصيب حسن الذوق والكياسة نهماحاً لا تصيبه الحيلة .

اذا استطاع الانسان التكلم بصراحة وبصوت عال فما هي الفائدة من احتياله

الكهانة — جميع انواع الكهانة كذب ونتيجة للاحتيال والحماقة أو التعميب . ان مهنة المتكهن عند المتأخرين لاتزال كما كانت عليه عند المتقدمين . بضاعة الساحر الحقيقي الوقاحة والثروة والجسارة وتوقدالدهن توقدا يسهل له ابراز الحكم من أول وهلة على الذين يؤمنونه للاستشارة

الطلاق — الطلاق قانون يلام مصلحة الزوجين

الاسرة المالكسة — ان سياسة الملك ومصلحة شعبه وحاجته ومايجب ان يكون هادياً له في كل حين في اعماله تقتضي ان يخلف اولادا يرثون محبته الشعبية الاسرة المالكسة التي تنشأ للمحافظة على جميع الحقوق وجميع الاموال تعتبر وحدها بالطبع شرعية وتحرز الثقة والقوة :

تصيب الامة على أثر الثورات مصالح جديدة . وانظمة جديدة ومجداً جديداً ولايضمن لها ذلك إلا أسرة نشأت في أحوال جديدة

اخفاق المسعى — حينما أخفق سعياً يكون ذلك ناجماً عن خطأي وهذا شيء عادل .

الهرجة — في الجيش تكون البساطة في محلها اما في المدينة الكبيرة وفي القصر الفخم فيجب أن يلفت رئيس الحكومة الانظار اليه بجميع الوسائل الممكنة ولكن يجب السبر على مهل

تحتاج الحكومة الحديثة النشأة الى بهر العميون وتحريك ساكنات العجب وهي تسقط حالما يبطل انبعاث الهرجة منها

مخاطبة العميون تؤثر في الشعوب

التهذيب — يجب على الحكومة ان تنظم شؤون التهذيب تنظيمًا يسني لها مراقبة الرأي العام السياسي والادبي .

المساواة — يجب أن تكون المساواة الركن الاول لتهذيب الناشئة .

الامبراطور — لقب امبراطور لفظة كمبرها من الالفاظ فيجب على حامله ان تكون له حقوق ليست لغيره ليكنه المثل امام الاجيال الآتية .

لقب الامبراطور لايفقد

العدو — حينما يقبض الانسان على ناصية عدوه يجب عليه ان يصيره طاجراً عن ايذاءه

يجب على الانسان ان يتقدم للقاء اعدائه بقدم ثابتة وعزيمة شديدة لئلا يتوهما انه يخاف منهم فيتجرواوا عليه .

مدبح العدو مشتبه فيه فهو لا يتملق رجلا كريما الا حين يبذل هذا التملق بعد زوال العداوة

خير للانسان ان يكون له عدو معروف من أن يكون له صديق مكره على الصداقة أوروبا - تكون طريقة التحالف الاوربي السكبير افضل من سواها لتقدم المدن لم تنشأ ممالك عظيمة وثورات كبيرة الا في الشرق المأهول بست مئة مليون من البشر وليست أوروبا بالنسبة اليه شيئا مذكورا .

الضعف - لا ينبغي للانسان أن يكون شديد الصرامة وضعيفا في وقت واحد اذا كانت الحكومة القوية معرضة للمحاذير كانت الحكومة الضعيفة أكثر تعرضا لها فانها تضطر في كل يوم الى خرق حرمة الشرائع الموضوعة والا تعذر عليها السير .

ليس احتقار الشرائع وتزعزع النظام الاجتماعي إلا نتيجة ضعف الملوك وتردهم

الملك الضعيف مصيبة على شعبه فاذا هو جعل الاشرار والخنونة يظنون أنه لا يستطيع المعاقبة فقدت الدولة والملك الامن الجوع - لا استكانة ولا خوف للمعد الفارغة

الاسرة - لا يشتق نظام الاسرة من الحق الطبيعي بل يتخذ شكله من الاخلاق والادابات والدين في كل شعب

حب الرجل لاولاده ولزوجته عاطفة ودية حلوة تستعبد النفس بطريق القلب والمواطف بطريق الحنان

القضاء والقدر - ليس القضاء والقدر مذهباً يسهل تأييده فما هو إلا كلمة فاما أن يسلم بحرية الفكر وإما أن ينبذها فاذا سلم بها فما هي النتيجة التي يمكن تقريرها سلفاً ويستطيع أقل شيء أن يغيرها . واذا نبذ حرية الفكر كان ذلك أقرب وأشر وعليه اذا جئت الى هذا العالم فلا يكون لك إلا أن تضطجع على سريرك من دون أن تغنى بأمرك واذا قدر أن تعيش فلا حاجة لك الى التغذية فانك تعيش في كل حال

الخطأ — الموت يكفر عن الخطأ ولكن لا يصلحه  
النساء — يجب على رجال السياسة ألا يدعوا امرأة تدنو من مكانهم  
أفضل مرب للفتاة أمها والتهذيب العام لا يلائمها  
المرأة مصنوعة للزوج والزوج للوطن والاسرة والمجد  
ان كثيرين من الرجال لا يرتكبون جرماً الا من جراء ضعفهم مع نساءهم  
الويل لمن يدع زوجته تتسلط عليه فلا يبقى حينئذ هو نفسه ولا يصير هو  
زوجته بل يصبح لاشيء .

عند اشتداد الخطوب يكون من مهمة المرأة تخفيف شدائدنا .  
في الحسنيين من العمر تمت الشهوات أو تكاد ويثقل حد الرغبات ويكثر  
الغرور وحينئذ لا يبقى للرجل من ملجأ الا حنان زوجة طاهرة ومتساهلة فهي  
بمثابة قوس قزح بعد العاصفة

لا ينبغي أن يخاطب المرأة بلغة لا تفهمها  
يجب على المرأة أن تشتغل بالتطريز  
الحوادث المفجعة مأساة المرأة

خطف المرأة من زوجها والولد من والده عمل ممقوت لا يليق بشعب متمدّن  
الثبات — يجب على الانسان ان يكون ثابت العزيمة وذال قلب جريء والا وجب  
عليه الا يتدخل في الحرب ولا في شؤون الحكومة .

الموظف — يجب ان يعطي موظفو الدولة مثالا كبيرا في بعض الاحيان  
القوة — الاقوياء لا يفاوضون بل يملون الشروط فيذعن لها غيرهم  
على الانسان أن يستعمل القوة حينما لا يكون له سبيل لاستعمال سواها  
وحينما يكون الانسان صاحب السلطة تكون العدالة أفضل .

في الناس طائفة لا ندحّة عن استعمال القوة لتسييرها  
يكون الانسان قويا حينما يعقد عروة العزم على الموت  
القوة مبنية على الرأي

الحصن — يكون حفظ الامة في بعض الاحيان منوطاً بموقع الحصن  
الذي يحميها

الثروة — كانت الثروة في كل حين أول وسيلة الاحترام



الثروة كالمرأة اذا فقدتها اليوم فلا تطمع باصابتها غداً  
الثروة متقلبة فكمن اناس هادنهم وكانت باعثا على اضافة بعض سنين  
الى عمرهم

السخاء — يجب على الانسان أن يعرف كيف يعطي لكي يأخذ  
الدهاء — الصناعة الحقيقية لا تقوم بالعمل بجميع ما للانسان من الوسائل  
المعروفة والمعطاة فالغن والدهاء يقومان بعمل الشيء رغما من المصاعب وبوجود  
اشياء مستحيلة أو بعدم وجودها

ان الذين غيروا وجه العالم لم يفعلوا ما فعلوه باستمالة الزعماء اليهم ولكن  
بتحريك عامة الناس فالشق الاول من هذه المسألة يبنى على الدسائس ولا يكون  
له الا نتائج ثانوية والشق الثاني هو سير الدهاء وفيه تغيير وجه العالم

المجد — خير للانسان الا يعيش من أن يعيش بلا مجد  
الشهرة العظيمة دوي شديد فكما اكثر الانسان منها زاد امتدادها . ان  
الشرائع والانظمة والانصاب والاعمال تزول جميعها ولكن المجد يبقى له دوي  
في الاجيال الآتية .

يشبه حب المجد الجسر الذي مده الشيطان فوق وهدة العدم ليجتاز عليه  
من الجحيم الى الفردوس والمجد يضم الماضي الى المستقبل وبينهما وهدة عميقة .  
ان الانظمة التي يسنها الملك وما يجود به من الاحسان والانتصارات التي  
يصيها تعد اسبابا حقيقية للمجد

لا يدري أحد الغاية التي يصل اليها الانسان الملهب رغبة في نيل الشهرة  
الحكومة — يجب على الانسان أن يسعى للتوفيق بين اعلى مستوى  
للحرية السياسية والامن الشخصي والقوة وما يلزم من حصر السلطات في  
الحكومة لحمل الناس على احترام استقلال الامة وكرامة صاحب الثناج .

تقتضي مزاولة الشؤون العامة والادارية والعسكرية فكرا حادا وتحليلا  
عميقا ومقدرة على تثبيت الامور مدة طويلة من غير ما تعب .

يجب على ولي الحكومة أن يكون عزوماً بلا تعصب وذا مبادئ لا تثير  
افكار الشعب وان يكون قوي المزيمة بلا قساوة ولا ينبغي له أن يكون ضعيفا  
رعديدا أو ان ينجل من القيام بما يجب عليه .

يجب أن يكون للحكومة اعضاء ووسطاء والا لم يكن لها منزلة عند الامة ولا وسيلة لمخاطبة الشعب أو معرفة رغائبه .

الحكومة الجديدة تلتقط الحظ كما يبدو لها وتسخره لخدمتها  
الامة العظيمة تحتاج الى حكومة ثابتة لا يزعمها تحزم القابض بيده  
على ازمته .

الحكومة المنفيئة في ظل حماية الاجنبي لا ترضى بها أمة حرة  
الرجال العظام — الرجال العظام يعرفون كيف يتسلطون على السعادة والحظ  
يندر أن نرى الرجال العظام يحققون في أشد المشروعات خطرا .  
يكفي ان يكون في الامة طائفة من الرجال العظام لتدبير حظها الادبي  
في الازمنة العصيبة يظهر الرجال العظام والامم الكبيرة شدة الصرعة  
ويصبحون موضوعا لاعجاب الاجيال الآتية .

مكافأة الرجال العظام في ذمة الاجيال الآتية ورأيها  
العظام في الخير والشر يتشابهون اولا يكون من باب السفسطة ان نقول  
ان نفس خرطوش (رئيس عصاة من اللصوص) تشبه نفس «كونده» الكبير  
من بعض الوجوه .

لا يكون الملك عظيما الا في طليعة جيشه .  
الحرب — الحرب شديدة الوطأة على الشعوب وهائلة على المغلوبين  
ان منظر ساحة القتال بعد نشوب المعركة يجعل الملوك يحبون السلم ويستقنعون الحرب  
ما فظع منظر تقاثل الشعوب عند الذي يحملهم على التقاثل  
حينما تتقاثل في أي بلاد كانت نضرم نار الحرب الاهلية  
حينما يتجاوز الملوك حدود الحقوق التي تخولهم اياها ثقة شعوبهم بهم  
ويجلبون عليهم ويلاط الحرب بحق للشعوب ان تنزع هذه الثقة منهم .  
في مصانع الوطن يدبرون حربا منظمة ومأمونة العواقب يشهرونها على العدو  
وهي على الاقل لا تكلف قطرة واحدة من الدم .

ان شؤون الحرب وحظ المعارك ومصير الممالك معلقة بخيط كخيطة العنكبوت .  
في الحرب كما في الحب يجب ان ينظر الناس بعضهم الى بعض عن كذب ليمكنهم أن  
يقرروا نتيجة .

البغض - الرجل كل الرجل لا يبغض ابداً  
لا ينفع ابداً أن تضرم البغضاء أو أن يصبح الانسان ممقوتاً بسببها  
تحذر من البغضاء وأصخ الى كل شيء ولا تبرز الحكم قبل التروي التام .  
اخذ النار امر محزن

الصدفة - الصدفة عناية العيارين

التاريخ والمؤرخون - الحقيقة ارث التاريخ الموروث وهو من هذا القبيل  
معتبر مكرما وجديرا بأن يكون عبرة خالدة للبشر في التعليم  
يجب على من يصنف التاريخ ان يكون فوق درجة البشر لان الكاتب الذي  
يحمل القلم لكتابة هذا الكتاب الذي توزن فيه اعمال البشر بميزان العدالة  
السامية يجب أن يتجرد من أي اهتمام بالمصلحة أو بالعجب .  
يلقى الانسان عبرة في الحوادث العصرية كما يلقي في الحوادث التاريخية  
ولكن لا يلقي فيها أبداً مثالا ينسج على منواله  
الصفحات التي لا تمحى في تاريخ الممالك العظيمة هي الممارك والاعمال الكبيرة  
وفيها يبحث المؤرخون عن مآلهم

حين يبلى الملوك ببلية افعال مدارة عواطف المؤرخين أو بحرحها يعضون  
بنانهم ندما .

الرجال - لا يكون الرجل بمنجاة من الخطر سواء كان على طرف صخرة  
شاهقة او تحت سقف قصر نخم فهو هو في كل مكان .

من الامور الحقيقية انه تصعب معرفة كنه الانسان ولكي يأمن المرء  
الانخداع يجب عليه ان يقصر ابراز حكمه على اعمال الانسان في الوقت الحاضر

لان نضحك من البشر خير من ان نبكي عليهم

ليس الرجال في الغالب الا أولادا كبارا

لا يحكم على الانسان بمجرد النظر الى وجهه فهو لا يعرف الا بالتجربة

إن أعمال الناس تسيرها الوشاية والحسد وجميع عواطف البغض .

حياة الانسان مرآة ينعكس عليها ما يقرأونه فيها ويستعيدون منه .

الرجال نادر وجودهم .

المعالي - انشاء الرتب والنياشين يؤثر في الشعب

يسرون البشر بألعاب صيدانية  
لكل دور من أدوار الحياة ألعاب  
لا يمنع الجميع الشعور بقيمة المعالي وإن قليلا من المال لا يفسد شيئا  
الجهل - الذين يتعمدون خداع الناس ويتولون الاحكام لفائدتهم وحدهم  
يريدون أن يبقوا الناس متسكعين في ظلام الجهل لانه كلما تنور الناس زاد عدد  
الذين يقتنعون من بينهم بضرورة وجود الشرائع .  
فساد الاخلاق - فساد الاخلاق أشأم خلة في صاحب السلطان فهو يجمله  
أمراً مألوفاً ويبالغ الناس في إطرائه ليهيجوه وهو يقوي جميع الرذائل ويفسد  
جميع الفضائل وهو آفة تنزل بالامة .  
الصناعة والتجارة والزراعة - الزراعة روح المملكة وأساسها الاول  
والصناعة منشأ الغنى والهناء في الامة والتجارة الخارجية راموز زيادة اليسر  
وحسن استعمال الصناعة والزراعة .  
المالية المؤسسة على الزراعة المتقنة لا تنضب مواردها أبداً  
التجارة الحرة تفيد جميع طبقات الامة وتحرك جميع الافكار وتثير الامة  
كلها وهي مماثلة للمساواة وممهدة السبيل للاستقلال .  
نكراني الجميل - ليس الناس ناكرين الجميل كما يتهمونهم واذا شكوا منهم  
في بعض الاحيان فما ذلك إلا لان المحسن يطلب منهم في الغالب اكثر مما يعطيهم .  
التعليم العام - يعد التعليم العام أول اداة من أدوات الحكومة .  
اذا كان النور يؤذي الجمهور فلا يكون ذلك إلا حينما تعارض الحكومة  
مصالح الامة وتحصره في حيز محدود وتعمل آخر طبقة من الامة حليفا للشقاء  
وحينئذ يكثر عدد أصحاب الافكار التي تدافع عن ذمارها أو تأتي الجرائم .  
الاحكام - تصدر الاحكام في الدرجة الاخيرة بمقابلتها بامثالها .  
العدالة - لا تكون قوة بلا عدالة .  
اذا فقدت العدالة اشتد ساعد الاحزاب والطفافة وكثر عدد الضحايا  
من الظلم والاستفزاز وفقدان الادب معاقبة الابن بحريرة والده وتجريده  
من ميراثه .  
الحرية - الحرية والمساواة لفظتان خلافتان .

الوجدان ملجأ لا يستباح ذماره تاجاً اليه حرية الانسان .  
الحرية الحقيقية المدنية تأمين للتملك .  
الملك ينزع الحرية حين تعرقل سيره .  
علم الادب والكتاب - الادباء أشخاص نافعون يستوجبون أن يميزوا  
عن غيرهم لانهم يشرفون وطنهم  
إذا برز الفكر الجميل الصحيح بحلة الشعر البديع وصل الى مستقر النفس  
باسرع مما يصل اليه اذا برز بحلة النثر المنمق ،  
المأساة تجعل الحرارة تدب في النفس وترفع القلب وتبتدع الابطال وتقضي  
بهذا الابداع  
ان أفضل وسيلة لتشجيع علم الادب هو اسناد منصب الى الشاعر في خطط الحكومة  
يجب على الشعر والتصوير والنحت ان تكذب ولكن يجب ان يكون  
هذا الكذب سامياً فاتناً وعظيماً .  
الشرائع - الاشتراع ترش تحمله الحكومة في كل مكان يتجهجون فيه على  
ثروة الجمهور .  
الشرائع التي تكون من الوجهة النظرية مثالا للصراحة تصبح في غالب  
الاحيان باعنا على الابهام حين توضع موضع الاجراء فالفساد يتسرب الى كل ما  
يمسه الناس وتتمرس به الشهوات  
للناس قلوب تؤثر فيها الشفقة أما الشرائع فلا قلب لها .  
وجودنا يرتكز على الشريعة فالذي يبتغي تقلد الامر والنهي واختلاس  
مناصب لا تحولة اياها لا يكون صديقا لشعبه  
سر المشرع معرفته الاستفادة من مخالفات الدين يزعم انه متسلط عليهم .  
تقضي مصلحة الامة بالا يجمعوا الهيئة التشريعية سلسلة المقادة واذا كانت  
هذه الهيئة ذات قوة للتسلط علينا اخنت عليها الحكومة أو اخنت هي  
على الحكومة .  
القضاة — من الحماسة ان يكون القاضي في وقت واحد قاضيا في الفعل وفي الحق  
الجنود الجبناء والضعفاء يفقدون استقلال الامم أما القضاة الجبناء فيهدمون  
قوة الشرائع وحقوق العرش والنظام الاجتماعي .

الوراثة غير منطقية على العقل في القضاء لأنها تجعل القضاء ملكا لصاحبه وهي غير منطقية أيضا على سيادة الأمة .

المولى — خير للأمة أن تجاذف لاصابة مولى واحد من أن يكون لها ألف مولى .

النكبات — ان حظ استيانا كس اسير اليونانيين ظهر لي دائما انه اشأم حظ عرف في التاريخ .  
للنكبات بطولة ومجد

الشعوب التي تعودت نيل الانتصارات الكبيرة لا تستطيع في غالب الاحيان ان تطين يوماً من الايام التي تنزل فيها النكبات  
الزواج — الزواج حالة من حالات الكمال الادبي

ان شكل زهرة المديسيس لا يعد في الزواج الا من الصفات الاضافية  
يجب أن نقرر فكرنا على الزواج بامرأة متخذين قاعدة لملئنا صفاتها الادبية كاللطف والاقتصاد وحسن الادارة مما يجيء به الى بيت زوجها .  
الموت وحده يفصم عرى الزواج التي عقدت بالليل الودي والمواطن والحب .  
يجب على الانسان ان يكون شديد الحزم لكي يكون بعد زواجه صاحب الامر والنهي في بيته

لا يتزوج الذي يخصص نفسه للتعليم الا بعد قطع الدرجات الاولى من مهنته  
لا فائدة من الزواج للمنظمين في سلك الجندي  
الوزراء — يجب ان يكون فكر الوزير أسرع من يده فليس له وقت الا  
لوضع الرسوم فلا بد له من أن يصوغ الكلمات في حروفه والعبارات في كلامه  
اذا سقط الوزراء بقيت الامم واقفة

الاعتدال — الاعتدال يطبع الحكومات بطابع محمود كما يطبع الشعوب  
وهو رفيق القوة وكيان الانظمة الاجتماعية

الانصاب — ان فكرة اقامة الانصاب للذين افادوا الشعوب مكرمة في  
الامم ولكن يترك للقرون الآتية امر الاهتمام بتشيدتها بعد ان يتأيد الرأي  
الذي يبذونه عن الابطال .

الموت — نحن جميعنا مقضي علينا بالموت ولكن هل تساوي بضعة ايام نعيشها لذة الموت في سبيل بلادنا  
أفضل أنواع الموت موت الجندي في ساحة الشرف هذا اذا لم يكن افضل منه موت القاضي في سبيل الدفاع عن مليكه والعرش والشرائع .  
الموت يفاجيء النذل ولكنه لا يفاجيء الشجاع وهذا لا يموت إلا حينما تأتي ساعته .

في الحياة مصاعب شتى تكون سببا لشرور عظيمة بحيث لا يعتبر الموت اعظمها .  
الامم — استطاع قتل شعب عظيم ولكن لا استطاع تصديره جباناً  
أيها الشعوب انك تستحقين العبودية والعار  
احترموا الشعوب التي تنقذونها  
الرأي العام — الذي لا يعلق أهمية على الرأي العام يدل على أنه غير جدير  
بالاصوات في الاقتراع .

الرأي العام في قبضة الذي يعرف كيف يتصرف به  
الرأي العام يمنح القوى حقاً والقضية التي تفوز تعتبر قضيته  
ماهي الحكومة ؟ لاشيء اذا لم يكن الرأي العام من ورائها .  
المعارضة — الفرق عظيم بين المناقشة في بلاد مضي عهد طويل على تنظيمها  
والمعارضة في بلاد حديثة العهد بالتنظيم  
التنظيم — خير للشعب أن يكون له تنظيم شيء من أن يكون بلا تنظيم  
الكبرياء — لاشيء من الكبرياء يعادل الضعف الذي يشعر المرء به بتحرره من نير القوة  
السلام — السلام هو أول حاجة للانسان وأول مجد له  
لا ينبغي أن يعقد الصلح بلا ضمان لان مكارم الاخلاق تخدع السياسة  
السلام المبني على استقلال جميع الشعوب معدود من الخيالات التي يتخيلها  
الاغرار ويؤيد ذلك الاختبار .

الكلام — الكلام يزول والاعمال تبقى  
الوطن — الوطنية كلمة تعبر عن فكرة سامية  
ليس للوك والقضاة والجنود والوطنيين في حياتهم سوى غرض واحد وهو  
- مصلحة الوطن .

حينما يزول الوطن يجب على الوطني الحقيقي ان يموت  
الفساد - يكون الفساد دائماً فردياً ولا يكون على التقريب أبداً طاماً فاخوة  
يوسف لم يقر رأيهم على قتله أما يهوذا الاسخريوطي فانه أسلم سيده الى العذاب  
برودة وخبت وحسبان دنيء .

الشعب والغوغاء - إن سيادة الشعب لا يجوز المجازفة بها  
إن أول واجب على الملك هو ولا مراة أن يفعل ما يريد الشعب ولكن  
الشعب لا يعرف على التقريب ما يريد فان مشيئته وحاجته في قلب الملك أكثر  
مما هما في فيه .

في الامة العظيمة تكون الاكثرية عاجزة عن إبراز الاحكام الصائبة  
على الاشياء  
يجب أن يخدم الشعب بكرامة وأن يعرض عن إبهاجه فأفضل وسيلة لاستمالته  
هو الاحسان اليه .

يقضي ثبات الحكومة أن يكون للشعب ضلع كبير في الانتخابات  
لا ينبغي أن يعول على الشعب فالشعب يصبح على السواء . « فليمش الملك »  
« فليمش الاعتصاب » بل يجب ان يختط منهج له وأن يكون لذلك أدوات .  
الجمهور الذي ينظر الي باعجاب ينظر الي بالعين نفسها وانا صاعد الى النطع .  
الشعوب والملوك أعداء الداء .

ليس مجموع الهيئة الاجتماعية شريراً لانه لو كانت الاكثرية الساحقة تريد  
أن تعبت بالشرائع البشرية فن يجرؤ على صد تيارها أو تحويله .

لا تتمرس الغوغاء بأخذ حين تبصر أمامها حراب الجند  
يحتقر اللثام بقدر الامكان وحين لا يبقى هذا الاحتقار ممكننا يجب الضرب  
على ايديهم بيد من حديد

النهب - من حسن الحظ أن تكون السياسة متفقة مع المبدأ الادبي  
لمعارضة النهب

المناصب - حينما يطمع الانسان باحراز منصب يكون مبيعاً الغيرة قبل احراز متعبه  
المحافظة على النظام - لكي يحسن الانسان المحافظة على النظام لا بد له من  
أن يكون خالياً من المواقف



تقتضي المحافظة على النظام الثبات ولاسيما السرعة .  
في المحافظة على النظام ابتداءً بفوق ما فيها من الاكتشاف .  
السياسة — أفضل سياسة هي البساطة والحقيقة  
لايستطيع الانسان أن يوفق بين السياسة والعواطف  
الاعتبارات العائلية أمر بليد في السياسة  
الاسباب السياسية تفوق جميع الاسباب الاخرى :  
يجب على الانسان أن يخضع منهاجه السياسي لمقتضيات الحوادث وألا يخضع  
الحوادث لمناهجه السياسي  
في السياسة كل ما هو ضار — ولو كان في القواعد — لا يعذر أحد عليه لانه  
من الضرورات اللازمة وكل ما تجاوز ذلك عد جريمة .  
النصب الذي له علاقة بالسياسة يجب أن يسرعوا في اقامته  
في السياسة بون شامع بين الوعود وتتميمها  
تسلط السياسة على الحوادث ولا تسلط الحوادث على السياسة  
لايستطيع أحد أن يعرف نتائج المفاوضات السياسية الخاضعة لتأثير  
الحوادث العسكرية  
ليس من حوادث صغيرة للامم والملوك فهم متسلطون على حظههم  
الكهنة — لا تبقى مؤسسة مدة طويلة من دون أن تكون مؤيدة بهيئة  
قسوس أو هيئة مدنية  
يجب على الكهنة أن يمحسروا اعمالهم في ادارة شؤون الديانة  
لا ينبغي للكهنة أن ينزع ثوبه ابداً ويجب عليه الا يخفي اخلاقه دقيقة  
واحدة .  
ابتداءً الانحطاط في ايطاليا منذ الحين الذي اراد الكهنة فيه ان يديروا  
شؤون المالية والمحافظة على النظام والجيش .  
الملوك — ان الملوك هم أول الوطنيين في الدول  
يقرن الملك حفظه بحظ وطنه ليمثل به  
يجب على الملك أن يكون راجح الحصاة على عرشه  
الذي يبتغي التأثير في الملوك ومقاصدهم بحرح عواطفهم

كل امة مهما صغر شأنها يحق لها أن تنفض عنها غبار الصغاردة بخضوعها  
لملك يجلسه على عرشها عدو ينتصر عليها انتصارا وقتيا  
حينما يظهر الملك الثقة في اعماله يجعل للناس ثقة به  
تفنى ارادة الملوك في بعض الاحيان فالحوادث تسلط عليهم ويتوقعون كل  
شيء من نتيجهتها

الاحتمال والترجيح — حينما يكون الانسان في حالة الاحتمال أو الترجيح  
لا يستطيع تقرير فكره على شيء  
التقدم — يسرع الانسان حينما يسير وحده .

الملك — الحرية المدنية الحقيقية منوطة بسلامة الملك .  
البيسيكولوجيا — ليست البيسيكولوجيا من خصائص قواد الجيش البري ولا من  
خصائص قواد الجيش البحري فليس لهؤلاء القواد سلطة الا على الجسم الانساني  
أما ما ينطوي عليه هذا الجسم فهو من خصائص الفلاسفة .  
التجديد — من يجرؤ على التفكير بتجدد شعب بين عشية وضحاها يعد احمق .  
الملكات — يجب على الملكة أن تتسلط على نفسها وان تكون ذات  
كياسة في الحب .

يجب أن يظل كيس الملكة مفتوحا لتغمر بعوارفها النساء والاولاد .  
الدين — لاغنى للحكومة عن الدين في جميع البلدان ولا بد من التمويل عليه  
في التسلط على الناس .

أرى في الدين سر النظام الاجتماعي  
الاديان جميعها وليدة البشر وهي العنصر الحقيقي للآداب الحقة والمبادئ  
المصادقة والاخلاق النبيلة

يجب على رجال الدين أن يقتصروا على خدمة السماء .  
لا شيء كالاستبداد الديني يحقر من مقام الامة  
العواطف الدينية تعزي قلب الانسان فمن يحرزها ينل نعمة من السماء  
كل شيء في الدين يجب أن يكون مجانيا للشعب ولا ينبغي أن يحرم المساكين  
ما يعزهم في فاقتهم وذلك لكونهم مساكين .  
تصوروا عذاب الآخرة متما للاشياء الجذابة الناقصة التي يعرضونها علينا .

لا أحب أصحاب الافكار القوية فالحمي وحدهم لا يكثر ثون للمجهول  
يجب على كل انسان ان يبقى في الدين الذي ولد فيه  
ان تغيير الدين - وقد لا يعذر الانسان عليه - لمصالح خاصة يستطاع فهمه من  
وراء غظم نتائجها السياسية  
يجب أن يكون الدين كله في الدولة في قبضة صاحب السلطة كما تكون قوة  
الشحنة في يده  
النتائج - تنهي الاشياء البشرية بسفك الدم الغزير والقيام باعمال عظيمة  
كثيرة وبانتصارات واعمال ومواظبة  
كل شجرة تأتي بشمرها ولا يحصد الانسان الا ما زرعه  
يقضي الانسان بالحكم على أشياء حمة لانه لا يدرك نتائجها  
التردد والفوضى في الحركات يفضيان الى الضعف والفوضى في النتائج  
أصغر الاسباب ينتج أعظم الحوادث  
لا تثمر الامور الا حين توضع في محلها .  
لا يكون شيء قد تم مادامت اشياء باقية بغير انعام  
الثورات - الثورة ضربة سوط قوية تضرب بها الامة .  
الثورات كالسماد القذر تساعد على نمو اخر النباتات .  
الثورات المبنية على قاعدة تتلف كل شيء في الحال ولا تستبدل به الا في المستقبل  
ان زمان الثورات هو زمان الاجرام والدهاء فكلها يلقيان مادة ممتازة بها  
لا ينبغي للجندي أن يقنط من شيء في آونة الثورة فعليه أن يتدبر  
بالثبات والشجاعة .

في الثورات لا يلتقي النقيضان  
الثورة ضربة شديدة تنزلها السماء بالارض فهي تغني الفقير من دون أن  
ترضيه وتفقّر الغني من دون أن ينساها وهي تقلب كل شيء ظهرا لبطن وتجرح  
البلاء على الجميع ولا تمنح أحدا هناء العيش .  
الشك - الشك فضيلة في التاريخ والفلسفة  
المواطن - يجب أن لا يكون قلب رجل الدولة إلا في رأسه  
معظم المواطن متسلسل عن التقليد ولذلك نشعر بها لانها تقدمتنا

تعظم الانسان بقلبه يوليه مجدا وقوة حقيقية  
الشدة - تتلاقى الشدة المفوعات أكثر مما تمنع وقوعها

حينما يعزم الملك على الضرب يجب عليه أن يضرب كثيرين في وقت واحد  
فتستتب الامور بعد ذلك فيقلل حينئذ من العقوبة ويكثر من نيل نتيجة من  
دون أن يحجروا

حينما يعرف الملك الاشخاص الذين يبتغون التخلص منه يجب عليه أن  
يبادر الى التخلص منهم

يجب على الانسان أن يضرب أو أن يضرب  
العذاب - الحياة عذاب والرجل الكريم لا يني عن الجهاد ليظل ماسكا  
ناصية نفسه .

قد يتمزق القواد وتبقى النفس غير مزعزعة .  
للام حدود لا ينبغي أن يتخطوها .

الملوك - ليست سيادة الملوك في لقبهم ولا العرش في مظهره الخارجي .  
لقد تقرر في كل مكان أن الملوك لا يوجدون إلا للشعوب

ان وجود العرش وما يحيط بالملوك من البهاء والقوة واستمرار السلطة والوراثة  
أنظمة وضعت لخدمة الشعوب وتنظيمها .

لا تكون الثقة التي يصيبها الملك متينة الاكان إلا حينما يقرها انتخاب  
الشعب الذي قلده السلطة العليا

ليس في العالم ملوك عراة فالملوك متشحون بالاردية وليس الملوك في الطبيعة  
بل في المدن .

الملك يجعل شعوبه سعيدة بسيرته المستقيمة الصادقة البسيطة وهو نفسه  
يتمتع بهذا الهناء .

لا يكون الملوك بلا أموال ولا وسائل لحشد العساكر وتهيئة الاساطيل .

لا ينبغي للملك أن يضع يده إلا على أشخاص يصلحون لأن يعملوا عملا ؛  
حينما يكون عند الملك أشخاص ممتازون لا ينبغي له أن يكل الاعمال الى  
المفلسين وأصحاب الدسائس

يجب على الملك أن يضحي باعذب عواطف قلبه في سبيل الدولة ولا ينبغي أن تكون ضحيته مافوق شجاعته  
لا ينبغي أن يكون شرف الملك معارضا لهناء بلاده .  
لا يكون الملوك الشرعيون بين الجيوش الاجنبية  
انقضى عهد الملوك الكسالى  
يجب على الملك أن يفتح طريقا واسعا في وجه شعبه وان يحمي الذي يسير في الصراط المستقيم وبماقب الذي يحيد عنه بمنة أو يسرة  
أول فكرة للملوك يجب أن تكون موجهة الى الاذنان لاماني جميع الشعوب وحاجاتها والبحث في آفة السلم عن علاج للمصائب التي تثقل في آونة الحرب كاهل جميع الامم.  
يندر أن يكون في حياة الذين ينتدبون لتولي شؤون البشر اوقات هناء  
يجب على الملك ان يرغب في الموت اذا قضى عليه بان يصبح موضوعا لشفقة الناس عليه .

قليل عدد الملوك الذين لم يستحقوا الخلع عن العرش  
العروش مصدرها الله واكبر جريمة في عينه تعالى هو زهزعة دعام الاحترام والحب الواجب على الانسان اظهارهما نحو الملوك .  
الملك الذي تختاره الامة يكون في نظر الشعوب ملكا شرعيا  
في المملكة لا ينفصل شخص الملك عن العرش .  
اذا نزع من الملكية اقدامها على العمل نزع من قوتها الادبية  
يجب أن تميز افعال الملك الذي يتصرف بمعونة غيره عن افعال الفرد الذي لا يثبطه شيء عن اظهار عواطفه فالسياسة توافق وتأمرا ايضا على عمل الواحد ما يكون بلا مسوغ في عمل الآخر  
ليس الملوك ملائكة بل هم اناس ويكونون في بعض الاحيان معرضين اكثر من غيرهم للخطأ والغضب  
حينما يمدح الخادم مليكه ولا يكون هذا الملك مستحقا للمدح لا يحسن خدمته .

خير للانسان أن يعيش ملكاً من أن يعيش اميراً .  
الاحصاء — الاحصاء «ميزانية» الاشياء  
النجاح — يتعلق نجاح الوسائل بوجود العمل  
يتعلق نجاح المسمى بلا شيء ككذب أو جرد مثلاً  
الانتحار — الاستسلام الى الحزن بلا مقاومة والانتحار للتخلص من

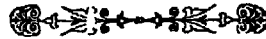
ذلك هما مفادرة ساحة القتال قبل الانتصار  
هل يستطيع الانسان ان ينتحر وهل يجب عليه أن يفعل ذلك . يجاب  
بعضهم على ذلك بقوله « نعم » وهذا حينما يقنط ولكن من يقنط ومي يقنط  
وكيف يقنط في معترك هذه الحياة حيث يكون موت رجل موتاً طبيعياً او  
عنيفاً باعثاً في الحال على تغيير حالة الامور ووجوهها  
لا شيء اعظم لصرم جمال الحياة من عمل الانسان الذي يفقد كل ثروته في  
اللعب فلهذه مجال واسع للشجاعة للتغلب على مصيبتها التي لم يستحقها  
المائدة — يكون للمائدة قسم كبير في اصابة السيادة  
الزمان — كل ساعة من الزمان تفقد تدني من الشقاء في المستقبل .  
المعاهدات — المعاهدات اعمال مقدسة يمد اجراءها اول ضمان تعول  
عليه الامم .

المعاهدة التي لا تبرم في الوقت المعين لا تعتبر معاهدة حقيقية .  
ان ابرام معاهدة الصلح يجب أن يكون دائماً خاصاً وبسيطاً من دون تنقيح  
ولا تعديل .

يجب أن يكون الكلام في المعاهدة واضحاً وخالياً من المواربة  
لا يحسن أن تعرض المعاهدة المعقودة بين حكومتين على اهواء وآراء  
مجلس اشتراعي .

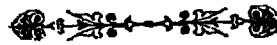
العمل — العمل يتضمن راحة الهيئة الاجتماعية وهناء الفرد معاً  
العرش — العرش قطعة من خشب تغشيه القטיפه  
الوحدة — قوة الائتلاف والوحدة تؤثر في آخر شخص مادي  
الحقيقة — ان اختراع الطباعة وانتشار النور في ايامنا هذه يقلل من مضار  
الوشاية التاريخية وتظهر الحقيقة في آخر الامر ولكن ما ببطاً ظهورها

لا تحتاج السلطة المطلقة الى الكذب فهي تصمت أما الحكومة المسؤولة  
المضطرة الى الكلام فانها تستر الحقيقة وتكذب بوقاحة  
الفضيلة — خسر الذين لا يؤمنون بالحقيقة  
في احترام الجمهور مكافأة لاهل الصلاح .  
يفعل احدهم فعلا منكرا ويكون هذا الرجل كريما وذلك لان الانسان  
لا يفعل ما يفعله وهو مسير بخلفه بل بعاطفة وقتية سرية مكتوبة في طيات فؤاده  
من خصائص كرام القوم ارشاد السلطة الى الحقيقة  
الرزائل — يوجد رذائل وفضائل وقتية  
الشجاعة والفضائل تحفظان الدول والرذائل تدمرها  
الانتصارات — لا ينبغي أن يتقلدوا السلاح لاجل مشروعات العظمة الباطلة  
ولا للاتقياد لمطامع الفتوح  
الفتوح الوحيدة التي لا تبقي تأسفا بعدها هي فتوح قلعة الجهل  
يحتاج الملوك في بعض الاحيان أن يصيبوا انتصارا لكي يباشروا مشروعا جديدا  
انتهاك العرض — الذي ينتهك العرض يعد وحشا في جميع البلدان  
خرق حرمة القوانين — ان فضح أسرار الرسائل قد يفضي الى فقد الملك  
افضل اصدقائه .



## خاتمة الكتاب

قذفت بنا الاقدار الى جزيرة كورسيكا في أواخر صيف سنة ١٩٢٠ — ولا مجال الآن لبيان الاسباب التي أوصلتنا الى تلك الجزيرة — وقد قضينا ستة أشهر في مدينة اجاكسيو مسقط رأس نابوليون الكبير فكانت تلك الفرصة من أحسن الفرص لدرس حياة ذلك الرجل العظيم في عقر بيته ولذلك سننشر خلاصة ما وفقنا الى جمعه عن كورسيكا وسكانها ويرى المطالع ان لجميع هذه الامور علاقة باخلاق نابوليون وعاداته وقد بقي اثرها فيه كل حياته ونسكتفي بهذا التمهيد الموجز ففي سياقة الاخبار ما يغنيننا الآن عن زيادة الاسهاب :





## جزيرة كورسيكا

وصلت الباخرة « كورسيكا » التي اقلتنا من مرسيليا الى مرفأ اجا كسيو في الساعة التاسعة من صباح الجمعة في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٠ والمسافة بين مرسيليا واجا كسيو ٣٣٠ كيلومترا تقطعها الباخرة في اثني عشر ساعة وخمس واربعين دقيقة . وحالما تمجتاز السفينة جزائر سنغينار تقع العين على خليج اجا كسيو وهو مشهد بديع يروق الناظر اليه فالى الغرب ترى بساين بريكاي وجبانة اجا كسيو وكنيسة الاغريقين والى الشرق بيانا ورأس ستي نافي ورأس بورتيكيو وعند آخر الخليج برج كابيتلو وسهول كمبودل اورو وقم جبل أورو المكالة بالثلج .

وصعدنا الى البر واجتازنا الرصيف المسمى رصيف نابوليون حتى انتهينا الى ساحة النخل المنسوب في وسطها تمثال يمثل نابوليون حينما كان قنصلا اول ثم مرنا في شارع غراتال حتى وصلنا الى نزل اجا كسيو الكبير اونزل الكنتيننتال فوضعنا امتعتنا فيه وبعد الغداء نزلنا الى المدينة لتتفرج عليها وزرنا البيت الذي ولد فيه نابوليون الكبير وسنعود الى وصفه عند الكلام عن اجا كسيو ولما كان من الغد نهضنا با كرا وركبنا القطار المنطلق الى مدينة كورتي وقبل الكلام عن هذه المدينة يحسن بنا أن ننشر لمحة عامة عن جزيرة كورسيكا وقد قل من عرف شيئا عنها من الناس في بلادنا غير مولداهية فرنسا نابوليون الاول فيها وبزر القز المعروف باسمها :

كورسيكا جزيرة جميلة في البحر الرومي كان يسميها الاغارقة سرنوس والرومان كورسيكا والفرنسيون كورس وهي اكبر جزائر البحر المذكور بعد جزيرتي صقلية ومردينيا وموقعها بين الدرجتين ٤١ و ٤٣ من العرض الشمالي والدرجتين ٨ و ٦ من الطول الشرقي وهي ذات شكل بيضي غير متناسق يمر محوره الاكبر وطوله ١٨٣ كيلومترا من الشمال الى الجنوب ويبلغ طول المحور الاصغر الممتد من الشرق الى الغرب ٨٤ كيلومترا ويبلغ محيط الجزيرة ٤٩٠ كيلومترا فتكون مساحتها ٨٧٧٨ كيلومترا مربعا ويبلغ عدد سكانها نحو ثلاث مئة الف

نفس واقرب مكان اليها في فرنسا يبعد عنها ١٧٠ كيلومترا وفي ايطاليا ٨٥ كيلومترا ويفصلها عن سردينيا بوغاز بونيفاسيو وعرضه ١٢ كيلو مترا .

وتقطع الجزيرة من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال طويلة تقسمها الى منحدرين يكادان يكونان متساويين ويتفرع من هذه السلسلة سلاسل جبال أخرى بحيث أن ارض الجزيرة تعد جبلية واعلى تلك الجبال جبل شنتو ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٧١٠ امتار لجبل روتندو وعلوه ٢٦٢٥ مترا لجبل باليوربا وعلوه ٢٥٢٥ مترا لجبل بادرو وارتفاعه ٢٣٩٣ مترا لجبل اورو وارتفاعه ٢٣٩١ مترا لجبل رينوزو وعلوه ٢٣٥٧ مترا وغير ذلك من الجبال التي يزيد ارتفاعها على ألفي متر . ويتخلل تلك الجبال اودية عميقة يتصل بعضها ببعض بمعابر ضيقة ناشئة عن انخفاض طاريء على السلسلة الاصلية ومتفرعاتها ومن تلك المعابر مايبلغ ارتفاعه ٣٦١ مترا كمعبر السيرا ومنها مايبلغ ١٤٦٤ مترا كمعبر فرجيو . والشواطئ الغربية في الجزيرة تتخللها خلجان واخوار كثيرة والشواطئ الشرقية يتصل بعضها ببعض الا في بعض الجهات .

وفي كورسيكا تنحدر الجداول والانهار من مرتفعات عالية جدا وتقطع مسافة قصيرة قبل ان تدفع ماءها الى البحر فهي والحالة هذه اشبه بالندران منها بالانهر واهما نهر غولو في المنحدر الشرقي فطوله اربعة وثمانون كيلومترا ويتلوه نهر تافينيانو وطوله ثمانون كيلومترا . وفي المنحدر الغربي نهر لياموني وطوله اربعون كيلومترا ونهر غرافونا ونهر طارافو .

وفيها بحيرات اهمها بحيرة جبل روتندو ومساحتها سبعة هكتارات وبحيرة نينو ومساحتها ستة هكتارات ونصف هكتار أما المستنقعات فتكثر في السواحل الشرقية واهمها مستنقع بيغوليا فان مساحته الف هكتار وخمس مئة هكتار ومستنقع ديانا ومساحته خمس مئة هكتار وسبعون هكتارا .

وفيها احراج مساحتها مئة وتسعة واربعون الف هكتار منها خمسة واربعون ألفا للحكومة وسبعة وسبعون ألفا للبلديات وسبعة وعشرون ألفا للافراد وفيها مياه معدنية كثيرة تشمل في معالجة فقر الدم ( الانيميا ) ويكثر فيها الحديد والغازات وهي تشبه مياه التي من نوعها في فرنسا وفي سبا ببلجيكا وفيها ايضا المياه الكبريتية السوداء الجزيلة المنفعة .

وقسم فولتي كورسيكا الى ثلاث مناطق باعتبار احوالها الجوية : الاولى من ارتفاع متر واحد الى ٥٨٥ مترا عن مستوى البحر وهذه المنطقة تحاكي درجة حرارتها درجة الحرارة في سواحل ايطاليا واسبانيا ، والثانية من علو ٥٨٥ مترا الى ١٨٠٠ متر وهي تماثل الانحاء البالغ علوها مثل هذا العلو في مقاطعة البروفانس بفرنسا من جهة احوالها الجوية . والثالثة من ارتفاع ١٨٠٠ متر فما فوق وهي باردة كالبلاد النروجية .

ويقال بالاجمال ان الاحوال الجوية في كورسيكا تلائم الصحة إلا في بعض الانحاء في السواحل حيث تنتشر الوبالة (الملاريا) في الصيف . وحيث ان كورسيكا مجاورة للبروفانس وبلاد الجزائر فكان يجب أن يكون هواؤها حارا الا ان وفرة الجبال فيها واتساعها وارتفاعها تجعل الهواء باردا في هضابها في معظم ايام السنة وهناك ايضا منطقة متوسطة تتميز فيها فصول السنة ويكون الشتاء والصيف فيها معتدلي درجة الحرارة وهذه المنطقة تفضل غيرها في اعتدال احوالها الجوية ويكثر فيها عدد السكان وزراعة اراضيها متقنة .

وفي كورسيكا ثلاث مناطق زراعية المنطقة السهلية وهي شديدة الحر في الصيف ومعتدلة الهواء في الشتاء وهي ملائمة لزراعة الكباد والليمون واللوز والحنطة والكرمة . والمنطقة المتوسطة وهي معتدلة الهواء وصحية تنمو فيها الاشجار المثمرة والكستناء والجوز . والمنطقة الجبلية وفيها يشتد البرد في فصل الشتاء وتتلطف درجة الحرارة في الصيف وتكثر فيها الاحراج والنباتات العطرية الاربع والمراعي الممرعة .

أما التجارة والصناعة في تلك الجزيرة فسندخص لها فصلا مستقلا فضمنه كل ما يحسن الاطلاع عليه . ولا يزال تاريخ كورسيكا في العصور المتوغلّة في القدم محفوقا بالغموض فيزعم بعض المؤرخين ان تيرانيي ليديا هم أول من استوطن الجزيرة واختلط مع سكانها الاصليين المجهولي الاصل والفصل وفيما بعد انشأ فيها الفينيقيون عدة مدن واطلقوا عليها اسم سرنوس ولا تزال معروفة بهذا الاسم الى يومنا هذا . ويزعم علماء أصول اللغة واشتقاقها أن اسم سرنوس او كرنوس مشتق من « كير » وهي لفظة فينيقية معناها قرن أو رأس وهو يدل على شكل الجزيرة . ولغة كورس مشتقة من كورسايي وهي لفظة صورية

معناها مكان تغطيه الاحراج . ومن هذه اللفظة المحولة الى اللغة اللاتينية اشتقت كلمة كورسيكا أو كورس كما يسميها الفرنسيون .

وفرانكوسيون من وجه الفرس حوالي سنة ٥٥٦ قبل المسيح فغادروا بلادهم ونزلوا في سواحل كورسيكا الشرقية وأنشأوا فيها مدينة أليا (البريا) ولكنهم ما عتَمُوا ان هربوا من الاتروسكيين والقرطاجيين المتألبين فاستولى هؤلاء على الجزيرة ولبثوا اصحاب الامر والنهي فيها الى سنة ٢٣٨ قبل المسيح حينما احتلها الرومانيون .

ولم يكن احتلال الرومانيين لكورسيكا بالامر السهل فقد اقتضى فتحها عدة بعثات متوالية وانكسر فيها قناصل مشهورون ككرنيليوس سيبوني وماروس وغيرهما وهلكت فيها كتائب برمتها ولم يتم للرومانيين تدوينها الا في سنة ١٦٢ قبل المسيح على يد سيبون نازيكا .

وذخل الجزيرة مع الرومانيين عهد رخاء واقبال فانشئت المدن العظيمة وازهرت المدن القديمة ورسم سيلامدينة البريا وأسس ماريوس مدينة ماريانا في سنة ١٠٤ قبل المسيح ويزعم بطولماوس ان عدد سكان الجزيرة في ذلك العهد زاد على مليون نفس واستمرت سيادة رومية على كورسيكا الى سنة ٤٥٨ بعد المسيح أي الى عهد غزوات البربر فكان الفندال والغوطيون والهمبارديون والبيزنطيون يتعاقبون على الولاية عليها . وحوالي سنة ١٧١٣ بعد المسيح طرد مسلمو اسبانيا البيزنطيين منها وحلوا محلهم وكان بعد ذلك ان العاهل الكبير شارلمان ارسل لمقاتلتهم الكونت ادهار ثم ابنه شارل فانهزم المسلمون واضطروا الى مغادرة الجزيرة ولم يعودوا اليها الا بعد وفاة ذلك العاهل المصور خيئذئذعهدلويس الحليم الى الكونت بونيفاس التسكاني في اخراجهم منها فصعد هذا الى البر من الجهة الجنوبية وأسس مدينة بونيفاسيو وتسلط على الجزيرة كلها الا ان خلفاءه لم يحسنوا السيرة مع الرعية فكان من وراء تصلفهم ومظالمهم قيام الناس عليهم وكان في ذلك الحين رجل هام من سكان الجزيرة يدعى سامبوكوسيو والندو رأس تلك الحركة في سنة ١٠٠٢ وظفر بالاعيان المتألبين وسن نظاما جمهوريا لنصف الجزيرة الشمالي ولكن لما حضرته الوفاة في سنة ١٠١٢ ثارت الفتنة من مريضها واعترف الكورسيكيون بالكونت مالا سبينا التسكاني زعيما للاقليم

الذي حرره ساميو كوسيو فاعاد هذا الكونت النظام الى نصابه وأحسن تدبير بلاده الصغيرة ولما تحرمت المنية في سنة ١٠٧٠ خلف الحكم لاسرته .

وبسط البابا غريغوريوس السابع لواء سيادته على جزيرة كورسيكا في سنة ١٠٧٧ فاقطعها لندلف مطران بيزا ثم انتقلت السيادة عليها من يد المطارنة الى يد جمهورية بيزا ودامت نحو قرن من الزمان تجدد في اثناؤه عهد الرخاء والاقبال الذي مر عليها لما كانت خاضعة للدولة الرومانية فانشتت الطرق وبنيت المدن واقامت آثار كثيرة لا يزال بعضها قائما الى اليوم ككنيسة مار ميخائيل في موراتو وكنيسة القديسة كاترين في سرفيوني . واحتل الجنويون خصوم البيزويين مدينة بونيفاسيو في أواخر القرن الثاني عشر وحصنوها ونقلوا اليها أسرا كثيرة من جنوى وكانت بين بيزا وجنوى حرب عوان فاقامت بيزا قائدا على جنودها رجلا شجاعا من أهل الجزيرة يدعى جوديشي دلا روكا إلا أن ابنه الطبيب سالفيني غدر به واسلمه الى الجنويين فمات في السجن في سنة ١٢١٢ . ومحطم في ملوريا بايطاليا في سنة ١٢٨٤ اسطول بيزا وكان بقية الكونت فازبو فسقطت جميع المدن الساحلية في حيازة الجنويين واستولوا بمعونة فريق من اعيان الجزيرة على جميع انحاءها . وأتى الجنويون من ضروب الارهاق والاعتساف ما اطلق الفتنة من عقالها وأسأل غدران الدماء في خلال اربعة قرون متوالية وكان في مقدمة الزعماء الذين اوقدوا لظى الفتن اريغو دلا روكا في سنة ١٣٧٠ وفنشتلو دستريا في سنة ١٤١٤ .

وخيم الفونس الخامس الاراغوني في الجزيرة في سنة ١٤٢٠ وحاصر بونيفاسيو ولكنه اضطر الى الرجوع الى نابولي للاتيلاء على ميراث الملكة حنة وأصار الى فنشتلو دستريا استثناف الحصار ومنحه لقب نائب ملك . وحدث ان فنشتلو قتل فقام بولو دلا روكا ورينو تشيودي ليكا بانجاز مهمته ولكن كان من نصيبهما الانحلال . وبعد سنوات طلب انطون دلا روكا من الفونس الاراغوني ملك نابولي أن يؤيد حقوقه على الجزيرة فأرسل الملك حاكما على الجزيرة رجلا يقال له جاك اميزورا فأساء التصرف وحرك موجدة القوم عليه فنفروا منه ودفعتهم الجحالة على الاستغلال بكنف مصرف القديس جرجس الجنوبي في سنة ١٤٥٣ . وارهق مصرف القديس جرجس جزيرة كورسيكا بما فرضه عليها من الضرائب

للفادحة وانزل شديد العقوبة بالمعارضين المتمردين ففتحت أبواب الفن واضطر  
المصرف الى اقفالها بالالتجاء الى ضروب من العنف لم يسبق لها نظير .

وظل رينوتشيو دلا روكا زعيم الثائرين بمجاهد جهادا متواصلا اثني عشرة  
سنة ولكنه خانته الجذ قنشب في احبولة نصبت له فآثر الموت على الوقوع في  
قبضة اعدائه ولقي حمامه في سنة ١٥١١ بقذفه نفسه من اعلى قصر روكاينا .

وحدث بعد ذلك أن سمبيارو من بستليكا وقد لقب فيما بعد بسمبيارو  
الكورسيكي كان قائدا في فرقة حرس الملك هنري الثاني الفرنسي فاقنع  
الملك بأن يسير الى كورسيكا جيشا لطرد الطغاة منها فسقطت الجزيرة في يده  
ماعدا مدينة كلفي فانها فضلت البقاء خاضعة لجنوى . وعلى باب من أبواب كلفي  
كتابة باحرف ذهبية تدل على مانم عليه سكان المدينة من أسرار الشجاعة في  
أثناء حصارها . ودامت نيران القتال مضطربة وظفر سمبيارو مرتين بالجنرال  
سبينولا وفكر في ضم الجزيرة الى فرنسا ولكن حالت دون ابراز ذلك الفكر  
الى حين العمل معاهدة كاتوكبريزيس المعقودة سنة ١٥٥٩ وقد نصت على إعادة  
الجزيرة الى جنوى على ان سمبيارو مع فقد الاعضاء والانصار لم يبلغ منه القنوط  
بل ثابر على الجهاد وكانت وطنيته وهمته وشجاعته خير محرك لبساله اصحابه  
وجراتهم ولما أعيت الحيل جنوى وقنطت من تقليص اظفار عزيمته استمالت اليه  
حاجبه فقتله في سنة ١٥٦٧ .

وكان لسمبيارو ولد اسمه القولنس درنانو فخارب جنوى سنتين ولكن كان  
قد فقد صبر كورسيكا فعد نفسه سعيذا لعقده معها ا صلحامؤانيا لمصلحته  
وغادر الجزيرة ميمما فرنسا وهناك انعم عليه برتبة المارشالية .

وتولى اندره دوريا الجنوي الحكم في الجزيرة فآدار الشؤون بحنكة ودهاء  
ولكنهم استقدموه الى جنوى فعاد الاضطراب الى كورسيكا وتفاقت فيها  
الخطوب . وانقسمت البلاد الى حزبين حزب الجنوبيين وكان افراده يتمتعون  
بجميع الامتيازات فكانوا ينهبون ويقتلون وهم آمنون من وصول يد العقاب  
الهم وحزب الوطنيون وكان افراده يرزحون تحت اعباء الضرائب الباهظة  
يدفون لنبال العقوبات الشديدة عند ادني هفوة بأتونها وهذا هو أصل  
الحزب (فندتا) الذي اشتهر به الكورسيكيون فيما بعد .

واضطربت الثورة في قرية بوستانيكو في سنة ١٧٢٩ وما لبثت أن عمت الجزيرة كلها واستولى الكورسيكيون على سان فلوران بمعونة جافيري وسيكاليدي. ولما وجدت جنوى نفسها مغلوبة على امرها استنجدت بعاهل المانيا فانجد بثمانية آلاف محارب وتقوى الجنويون بالالمانيين وزحفوا بقيادة كاميل دوريا واحيروا الكورسيكيين على رفع الحصار عن باستيا ولكنهم غلبوا في كالزانا وقتل ثلاثة آلاف من المقاتلين المأجورين الذين كانوا معهم وكان ذلك في سنة ١٧٣٢ واتلف جافيري الجيش الالمانى في اثناء ذلك في سارتين .

ولما نصب معين قوى الكورسيكيين في سنة ١٧٣٦ ساقط اليهم الاقدار عيارا وستفاليا يدعى البارون تيودور دي نوهوف فلكوه عليهم باسم تيودور الاول فنظم مناهج الدفاع وقهر الجنويين في بورتوفكيو وسارتين ولكنه انطلق لجلب المدد ولم يعد بعد ذلك .

وكان فيما بعد ان غافوري وهياسنت باولي اضرموا نار الحاسه في قلوب الوطنيين فاضطرت جنوى الى الاستنجاد بفرنسا فسيرت هذه خمس كتائب بقيادة الكونت دي بواسيو في ١٧٣٨ لتجديتها فأنهزم هذا الكونت من وجهه الثائرين عدة مرات فادبل بالسكونت دي مايلبوى وهذا عامل الكورسيكيين بالعدالة والحسن وعرف كيف يعيد الامن والسكينة الى الجزيرة . ولما برحها في سنة ١٧٤٢ حادت اليها الفوضى فعادت جنوى الى الاستنجاد بفرنسا فاتخذت هذه جنودا جددا اليها بقيادة المريكز دي كورساي في سنة ١٧٤٢ وعاد الامن الى نصابه الا ان دي كورساي كان قد اغلظ الكلام عن الجنويين في احدى رسائله فأرأوا ان يطلبوا مزايلته للجزيرة فهب غافوري الى امتشاق الحسام واستولى على مدينة كورتي . ولما رأته جنوى أن غافوري يعيد تمثيل دور سبمياردو اغرت احد السفاحين بقتله فبطش به غدرا في سنة ١٧٥٥

وعاد بسكال باولي نجبل هياسنت باولي من نابولي في هذه السنة عندها وكانت اسرته قد انتجأت اليها فسن للبلاد دستورا بناء على قواعد الحكمة والحزم وخدم مصلحة الزراعة والصناعة وانشأ المدارس وبنى اسطولا وعبأ جيشا رغبة في الوصول الى مناهضة الجنويين ومكافحتهم . ولجأت جنوى الى فرنسا في هذه.

المرّة أيضا وباعت منها ما لها من الحقوق المزعومة على الجزيرة بوثيقة أبرمت أسبابها في فرساي في سنة ١٧٦٨ .

وكان الكورسيكيون شديدي التحذر فلم يشاءوا اللقاء حريتهم بين يدي ملك مطلق اليد في التصرف برعيته على هواه . وكان ان المريكز دي شوفلان والكونت دي مريوف والكونت دي فوخدلو في بورغو ونديوفي سنة ١٧٦٨ ودحر بسكال باولي في بني نوفو في ٩ مايو سنة ١٧٦٩ واضطر على أثر ذلك الى مغادرة الجزيرة والشخص الى انكلترا وكان ذلك خاتمة الجهاد الوطني .

وأعلن ضم كورسيكا الى فرنسا في ١٥ اغسطس من السنة عينها ولكن لم يعترف رسميا بسيادة فرنسا عليها إلا في سنة ١٧٧٤ وولد نابوليون بوناپرت في اليوم نفسه الذي أعلن فيه ذلك الضم . وتولى الجنرال الكونت دي مريوف الحكم في الجزيرة من سنة ١٧٧٠ الى سنة ١٧٨٦ وهي السنة التي حضرته فيها الوفاة .

ولما انتهى خبر الثورة الفرنسية الكبرى الى كورسيكا في سنة ١٧٨٩ كبر له القوم وهملوا وعاد باولي اليها وهي نائبا عاما في الجزيرة في سنة ١٧٩٠ بعد ما جعلت كورسيكا مقاطعة على اثر تقسيم البلاد الفرنسية الى مقاطعات وانتدب باولي لتنظيم حملة للزحف بها الى سردينيا وكان في جملة أعضاء تلك الحملة بوناپرت الحدث ضابط المدفعية فخبطت تلك الحملة في سنة ١٧٩٣ واتهم باولي بالخيانة ودعي الى المشول امام مجلس الكنفسيون في ٢ ابريل سنة ١٧٩٣ ولكنه آثر دفع الجزيرة الى بريطانيا العظمى على تلبية الدعوة لحكم السرجورج اليوت جزيرة كورسيكا بصفة كونه نائب ملك سنتين . وبعد ما نال الجنرال بوناپرت ما ناله من النصر في ايطاليا طرد البريطانيون من الجزيرة في سنة ١٧٩٦ وارسل الجنرال ميوا الى كورسيكا مندوبا من لدن السلطة الاجرائية لتعزيز الشرائع الفرنسية فيها . وكان بعد ذلك ان ضمت الجزيرة ضمنا نهائيا الى فرنسا بعد فتنة ١٨ برومير ( ٩ نوفمبر ١٧٩٩ ) عند ارتقاء الجنرال بوناپرت الى رتبة قنصل أول .

وأرسل القنصل الاول الجنرال ميوا الى كورسيكا مرة ثانية بلبق حاكم اداري غام . وحفظ الكورسيكيون ذكرا جميلا لميوفانه عزز الزراعة والتجارة



والصناعة في الجزيرة ومالج توسيع نطاق العلوم والآداب فيها (١٨٠٠-١٨٠٢) وشكت كورسيكا في عهدي القنصلية والامبراطورية من عنف الحكام العسكريين كالجنرال موران (١٨٠٢ - ١٨١١) خلف ميو والجنرال قيصر برنيه (١٨١١ - ١٨١٤) مما بعث فريقا من اهالي باستيا على فتح ابواب قلعة باستيا في وجه الجنود البريطانيين لما بلغهم خبر تنازل نابوليون عن العرش في فنتنبلو في سنة ١٨١٤ ولما جلس الملك لويس الثامن عشر على العرش رفعت الراية البيضاء على قلعة اجا كسيو

ولم يبق لكورسيكا تاريخ خاص تمتاز به بعد حركة القائد باولي في فيو موروبو وقيامه على المركز دي ريفيار قائد الجند في الجزيرة (١٨١٥ - ١٨١٦) بل اصبح تاريخها من ذلك العهد مندغما بتاريخ فرنسا . وقد كان قبل ذلك سلسلة حروب متواصلة . ومن وقف على خصب تربتها وعجائبها الطبيعية ولا سيما اهمية موقعها الحربي سهل عليه ادراك السبب الذي من اجله طمعت اليها ابصار الشعوب التي كانت تطمح بنيل السيادة في البحر الرومي .

وأخطأ كثيرون من الفرنسيين وغيرهم باتهام الكورسيكيين بتهم كثيرة هم براء منها فهم يصمونهم بوصمة الكسل والثرق وحب الاثار ويتوهمون ان هذه الصفات الثلاث لاصقة بهم وملزمة لهم اجل ان ارضهم الموصوفة بخصب عجيب لم تحسن حرارتها ولا يزال في الجزيرة اراض واسعة تغطيها الاحراج ولكن لا بد من القول ان الكورسيكي قنوع يكفيه اليسير من العيش وعلاوة على ذلك لا تكفي الطرق والمناقل لنقل المحصولات الزراعية وسد الحاجة ثم أن الافتقار الى رؤوس الاموال يحول دون استثمار اراض كثيرة . ومما هو شر من هذا كله هو ان الاراضي مقسمة الى قطع صغيرة تجري كل قطعة منها على ملك شخص معلوم وكثيرون هم الاشخاص الذين يملك الواحد منهم مثلاً عشر قطع من الارض تبعد الواحدة منها عن الاخرى عدة كيلومترات . وهناك كثيرون من الفلاحين يضطرون الى تحصيل رزقهم بشق النفس لجعلهم فن الزراعة وتقضان الادوات الزراعية عندهم وهذا ما جعل الناس يهتمون الكورسيكيين بالبليل الى تقلد مناصب الحكومة والانصراف الى السعي وراء احرارها .

ومن طبع الكورسيكي شدة الثرق والحدة ولا يمكن تحليل ذلك الا بعرفة

طباعة الشخصية الموروثة عن آباءه والمؤثرة فيها احوال الجزيرة الجوية وتاريخها فقد ظل الكورسيكيون قرونا طويلة مشهورين بما يأتونه من ضروب الانتقام أو اخذ الثأر وذلك بقتل من يكون قد نالهم منه اساءة أو بقتل واحد من ذوي قرباه ويمكن القول بالاجمال ان اسباب أخذ الثأر مرجعها الالهانة التي تحدث جهازا كترك فتاة مغتصبة أو خطيبة وحوادث انتهاك العرض مع ندوة وقوع مثل تلك الحوادث وشهادة الزور ودين الدم . فاختلاف الوعد وشهادة الزور المسبب عنها الحكم بالموت على بريء يعاقب عليهما بغير شفقة من تنشأ تلك المساوئ بسببه وان تلك العداوات الشديدة وقد انقضت عليها عدة اجيال متعاقبة وكان من عواقبها انقراض الاسر المتعادية لم يكن لها في غالب الاحيان الا اسباب تافهة .

والشعب الكورسيكي شعب قديم فهو يواصل في القرن العشرين التقاليد التي كان يجري عليها في العصر الاغريقي اللاتيني ففي جزيرته يأوي رجع المدنية السائدة اقاليم البحر الرومي : وقد حلت النصرانية بين ظهرانيه وتسربت مبادئها الى اخلاقه الا أن تلك الاخلاق لا تزال حافظة انعكاس انظمته القديمة .

ويرجعون ان الشعب الكورسيكي الاصل ينتمي الى الايريين ولكن تعاقبت في الجزيرة نحل أمتها من بلاد فينيقية وقرطاجة وليغوريا واليونان ورومية على ان السكان مع مادخل عروقهم من الدم الايطالي لا يزالون محافظين على طباعهم القديمة فالكورسيكي بهي الطلعة وهو على مثال ابطال هوميروس ورعاة اركاديا وجنود زركسيس وانصار قيصر وهو ايضا على مثال الآباء ذوي اللحي المحترمة والكلام القاطع والهيئات الجليلة والخطى المتشاقة والنظر الحاد وهو موصوف بالحنكة والعفاف والقناعة وهو لايسرف في الضحك والمزاح ولا يتكلم الا في الامور الجدية ولا يفوه بالهراء وليس هو شاعر او ولكنه فيلسوف وهو لا يحلم بل يروى . واكبر مدح يوجه الى الكورسيكي يحصر بهذه العبارة « يظل قاعداً يفكر وهو قليل الكلام »

وكل شيء فيه شريف : من انقته المتوحشة الى كبرائه الشديدة الى طموحه المتناهي لنيل التسلط الى تحفظه المقرون بالاحتقار . وهو يحترم نفسه احتراماً شديداً ويحتقر غيره احتقاراً ماوراءه من مزيد . وليس فيه شيء مبتذل فيداه

ناحمتان ورجلاه صغيرتان وحركاته لطيفة وهو لا يدع الخفة تسهويه ولا الاعجاب يتسلط عليه . وهو حر الضمير ثابت على الصداقة وهو سيد كريم الاخلاق ابي النفس له ثقة كبرى بتفوق شخصه على سواه فبرى ادنى راع مثلاً في كورسيكا يعتبر نفسه مساويا لاي كان من كرام الناس ووارثا لمصور الحرية والاستقلال ولا يخفى أن الشعب الكورسيكي نجما في المصور الغابرة ولا سيما في القرون المتوسطة من معرفة الاستعباد ونير أصحاب الاقطاعات . ومن ثم وصل الشعب الكورسيكي الى عصر الحرية الفردية مع محافظته على العادات الحرة المتصلة اليه من الحضارة الاغريقية اللاتينية .

والمرأة في عين الكورسيكي كائن حقير فهو يكل اليها الاعمال البيتية ولا يجالسها على المائدة ولا يفاوضها في شؤون البيت ولا يرافقها في الحفلات العامة في أيام الاعياد وهو يعدها أمة له . وقبل أن يصيبها بكثر من مجاملتها وكثيرا ماتكون تلك المجاملة سرية وهو يخجل ان وقف أحد على سر غرامه ولكن يأتي يوم يختطفها ويمضي بها الى مسكنه فيتمتع بها والداء في بدء الامر لجهلها ما كان نجلها يدبره من هذا القبيل ولكنهما لا يلبثان ان يكرما وقادة القادمة عليهما وكل ما يفعلانه انهما يعطيان العروسين فراشا وفي الغد يعلم الناس في القرية انه عقد فيها زواج حينما يرون في الاسرة امرأة جديدة تشاطرها الاشغال البيتية فلا العروسان ولا الوالدان يخبرون أحدا عن ذلك القران .

أما المعاملات القانونية عند عمدة القرية وفي الكنيسة فتتم فيما بعد عند سنوح الفرصة فليست هي الشيء المهم في الزواج عندهم ولكنهم لا يهتمون لان العادة تقضي عليهم بمراعاتها فالزواج عندهم يتم على العادة القديمة البسيطة بلا رتبة ولا طقس .

ولا ينبغي لنا أن نبحث من وراء العادات الكورسيكية عن آثار النصرانية أو صدى الانظمة التي كانوا يسرون عليها في القرون المتوسطة فالاولى بنا أن نعود الى ما قبل ذلك أي الى عهد الرومانيين او الى عهد اليونانيين الاقدمين فالكورسيكي يحتمل الحياة البشرية احتقارا شديدا ولا فرق عنده من هذا القبيل بين حياته وحياة غيره من الناس . وقد نصت النصرانية على أن القتل جريمة وكان المسيحيون يتمتعون عنه ولكن الاعيان كانوا قد احتفظوا به لانفسهم

ولذلك أصبح من امتيازاتهم وكان سوقه الناس ينهون خصوماتهم بضرب العصي وكانت تلك السوق تؤلف الشعب وما لبثت أن انتحلت مبادئ النصرانية الديمقراطية بسهولة على أن الاعيان المباهين بمحافضة جدودهم على الانظمة القديمة حافظوا في القرون المتوسطة على تقاليد المدن القديمة فيمتقاتلون في كورسيكا لان القتل عندهم من عداد امتيازات الارسطقراطية وكل كورسيكي في بلاده حر وسيد . والمبارزة غير مألوفة بين ظهراينهم لانها من نوع القتل الموضوع له قانون ولكن عندهم اخذ النار وهو من بقايا الخصومات الدموية القديمة . ولعمر الحق أن حرب طروادة المشهورة في التاريخ ليست سوى ضرب من ضروب اخذ النار فثمة امرأة مختطفة ينهض ذووها باجمعهم ويتلذذون السلاح ويحشدون رجال قبيلتهم واحلافهم لاستخلاصها والانتقام من مختطفها ومن أمثال هذا الحادث حوادث كثيرة حدثت في الديار المكسيكية وعند العرب أيضا حوادث كثيرة من هذا النوع وليست الحرب التي دامت اربعين سنة بين بني تغلب وبني بكر إلا لاخت النار لمقتل كليب .

وحينما تقع عندهم جريمة قتل تقتضي الحال أخذ النار وهذا النار يأخذه نسيب للقتيل من القاتل نفسه اذا امكن والا فمن أحد ذوي قرابته ولا يعد هذا الامر انتقاما بسيطا وإنما هو حرب حقيقية بين قبيلة وأخرى وكانت هذه المادة جارية عند الاسلنديين في القرون المتوسطة وقد كان الاسلنديون من أشرف قبائل البلدان الاسكنديناوية فاضطرتهم مظالم الملك هارولد النروجي الى الانزواج عن وطنهم وكانوا احرارا يدينون بالنصرانية ولكنهم كانوا محافظين على ذكرى الهتهم القديمة .

هذه هي اخلاق عامة للشعب الكورسيكي ولكن يحسن بنا ان نبين ما يمتاز به سكان كل اقليم من اقليم تلك الجزيرة فالكورسيكي المقيم ما وراء الجبال والمدعو بومنتكو موصوف بالاتقة والدعوى والاستبداد والحركة ولا ينبغي أن نذهل عن ان نابوليون بوناپرت الذي ولد في اجا كسيو كان بومنتكو وكان أيضا من هذا الاقليم اولئك الزعماء الاقدمون الذين كانوا قبل ضم كورسيكا الى فرنسا يقلبونها رأسا على عقب وظهرها على بطن كشتاركا ودستريا ودلا روكا ودي ليكا ودرنانو وبوتزو دي بورغو وابا توشي وعمنويل آرين .

ومن المشهور أيضا أن البومنتنكو ينفر من الزراعة والتجارة والفاسفة ولا يطمح إلا إلى السيادة والسلطة وهو من أصحاب الانانية المتطرفة وقد اشتهر عنه أنه رجل جد واقدام وأنه يؤثر قبل كل شيء الاشتغال بالسياسة والميل إلى الحرية ومزاولة الأثر والذهي . وحينما يتقلد الحكم يعامل خصومه بمنتهى العنف ويكون شديد الوطأة عليهم ويجود بالمعارف على اصدقائه ومريديه . وإذا قبض له الاندفاع في الحياة الحديثة في القارة الاوربية جاهد جهادا حسنا للمحافظة على كيانه واستطاع الانتهاء إلى الغاية التي يؤمها . فهو لا تنبسطه المعبات المتصدية له وهو بما أوتي من مضاء العزيمة وعلو الهمة لا يثنيه شيء عن ادراك ضالته المنشودة فالمعالي تليق به وإذا أصاب البومنتنكو منصبا صح أن يقال عنه أنه ابن مجدته وأنه نازل في المكان الملائم له ولا سيما حينما يكون ذلك المكان من الدرجة الاولى فالمنصب يتجسم فيه وكأن الواحد منهما خلق للآخر . ولا يخفى أن البومنتنكو الذي ادهش كورسيكا في ما غبر من العصور ادهش في دوره العالم برمته وقد رسمت مآثره بحروف خالدة على صفحات تاريخ الانسانية .

أما الكورسيكي النازل في ما قبل الجبال والمدعو كاستا نيشياجوف وهو ارضن من البومنتنكو وارجح حصاة وهو يزاول الزراعة والصناعة وقد اكثرت من غرس أشجار الكستناء في الهضاب والبطاح وبطون الاودية وعالج زراعة السهول المنبسطة عند السواحل الشرقية وانشأ مصانع لصب الحديد أخذت عليها الايام ودمرتها واستعمل الطريقة الكورسيكية المشهورة في الكيمياء وهي تحويل حديد جزيرة البا إلى فولاذ ( صلب ) وهو اغنى جميع الكورسيكيين وقد انتحل مذهب الديمقراطية في السياسة وغالى فيه وهو الذي تحرر في القرن الرابع عشر من نير سلطة التشيناركيذين ووضع أساس الحكومة الشعبية . وقد اصبحت من ذلك الحين الارض التي يأوي إليها تدعى أرض العموم وهو من طبعه ميل إلى الطريقة الجمهورية الاشتراكية ففي ماضي الحين قام واحد من الكاستانيشياجو يدعى بيوبتوروف عن وطنيه ضريبة جائرة فرضها عليهم ارسو المانزو صاحب قصر منتالتو . وقام أيضا في ذلك الاقليم في القرن الرابع عشر أفراد من أسرة جوفانالي واتفقوا على اعلان الشيوعية بينهم في الاموال والنساء ولا تزال طائفة منهم إلى

يومنا هذا في مزرعة صوربلو بوادي الزانو تمحذو حذوهم . ومن سكان ذلك الاقليم عمد القرى الذين كان أهلها ينتخبونهم في القرن الخامس عشر ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا فيهم ماترا وغافوري وباولي الحكيم .

واما كورسيكي البالانيي المسمى بالانينو فارق طباعامن الكاستانيشياجو وهو يعنى بامر الزراعة ويخفي - حتى في ايامنا هذه - كثير آمن المال من احراجه الواسعة المغروسة زيتوناً وهو مستقل في بلاده وقد تعود البالانيينو من أزمان متوغلة في القدم ان يطوف البلاد ببغاله الموقرة زيتاً وهو ينادي الناس لا بتياع زيتة بلهجة أصبحت مشهورة عند الجميع ولا يخفى ان سكان البالانيي وسكان نيولو ( وادي غولو العليا ) هم التجار الوحيدون في كورسيكا فالنيولييني يتنقلون من مزرعة الى مزرعة لبيع جنهم . وسكان البالانييني حذاق ودهاة ولينو العريكة وهم يفوقون جميع الكورسيكيين في مزاولة الاعمال وتماطي الاشغال ولم يكن للحروب الاهلية شأن كبير بين ظهرانيهم كما كان لها عند غيرهم من سكان الجزيرة ومعلوم أن لسكينة البلاد انعكاساً على اخلاق اهلها . ولا ينزع البالانيينو الى المهاجرة لان نظامه محدودة فهو لا يطعم بتسم ذرى المناصب العالية او المنازل الرفيعة بين قومه ولكنه معروف ببعده نظره وطول اناته وصبره على المكارة وقد طاف الجزيرة عدة مرات فهو والنيوليينو يعرفانها قرية فقيرة واسرة فأسرة . ولا يذهب عنه ماينجم من المضار عن الخصومات والعداوات والانتقامات . وكانت له الحوادث التي شاهدها والملاحظات التي اصابها خير مذهب لاخلاقه وافضل مقوم لما تأود من طباعه . وقد تحقق بذاته ان بلاده تفضل جميع البلدان التي جول فيها فنشأ فيه الاحتقار لسائر انحاء الجزيرة وآثر المقام بعيداً عن معاشر البشر في حقوله المغروسة زيتوناً .

واما كورسيكي الرأس المدعو كاب . كورسينو فيقرب بطباعه من البالانيينو ولكنه يقيم في اقليم هو دون البالانييني في الخصب وغزارة الموارد وهو ميال الى الاسفار وبحار جريء وخاضع لسلطان الطمع المتسلط عليه وحيث انه لاشيء عنده يبيعه في بلاده فانه يفصل عنها ليجوب البلدان ساعياً وراء احراز المال . وحيث أن النفوذ الجنوبي استمحل امره مدة طويلة في ذلك الصقع فقد نشأ عنه

وعن تمرس سكان رأس كورسيكا بالجنوبيين ميل شديد الى التجارة مما اقصى عن الناس هناك ما يشعر به غيرهم من ابناء الجزيرة من العجب الفارغ والمباهاة بالمجد التليد وبالتالي يسهل عليهم تصير ابناء الهیئة الاجتماعية الحديثة ومن طبع الكاب كورسينو التحيل والمخادعة وعدم الاعتماد بشخصيته فلا يأنف من مزاوله اي عمل كان وهذا ما جعله يطمح ببصره الى العالم الجديد ليتخذ ميداناً تجري فيه جياذ نشاطه وجردمته العالية وقد أثر الارتحال الى قارة اميركا الجنوبية وهو يلقي فيها الاسبانين الذين يتكلمون بلغة يسهل عليه فهمها ولا يلبث أن يتفوق على سكان تلك البلاد الذين نفت في عضدهم اللعب والكسل فيحتل مكانة رفيعة بين ظهرائهم ويحرز ثروة طائلة . فكم من فتي كورسيكي لم يكن في بلاده يملك شروى نقير وكان يسير في قريته حافي القدمين اصبح في مهجره رب غنى واسع وصاحب قصر شاهق . وكثيرون من الكورسيكيين هاجروا الى العالم الجديد في حداثهم وبعد ما قضوا فيه ردحاً من الدهر يزاولون جميع المهن والحرف مع بقاءهم محافظين على سنن الآداب ومكارم الاخلاق عادوا الى مسقط رأسهم حاملين مئات الالوف من الدنانير التي كسبوها بمجدهم واجتهادهم . والكاب كورسينو داهية يتبين المنهاج الواجب عليه السير عليه لينتهي الى الغاية التي يسعى اليها اي اصابة الثروة حينما يقرن ما اتصل اليه من الاخلاق الكورسيكية الى رقة الجانب التي اقتبسها من الجنوبيين وهو اقرب من جميع الكورسيكيين الى انتحال الافكار العصرية

ويقال بالاجمال أن البومنتنكو حينما يبسم له ثغر الدهر ويقبل عليه الاقبال يصبح سيدا كريما ولا يمتقي له هم الا ترميم مائدة من صرح سؤدده والكاستانيتشياجو حينما تقبل عليه الدنيا يشعر بان الحظ رد له ما كان جدوده قد زرعه والبالانيانو حينما تؤايمه الاقدار يعتقد أن ما أصابه هو ثمرة توفير الاموال . ويزعم كلا هذين الرجلين أن الغنى الذي أصاباه أمر متعخم لهما فلا ياتيان شيئا يجعل الناس يقضون العجب من يسارهما ولا يدعشان من الحالة التي صاروا اليها والكاب كورسينو يختلف عنهما من هذه الجهة فتبطره النعمة لان ماضيه لم يمهده الى المعالي فيهر بصره حينما يحتل بفتة ذري المقامات العالية في هيئة اجتماعية يرتكز الاكرام فيها على المال ويشبه من هذا القبيل كثير من اصحاب الملايين في عصرنا الحاضر فانهم مع كونهم اولياء لتلك الملايين لا يعتبرهم

الناس إلا أوصياء عليها فلا بد من أن تنقضي عدة أجيال متعاقبة حتى تصبح  
الثروة لاثقة بهم .

إذا سمعت كلاب الحمي يوما فهل تلقى لها لحما شبيها  
وان يسكب بكأس التبر خل فهل تلقى له طعم الحميا

وأما كورسيكي بونيفاسيو المدعو بونيفاتزينو فلا يسهل له مقامه في طرف  
الجزيرة الجنوبي مخالطة باقي اخوانه المقيمين بعيدا عنه في سائر انحاء الجزيرة  
وسكان تلك الناحية قليلو العدد اياة النفوس محبو الاحتشام ويمكن القول عنهم  
بالاجال أنهم يحبون المقام في كسر بيوتهم . والمرأة عندهم أشد استعبادا منها عند  
غيرهم فلا تبرز للانظار إلا نادراً ولا سيما لانظار الغريب وقد انقضت عليها ازمان  
طويلة لم تكن تخرج فيها إلا مقنعة على مثال المغربيات . ولا يزال البونيفاتزينو  
يشعر بما كان للاراغوني من السيادة عليه فينبه وبين الاسباني شيء من النسابة .

ويتكلمون في كورسيكا باللغة الايطالية ولا يند عن أحد أن لهذه اللغة  
لهجات كثيرة ولكن لم يسد منها في علم الادب إلا اللغة التسكانية وقد لطفها  
اللفظ الروماني . وبعد ما تألفت المملكة الايطالية من اشتات المقاطعات المختلفة  
واندغمت العناصر المتألفة منها بعضها ببعض نشأت لغة وطنية عامة قاعدتها  
اللهجة التسكانية الرومانية واستعانت باللهجات الاخرى أيضا وعليه فتكون  
اللغة الايطالية من هذا القبيل في دور التحول واللغة الكورسيكية لهجة  
إيطالية مهبدة لسكنها مختلف باختلاف اقاليم الجزيرة وكانت الاسر الكورسيكية  
الكريمة تستعمل اللغة الايطالية الفصحى من نحو سبعين سنة أما الفلاحون  
فكانوا يتكلمون باللغة العامية وكانوا يلقون الدروس في المدارس بالايطالية  
ولكنهم صاروا الآن يلقونها بالفرنسوية وبالتالي أصبحت اللهجة العامية  
عينها آخذة بالانحطاط وتدل قرائن الاحوال على أنها سيخلفها لهجة جديدة  
مشتركة بين الفرنسوية والكورسيكية واذا القى الكهنة المواعظ باللغة الايطالية  
فكثيرون من الكورسيكيين لا يفهمونها وان انحطاط تلك اللهجة دليل على  
قرب انقراضها . ومعلوم أنه حينما تفقد البلاد لغتها لا تلبث أن تفقد أخلاقها  
وطبائعها وحينما تفسد لغة شعب من الشعوب فأندره بقرب زوال تقاليده التي  
يفخر بها . فالفتيان والفتيات في كورسيكا ولا سيما في المدن يعتبرون أن التكلم



بالفرنسوية دليل على الرقي عندهم ويندران يسمع في المجتمعات العامة أحدهم يتكلم بغير الفرنسية .

والديانة الكاثوليكية هي الديانة الوحيدة في كورسيكا إلا أنه تقيم في كرغزي نخلة صغيرة من الروم الارثوذكس ولذلك ليس في الجزيرة مسألة ديلية تشغل خواطر القوم . والكورسيكي يزاول فروض دينه على طريقة خاصة به أي أن الدين عند كثيرين من سكان تلك البلاد هو من نوع العادة وليس من نوع العبادة وهذا ما نراه جاريا في بعض أنحاء لبنان

وينقسم الكورسيكيون بالنظر الى حالتهم الاجتماعية الى أربعة اقسام : أهل المدن وأصحاب الاملاك والفلاحون والراة . فاهل المدن يقطنون المدينتين الكبيرتين اجا كسيو وباستيا وغيرهما من المدن . فاهل اجا كسيو موصوفون بالذكاء والبطالة فهم يعيشون في اقليم تخب منظره الالباب ولاهم لهم الا الاجتماعات في الاندية لتجاذب أطراف الاحاديث من الصباح الى المساء وبعضهم من المساء الى الصباح في الميدان المعروف بميدان الالماس وسنقيض في الكلام عن هذا الموضوع عند الكلام على اجا كسيو بالتفصيل .

وأهل باستيا منهمكون في الاعمال فباستيا مدينة تجارية والجميع يعملون فيها وهم لا يتزهون في ميدان القديس نقولا إلا في يوم الاحد . وباستيا دون اجا كسيو في حسن الموقع واعتدال الهواء فدرجة الحرارة فيها ملطفة في الشتاء ولكنها ترتفع في الصيف ارتفاعا شديدا يضيق معه الصدر وتهب فيها الرياح العاصفة في ايام من السنة . والمدينة مبنية على شاطئ البحر تتخللها أزقة ضيقة بين انحدار وصعود تتكنفها بيوت عالية ليس عليها شيء من الهندسة ولا يبدو على الافق شيء من الجمال الخالب الالباب وتحيط بالمدينة هضاب وعرة المرتقي . ولا يذهب الانسان الى باستيا إلا لقضاء اشغاله ولا يقيم فيها إلا لمزاولة تجارته والباستيون لينو العريكة لطفاء وهم يكثر من العلاقات بعضهم مع بعض ويتزاورون ويحاولون جميع انواع الملاهي وهم لمجاورتهم لايطالبا متخلقون باخلاق الايطاليين : وباستيا غنية انيقة شديدة الاعجاب بكل جديد وهي وان لم تكن مثابة للعلماء وأصحاب الادمغة المفكرة والاحلام الراجحة عليها مسحة من القنون الجميلة . واذا كانت اجا كسيو لموقعها في البومني محافظة على الكورسيكية الحقيقية ومتخلقة باخلاق عامة لاختلاط

أهلها بالغرباء فباستيا أقرب منها تخلقاً باخلاق سكان القارة ولولا امتداد جرائم النفوذ الايطالي الموروث فيها لكانت أشد تفرساً من غيرها في الجزيرة . وعلاوة على ذلك اذا كانت اجا كسيو قد نشرت اسم كورسيكا في جميع انحاء المعمورة فباستيا أصابت ثروة طائلة لأن الواحد من سكان باستيا يؤثر المال على المجد وكل يدري أن الواحد منهما يعادل الآخر في هذا العصر .

أما سكان المدن الصغيرة فهم انعس حظاً من سواهم لان تلك المدن ليست سوى قرى كبيرة رديئة الهواء حقيرة المنازل تنحصر الحركة كلها فيها حول ميدان عام أو في شارع ويكون سكان تلك المدن في غالب الاحيان من صغار الملاكين وبعض صغار التجار المختلطين بالفلاحين الحقيقيين وهم يقضون حياتهم في الخصومات السياسية ولا يفكرون إلا في المهاجرة لجمعهم يرشحون انفسهم لمناصب الحكومة وهم يلقون مشقة لتحصيل رزقهم ولا أموال لهم يستثمرونها بل لهم اراض لا يدرون كيف يستغلونها فالربيع اليسير الذي يجنونه من تلك الاراضي يقضي استيفاءه اهتماماً عظيماً ولهم منزلة يعنون بالحفاظه عليها . على أن رؤيتهم أصحاب المناصب يقبضون مرتباتهم من دون أن يعملوا شيئاً مذكورا حاج فيهم حب المناصب على ما هي عليه الحال في بلاد الشام ولبنان والقطر المصري وهذا الميل الى المناصب خلة موروثه فيهم فقد كان الكورسيكي في عهد دولة الجنويين يسمى وراء المنصب كبيراً كان أم صغيراً وهو يبتغي من احرازه أن يكون بئامن من المظالم التي يحاذر نزولها به وقد كان الاعيان في لبنان في عهد حكومة المتصرفية يسعون وراء المناصب كمنصب مدبر أو قاعقام مثلاً لينجوا من انتقام زيد أو غطرسه عمرو .

قلنا ان سكان المدن الصغيرة انعس حظاً من غيرهم في تلك الجزيرة فليس لهم الجرأة الادبية الكافية لمزاولة الزراعة ولا يدرون كيف يتعاطون التجارة فهم اما ان يعيشوا في الخمول او يهاجروا وكثيراً ما يقضون معظم وقتهم في اللعب او انتياب الملاهي وليس عندهم ملاعب او مراقص او منتديات طامية وكل ما عندهم من الملاهي هي القهوات القذرة المنبعثة منها الروائح الكريهة وهم يجتمعون فيها للتحدث في الشؤون السياسية العقيمة . وفي غالب الاحيان تكون المدينة الصغيرة منقسمة بين اسرتين او ثلاث اسر تتنازع فيها النفوذ . وجميعهم يعلمون ان الواحد

منهم اذا لم ترفعه منزلة الى المقام الاول في مدينته فلا يستطيع ان يكون فيها شخصاً يشار اليه بالبنان وان علمه لا يجديه نفعا مع أن السواد الاعظم منهم يكونون قد درسوا وحذقوا في الحقوق او الطب او غير ذلك من العلوم والفنون وان لم يكن للواحد منهم أنصار يعضدونه فلا يدرك ما تطمح اليه نفسه فالانصار لامندوحة عنهم في كورسيكا لنيل الفوز في الانتخابات . والانسان وان يكن داهية في تلك البلاد لا ينبغي دهاؤه شيئا ومن كان اقل منه دهاء وكان له حزب يسانده يصيب ولا مراء ضالته المنشودة . وللاصول على انصار شروط لا يستغنى عنها فاما أن يكون من أصحاب المجد التليد أو من أصحاب المجد الطارف وفي كلتا الحالتين لا بد له من اتفاق المال عن سخاء . وفضلا عن ذلك له في دهائه ومقدرته السياسية خير واسطة للنجاح وهو يداري الحزب الكثير العدد المسموع الكلمة .

وأصحاب الاملاك هم الذين يكون للواحد منهم ارض يزيد دخلها على حاجته أما الذين لا يكون للواحد منهم ارض يكفي دخلها حاجته فيقال لهم الفلاحين ولا ينبغي ان كل انسان في كورسيكا يملك شيئا فليس فيها فقير معوز أي لا بد من أن يكون للواحد بيت أو بستان أو حظيرة أو حقل مغروس كستناء أو زيتونا أو غير ذلك من الارض . والمساقاة غير معروفة عندهم ولكن لا ينبغي أن نظن أن البيت أو الارض المرادين بهذا التعبير هما كالبيوت والاراضي التي يعينها الحياة فيكون البيت في غالب الاحيان مؤلفا من غرفة واحدة أو من قسم من غرفة لان حب المشاركة في كورسيكا لا يقف عند قسمة البيت الواحد بين عدة أشخاص بل يكون بقسمة الغرفة الواحدة بين أشخاص كثيرين . ففي اجا كسيو وباستيا والمدن الصغيرة يشري الواحد دورا من بيت على مثال ما يشري الواحد بيتا كاملا في مكان آخر . وفي القرى يملك الواحد غرفة أو نصف غرفة أو ربعها أو خمسها ولكن لا يتوهم أحد ان في هذا الامر ما يبعث على الاختلافات المتواصلة فهم يسوون الخلافات بينهم واذا كان اثنان يملكان غرفة واحدة مثلاً فانهما يتفقان على أن يشغلها واحد منهما فقط من دون أن يتقاضا الآخر أجرة ما وهذا يقيم في منزل آخر أو يشخص الى القارة وهذا من جملة الاسباب التي تحمل الكورسيكيين على المهاجرة وبدوم هذه الاتفاق

بين المالكين حتى يطرأ بينهما خلاف على أمر من الامور حينئذ تفتتح بينهما أبواب القضايا في المحاكم ويستنفد فيها رجال القانون كل ما عندهم من البراعة وحينما يصدر الحكم في تلك القضايا يصدر بحسب مقتضيات السياسة لا بحسب نص القانون وروح العدالة .

وقد تصير الكورسيكيون الجنوبيين في بناء منازلهم أي انهم جعلوها مؤلفة من عدة أدوار ولكن الجنوبيين لهم عذرهم في بناء مساكنهم من عدة أدوار لان موقع مدينتهم لا يمكنهم من التوسط والامتداد خلافا للكورسيكيين فان ارضهم منبسطة متسعة وحيث أن الكورسيكي ليس من أهل اليسار لينفق غير الضروري فلم يفكر طي في زين بيته بالاشياء الثمينة والتحف الفنية فجميع البيوت في كورسيكا تشبه البيوت المعدة للايجار فلا يهتمون بأسباب الزينة والراحة فيها فالنوافذ فيها صغيرة والابواب ضيقة والادراج مظلمة وليس فيها من الاثاث الكثير القيمة الا ما كان باقيا من عهد الامبراطوريتين الاولى والثانية مما جاء به الضباط أو الموظفون في ذلك العهد .

ويمكن القول بالاجمال أن المستراحات لا وجود لها في دور كبار القوم واغنيائهم وهي والحق يقال مسألة خطيرة دقيقة ولكن الكورسيكيين لا يكثر ثون لها . وهم يأثفون من وجود تلك المستراحات في ضمن مساكنهم واضطروا في المدة الاخيرة في اجاكسيو وباستيا وغيرها الى انشاء شرفات جديدة خارج المنازل القديمة لبناء المستراحات فيها . أما البيوت الجديدة فيبنونها على الهندسة الجديدة ويجعلون فيها جميع أسباب الراحة الحديثة .

ويعتبر الملاك الكورسيكي زعيم القبيلة الحقيقي فيلتف حوله حزبه المؤلف من ذوي قرابته ثم من فريق من الفلاحين ولا يكون هؤلاء مخلصين له الا بقدر ما يستفيدون من عوارفه وإياديه وهو والحالة هذه يبيع لهم التصرف في أراضيه على أهوائهم فالرعاة يطلقون مواشيهم فيها والفلاحون يستعملون حظائره والخطابون يقطعون أشجاره والغلمان الرعاة يهبون ثماره . ونقول بالايجاز ان جيشا من الطقيليين يزدحم حوله ويعيش من خيراتهم وهو مقضي عليه بان يعيش ويزني أولاده ويهذبهم ويدفع الضرائب ويعد القيام بهذه الامور معجزة من المعجزات اذ انه يجب عليه الا يفكر بأن يعقد القروض لتعذر هذا الامر عليه

فمثل اراضي كورسيكا لا يرضى الدائن بأن يسلف عليها مالا ولكن انصاره يؤلفون القوة التي يستند اليها وتقاس اهميته بقدر عدد رجاله في الانتخابات ففي كورسيكا يساوي الرجل مثلاً عدد كذا من الاصوات كما يساوي الرجل في اميركا عدد كذا من الدولارات .

وجميع اصحاب الاراضي في كورسيكا يشتغلون في السياسة فهي ضرورة لجميعهم بلا استثناء وان هم انقوا من التدخل في المناظرات والتحزبات السياسية شاهدوا اموراً كثيرة يسوؤهم حدوثها من دون أن يتمكنوا من دفعها عنهم فيكثر ارهاقهم بالضرائب لان موزعها يسرون بأن يثقلوا كواهل الذين لا يكونون من حزبهم بتلك الضرائب الباهظة فالسواد الاعظم من اصحاب المناصب في كورسيكا كورسيكيون ولكل منهم حزب وهم يبذلون ما في الوسع لمداواة حزبهم وحزب اصدقائهم فالملاك السياسي الذي ينفذ بده من السياسة يجري الى خرابه التام وكأنه لا يكفيه أن يذهب الفلاحون امواله على الصورة التي بسطناها فيضطر في يوم الانتخاب الى ان يدور على ابواب اصحاب الاصوات لالتماس اصواتهم وان الفلاح وان يكن من رجاله ويعيش من خبره لا ينتخبه ما لم يتدال له ويستنتج مما تقدم بيانه ان اصحاب الاراضي في كورسيكا ارقاء مساكين تعبت بهم اهواء الفلاحين ويرهقهم جباة الضرائب وتستلهم السياسة وبناء عليه تنقضي الحياة في تلك البلاد في الصغارة واذا حدث مثلاً ان فرساً قضم الكلا باطراف اسنانه في مرج كان ذلك الامر فاتحة قضية طويلة عريضة اذا كان ذلك الفرس لغير رجل من انصار صاحب المرج .

أما قضاة الصلح في كورسيكا - وجميعهم كورسيكيون - فلا يجرون الشرائع إلا والسياسة تحرك عوامل عواطفهم فلا يصح أن يطلق عليهم اسم قضاة صلح بل قضاة حرب ومن هذا القبيل يعتبرون أن كورسيكا الحالية لا تزال على ما كانت عليه في القرن السابع عشر وقت ما كانت تحت سيادة الجنويين أي حينما كان الكورسيكي يؤثر حمل بندقية لاخذ الثار على رفع أمره الى القاضي والآن يترافع الكورسيكيون الى القضاء إلا أن أنظمة الجمهورية الثالثة تسوغ لكل منهم أن يندفع وراء سياسة لاحد لها . ففي الجزيرة اثنان وستون قاضياً من قضاة الصلح وهذا العدد يساوي ضعف عدد القضاء في أي مقاطعة من المقاطعات الفرنسية أي ان متوسط قضاة الصلح واحد لكل أربعة آلاف نفس وفي المقاطعات

الفرنسوية واحد لكل ثلاثة عشر ألف نسمة أو أربعة عشر ألف نسمة ويمكن القول بالاجاز أن هنالك اثنين وستين موظفا للانتخاب يتصرفون بالعدالة على ما توجبه اليهم. الاهواء السياسية وما يزيد في الطين بلة ويسهل على الناس اقامة القضايا هو ان المرافعات معفاة من الرسوم التي تتقاضاها المحاكم، حيث تكون في فرنسا الفأ قضية مثلا في السنة يقابلها في كورسيكا خمسة عشر الف قضية لقطعة من الارض فيها مثل ما في تلك من السكان . وفي كورسيكا وحدها عمل لرجال الشحنة بمقدار ما لهم من العمل في جميع المقاطعات الفرنسية الخمس والثمانين وما قلناه عن المحاكم الصلحية من جهة تدخل السياسة فيها نقوله عن المحكمة البدائية والمحكمة الاستئنافية في باستيا ففي كليهما قضاة كورسيكيون يجعلون من وكدهم الاشتغال في السياسة . وفي هذا المعترك السياسي لا يلقى المالك ندحة عن نزوله اليه فيسعى لاصابة مركز عمدة بلدة أو مستشار ناحية أو عضو في مجلس عمومي وحينئذ يعتمد الى استمالة أصوات الناخبين للذي لا يراه هو أفضل من سواه لخدمة آرائه أو مذهبه السياسي بل لكونه ذا كلمة مسموعة في الادارة العامة . ويرى القارئ مما تقدم بيانه ان العدالة في تلك الجزيرة لا تجري على السنن المرسوم لها بل على ما تقتضيه اهواء السياسة .

هذه حالة المالك الكورسيكي فهو لا يقوى وحده على مقاومة التيار بل تضطره الاحوال الى تأليف حزب يقوم بنصره عند الحاجة . ولقائل أن يقول وما باله لا يشترك مع غيره من أصحاب الاراضي ويؤلف عصبة فالكان يتحدان يؤلفان قوة وثلاثة يؤلفون جمعية فنقول له انك يا هذا تذهل عن طبيعة البلاد ففيها تقوم العقبات في وجه أصحاب الارادة الحسنة وتذهل أيضا عن تاريخ كورسيكا فينتبين منه أن الكورسيكي شديد التمسك بالشخصيات ولم يسبق أن تألفت شركة في الجزيرة بين الاهلين وحدهم وكل ماسعوا اليه من هذا القبيل اخفق فاذا الفت من الكورسيكيين جمعية فلا تلبث تلك الجمعية أن ينتثر عقدها وقد نظم المسيو كليمنصو تقريرا في سنة ١٩٠٨ حينما كان رئيس الوزارة ووزير الداخلية اذار رحي الكلام فيه على الحالة الحاضرة في كورسيكا فنكتطف منه ما يلي مما يتعلق بالموضوع الذي نحن في صدد الكلام عنه :

« ليس للكورسيكي ما لاهل القارة من روح الاجتماع فهو يظل منفردا

مع شعوره بضعفه في معترك الالفة الاجتماعية ولا يتوسل بما له من الوسائل لضم متفرق شمله واصلاح ما فسد من شؤونه وتأليف النقابات فالجمعيات على اختلاف انواعها تكاد تكون مفقودة من الجزيرة ولا نقابة للعمال في غير باستيا ولكن ثمة نقابات زراعية في جميع انحاء الجزيرة .

أما الفلاح فيستطيع تذليل ما يتصدى له من المصاعب بخيائه لا تسكنفها المشكلات المتسكنفة لحياة المالك فهو يقنع بالقليل ويكتفي بقطعة من شحم الخنزير ورغيف من الخبز أو من الكستناء ويلبس ثوبا من الحبل المرفؤ ولا تتألق زوجته في الملبس واولاده يكفيهم قميص وسراويل لان درجة الحرارة في الجزيرة تكفيهم مؤونة لبس القبعات والاحذية . وليس للفلاح مطامع لانه ليس له حرفة يخرقها فهو يحصر عمله في حراثة الارض ولا يعالج إلا الارض الجارية على ملكه فيستغل منها الملفوف والبطاطس واللوبياء وهي البقول التي لا يفتكر غيرها وهو يصنع منها ما يبلد له من الحساء ويسمن خنزيرا بفضللات الطعام أو بقايا البقول اذا لم يكن عنده كستناء وينجره في عيد الميلاد ويعلمه ويا كل منه على مدار السنة .

واذا اشتغل عند المالك في حراثة الارض أو غرس الكرمة أخذ في مقابل عمله شيئا من الخنطة أو الحمر وبذلك يصيب ما يحتاج اليه من الخبز والحمر وكان المالك في غابر الحين يدفعون للعملة عينا ولكن جرت شيئا فشيئا عادة دفع اجورهم نقدا إلا أن المال نادر عند المالك ويكون عنده نقود حينما يكون نسبيا لموظف عامل او لموظف متقاعد أو حينما يبيع غاب الكستناء .

ويكون الفلاح ايضا اسكافا أو نجارا أو بناء فهذه ثلاث مهن ضرورية ولكنهم لا تعود على مزاولها بكسب كثير لان حاجات القوم من هذه الجهة محدودة في تلك الديار فالاسكاف دون سواء يلتقي عملا يستغرق وقته كله لان الطرق كلها صخرية تتلف الاحذية بيد أن ذلك الصانع المسكين لا يقبض دائما ثمن الاحذية التي يصنعها فله ديون عند جميع الاسر وكثيرا ما تذهب ديونه ضياعا لان من ليس عنده شيء لا يستطيع أن يعطي شيئا . والاسكاف ينتظر بنافذ الصبر زمان الانتخاب لان زبائنه يكسبون المال من وراء الانتخابات حينئذ يدور على زبائنه ويطلب منهم ما له عندهم ولا يعود الا بعد أن يعدوه بالدفع

وليس النجار أسمعدها من الاسكاف ولكنه لا يشتغل الا عند المسالك وهذا يدفع له أجرته نقداً أو عينا ولكنه لا يشتغل الا الضروري وهو شيء يسير تدعو اليه الضرورة القصوى .

والبناء يقوم بجميع الاشغال التي يقتضيها بناء البيت فهو المهندس والبناء والمبسط وليس البناء عندهم بالامر الصعب فجميعهم يسيرون على خطة واحدة مبتدلة ويبني البناء جدراناً سمكية كأنها جدران قلعة ويصنع روافد من الخشب غليظة ثقيلة ويغطيها بقطع من الواح الحجر ثقيلة وغير منحوتة تحتاً محكماً . ويأتي بعده النجار لصنع السلم والابواب والنوافذ ووضع الاقفال ويكون البناء عارفاً انه حينما يشتغل يكسب شيئاً من المال لانهم لا يباشرون البناء عادة في تلك البلاد الا حينما يكون عندهم مال ولكن يندر ان يكون عندهم مال في كورسيكا ويقضي البناؤون معظم وقتهم على الغالب في البطالة . وهم لا يمهّدون سبل الوصول الى بيوتهم فلا يخطر لهم ابداً انهم يتميّد الارض أمام بيوتهم يسهلون دخول مساكنهم ولا يهمهم اتقان معيشتهم فيصرفون جل همهم في الخصومات السياسية بحيث لا يبقى عندهم شيء من الجهد ينفقونه في سبيل تنظيم معاشهم وما الاهمال المشهور في الشؤون الادارية سوى صدى الاهمال عندهم في الشؤون البيئية .

ويعيشون في القرى الكورسيكية بلا ترتيب فتترك الحيوانات هائمة على وجهها في الميادين العامة وأمام المنازل الملاصق بعضها لبعض مع اتساع فسحة الارض عندهم وتقعّد النساء في كورسيكا على الشرقات المتداعية للخياطة أو التوشية ويلعب الرجال بالورق أو يدخنون أو يرقدون على أخشاب تشبه المقاعد وتكون الدجاج في أثناء ذلك تنق والخنازير تصيء والحمير تنهق والكلاب تنبح والققط تموء فهذا مشهد من مشاهد المعيشة في القرى الكورسيكية .

وتبين علامات التمس والكنس على أولئك السكان فلا يتغذون بالغذاء الكافي ولذلك لاحول لهم ولا طول وقد عبثت بهم الامراض الفتاك كاللثدن الرئوي والوبالة وفقر الدم والفالج اما الاحداث فتفتك بهم الامراض القتالة كالخسبة والحمى القرمزية والجذري والتيفوئيد فتسك ذريعا ولم تنظم الحكومة احصاء للوفيات بينهم ولكن الميسو كليمنصو جاء على ذكر هذا الامر في



تقريره الآتف الذ كر وقال ان الامراض الوبائية تنتشر في القرى الكورسيكية  
بجهل القوم ونبذهم اتخاذ اسباب الوقاية والعناية بالمصابين وعدم تجنب مخالطتهم  
وتطهير منازلهم وامتععتهم . ويكاد الاطباء في كورسيكا يكونون غير موجودين او  
هم قليلون جداً . وقد احصى الاطباء هنالك فكانوا ستة وستين طبيباً قانونياً  
وواحد وخمسين موظفاً صحياً فيكون مجموعهم مئة وسبعة عشر طبيباً منهم تسعون  
يزاولون الطبابة وعليه يكون المعدل طبياً واحداً لكل ثلاثة آلاف نفس على  
التقريب . ومتى علمنا ان في اجا كسيو وباستيا واحد وثلاثين طبيباً وجدنا أنه  
يبقي نحو ستين طبيباً لخدمة شعب يبلغ عدده نحو مئتين وتسعين ألف نسمة في  
أقليم تبلغ مساحته نحو ثمان مئة وسبعين ألف هكتار على أن الاطباء الستين  
الذين تقدم بيانهم يقيمون في المدن الاخرى الصغيرة ككورتي وسرتين وكلفي  
وايل روس وغيرها بحيث يندر وجود طبيب في الانحاء الجبلية التي يأوي  
اليها الفقراء وفي فرنسا شريعة سنت في سنة ١٩٠٢ تقضي بانشاء مستوصفات  
طبية مجانية الا أن السياسة تدخلت في مسألة التطبيب في كورسيكا وجعلتها  
اداة للانتخاب فنظمت جداول باعطاء اصحاب الكلمة المسموعة ودفعت الى  
اما كن الاطانات العامة ليتمكن اولئك الانصار من التظلب مجاناً

وانه ليسهل ان ينسب الكسل الى الفلاح الكورسيكي ولكن يصعب إيجاد  
شغل له اما اصحاب المهن كالاساكفة والنجارين والبنائين فلا يجدونهم في كل  
قرية لقلّة الحاجة اليهم . واصحاب الاملاك يهملون امر الزراعة وليس هنالك  
من صناعة فكيف يكون العمل والحالة هذه .

ان الشبان بهاجرون فبعد اتمام الخدمة الجندية ينظمون في سلك العسكرية  
ويصبحون جنوداً اشداء وضباطاً باسل وقد اشتهروا بالحرص على النظام العسكري  
والاخلاص لدولتهم وكثيراً ما يجدون عند خروجهم من سلك الجندية مركزاً  
بسيطاً في الدوائر الخاصة أو العامة فمنهم من يدخل الدوائر المالية أو تسند اليه  
المحافظة على السجون ومنهم من يدخل دوائر الشحن او غير ذلك من الخطط  
التي يقدرون على تولي شؤونها ويكونون في أي مركز يشغلونه كرام الاخلاق  
ذوي جد وعمل وصبر على الشدائد فن الكورسيكيين مئتا ألف نفس منتشرون  
في جهات فرنسا الاربع وفي جملتهم نحو عشرين ألفاً في باريس ونحو هذا العدد

في مرسيليا ومثله ايضا في طولون ونحو ثلاثين ألفا في الانطيل ونحو خمسين ألفا في فنزويلا والبرازيل والجمهورية الفضية وكثيرون من المنقلدين لمناصب الحكومة وخططها يعودون الى قراهم حينما يحالون الى المعاش وهم يحملون ما امكنهم توفيره للاستعانة به على معيشتهم حينما لا يبقى لهم مقدرة على مزاولة العمل ولـكنهم لا يعتمدون ان تهب عليهم نكبات السياسة أو نكباتها فيندفعوا مع تيارها وبعد أن يكون كثيرون منهم قد قضوا حياة ماشائها شائبة يلطخون برد فضيلتهم بما تضطرحهم الى اتيانه مقتضيات السياسة الخرقاء السائدة في تلك الجزيرة المنكودة الطالع .

ويكون الكورسيكي في خارج بلاده على جانب عظيم من الشمم والافتقار وعلو الهمة ولكنه يعود عند عودته اليها الى نهج منهج وطنيه على ما هو مشهور عنهم من الاشتغال بالسياسة التي تفسد كل غاية شريفة والمهاجرة والحالة هذه بدلا من أن تجلب على الجزيرة مع ابنائها العائدين اليها تحولا في الاخلاق ونجاحا في التجارة والصناعة والزراعة تفقرها بحرمانها اياها نشاط اولئك الابناء فكورسيكا والحالة هذه باقية على ما كانت عليه من الجود والحمول وجميع البلدان المجاورة لها تجد بخطى واسعة سريعة في جادة المدنية والحضارة .

والراعي الكورسيكي يعيش ناعم البال قرير العين وقد أدرك دون سواه كيف يعيش في بلاد تداعت فيها صروح الانظمة والثروات وهو يقتني أقل ما يمكن اقتناؤه وهو بين الملاك يعد اغنى من جميعهم وهو متناهي الذكاء ويكون في غالب الاحيان أميا وهذا ما يجعله قوي المنكب شديد الصبر لان التعليم لم يفسد اخلاقه فهو لا يعرف الكتابة ولا القراءة ولكنه يحسن الحساب العقلية فيحكم من الرعاة الكورسيكيين يستطيعون أن يعملوا في بضع ثوان عملية قسمة عقلية تتألف من خمسة أرقام في كل من المقسومين مثلا أو عملية نسبة أو عملية كسر وكثيرون منهم ينهجون في أثناء قيامهم على مواشيتهم في عزلتهم نهج بسكال حينما كان حدثا وهم لا يعرفون شيئا من مبادئ الهندسة أي أنهم يبحثون عن خواص الخطوط وما للصور الهندسية من العلاقة بعضها ببعض ويعجز طلبة المدارس عن حل المسائل التي بعالجون حلها بطريقتهم العقلية البسيطة . والراعي الكورسيكي ورث مهنته أبا عن جد ولم يتعلم تعليما غير التأمل في الصمت على

قم الجبال في الشتاء وفي الابدغال والآجام في الصيف ولا يسند ما أوتيته من  
 الدهاء الى وراثة هذيتها التعليم وليس استعداده موروثا عن اسلافه ولكنه  
 مكتسب بما طرأ عليه من التحول وهو في اطواره يشبه البشر الاولين فيعيش  
 وحده مع حيواناته ويسبب تصور عن العالم بما يبدو له من الخط والعدد  
 ومن يبحث في اخلاقه واطواره عن كذب يعلم كيف كانت الشعوب في الازمنة  
 القديمة تدرك بعض المبادئ العامة مع جهلها لسل شيء ومن ثم نرى الراعي  
 الكورسيكي يحتقر المالك ويزدري بالفلاح وهو عارف كل المعرفة بموقف  
 كليهما المخوف بالاضطراب والعراقيل فيتخذ لنفسه عبرة زاجرة . وقد حل مسألة  
 اقتصادية معقدة تفوق في الغموض جميع المسائل الرياضية وهي أنه ارتأى ألا يملك  
 شيئا وان يصيب كل شيء فاراعي يقيم على حراسة قطيع من الغنم أو الماعز فقي  
 الاصل يخص هذا القطيع المالك ويظل مبدئيا ملكه ولا يحتاج الراعي الى دفع  
 رأس مال ما وينمو القطيع ويكثر عدده وبحسب الاصول التي يجرون عليها من  
 جهة الانعام يجب أن يظل العدد المسلم الى الراعي كاملا وانما يقسم النتاج بين  
 المالك والراعي والى هنا يظهر كل شيء موافقا للقانون والعدالة ولكن ثمة تصفية  
 الحساب حينئذ يظهر دهاء الراعي الرياضي بكل مظهره فكم كان مقدار اللبن  
 المحلوب من النعاج يقول الراعي أن اللبن المحلوب يكاد لا يذكر لان السنة كانت عاطلة  
 جدا . وكما كان مقدار الصوف المجزوز منها ؟ لم يكن شيئا مذكورا والكلام في  
 هذا الشأن يمد من باب العبث . وكما هل انتجت ؟ ان عدد الحملان قليل جدا وان نعاج  
 المالك كانت جميعها على التقريب عاقرا . ولقائل أن يقول أو ليست جميع النعاج  
 للمالك ؟ فنقول له انك مخطيء يا هذا فالمالك دفع عددا معلوما من النعاج الى الراعي  
 فعبثت بها الامراض وتلف جانب كبير منها وبات الجانب الآخر فريسة للثعالب  
 ونفق غيره بالحوادث بحيث انه لم يمض اشهر حتى كاد القطيع يفنى عن آخره  
 وقد حصل الراعي على نعاج اخرى ( ولا يعني احدا أن يعرف كيف حصل عليها  
 وقد شاءت الاقدار أن تنتج هذه النعاج وحدها فالقطيع الذي كان مؤلفا في  
 الاصل من خمس وعشرين نعجة مثلا ونقص عدده الآن حتى اصبح خمسة عشر  
 لم يكن منه بحسب زعم الراعي الا ثلاث جينات وكيلو غرام واحد من الصوف  
 واربعة حملان — ولكن هذه سرقة فكل ما يزرعه الراعي كذب محض ولكن

غفوا فان علم الرياضيات يقيم عليه الدليل فالراعي مصيب رياضيا ولكن كيف العمل ؟ ان تصديق حسابه يمد من باب البساطة والبلاهة وان اقامة قضية عليه يكون مدرجة الى مرافعات ومماحكات لانهاية لها ومن اراد الحصول على حقه وجب عليه ان يحرك عوامل التفوق السياسي وهب اصاب وطره من القضية المقامة فيبقى الحكم الصادر على الراعي حبرا على ورق لان الراعي يبقى حراً كالهواء ولا سبيل الى القبض عليه ولا يستطيع صاحب القضية ان يحجز مقتنياته لانه لا يملك شيئاً فالنجاج التي يزعم الملاك أنها له لا تلبث أن تتواري ولا يبقى لها أثر ولا تتمكن الحكومة من اعتقاله لانه يقيم على قمم الجبال وفي صدوع الارض وكهوفها وبطون الاودية أو في الادغال التي لا يهتدي أحد الى مساكنها وليس للمالك سوى وسيلة واحدة يستطيع أن يتوصل بها ليتخلص من شر الرعاة واستبدادهم ومكرهم وهي أن يغيرهم من حين الى آخر قبل ان يستوسق لهم الامر ويستأثروا بجميع المنافع الناجمة عن القطيع المسلم اليهم ولكن لا يتوهم أحد ان ذلك التنغير من شأنه أن يجعل الملاك حاصلًا على المنفعة التي يتوخاها من مواشيه لجميع الرعاة مقدودون من أديم واحد ومفرغون في قالب واحد ويكونون في غالب الاحيان أقوى من الملاك .

ولهم علاوة على ذلك حق الانتخاب واصواتهم يقام لها وزن وان المالك الذي يهمله أن يكون له انصار كثيرون لا يلقى له منتدحاً عن مداراتهم فيظهر الراعي في ذلك الحين بمظهر السيد المطاع لانه حاملهمين موعد الانتخاب يتواري الرعاة ويكونون اما في الادغال في السهول واما على ذرى الهضاب والجبال فيضطرون الى البحث عنهم والحقاق بهم والرجاء منهم أن يحضروا الى دائرة الانتخاب للاقتراع وحينئذ يبدو دهاؤهم فيعالنون الملاك بالاعتصام بفرز حزبه ويخاطبونه بلهجة عذبة مزوقة وكلام يسحر الالباب مؤكدين له انهم لا يعملون إلا الى فوزه ولا هم لهم سواه ولكن يكون برقمهم خلبا ومواعيدهم عرقوبية فهم يفوهون بهذا الكلام وبيقون في اما كنهم ولا يجعلهم يزابلونها الى الاماكن المعينة للانتخاب الابريق الاصفر الرنان فالراعي الكورسيكي والحالة هذه لا يدع فرصة تمر من دون أن يحرز ما يستطيع احرازه فيها من المنافع فهو السيد في كورسيكا ويستنتج مما بسطناه أن الشعب الكورسيكي يتألف من أمة متحدة في

بمجموعها مختلفة بطبيعة أقاليمها الجغرافية وتنقسم الى فئات اجتماعية تتميز الواحدة منها عن الاخرى . فهذا الشعب يتألم الآن من حالة التقهقر الباقي هو فيها ويطلب مد يد المساعدة اليه وهو يكفر الآن عن الحصومات الداخلية التي كانت باعنا على تطاحنه في غابر الايام وعن المنازعات السياسية التي تفت في عضده في أيامنا هذه ولما ضم الى فرنسا خيل اليه انه ينجو من غوائل التحول الجنوبي ولكنه اخطأ ظنه المرمى فلم يكن حظه في عهد الفرنسيين افضل منه في عهد الجنوبيين وقد أصبحت كورسيكا فرنسوية حينما كانت الافكار في فرنسا تستعد لتلك الثورة الهائلة فنشأت هيئة اجتماعية جديدة كان من وكدها هدم الانظمة الارسطقراطية القديمة واقامة انظمة ديمقراطية جديدة على انقاضها ففرنسا الكامنة فيها قوى عجيبة غريبة وهمة لا يثلم حدها وحياة لا يدنو منها الوهن نهضت مما اصابها من العثار في تلك الثورة الكبرى وفي حروب الامبراطورية الطاحنة فاستقامت امورها واتسع نطاق اليسر فيها وتمكنت من الخروج من الحرب السبعينية الوبيلة غير مهينة الجناح او مثلومة الحد . وبعد الحرب العالمية الكبرى هبت وحركت عوامل نشاطها وعملت على ما قسده يد الالمان في بلادها واصبح لها المقام الاول في القارة الاوربية وبانت لها الكلمة المسموعة في المؤتمرات الدولية التي توالى عقدها وحسبها أن يكون فيها داهية كالمسيورايون بوانسكاره يعرف من أين تؤكل الكتف حتى يعزز مركزها في العالم وبعد ما كان الناس يتوهمون ان احوالها الاقتصادية والمالية تضعضت نشطت الى اصلاح شؤونها الصناعية والتجارية وتوطيد اركان تقدها فانهاال عليها الذهب من جميع الانحاء حتى اصبح لها المكانة الاولى في اوربا من جهة خزن الذهب وقد ساد القلق الدول الاخرى من جراء ذلك الامر فاخذن ينظرون في تلك المسألة نظرة جديدة تلافياً لما قد يجر عليهم ذلك من الخراب .

والكورسيكيون يأملون أن فرنسا لاتظل في المستقبل مهمة لامورهم كما كانت الحال في الماضي بل تنظر اليهم بمقلة العناية والاهتمام ولم يخف عليهم أن جميع الحكومات التي تعاقبت على الحكم في فرنسا من الثورة الفرنسية الكبرى الى عهدنا الحاضر لم تكثر لحالة بلادهم ولم تعمل على ترقية شؤونهم وتحسين احوال وطنهم ولم تساعدوا في حالة التحول التي مرت عليها وخيل للفرنسيين انه يكفهم

أن ينشروا في كورسيكا الشرائع الجديدة والقوانين الحديثة وقد ذهلوا عن حقيقة تاريخها الخاص وأخلاق أهلها المتفردين بها فعاملوها معاملتهم للمقاطعات الفرنسية الأخرى ودغموها بالأقاليم التي كانت خاضعة من أجيال متوالية وقرون كثيرة للحكومة الملكية المطلقة وجرى في وهمهم أن تلك الجزيرة غنية وأن خيراتها لا تكفي فقط للقيام بأودها بل يستطيع تخصيص قسم منها لنفقات الدولة العامة وظنوا أن الشعب يزاول الاقتراع العام مع احترامه لأنظمة الارسطقراطية الادبية والتجارية على ما كانت عليه الحال في فرنسا إلا أن كورسيكا الغنية بطبيعة تربتها لم تعرف من القرن السابع عشر ما هو اليسر الحقيقي فقد كانت محتاجة الى أن يمدوها بالمساعدة ولا أن يطلبوا منها مساعدة ولا يخفى أن الأمة الكورسيكية التي نشأت في مهد الحرية من عهد بعيد لم يكن فيها اثر للارسطقراطية فكل فرد من ابنائها يعتبر نفسه حراً من ولادته وكان بالتالي يعتبر أن له الحق بأن يصير صاحب الامر والنهي في بلاده وهذا هو السبب الذي من أجله كانت الاقتراعات العام باعثاً على الخصومات الدموية بين الكورسيكيين ويمكن القول بالإيجاز أن نتيجة تلك الحركات افضت الى حصر السياسة في الجزيرة في أيدي معروفة فعادوا الى تمثيل الدور الذي كان يمثل في القرون المتوسطة أمثال تشينارشيزي وأوبرتنغي وفريغوزي وبقيت المظالم تعبت بالقوم على أوجه مختلفة وصور شتى فلاحوال لا تزال عندهم على ما كانت عليه في القرن الثاني عشر.

وتنحصر المصائب الحالة بكورسيكا في الآونة الحاضرة في ثلاثة أمور .  
الفقر وخلل الادارة والسياسة فتمقر الشعب ينجم عنه العذاب والاضطراب .  
وخلل الادارة يغفل الايدي ويخلق الضعف وينشئ اضطراب حبل الامن .  
والسياسة العامة تبلبل الافكار وتفسد الضمائر وتخفي على نشاط الأمة وتكون من أقوى العوامل لانتشار الفقر وازدياد الخلل في الادارة .

فخصيبة كورسيكا شديدة ومزمنة : شديدة لأنها تعم البلاد في جميع قواها وتفسد جميع انظمتها وقوانينها وعناصرها . ومزمنة لأنها مذ وجدت لم يتقلص ظلها دقيقة واحدة فهي تعمل على مهل جارة تلك الديار الى مهاوي الدمار .  
ومما يساعد على استفحال أمرها هو الاخلاق الموروثة عند تلك الاقوام

وطبيعة البلاد المقيمين فيها فافضل الاخلاق المتصف بها الشعب الكورسيكي يصبح من أشد الذرائع جلب الشر فالانانية نحول دون تأليف الجمعيات والاتفة تجعل الواحد منهم يتخلق باخلاق بالية والمحافظة على التقاليد القديمة تقف حاجزا في وجه المعاداة الحديثة والروح الديمقراطية تزيد في طين الغليان السياسي بلة. ويتسلسل عن ذلك أمور اقتصادية تجعل محاسن تلك البلاد عقيمة فوعورة الجبال تصير انشاء طرق المواصلات صعبا . وخصب التربة يساعد النباتات الطفيلية على النمو ويضطر الزارع الى جهاد متواصل لأن الاحوال الجوية في تلك البلاد تختلف باختلاف موقع مناطقها فهي كثيرة الرطوبة في المرتفعات وشديدة الجفاف في السهول وأفضل الاراضي الملائمة للزراعة وبيلة الهواء ونقول أخيرا أن موقع الجزيرة الجغرافي يقضي باعتزالها فكان كل شيء يعمل على معاكستها من اخلاق القوم الى موقع بلادهم الجغرافي فكورسيكا لا تزال بعيدة عن المدنية العصرية ولم تحسن ادارتها ولا استخراج دقائن خيراتها وهي دريعة لسهام المنازعات السياسية .

ومن أشد النكبات وقعا على الكورسيكيين الوبالة فهي تهددهم بالانقراض وهذا المرض هو غير خطير بمحد نفسه فالمعالجة تقضي عليه واذا أخذت السكينا بجرعات قوية استأصلت شأفته . ولكن هل يشفى المصاب به شفاء تاما . يقولون أن من تفتابه الوبالة ترك فيه جراثيمها مادام حيا فعند أقل تعب يلم به وعند أدنى حركة عنيفة تنوب الجسم تهب الوبالة من مريضها وان هم لم يقطعوا دابرها من البدء تمكنت وشأ نجحها في الجسم بسرعة غريبة واشتد ساعدها . فالوبالة منتشرة في كورسيكا انتشارا يوصف بأنه آفة وخيمة المغبة عليها ومن نتائجها السيئة ان سكانها يتناقص عددهم يوما فيوما من جراء ذلك الداء الويل فهو يقصر الآجال ويسوق العقم الى المتزوجين ويدفع معظم القوم الى المهاجرة ويقال بالاجمال أن سكان الجزيرة بحملتهم مصابون بالوبالة على التقريب والاطباء في كورسيكا يصفون للوطنيين الناقمين من أي مرض كان ان يستعملوا املاح الكينا لان كل مرض عند الكورسيكيين ينتهي في غالب الاحيان بالاشتراك مع الوبالة : واذا نظرنا الى علاقة الوبالة بكورسيكا وجدنا ثلاثة أقاليم في تلك البلاد : الاقليم الذي تصيب فيه الوبالة الناس والاقليم الذي يتداون فيه منها والاقليم الذي لا وجود لها فيه .

فنشأ الوبالة في السواحل ولا سيما السواحل المنخفضة المتصلة بسهول تمتد الى  
سهول الجبال كسهول بينغوليا ومارانا وكامبو يورو وبرافوني واليريا وفيو  
موربو وسولنزارا أي من ابواب باستيا الى مصب نهير سولنزارا وهناك مصاب  
الانهر الكبيرة والصغيرة وتنتشر مياه هذه الانهر في مستنقعات كبيرة قريبة  
الغور يكثر فيها القصب والبردي ويتولد فيها البعوض من نوع « انوفيل » وهي  
تنقل جراثيم ذلك الداء الوبيل .

وهناك ماعدا هذا الاقليم الشرقي اقاليم أخرى أصغر منه تمتد عند مصاب  
مجاري المياه في الجزيرة وتتصل بها سهول فسيحة رديئة الهواء وحيثما يكون  
الانسان في تلك السهول يصاب بالوبالة فيعود الى قريته للتداوي فيها . ومن عادة  
الكورسيكيين أن يقضوا أشهر الصيف من يوليو الى نوفمبر في القرى المبنية  
على قمم الجبال ويأخذوا في اجتناء ثمار الكستناء في نوفمبر ثم يهبطوا الى  
السهول فيحرقوا ويزرعوا ويعزقوا الكرمة ويعنوا بامر الاشجار المثمرة  
في الشتاء والربيع ومحصدوا محصولاتهم في أواخر يونيو ثم يصعدوا الى قراهم  
قبل ظهور الوبالة وكثيرا ما يحدث ان الحال تقضي عليهم بالبقاء في السهول الى  
أواسط شهر يوليو ويضطرم رش الكرمة بالكبريت الى الرجوع الى السهول  
عدة مرات في خلال الصيف ويعودون في شهري سبتمبر واکتوبر الى السهول  
لقطف العنب ولكن الوبالة لا تشد وطأتها الا من نصف يونيو الى أواخر أكتوبر  
ومن أهم لوسائل لمناهضة الوبالة ائلاف المعوض ولا يتم هذا إلا بتجفيف  
المستنقعات وقد ارمعت الحكومة اجراءه ولكن هل يتسنى لها ذلك ولمشروع  
يقتضي اتفاق عشرة ملايين على الاقل وهي تشكو من المعجز في موازنها والجزيرة  
معروفة بفقرها وقلة مواردها .

أما التجارة فكاسدة في الجزيرة وليس في البلاد مصارف إلا في اجا كسيو  
وباستيا ولا تقوم فيها أسواق ولا معارض عامة وليس في باستيا سوق للحنطة  
والعلف . ولا يعمل أن يتم الملاك في السواحل الشرقية بمحصولات الحنطة اذا  
لم يجدوا لها اما كن يبيعونها فيها . وهم الآن يهملون أمر الحنطة التي كانوا  
يستغلونها من ارضهم ويحملون الدقيق من القارة . ومن أهم الاسباب لتقهقر  
التجارة وكسادها افتقار البلاد الى طرق المواصلات .



وزعم الحكومة الفرنسية أنها عملت كل شيء للجزيرة كورسيكا بتعيينها معلمين للزراعة وأساتذة لالقاء الدروس ورجالا للجندية وجباة للضرائب وموظفين لإدارة خطط الإدارة على اختلاف أنواعها وبانشائها طرقا وسكة حديد . ومثلها في ذلك مثل رجل يدعوك الى تناول الغداء عنده فيعلمك لماذا تأكل وكيف يجب أن تأكل ويجلسك على الخوان ولا يضع أمامك إلا ملعقة فللكورسيكي الملعقة ولكن ليس له شيء من الطعام فعنده سكة حديد وطرق وإن تكن قليلة ولكن ليس عنده تجارة .

ولا يطبق الفلاح الكورسيكي سكة الحديد فهو يكرها كرها شديدا لأنه لم يحن منها فائدة ما فهي لا تؤدي الى أي سوق كانت أو الى أي بلد تجاري وهو يعتقد أنها سبب لتقهقر بلاده والحق يقال إنه بعد إنشاء سكة الحديد أقفلت الخانات التي كانت على الطرق العامة وبطلت تربية الخيل والبغال والحمير فالكورسيكي ينام في ظل شجرة وينشد ما ألفه أصحاب الخانات في هذا الصدد واليك تعريبه :

« إن مخترع سكة الحديد وغد لثيم فليصب رأسه بالقرعة ولتحل به القيلو كسيرا كما حلت بكرومنا . فالاسبوع ينقضي ولا نبيع كأسا واحدة من الخمر . يا انجلو خطر لي خاطر وهو أن نقذف ببطارياتنا القطار عند مروره . »

ولا يخفى أن بناء سكة الحديد في كورسيكا استغرق مبالغ طائلة من المال فالكيلو متر الواحد من السكة بين اجا كسيو وباستيا كلف ٣٤٦ ألف فرنك ومن سكة بالانبي اكثر من مئة ألف فرنك ومن سكة السواحل الشرقية نحو ١٥٥ ألف فرنك . أجل ان البلاد وعرة المسالك وقد اقتضى بناء سكة الحديد فيها عناء شديدا واشغالا فنية خطيرة الا ان الجانب الاكبر من المبالغ الكبيرة التي انفقت عليها انفق على شراء الارض التي يمر فيها الخط الحديدي وكان من وراء شراء تلك الارض قبل وقال في ذلك العهد ان السياسة لعبت دورا خطيرا في شرائها وقد استقرغ كل واحد منهم ما عنده من الدهاء لبيع ارضه من لجنة الاستملاك بثمن غال مع ضيق مساحتها فاهلكار الواحد من الارض الصخرية بيع بخمسة وسبعين ألف فرنك مع أن قيمته الحقيقية لا تساوي عشرين سنتيا ولا بد من القول ايضا أن الذين كسبوا من وراء بيع ارضهم بتلك

الأثمان الفاحشة كانوا من ذوي الكلمة المسموعة ومن المشتغلين في السياسة . ولما كثر تحدث الناس في هذا الموضوع لم تلق الحكومة بدا من تعيين لجنة جديدة لاعادة تخمين تلك الارض بأثمان معقولة مقبولة ولكن لم يتغير شيء في الحقيقة فاللجنة الثانية تسلمت عليها عوائل السياسة كما تسلمت على اللجنة الاولى من قبل وكان كل ما عملته انها خفضت اثمان اراض جارية على ملك اشخاص لم تكن كفة النفوذ السياسي راجحة نحوهم في ذلك الحين ورفعت اثمان اراض تخص اصحاب مقامات طالية وكلمة مسموعة وما قلناه عن بناء سكة الحديد يمكننا أن نقوله ايضا عن بناء الطرق الاخرى فحينما يلتزم الكورسيكي انشاء طريق مثلا يقوم على مراقبة اعماله موظفون كورسيكيون تنتدبهم وزارة الاشغال العامة للاشراف عليها ومع انه مقضي عليه بان يتم تلك الاعمال طبقا لوثيقة منظمة بينه وبين مصلحة الاشغال العامة فلا شيء يثبته عن تضيق ذل الطريق وجدوان الدعم وعضائد الجسور ولا يستعمل من مواد البناء لتلك الاعمال الا ما كان منها رخيص الثمن رديء الجنس فلا ينقضي ثلاثة اشهر على انشاء تلك الطريق حتى يصبح المرور عليها متعسرا فالالتزام للالتزم كسب سياسي لا يسهل حرمانهم اياه ثم انه اذا نهض أحدهم وشكا من سوء حال الطريق كان كلامه كصرخة في واد أو كنفخة في رماذ لان الملزم يكون مظللا بكنف أحد المتنفذين السياسيين ولما انشئ الخط الحديدي بين اجا كسيو وباستيا انهار التراب في مكان بين كورتي وفيقاريو ويقال أن ذلك الانهيار كان مدبرا بالاتفاق مع مفتشي الطرق والجسور وكان من نتيجته وضع خمس مئة الف فرنك في جيوب المقاولين من باب النفقات غير المقررة . وبقي الآن تحت العمل نحو ١٤٨ كيلو مترا من سكة الحديد يقتضي بناؤها ثلاثين مليوناً ذهباً على ما جاء في تخمين نحن قبل الحرب

ولنذكر الآن بالابحاز ما أجراه نابوليون الاول في كورسيكا وما كان ينوي اجراءه فيها من الاصلاح وما تقلب عليها من الحوادث بعد سقوطه عن عرش الامبراطورية الفرنسية :

لم يكن نابوليون يني عن الافتكار بمنبت شعبته . وفي رسائله ما يدل على شدة اهتمامه بتلك الجزيرة فقد وجه عنايته الى جميع الخطط الادارية فيها كالمعدلية

والمالية والجندية برا وبحرا والتجارة والنافعة والزراعة وتنظيم الشحنة وكان مزمعا أن يضع على رأس تلك الخطط أشخاصا خبيرين بشؤون البلاد وعارفين بلغتها وسمى لينشيء في اجا كسيو مصنعا للآجر والفخار يشغل فيه صغار العملة ليتمكن الناس فيها من الاستغناء عن جنوى في جلب الآجر والفخار منها . وصرف هامة النفس ايضا الى توسيع دوائر الاقتصاديات في الجزيرة وكان يفكر في هذه الامور وهو في باريس وفنتنبلو وكيبانيه وسان كلود وفي طريقه عند زحفه الى ستراسبورغ وبتسدام وشنبرن ودرسد وشجع الكورسيكيين على زراعة القطن وغني بالشاء المسابك لمعالجة حديد جزيرة البا وصرف جل اهتمامه من سنة ١٨١٠ الى تنظيم أحوال الجزيرة مالياً واستثمار احرارها الا أن الوقت لم يفسح له لانجاز ما كان يفكر في عمله في جزيرة كورسيكا من تلك الاعمال الكبيرة وكثيرا ما كانت تعوزه مناصرة رؤساء الخطط مناصرة مقرونة بالنزاهة والنشاط فكثيرون منهم كانوا يلقون في جيوبهم الاموال المخصصة لتحسين أحوال الجزيرة وتنمية اقتصادياتها أو ينفقونها في غير وجوها .

وعلاوة على ذلك لم يكن الشعب الكورسيكي مخلصا له فوقت ما انتهى الى كورسيكا نبأ تنازله عن العرش في فنتنبلو لم يحظر لاحد أن يهب للانتصار له وانحاز اريغي والي لياموني الى البوربون في ٢٨ ابريل سنة ١٨١٤ ورفع فرنسوى ليفي عمدة البلدة راية زهرة الزنبق الملكية فوق قبة الكنيسة . وزينت دار البلدية احتفاء بعودة « الملكية الشرعية » وتجمهر الشعب حول تمثال نصفي للامبراطور قدمه الكردينال فش لمدينة اجا كسيو في سنة ١٨٠٦ وألقوه في البحر وهم يقذفون صاحبه بالكلام البذيء ويوسعونه سبابا وتحقيرا ويجهرون بوجوب نسخ ذكره من الاذهان واطلقوا على الشوارع اسماء ملكية وفتحت باستيا أبوابها في وجه البريطانيين ولكنهم لم يطيلوا مكثهم في الجزيرة لان معاهدة باريس قضت عليهم بمغادرتها وارجاعها الى فرنسا

واذا نظرنا الى حالة جزيرة كورسيكا في القرن التاسع عشر واستقصينا في البحث عنها أمكننا ان نعبّر عن حقيقة تلك الحالة بالكلمات التالية :

« حالة سياسية مضطربة وعميقة وتقهقر في الاقتصاديات وإهمال الحكومة الفرنسية لتلك الجزيرة وخمول الكورسيكيين »

ولما توارى نابوليون عن ملعب السياسة تألف حزب البونابرتيين إلا أن المركيز دي ريفيار نائب الملك في كورسيكا ادخل الخوف على السكان بما أجراه بين ظهرانيهم من ضروب الارهاب فنشبت حينئذ حرب فيوموريو المشهورة وقد استطاع في اثنائها القائد بولي صهر مرضع نابوليون ورفيقه في جزيرة البيا أن يواقع جنود الملك عدة أشهر وكان قد اتخذ الادغال والآجام ملجأ له واشتركت نساء كورسيكا مع بولي منتصرات له ومع ذلك رسخت أقدام الملكية في الجزيرة وأعلن فيها العفو العام .

وتفانم الخلاف بين سكان الجزيرة وتألف عندهم حزبان : الاول انضمت اليه جميع الاسر القديمة الموالية للبوربون والثاني انتظمت في سلكه الاسر الحديثة العهد التي اصابها سوءدها ومكاتها في عهدي الثورة والامبراطورية ولم يكن التوفيق بين ذينك الحزبين مستطاعاً وذهبت سدى مساعي عقلاء الجزيرة لاصلاح ذات البين بينهما . اما الحكام الفرنسيون ففكروا من البدء في الجري على مهاج سياسة واحدة وهي مناصرة حزب لكبت الحزب الآخر وبالتالي تمديد أجل القوضى والنسج على منوال الجنوبيين الذين كانوا يمحنون عن الطريقة المثل .

ومن أهم الامور في كورسيكا الانتخابات ولم يكن لها قبلاً ممثلون في البرلمان الفرنسي ولكن صدر مرسوم ملكي في ١٣ يوليو سنة ١٨١٥ يخول كورسيكا انتخاب اربعة نواب فتدخلت الحكومة في الانتخاب تدخل غير قانوني وانتخبت اشخاصا من غير الاكثرية . ومما يجمل الكورسيكيين شديدي الميل الى اهرار عضوية البرلمان هو اعتقادهم انه يكفي أن يغشى ذلك العضو مدينة باريس حتى يتمكن من نيل أفضل المناصب وأسمائها لدوي قرياه

وعني بعد ذلك والي الجزيرة بتحسين حالتها من الوجهتين الادبية والمادية فرأى أن الشرائع الفرنسية لا تلائم الا الاغنياء فيها اما عامة القوم فيلزمهم انظمة أهلية مبنية على أساس الاستبداد المقرون بالعطف واللين وشاء أن ينشئ

بجالس صلحية مجانية في اجا كسيو وباستيا وأن يرسل الجناة الى القارة ليحاكموا فيها من دون أن يكون للسياسة تأثير ما في وجدان القضاة وكانت حالة رجال الدين في كورسيكا مما يرثى لها فكان عددهم فيها ١٨٤٤ قسا ومعظمهم موصوفون بشكاسة الاخلاق والعنف في تصرفهم ويكاد السواد الاعظم منهم لا يحسنون الكتابة ولذلك اقتضت الحالة انشاء مدارس اكاديمية واستقدام رهبان من رهبنة اخوة المدارس المسيحية . وكانت حالة التعليم متدهورة في الجزيرة فكانت الفوضى منتشرة في مدارس اجا كسيو وباستيا ولم يكن المعلمون يقبضون مرتباتهم في مواعيدها ولم تكن تلك المرتبات المدفوعة من مبادئ البلديات تصل الى اصحابها لان جباة الضرائب كانوا يسرقون الامة والحكومة معاً .

ولفتت الحالة الزراعية أنظاره فطلب من الحكومة أن تساعد على تعزيز زراعة البطاطس والسكرتناء والقوة وإنشاء المشاتل لشجر التوت ونههم الى المضار الناجمة عن إرسال المواشي في الحقول وتركها تعيث فيها فساداً وطلب إنشاء الاهراء لادخار الحنطة التي تزيد على حاجات القوم في سني الخصب واستغلال الاحراج وتحسين حالة الطرق ولكنه لم يكن متفقاً مع الميسودي فيو الحاكم العسكري فاضطر الى الاستقالة في سنة ١٨١٨ . فعادت الاحزاب الى التطاحن والتضامن وأصبحت أسرة بوتزو دي بورغو ذات كلمة مسموعة في البلاد إلا أن فترة سنة ١٨٣٠ التي كانت مدرجة لتسود الحزب الحر جعلت أسرة سياستياني تتفوق على أسرة بوتزو دي بورغو وتصيب المقام الاول بين الكورسيكيين . وقد قلب الكونت هوراس دي سياستياني في عدة مناصب عالية فكان مرشالا فوزيراً فسفيراً فعيناً من الاعيان في فرنسا وجعل أخوه الفيكونت تيبورس حاكماً عسكرياً لباريس وأصبحت كورسيكا بمنابة اقطاعة لهم فكانوا يوزعون فيها الرتب والنياشين على من يشاؤون .

ونال الكورسيكيون من حكومة لويس فيليب ما لم تكن حكومة سلفيه تخرجو على منحهم إياه فنظم القضاء في بلادهم على الطراز الحديث واهتم الملك بالبناء الطرق الكثيرة عندهم وتكثير غلات الجزيرة بالقارة وقد وصلت أول باخرة الى اجا كسيو في ١٨ يونيو سنة ١٨٣٠ ووسع مرفأى اجا كسيو وباستيا

ونبي في اجا كسيو دار البلدية ودار المحافظة والمسرح ويمكن القول بالإنجاز انه غني بتحسين حالة الجزيرة من جميع الوجوه على ان كورسيكا - وكان الموظفون المرسلون اليها من القارة يعتبرون ان مقامهم فيها بمثابة التخرج في مدرسة المناصب أو بمثابة منى - لم تصل الى الغاية التي كان يجب أن تصل اليها . ونظم بلانكي تقريراً في سنة ١٨٤٠ وقدمه الى ندوة العلوم الادبية والسياسية واليك ملخص ذلك التقرير .

« ما هو السبب الذي من أجله لا تشبه كورسيكا البلدان المجاورة لها مع أنها جيدة الهواء خصيبة التربة غزيرة الماء وهي في وسط البحر الرومي على مسافات متقاربة من فرنسا وايطاليا واسبانيا . ولماذا لا يفتش السياح أوديتها البديعة المناظر ولا ترسو السفن في موانئها الجميلة . ولماذا يذهب البناؤون الى كندا وروسيا لجلب أخشاب البناء منهما وفي كورسيكا كثير من شجر السنداب المختلف الانواع وشجر الصنوبر وغيره . ولماذا قل عدد سكان الجزيرة واصبح غير كاف لمعالجة تربتها وفي وسعها أن تأتي بغلال تكفي مليوناً من البشر . »

وقال وزير المالية الفرنسية في سنة ١٨٣٩ أن في كورسيكا مئة ألف هكتار من الارحاج إلا أن افتقار تلك البلاد الى الطرق ووسئل النقل حالاً دون ارتفاع الحكومة منها ، وقال مالت برون في كتابه « الجغرافية العامة » : حينما ينال الحكومات الاوربية التبرم من الاهتمام بشؤون طوارئها - وقد كان ماجنته من الخزايا فيها أكثر مما جنته منها من الفوائد - تلقي فرنسا مورد غني لا ينضب في كورسيكا المشهورة بجودة هوائها الملائم لاستغلال المحصولات المجلوبة من الطوارئ على شريطة أن تصرف عنايتها الى زراعة الاصناف المستغلة منها تلك المحصولات وتبليدها في الجزيرة .

وكتب الدكتور دوناي مقالة في جريدة الديبا في سنة ١٨٥٢ خصصها لمسقط رأسه وقال فيها ما يأتي : تتأثر وطنيتي حينما اري الجهل أو العادة يدفعان فرنسا على انتجاع غير كورسيكا لاصابة ما يحده فيها وارتياح البلدان الأجنبية في طلب اشياء تجد ما يعاثلها أو ما يفضلها في اقليمها . . . فأني بلاد تفضل كورسيكا في احوالها الجوية ولا سيما الاحوال الجوية في اجا كسيو .

والنائب الامير لويس نابوليون رئيساً لنواب كورسيكا في الجمعية الدستورية

في سنة ١٨٤٨ واستطاع بدعائه أن يستعيد تاج فرنسا الى الاسرة البونايرتية ولكن هل استطاع أن يؤدي الى وطنه الاصلي ما كان يبتغي تأديته اليه من الخدم . وهل تسنى له أن يعنى بشؤون الجزيرة على ما كان يبتغي اجراؤه . أجل أنهم جففوا مستنقعات كلفي وسان فلوران وباستيا ووسموا مرفأى اجا كسيو وباستيا ولكن لم تكن تلك الاعمال كافية لزيادة موارد البلاد وإسعادها حينما كانت فرنسا تسير سيرا حثيثا في طريق الرقي والعمران ويزعمون أن تاريخ افعال الشؤون الادارية في كورسيكا يرتقي الى عهد الامبراطورية الثانية ولهذا الاهمال أسباب شتى روحية واجتماعية يعزي معظمها الى الاحوال الداخلية فقد كانت الاسر ذات الشأن في الجزيرة تتساق على نيل الزلى لدى الامبراطور وكان من وراء تلك المناظرات والانقياد الى المطامع واستفحال أمر الخصومات بين الاحزاب أن المصلحة الوطنية العامة كانت يضحى بها على مذبح الانانية والاغراض الشخصية .

وشخص نابوليون الثالث الى اجا كسيو في سنة ١٨٦٠ لفتح المعبد الذي بناه لدفن اعضاء أسرته وارسل اليها ابن عمه البرنس نابوليون جيروم في سنة ١٨٦٥ لازاحة الستار عن التماثيل المنصوبة في ساحة الالماس وزارات الامبراطورة وولي العهد الجزيرة في نوبتهما في سنة ١٨٦٩ وكان الكورسيكيون في المرات الثلاث ينمون على دخائل اخلاصهم وموالاتهم للأسرة الامبراطورية وقد نجسم هذا الاخلاص في مدينة بوردو في الجمعية الوطنية التي عقدت في أول مارس سنة ١٨٧١ لاعلان سقوط نابوليون الثالث عن العرش فان نائبين رسيكيين وهما كوتي وغازيني تسما منبر الخطابة ودافعا بلهجة شديدة عن أسرة البونايرتية .

ولا يخفى أن اخلاص الكورسيكيين لفرنسا أمر مشهور فان ثلاثين ألفاً منهم خفوا الى الذود عن حياض فرنسا حينما كانت المتالف ادنى من قاب قوسين منها وانكر الكورسيكيون شكل الحكم الجمهوري في بدء الامر ولكنهم مالبثوا ان ألقوه وامثلوا لاوامره ونواهيه لان زعماء الاحزاب غمرتهم حكومة العاصمة بنعمها في مقابل أصواتهم واصوات الذين يلقون لقبهم في الانتخابات فكان من نتيجة ذلك أن ظهرت في الجزيرة اخلاق سياسية محاكي الاخلاق

السياسية البالية وهذه هفوة ارتكبتها الحكومة الفرنسية فما عدا بوتزو دي بورغو الذي لم يدخر شيئاً لظهار ما يمكنه فؤاده من القلى للبونا برتين بتشيمده على ربوة فوق اجا كسيو قصر البونتا بمواد مجلوبة من انقاض قصر التويلري ( وقد زرت ذلك القصر وهو الآن متحف معروضة فيه تحف فاخرة وجميع ماله علاقة بأسرة بوتزو دي بورغو) هناك عمئوئيل آرين وقد جر على بلاده نكبات وويلات فادحة لان الكورسيكيين فقدوا في عهده غيرتهم على المصلحة الوطنية العامة .

وقبل أن نختم هذا الفصل بحسن بنا أن نذكر شيئاً عن عادات الكورسيكيين من جهة الضيافة فانه اذا دخل الديل وكان مسافراً في الطريق في مكان مجهله دخل أول بيت يصل اليه فيكرم صاحب البيت مثواه ويرحب به ويبالغ في الاحتفاء به واذا شاء المسافر ان يظل مكرماً عنده فليتجنب عرض المال عليه لئلا يسوق اليه الاهانة بذلك الامر وكل ما يمكنه ان يفعله لظهار عرفان الجليل هو أن يرسل هدية صغيرة تذكارا الى مضيفه من أقرب مدينة يصل اليها فتكون خير صلة تربطه بمضيفه الى ما شاء الله .

وعند الكورسيكيين عادة تشبه العادة المألوفة عند العرب في المناحات اي النذب على الميت فالنساء يحطن بالجثة وهن محمولات الشعور ويذرفن الدمع ويرتجلن النذب بين الشهيقة والمويل على أن هذه العادة بطلت في أكبر انحاء الجزيرة وقد تكون متصلة اليهم من العرب الذين احتلوا بعض الجهات فيها وخالطوا سكانها هذا ما رأيت أن اكتبه بالاختصار عن تلك الجزيرة الجميلة ولو شئت اشباع الكلام في كل موضوع من الموضوعات التي طرقتها لاقتضى ذلك مجلدات ضخمة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . والفت انظار ابناء وطني الكرام الى عادات الشعب الكورسيكي وأخلاقه السياسية والادبية واطلب منهم أن يقابلوها بعادات شعبنا اللبناني وأخلاقه فكأنما نحن وإياهم مقدودون من اديم واحد وهناك فضلا عن ذلك تشابه شديد في السحنة بينهم وبيننا وكثيرا ما كنت ابصر شخصا كورسيكيا اظنه شقيقا لشخص لبناني اعرفه .

وحيث أننا قضينا المدة التي قضيناها في جزيرة كورسيكا في مدينتي كورتي



واجاكسيو وقد خالطنا سكانهما وتعرفنا على كثيرين منهم فرأينا ان نفرد لسكل منها فصلا خاصا نذكر فيه أهم ما نعرفه عنهما فان ذلك لا يخلو من التفككة والقائدة

## كورتي

ركبنا القطار من اجاكسيو الى كورتي في الساعة ٣٠ : ٦ من صباح السبت في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٢٠ وكان النهار جميلا والمسافة بين تينك المدينتين تقطع بسكة الحديد باربع ساعات وتقع العين في اثناء الطريق على مناظر بديعة متنوعة . والطريق كثير التماريح وفيه اكثر من اربعين نفقا بين كبير وصغير واكبرها نفق فنزافونا فان طوله يبلغ اربعة كيلومترات ويقطعه القطار بعشر دقائق . وتبعد فنزافونا ٥١ كيلو مترا عن اجاكسيو وترتفع عن سطح البحر ١١٦٢ مترا أما موقف سكة الحديد في فنزافونا فارتفاعه ٩٠٦ أمتار عن سطح البحر واتخذ المرسون في الجزيرة فنزافونا مصيفا لهم فهي كصوفر في لبنان وفيها فنادق كبيرة كثيرة وتحيط بها متنزهات جميلة .

ويأخذ الطريق في الانحدار من فنزافونا حتى ينتهي الى كورتي على علو ٤١٠ أمتار عن سطح البحر والى جانبي الطريق آجام وادغال يكثر فيها شجر السكستناء وقاما تقع العين على جبال جرداء كجبال لبنان وتبعد كورتي عن اجاكسيو اربعة وثمانين كيلو مترا .

وكورتي حاضرة الناحية ويبلغ عدد سكانها خمسة آلاف وخمس مئة وكانت في خالي الحين موقعا حصينا في وسط الجزيرة عزلة التقريب بين اجاكسيو وباستيا وتقسم مدينة كورتي الى قسمين ظاهرين للعيان : الاول كورتي القديمة وهي الى الجهة الغربية القبلية من المدينة والثاني كورتي الحديثة وهي الى الجهة الشرقية الشمالية منها وتمتد الى جهاتها الثلاث الشرقية والشمالية والجنوبية . وكورتي القديمة مبنية على هضبة وعرة المرتقى عند عدوة نهر تافينيانو اليسرى وفيها قلعة قديمة بناها فنشنتلو دستريا في سنة ١٤١٩ وحولها ثكنات اقامها لويس الخامس عشر ملك فرنسا بعد ضم الجزيرة الى مملكته وهي على الهندسة التي كانت معروفة في القرون المتوسطة .

وكانت كورتي في غابر الايام مهد الحركة الثورية في حروب الاستقلال وكانت

في القرن التاسع موقعا حصينا منيع الجانب وقد احتلها على التعاقب فنشنتلو  
دستريا في سنة ١٤١٩ لجانوس كيبو فريغوزو في سنة ١٤٤٠ ففرسان القديس  
جرجس في سنة ١٤٥٦ فالفرنسيون في سنة ١٥٥٣ فالوطنيون الكورسيكيون  
من سنة ١٧٤٦ الى سنة ١٧٦٩

وعقدت مجالس ومؤتمرات خطيرة في كورتى في السنوات ١٧٣٥ و ١٧٤٦  
و ١٧٥٣ و ١٧٦٢ وأخيرا في ٢٦ مايو سنة ١٧٩٣ لاعلان حرب الاستقلال  
وكانت كورتى عاصمة جزيرة كورسيكا في أيام الجنرال بسكال باولي  
( ١٧٥٥ — ١٧٦٩ ) فأنشأ فيها مدرسة جامعة ومطبعة وطنية في سنة ١٧٦٤  
ولانزال المدرسة والمطبعة باقيتين الى يومنا هذا .

ونصب تمثال الجنرال بسكال باولي في ميدان باولي في أول الشارع المسمى  
باسمه وقد صنعه المثال فكتور هوغنان من النحاس وهو مركز على قاعدة من  
رخام أسود يخالطه شيء من البياض وثمة صحيفة كتب عليها ما يأتي :  
« الى الجنرال بسكال باولي من كورسيكا المعترفة بالجميل في سنة ١٨٤٤ . »  
وفي ميدان اريغي عند الطرف الآخر من شارع باولي تمثال للجنرال اريغي  
دي كازانوفا دوق بادو ( ١٧٧٨ — ١٨٥٣ ) صنعه المثال برتولدي من البرنز .  
وفي ميدان الكنيسة الكاثدرائية تمثال للجنرال غافوري صنعه المثال الديبير  
من البرنز ونصب في سنة ١٩٠١ وغافوري هذا يعد من أشهر الرجال الذين  
ظهروا في كورسيكا فبعد انطلاق تيودور دي نوهوف ملك كورسيكا وعدم  
رجوعه اليها تبرم الناس من الحروب الداخلية المشتعلة نازها في الجزيرة فسموا  
غافوري محامي الوطن وأشركوا معه في الزطمة الاب فنتوريني واليونس ماترا  
واستولى على قلعة كورتى في ٧ يونيو سنة ١٧٤٦ بعد ما حاصرها عدة أيام  
وتعطل بيت غافوري بقنابل الجنوبيين المطلقة من القلعة ولا تزال آثار التعطيل  
بادية الى اليوم على ذلك البيت التاريخي المبني على مقربة من تمثال غافوري  
ووضع الحاكم الجنوبي ابناً لغافوري في أثناء الحصار في الموضع المصوبة اليه  
نيران الحاصرين وكان معتقلا عنده رهينة ولما سقطت القلعة كان الغلام باقياً  
حياً يرزق .

وبعد استيلاء غافوري على قلعة كورتى عقد مجلسا عاما أعلن فيه استقلال

كورسيكا فاستنجد الجنوبيون بملك فرنسا فارس اليم ١٩٠٠ رجل بقيادة الجنرال دي كورساي فاحتل الجزيرة من سنة ١٧٤٨ الى سنة ١٧٥٣ . ومن ذلك الحين ادخل ذلك الزعيم الذعر على افئدة الجنوبيين فكان روح سامبيارو تقمصت فيه فأخذ كورتي واضطر الجنوبيين الى التقهقر الى السواحل وجعل الجنوبيون يدبرون الدسائس لاغتيال غافوري فنسجت المكيدة في بيت روماي وقتل غافوري في كمين نصبوه له في ١٣ أكتوبر سنة ١٧٥٥ وكان بين القتلة انطون فرانسيس شقيق غافوري وقد بقي القبض عليه بعد أيام ومثل به تمثيلاً أما أسرة روماي فتمكنت من الفرار والنجاة ولكن بسكال باولي هدم بينهم الى اساساته ونصب عموداً في المكان الذي كان قائماً عليه وحفر عليه كتابة محقرة تدل على ما كان من خيانة اصحابه . ولما جأؤا بحجة غافوري الى زوجته فوستينا قبضت بيدها على ذراع ابنها ولم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره وادنته من قيص والده المملطخ بالدم ولقنته القسم الآتي : « احلف على رأس والدي القتل وحزن والدتي الايم بالأأصفح ابداً عن القاتلين . » ومما يذكر عن هذه المرأة الموصوفة بالشجاعة والجرأة انها كانت محصورة في بيتها في سنة ١٨٥٠ وكان زوجها غائباً وكان الحاضرون من الجنود الجنوبيين فشعرت بان بعض رجالها سئمت نفوسهم من تلك الحال وانهم ينوون الاستسلام فوقفت الى جانب برميل البارود وبيدها ذبالة موقدة وهددتهم بان تنسف البيت ان هم اظهروا ضعفاً وميلاً الى التسليم فلم ير اولئك الرجال بداً من الاستمرار على القتال وكانت تلك الحركة من فوستينا غافوري سبباً لنجاتهم لانها فسحت للجنرال غافوري في الاجل بحيث تمكن من الوصول في الحين الملائم لانقاذ ذويه .

وسكن شارل بونابرت ولاثيسيا رامولينو بيت غافوري من سنة ١٧٦٨ الى سنة ١٧٦٩ حينما كان والد نابوليون وزيرا لباولي وولد يوسف بونابرت في هذا البيت في ٧ يناير سنة ١٧٦٨ وفيه ايضا جبل بنابوليون .

وقد رأينا أن نذكر شيئاً من العادات المستحسنة والعادات المستهجنة في المدينة فن محاسن عاداتهم السكنية السائدة بين ظهراني القوم فلا تتمزق آذان الناس بالضجة والفضواء على ماهي عليه الحال في البلاد الشرقية ولا تنتج هذه السكنية عن عدم ضجيج الناس فقط بل يساعدها على ذلك عدم قرعة المركبات

والسيارات وغير ذلك من وسائل النقل وذلك لقلة وجودها في تلك المدينة . وقضينا في كورتي ثلاثة وستين يوما لم نشاهد خصاما بين أهلها في اثناء تلك المدة ولكنهم يكتفون بالخصومات الحزبية السلبية أي أنهم يقضون معظم وقتهم في الاشتغال بالسياسة ولا سجا السياسة المحلية الحزبية وحينما وقفنا على تلك الحالة وعلمنا أن القوم في تلك المدينة منقسمون الى حزبين ولا هم لهم الائتعا كس والتشا كس ناجينا النفس فائلين : ما اغرب الصدف التي قذفت بنا الى هذه البلدة فان سكانها منصرفون كل الانصراف الى الاشتغال بالسياسة والتحزب على مثل ما نحن عليه في ديارنا اللبنانية على أن تلك التحزبات تخرج ضررا كبيرا على المدينة من حيث تفرق الكلمة وافتقارهم الى الاتفاق على القيام بما فيه المصلحة العامة كتتظيف المدينة لان الاقدار تظل متراكمة متكسدة في الطرق والشوارع والمنعطفات وعربات البيوت ولو لم تكن تلك البلدة جيدة الهواء لوقعها في الجبال لما كانت الامراض الوبائية تفارقها يوما واحدا ولكن لها من جودة هوائها وعذوبة مائها ما يدفع عنها غوائل الامراض القتالة والابوثة الوبيلة فالهواء فيها نقي والمياه صافية عذبة وهي مجرورة من ينابيع في الجبل المبنية هي عند سفحه ومحفوفة من كل ما يكدرها على مسافة كيلو مترين وقد جررها اليها البريطانيون في أواخر القرن الثامن عشر لما احتلوا بالاتفاق مع بسكال باولي على مامر بنا بيانه واقاموا فيها نحو اربع سنوات . وقد سألت احد شيوخ المدينة وعقلائها عن أسباب الاهمال الداعية الى تفهقها فأجابني هي التحزبات التي تقضي على اللدان بالخراب ، فسألته أما عندكم مجلس بلدي ، فأجابني بلى ولكنه موجود بالاسم فقط وغير موجود في الحقيقة لان اعضاءه لا يعملون عملا وهم يغمضون عيونهم عن رؤية الاشياء التي يقضي عليهم موقفهم بان يروها وما ذلك الا لتخوفهم .

ولاهم للرجال في كورتي الا الاشتغال بالسياسة العقيمة اما الاعمال التجارية والاشغال البيتية والزراعية فقضاؤها من اختصاص النساء وهؤلاء شديداً المنكب صبورات على التعب لا يضيعن دقيقة ما من الوقت وكثيرات منهن يحملن احمالا ثقيلة جدا على رؤوسهن وقد سمعت أن منهن من تحمل نحو مئة كيلو على رأسها اي ما يعادل تسعة وثلاثين رطلا من اوزان بلادنا (لبنان)

اما اسباب المعيشة المهمة في كورتي فهي التجارة وفي تلك المدينة مخازن كبيرة كثيرة فيها جميع أصناف السلم والبضاعة على اختلاف انواعها ولو كانت تلك الاصناف تباع لاهل كورتي وحدهم لكان مافيهما - لما رأيناها - يكفيهم اكثر من عشر سنوات ولكن كورتي معدودة حاضرة لتلك الناحية يؤمها الناس من جميع القرى المجاورة ومن القرى التي في وسط الجزيرة

وحول كورتي اراض واسعة مزروعة بيد انها مهمة لنقص اليد العاملة فيها وافتقار القوم الى مثل النشاط اللبناني الذي يعز وجود نظيره في جميع انحاء المعمورة فلو كانت تلك الاراضي في حيازة اللبنانيين لصيروها ندر لبناً وعسلاً ولاستخرجوا من تربها تبرا ولاصبحوا بالتالي من أرباب اليسار والثروة . وجميع الوسائل الزراعية ميسورة لهم ولا سيما الماء الغزير فهم لا ينتفعون به انتفاعا يذكرون محيط بكورتي جبال جرداء تشبه جبال لبنان والسبب في ذلك هو أنها كانت قبلا مغروسة كستناء فاصيبت تلك الاشجار بضربة أودت بها فباتت الارض جرداء ولم يعودوا الى غرسها لقلّة اليد العاملة عندهم .

وعندهم الكرمة ولكنهم لا ينتفعون بها الا باستقطار الحور وهم مع وفرة العنب عندهم يجلبون الزبيب من الخارج وصناعة الدبس غير معروفة عندهم ومتى حان قطاف الكرمة وذلك في النصف الاول من شهر اكتوبر يذهبون زرافات زرافات الى الكروم ويقيمون فيها المراقص والافراح ويتغنون بالاناشيد المطربة ويأخذ فريق منهم في القطاف والفريق الآخر في نقل العناقيد بسلال الى آخر الكرم فيعصرونها بالآلات على شكل اسطوانة تدار باليد فوق العنب فتعصره وينزل العصير الى أوعية موضوعة تحتها ثم ينقلون العصير بضروف وقرب الى المدينة ويضعونه في الاقبية ليختمر .

وعندهم كثير من شجر الكباد والاجاص (الكمرى) والنفاح ولا تنمو هذه الاشجار في كورتي وحدها بل هي مغروسة في اكثر انحاء الجزيرة فيصدرون الى القارة مقادير كبيرة من ثمارها باثمان غالية وهم يقطعونها في اواخر فصل الصيف ويحفظونها عندهم بطرق معروفة ويخرجونها من مخازنها في فصل

الشتاء ويشحنونها . وكنا نجد كثيرا من التفاح الفاخر الكبير الحجم اللذيذ الطعم الذكي الرائحة في اجا كسيو في شهر مايو

وعندهم ايضا كثير من شجر الزيتون يستخرجون الزيت من ثمره ومنه جانب كبير يشبه ثمره ثمر الزيتون في بلادنا بكبره وجودة نوعه اما الجانب الآخر فثمره صغير كثمر الزيتون البري عندنا

ويزرعون في كورتي بقولا كالبقول التي نزرعها في بلادنا وعلى الطريقة نفسها التي نسير عايبها في زراعتها في بلادنا ومنها الطماطم والخيار واللوبيا والباذنجان وهم يعنون بامر انتخاب البذار من أجود الاجناس

وعادات سكان تلك البلاد مخالفة لعاداتنا من جهة الضيافة واستقبال الضيوف ولا ترى في جميع المنازل ردهات لاستقبال الزائرين فالقهوات والشوارع هي الاماكن التي يجتمع فيها الاصدقاء واصحاب الاعمال للمفاوضة في شؤنهم الخاصة والعامة . ويخرج السكوريون في مساء كل يوم للتنزه في الشارع الكبير الوحيد في تلك المدينة وهو شارع باولي ويشقها من أولها الى آخرها ويأخذون رجالا ونساء يسرون فيه ذهابا وإيابا نحو ساعتين ولا يحول إلا المطر دون تنزههم فيه ويستطيع الانسان أن يتعرف بجميع أهل كورتي في ذلك الشارع لانه يندر أن يمتي احد في بيته في مثل ذلك الوقت . وبما يزيد الازدحام هو خروج العائلات من المخازن في ذلك الحين لتروج النفس قبل دخول مساكنهم وفي الاعياد الوطنية الكبيرة وأيام المرافع يقضون هزيعا من الليل في الشارع ويلبس بعضهم كمامات ويترشقون بورق صغير الحجم مستديره يقال له « كنفتي » والسيدة التي ترشقها به لاتستاء منك بل بمكس ذلك، تلتفت اليك وتشكر لك ذلك اللطف الذي خصصتها به .

وعلى مقربة من كورتي مقالع تقطع منها حجارة الرخام وهي كثيرة في تلك الناحية فالشوارع وارصفها مرصوفة بها وهم يصدرون مقادير كبيرة منها الى الخارج وفي ظاهر كورتي جبانة كبيرة طامة ولكن كيفما التفت الانسان الى الحقول المحيطة بالمدينة ابصر فيها رموسا محكمة البناء بالرخام الناصع البياض وقد غرس حولها شجر السرو فسكانها عادة جارية عند الاسرالموسرة وهي أن تبني الاسرة ضريحاً في الارض التي تخصها . وينجم عن ذلك أمران يأنف منهما الانسان الاول

تقويه مناظر الحقول بتلك الرموس التي تجعل صدر الناظر اليها ينتقبض والثاني ابتذال كرامة الاموات بدفنهم في غير المسكان المخصص لمواراتهم في النرى .  
وعندهم عادة مستهجنة في الجلوس في السكنائس فانهم يدخلون المعبد ويجلس الواحد منهم على كرسي ثم يضع الرجل الواحدة فوق الاخرى كأنه جالس في ملعب أو في ملهى وهذه العادة جارية عند كلا الجنسين وليست من قبيل عدم الاحترام بل هي عادة الفوها من دون أن يروا فيها شيئا يستوجب الانتقاد وهذا الامر لا ينفرد به أهل كورتي بل هو جار في اجاكسيو وغيرها وفي باريس وجميع البلدان الاوربية وقد امتدت هذه العادة المستهجنة الى بلاد الشرق مع الاوربيين واقتدى بهم الشرقيون فيها لانهم سريمو الاقتباس لعادات غيرهم .

وبحصر على المحافظة على العرض في كورتي فهم على مثال البدو من هذا القبيل ولما تحدث فيها ريبة علنية واذا حدث فيها شيء من ذلك فلا يلبث ان ينتشر بين الجميع في وقت قصير فهم من هذه الجهة يشبهون سكان الجبال البعيدة عن المدن الكبيرة في بلادنا ويمكن القول بالاجمال ان المحافظة على العرض أمر عام في الجزيرة وهو أمر محمود ومن أهم أسباب «الفندتا» أي أخذ الثأر والانتقام المشهورة عندهم .

والمدينة منارة بالكهرباء المتولدة في نهر تافينيانو وهناك أيضا مصنع للجليدالصناعي . وفي المدينة دار سينما واحدة وليس فيها ملعب لتمثيل الروايات وليس في منازلها القديمة مستراحات فهي من هذا القبيل مماثلة لجميع مدن الجزيرة وقراها وعندهم عادة مستهجنة شاهدهاها أيضا في اجاكسيو وباريس نفسها وهي أنهم ينفضون الطنافس وغيرها من اثاث البيت من النوافذ والشرفات فيسقط الغبار والافذار من الاعلى على الادنى ومن كليهما على الشوارع والطرق على أن هنالك قانونا يمنعهم من تقص تلك الحوائج بعد ساعة معينة من النهار ولكنهم قضا يتقيدون بمنطوق ذلك القانون .

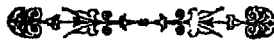
وبعد وصولنا الى كورتي بثلاثة أيام أي في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ استقال المسيو بول دشانل رئيس الجمهورية الفرنسية من منصبه لاسباب صحية فانتخب المسيو الكسندر ميلران خلفا له في ٢٣ منه

واحتفل في يوم الخميس في ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ احتفالاً باهراً لانقضاء خمسين سنة على تأليف الجمهورية الفرنسية الثالثة فاقيم مهرجان كبير اشترك فيه جميع سكان المدينة واستمروا الى ساعة متأخرة من الليل يتزهون في شارع باولي ويترشقون بالسكفتي وقد جعل ايضا اليوم الحادي عشر من نوفمبر عيداً للهدنة أي تذكراً لاختتام الحرب العالمية (١٩١٤ - ١٩١٨) واصبح ذلك اليوم عيداً رسمياً يحتفلون به في جميع بلدان الحلفاء

ولما اشتد البرد في كورتي اشتداداً يحاكي البرد الذي يشعر به سكان قرى الصرود في لبنان غادرنا كورتي في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٠ ونحن حاملون ذكراً حسناً لتلك المدينة التي توفرت لنا فيها أسباب الراحة والسكينة واللف من جانب سكانها . فركبنا القطار في يوم اشتد زمهريره وغشي الجمد وجه الارض . وكانت اشجار الكسثناء التي شاهدناها مرتدية حلة من السندس الاخضر وقت ما توجهنا الى كورتي في شهر سبتمبر قد خلعت تلك المطارف وبانت عارية من كل زينة .

ووصلنا الى اجاكسيو عند الظهيرة فوجدنا فرقا ظاهراً بين درجة الحرارة فيها ودرجة الحرارة في كورتي وكانت الشمس تـرسل اشعتها المنعشة على تلك الارعاء .

والآن نذكر لمحة تاريخية عما هم معرفته عن أحوال مدينة اجاكسيو وعن حالتها الاقتصادية بوجه عام :





## اجاكسيو

اجاكسيو حاضرة مقاطعة كورسيكا وفيها من السكان نحو ٢٣ ألف نفس وموقعها على شاطئ البحر الرومي في أقصى الخليج المسمى باسمها وهي ممتدة عند سفح آكام تغطيها الاشجار من جهتها الشمالية وتفصل تلك الآكام بسلسلة جبال تعمم الثلوج قممها . واعي تلك الجبال جبل اورو البالغ ارتفاعه ٢٣٩١ مترا والنظر الى المدينة من البحر يراها على شكل نعل الفرس المزدوج يلتقي طرفاه الداخلان عند القلعة ويمتد طرفاه الخارجيان بانفراج بحيث أن أحدها يسير الى ناحية الغرب والآخر الى جهة الشمال فالطرف الغربي يشتمل على شارع لنتيفي وشارع غرانفال وتتخللها جادة الاجانب وفيها ابنية ضخمة ورياض غناء لاتنقطع منها الازهار على مدار السنة . والطرف الشمالي تمتد فيه جادة الملك جيروم على شاطئ البحر وهذه الجادة واسعة وقد غرست اشجار الدلب على جانبيها كما غرست ايضا على جانبي شارع غرانفال . ووراء هذه الجادة شارع فش وهو يمتد محاذيا لها وهو قديم طويل ضيق قذر كثير التعاريج وفوقه الى الجهة الغربية جادة نابوليون وهي اجل جادة في المدينة .

وفي وسط اجاكسيو وحول قلعتها المدينة القديمة فيميونها واطية وشوارعها قصيرة وضيقة ولا تسكر فيها الحركة وازدحام الاقدام وفيها البيوتات القديمة كمئزل بوزو دي بورغو ودار الاسقفية وبيت بونايرت والكاتدرائية وبأوي اليها جمهور غفير من المال والبحارة . أما المدينة الحديثة المحيطة بالمدينة القديمة فتختلف عنها اختلافا ظاهرا في الهندسة والترتيب ولا يخفى أن زرقة ماء البحر وتنوع اشكال الاراضي المحدقة بالمدينة وصفاء جوها وبياض حدران المنازل المرسل عليها اشعة الشمس الساطعة تؤلف صورة فتانة تثلج فؤاد السائح عند اطلاعه على تلك المدينة . أجل ان في العالم مدناً كثيرة تفضل اجاكسيو في سعة مساحتها ووفرة غناها وكثرة سكانها وتعدد معاهدها ومتاحفها وغير ذلك من الاشياء التي تدل على العظمة والفخامة ولكن قلما نرى مدينة تفوقها في الجمال والسكينة والراحة .

ولم يكن خارج اسوار المدينة القديمة في القرن الثامن عشر الا بعض اكواخ

للمصايد في المكان المبني فيه الآن شارع فش . وكانت بوابة المدينة في اسفل برج ضخيم يدعى برج الساعة عند مدخل شارع نابوليون ونصب تمثال سيدة الرحمة شفيعة اجا كسيو فوق تلك البوابة في سنة ١٧٦٤ ولكن ذلك التمثال نقل في سنة ١٨٠٣ الى طاقة بصدد بيت كانانيو القديم وهو اليوم في رقم ٧ من ميدان النخل وباشروا في سنة ١٨٠٢ هدم اسوار اجا كسيو بأمر القنصل الاول ولم ينتهوا من هدم الجانب المشرف على ميدان الالماس الا في سنة ١٨٢٦

وبزعج جوفاني دلا غروسا المؤرخ الكورسيكي في القرن الرابع عشر ان مدينة اجا كسيو بناها اجا كس او اياس عند رجوعه من حرب طروادة الا ان هذا الزعم ليس له نصيب من الصحة لانه لم يغش الجزيرة واحد من الاجاكسين المشهورين . ويروي المؤرخ بياترو سيرنيو والحريص على اكتشاف اصل الكورسيكيين أن منغيا رومانيا يقال له كورسوس اطلق اسمه على الجزيرة وبني اجا كسيو وسماها ادجاسيو ومعناها استريح . ويؤخذ من كلام جوفاني دلا غروسا الآنف الذكر ان المدينة كانت قائمة في المكان المدعو كاستل فكيو أي القصر القديم وقد نكبت مرات كثيرة من جراء الحروب المتوالية التي اضرمت كورسيكا ناراها في سبيل الدود عن استقلالها . ودكها المسلمون المغاربة دكا في القرن العاشر ولكن الجنوبيين رموها فيما بعد على اكمة مار يوحنا في الجهة الشمالية من المدينة الحالية وانتقلت بعد ذلك من الجنوبيين الى امراء تشيناركا ثم الى امرة ليكا . واحرقها الاشراف المجاورون في القرن الخامس عشر فهجروا الجنوبيون ورممت جمهورية جنوى الجانب الذي كان قائما في مكان المدينة القديمة حوالي سنة ١٤٩٥ واحاطته بالحصون المنيعة . وانتزع سامبيارو كورسو مدينة اجا كسيو من الجنوبيين في سنة ١٥٥٣ ودفعها الى الفرنسيين وكان المرشال دي ترم يتولى قيادتهم فبنى ذلك المرشال القلعة الباقية الى يومنا هذا وترك اجا كسيو لجمهورية جنوى في ١٥ يناير سنة ١٥٧٥ لرداءه هوائها والحروب الدموية التي اغتالت سكانها .

ويعود الفضل في معرفة الناس لتاريخ انشاء مدينة اجا كسيو الحديثة الى البحائة الجنرال اوغو اسيريتو فقال ان فرسان القديس جرجس بعد ما ناهضوا التشينارشيزين مناهضة شديدة وبعد مادكوا قصري جوفان باولوليكا وريونوشيو

دلا روكا الحصبينين وضعوا اساسات اجا كسيو الحديثة على بعد ميل عن المدينة القديمة من جهتها الجنوبية على رأس يسمى كابودي بولو وشيدوا حصناً منيعاً عند طرفه وبنوا حولها من جهة البر سوراً شيدوا فوقه أبراجاً .

ووصل دومنيكو نيفروني الشريف الى اجا كسيو في ١٤ ابريل سنة ١٤٩٢ ومعه الشريف غريغوريو دي غريمالدي ودميانو لوكساردو وفوضت اليهم مهمة الشروع في اعمال البناء واختيار المسكان الملائم فاختاروا في ١٦ ابريل مكاناً لتشييد قلعة يبعد عن انقاض المدينة القديمة لاعتقادهم أن الموضع الذي كانت تلك المدينة مبنية فيه وفيء الهواء يصعب الدفاع عنه ونظم صك بواقع الحال على متن السفينة التي قدموا فيها ووضع أول حجر لبناء اجا كسيو في حفلة كبيرة في يوم الاثنين الاول بعد عيد الفصح في ٣٠ ابريل سنة ١٤٩٢ في الساعة التاسعة عشرة والدقيقة العشرين بعد ما استخار المتجمعون الوقت الملائم لذلك المشروع ونظم كرسستوفارو دي غاندينو المهندس الميلاي رسم مدينة اجا كسيو وكان قد وصل مع البعثة في ١٤ ابريل سنة ١٤٩٢ وأقام هناك الى اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر من تلك السنة وخلفه المعلم بياترو دي نوفاريو مهندس البناء وبنوا كنيسة جديدة في المدينة على اسم الصليب المقدس ويزعمون أن مواد البناء جلبت من انقاض المدينة القديمة . ولم يبق من آثارها في أواخر القرن الثاني عشر إلا سبيل الماء المسمى سبيل ماريوحنا وانقاض مبصرة من كاتدرائية ماريوحنا ودهاليز فيها قبور .

وكان بعض الملاك في اجا كسيو - وفي جلتهم المسيو نويل بوليازي - في أوائل القرن التاسع عشر يحفرون خنادق في وادي ماريوحنا فعثروا على نقود رومانية ومدافن قديمة واقبية معقودة بالآجر وتمنحها آنية من الفخار ذات لون أحمر قان فيها هياكل عظام للاولاد . ووقت ما كانوا يشتغلون في ذلك المسكان بتوسيع الطريق العام اكتشفوا انواطاً رومانية وعظاماً بشرية . واكتشف جوسان الصيدلي وهو من أعضاء بعثة مايلبوي في سنة ١٧٩٣ قبور ملوك المغاربة في كروم ماريوحنا القديمة وكانت معقودة وقائمة على اعمدة من الحجر ولكن ذلك الأمر مفتقر الى الاثبات .

ولما انشئت مدينة اجا كسيو الحديثة استقدم فرسان القديس جرجس مئة

أمرة اليها من لنجيانا لاستعمارها ولم يكن عدد سكانها في ذلك العهد يزيد على سبع مئة نفس .

وكانت مدينة اجا كسيو الحديثة مقر المندوب الجنوبي واستولى عليها سببيارو في سنة ١٥٥٣ باسم هنري الثاني ملك فرنسا بعد انشائها بستين سنة قبلها انجزت وسائل الدفاع عنها فاحتلها جنود الملك من سنة ١٥٥٣ الى سنة ١٥٥٩ ومن ذلك الحين أخذ كورسيكيو الداخلية يغشونها وكانت قبلا معدودة طارئة جنوبية . وكانت اجا كسيو عاصمة الجزيرة في اثناء الاحتلال الفرنسي العام . ووجد الجنرال دي ترم قائد البعثة الفرنسية القلعة التي شيدها الجنوبيون غير كافية لحماية المدينة فبنى في سنة ١٥٥٤ القلعة التي لاتزال باقية فيها على التقريب على مثل ما كانت عليه في ذلك العهد . واضطر الفرنسيون بعد عقد وثيقة كاتوكبريزيس الى ترك كورسيكا لجنوى فدخلوا اجا كسيو في ٩ سبتمبر سنة ١٥٥٩ على ان جوردان دزورسان وان يكن قد فقد زوجته دونا اميليا سلازي في اجا كسيو في سنة ١٥٥٨ لم يترك تلك المدينة غير مأسوف عليها فها كان يجعله ميالا الى البقاء فيها اعتدال هوائها وجمال مناظر الاراضي المحيطة بها وشوارعها المستقيمة والواسعة وخصب تربتها وحياتها الغناء .

وبعد انطلاق الفرنسيين من اجا كسيو ارسلت جنوى اليها في سنة ١٥٦٢ المهندس جا كوبو فراتينو فاضاف الى القلعة برجا الى جهة البحر وحفر حولها الخندق الكبير الذي يفصلها عن المدينة . وانجز الفرنسيون بناء تلك القلعة في سنة ١٧٧٥ بتشديد برج من الحجارة المنحوتة لجهة المرفأ واكتشفوا في سنة ١٧٧٧ صفيحة في مسكن السيدات بليني كتب عليها مايلي :

« هنري الثاني ملك فرنسا وسيد جزيرة كورسيكا سنة ١٥٥٤ »

ووضعت تلك الصفيحة في سنة ١٧٧٨ على الجانب الغربي من برج سانت بارب في القلعة ولا تزال في مكانها الى يومنا هذا .

وحيث إن مدينة اجا كسيو كانت خاضعة لحكومة جنوى فكان يتولى إدارة الشؤون فيها مجلس مؤلف من ٢٧ عضواً وفي جملتهم مجلس شيوخ يتألف من ستة أعضاء يعنون بأمر النظر في شؤون المدينة .

وكان القرصان المغاربة يوالون غزواتهم لخليج اجا كسيو في خلال القرن السادس عشر والى ذلك العهد يعزى تشييد الابراج على الشواطىء فبرج السنغينار بني في سنة ١٥٥٠ و برج كابيتلو في سنة ١٥٥٣ و برج كاستانيا في سنة ١٥٨٠ و برج كابودي مورو في سنة ١٥٨٤ و برج لاباراتا في سنة ١٦٠٨ وكانوا عند ظهور أولئك القرصان يوقدون النار على تلك الابراج تحذيراً لسكان السواحل من شر الغزاة ولا يزال بعض تلك الابراج في حالة حسنة الى هذا اليوم وكان عددها يبلغ ٨٥ برجاً على شواطىء البحر في جميع أنحاء الجزيرة وكانت جميعها على التقريب مستديرة الشكل ويتفاوت ارتفاعها بين ١٢ متراً و ١٧ متراً وقطر البرج عشرة أمتار عند قاعدته وسبعة أمتار عند سطحه ويتألف من طبقتين معقودتين وكانوا يصعدون بهلم نقالة الى الباب المفتوح من جهة البر وكانت في البرج نافذة من جهة البحر . وأخذت اجا كسيو توسع الخطى في جادة الرقي من أواخر القرن السادس عشر ويرتقي معظم المعاهد الدينية والمدارس والملاجىء الخيرية الى ذلك العصر .

وظهر الطاعون في اقليم ليفوريا من أعمال ايطاليا في سنة ١٦٥٦ فدخل الخوف على الاجا كسين من ذلك الوباء الجارف والتأم المجلس في المدينة في ١٦ نوفمبر سنة ١٦٥٦ وأصدر قراراً رهنياً بحضور كاتب العدل بأخذ سيدة الرحمة محامية للمدينة وجدد مجلس الشيوخ ذلك القرار في ١٨ مارس سنة ١٦٦٠ في الكاتدرائية أمام السيد اردنزوي مطران اجا كسيو . وصاروا من ذلك الحين يقيمون في اجا كسيو حفلة عامة في ١٨ مارس في كل سنة لوقوع عيد سيدة الرحمة في مثل ذلك اليوم . وشهدنا تلك الحفلة في ١٨ مارس سنة ١٩٢١ وكان ذلك اليوم عيداً عاماً عند جميع الاجا كسين فاجتمع جمهور غفير منهم في المساء في ميدان النخل أمام تمثال السيدة العذراء المنصوب في صدد بيت كانايو الآنف الذكر . وتسمت كورسيكا في ٣ ديسمبر سنة ١٧١٥ الى حكومتين بمقتضى قرار أصدره مجلس شيوخ جنوى وعينت اجا كسيو مقراً لحاكم الانحاء التي ما وراء الجبال وخولت السلطة نفسها التي خولتها باستيا وامتدت ولايتها الى اقليم اجا كسيو وفيكو وساردين .

واحتل الفرنسيون اجا كسيو في سنة ١٧٣٩ مع البعثة التي تولى قيادتها الجنرال

دي مايلبوى ومع بعثة دي كورساي في سنة ١٧٤٨ وبعثات كستري وشوفلان (١٧٥٦ — ١٧٥٩) وماربوف في سنة ١٧٦٤ وحاول المحامي ماسيريا ونجله الاستيلاء على قلعة اجا كسيو في شهر نوفمبر ١٧٦٣ في عهد حكومة باولي ولكنهما لقيا هاهما أمام تلك القلعة .

ودخمت كورسيكا بالدولة الفرنسية بعد اندحار الكورسيكيين امام الفرنسيين في باتينوفو في ٨ مايو سنة ١٧٦٩ وكان مقر الكونت دي ماربوف القائد العام في باستيا ومقر اركان حرب الجنرال الكونت دي ناربون القائد الثاني في الجزيرة في اجا كسيو .

وقسمت حكومة الديركتوار جزيرة كورسيكا الى مقاطعتين في ١١ اغسطس سنة ١٧٩٧ وجعلت اجا كسيو حاضرة لياموني احدى تينك المقاطعتين ولكن ضمت تانك المقاطعتان وجعلتا مقاطعة واحدة في ١٩ ابريل سنة ١٨١١ وعينت اجا كسيو حاضرة لها .

وهواء اجا كسيو في غاية الاعتدال فهو مماثل لهواء الاقاليم الجنوبية في فرنسا والبلدان المشرقية معا فقد كان متوسط الحرارة فيها في الشتاء من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٦ ثلاث عشرة درجة سنتغراد وكان في نيس في المدة نفسها ٨ درجات ونصف درجة وفي هيار منتون ٩ درجات وفي بوليو ١١ درجة ولا تحدث فيها تغيرات فجائية شديدة في الطقس ويكون جوها صافيا في غالب الاحيان .

ويحيط بالمدينة نطاق من التلال والجبال يقيها من نفحات الريح الشمالية والهواء في السواحل نقي منعش لا يخالطه الغبار لان تربة ارضها صوانية وهو جاف يلام جميع المصابين بالامراض البدنية والروحية في دور النقاهة وقال الدكتور دوناي مدير المجمع العلمي في نبلياي ان التنزه في اجا كسيو على شاطئ البحر واستنشاق الهواء والاستدفاء بالشمس نافع للرضى . ويصفون هواء اجا كسيو للمصابين بالتدرن الرئوي في جميع ادواره وانواعه وللذين يشكون من الرثية المزمنة والامراض القلبية والبول السكري والضعف العصبي العام .

وتفضل مدينة اجا كسيو سواها لقضاء فصل الشتاء فيها فالبريطانيون

والمسيويون والروس والبلجيكيون والاسكنديناويون يؤمنونها للنشئية فيها  
ويبتدىء فصل الشتاء فيها في شهر اكتوبر وينتهي في أواخر شهر مايو وهي  
تلاص الذين ينشدون السكينة والراحة ويتعدون عن اسباب الملاهي والملاذ  
التي تؤذيهم وهم يلقون في تلك المدينة جميع ما يحتاجون اليه من هذا القبيل

وحيث أن اكبر شهرة نالتها اجا كسيو تعزى الى كونها مسقط رأس نابوليون  
الكبير فقد رأينا أن نذكر شيئاً عن حداثة نابوليون أيام كان فيها وعما كان  
له من الاعمال فيها في أبان شببيته وقد حفظت له مدينة اجا كسيو ذكراً جليداً  
في تاريخها فلا يكاد الانسان يخطو فيها خطوة واحدة من دون أن يثر على أثر  
من آثاره يدل على ما كان عليه ذلك الرجل العظيم من الدهاء من حدائنه .  
وبروى عنه أنه كان وهو ناعم الظفر يقضي معظم وقته في شوارع المدينة مع  
لذاته وبعد ما اخذه والده الى باريس وعلمه على نفقة حكومة لويس السادس عشر  
وادخله في بدء الامر مدرسة اوتان لاتقان اللغة الفرنسية ثم مدرسة بريان  
والمدرسة الحربية في باريس على ما جاء في سياقة الكلام في تاريخ قدم نابوليون  
امتحاناً عند خروجه من المدرسة الحربية في شهر اغسطس سنة ١٧٨٥ ونال  
الرقم ٤٢ بين ٥٨ فعين ، الا لما ثانياً في أول سبتمبر في فرقة المدفعيين في بلنسية  
وشخص الى كورسيكا في شهر فبراير سنة ١٧٨٧ ثم عاد الى باريس وبعد ذلك  
وإلى فرقته في اوكسون في اواخر شهر مايو سنة ١٧٨٨ وتوجه منها بالاجازة  
الى كورسيكا في شهر سبتمبر سنة ١٧٨٩

وكان نابوليون الى ذلك العهد مكباً على الدراسة والتنقيب عن تاريخ كورسيكا  
فلما وصل الى اجا كسيو وجد الافكار فيها تغلي غلياناً من تأثير الثورة  
الفرنسية الكبرى وحينئذ أخذ ينهم على ما يكتنه صدره من اسرار الدهاء والجرأة  
فنظم الحركات الثورية لمقاومة انصار طريقة الاحكام القديمة واذاع نشرة في  
٢٣ فبراير سنة ١٧٩١ انتقد فيها انتقاداً مراراً ما تيو بوتافو كوالنائب الكورسيكي  
في الجمعية الوطنية .

وبعد ، اقضى اشهره في اوكسون (من فبراير سنة ١٧٩١ الى سبتمبر من السنة  
تسماً) ورتي الى درجة ملازم أول في فرقة المدفعية الرابعة ببلنسية رجع الى  
اجا كسيو فانتخب قائداً للحرس الوطني في كورسيكا واخبرني احد شيوخ مدينة

اجا كسيو ان ذلك الانتخاب تم بطريقة تدل على ما كان عليه ذلك الشاب الداهية من جرأة المقدم وتحرير الخبر ان وفداً من حزب البونابرتيين ذهب لمقابلة نابوليون واخبره بما كان متى بوتزو دي بورغو وجان بيرالدي يدبرانه لاستمالة الناخبين اليهما . وعلم أن الاكثريّة مائلة ولاراء اليهما اذا لم تقف في وجههما قوة تفسد عليهما تدبيرهما فدفعه دهاؤه في الحال الى ركوب مركب الجرأة والتهديد فتقلد سيفه وذهب في المساء الى منزل جان بيرالدي ولما اجتمع به قطب جبينه وقال له بلمهجة جافية : انتهى الي انك تسعى لاستمالة الناخبين اليك فانا انذرك من الآن بانك اذا لم ترعو عن غيك وتتنحى عن الانتخاب تموت موتاً مجده هذا السيف . قال هذا الكلام و اشار الى حسامه ثم انصرف من دون أن ينتظر ليرى ما يكون من جواب جان بيرالدي على انذاره له وكانت النتيجة أن جان بيرالدي وبوتزو دي بورغو عدلا عن الترشح للانتخاب فانتخب الاهلون في اجا كسيو نابوليون بونابرت وكثرا بدلا منهما . ولا يخفى ان جان بيرالدي ومتى بوتزو دي بورغو كانا شقيقي ماريو بيرالدي وشارل بوتزو دي بورغو النائبين عن كورسيكا في الجمعية الاشتراعية وكان بين اسرتيها واسرة بونابرت عداوة قديمة شديدة . وفعل بونابرت ذلك الفعل الدال على الجرأة والشجاعة وهو في الثالثة والعشرين من عمره .

وروى لي ذلك الشيخ حادثة اخرى تالقها من ابيه وهذا تلقاها من جده عن نابوليون فان نابوليون لما كان غلاماً كان جميع أترابه يخافون منه وبمحاذرون شره وكان يقضي معظم وقته في التجويل في شوارع اجا كسيو فحدث ذات يوم أن احد رفاقه من الغلمان وهو جد الذي روي لي ذلك الخبر - وكان اكبر من نابوليون في السن - كان يلبس ثوباً جديداً نظيفاً في يوم عيد الفصح فتشاجر هو ونابوليون فصرعه نابوليون على الارض واوسعه لكما وضرباً وتلوث ثيابه بالوحل فاسرع الغلام الى والدته نابوليون ليخبرها عما فعله ابنها به وكان نابوليون يخاف من والدته كثيراً فلم يجرؤ على اللحاق به الى البيت بل اختبأ وراء جدار يبصر منه الناس ولا يبصرونه وانتظر نتيجة شكوى الغلام . فلما رأت والدته نابوليون ما فعله ابنها بذلك الغلام رقت لحاله وطابت خاطره وقالت له : ابني ابني نابوليون مجنون فلا تعتب عليه . وبعد ما نظفت ثوبه من الوحل ملأت



جيبه لوزاً وقالت له إياك أن تدع نابوليون يبصرك فإنه ينزع منك اللوز غصباً منك . وخرج الفلام وهو يطفر فرحاً وبثقلت يميناً وشمالاً خوفاً من نابوليون ولما وقعت عينه عليه من بعيد أطلق ساقيه للريح ونجا منه .

وكان نابوليون مشهوراً بقوة ادراكه لمواقب الامور من أول نظرة تبدر منه وقد باح بأسرار تلك القوة في خلال الاضطرابات التي وقعت في اجا كسيو من ٨ ابريل الى ١٢ منه في سنة ١٧٩٢ لما كان قد وقع بين الاجا كسيين والحرس الوطني فعالج خصومه أن يحطموه تحطياً ولكنه شخص الى باريس وعاد الى الانخراط في سلك الجيش ورتي الى درجة كابيتان في ٣٠ اغسطس سنة ١٧٩٢ وبعد ذلك عاد الى اجا كسيو واشترك في حملة ماداليا بصفة كونه قائداً للمدفعية ولكن كان الخذلان من نصيب تلك الحملة في شهر فبراير سنة ١٧٩٣ .

وحدث في غضون ذلك ان باولي رفع راية العصيان وخرج على الحكومة الفرنسية ففر نابوليون من وجهه وسار بأسرته الى مرسيليا في شهر يونيو سنة ١٧٩٣ وكان بعد ذلك إنه امتاز على غيره في حصار طولون فكان ذلك فاتحة تلك الملحمة الكبرى التي اشتهرت في مشارق الارض ومغاربها وقد أسهبنا في الكلام عن سيرة ذلك العاهل الداهية فليراجع ذلك في محله .

والآن نأتي على بيان وصف أهم الآثار والمعاهد في مدينة اجا كسيو .

بيت بونابرت - زرنا بيت بونابرت مرات كثيرة وزيارته ميسورة لكل انسان في كل يوم ولكن يجب أن يطالب الزائر من حاجب البيت أن يدخله اليه وذلك الحاجب مقيم في منزل خاص على مقربة من البيت وأخبرني أن والده كان مقيماً قبله على خفارة ذلك البيت وقال لي إن جده ووالدة نابوليون رضعا من لبنه واحد ولذلك ظلت تلك الاسرة مشمولة بأنظار الاسرة البونابرتية الى يومنا هذا . ومن شاء زيارة ذلك البيت التاريخي يدخل شارع نابوليون ثم يميل الى اليمين ويدخل شارعاً ضيقاً يدعى شارع القديس شارل فيبقى هنالك منزلاً مؤلفاً من ثلاثة أدوار لا يمتاز بشيء عن المنازل المجاورة إلا بصفيحة من الرخام فوق الرناج حفرت عليها هذه الكتابة :

« نابوليون الاول ولد في هذا البيت في ١٥ اغسطس سنة ١٧٦٩ »

وحفر شعار الاسرة البونابرتية فوق الصفيحة على حجر رمادي اللون كانوا

كانوا قد نزعوه من مكانه عند وضع تلك الصفيحة ولكنهم ارجعوه اليه في ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨٩ بمناسبة انقضاء مئة سنة على انشاء القنصلية .

وبرقي عهد بناء بيت بونابرت الى مفتتح القرن السابع عشر وكان مؤلفا من دورين في ذلك الحين ولكن لما ولد فيه نابوليون كان مؤلفا من ثلاثة ادوار على ما هو عليه الآن . وصدر مرسوم من الديركتوار في ٢٩ يونيو سنة ١٧٩٨ بقضي بالتعويض على سكان اجاكسيو عما نكبوا به من الخسارة الفادحة في اثناء فناء باولي والاحتلال البريطاني فدفع الى السيدة لاتيستيادامولينو ( والدة نابوليون ) تعويض قدره ستة عشرة الف فرنك عن بيتها الذي في شارع بونابرت وهو مؤلف من اربعة ادوار مع الدور الارضي لانهم نهبوا جميع مافيه من الاثاث واحدثوا فيه بعض التخريب . ويرى من هنا أنه لاصحة لما نسب الى رجال باولي بانهم حرقوا بيت بونابرت في سنة ١٧٩٣ او ان يوسف بونابرت زاد عليه دورا رابعا في سنة ١٧٩٧ .

وكان شارل بونابرت قد بنى سطحا على بيته في سنة ١٧٧٤ واجرى اصلاحا في الغرفة التي ينام فيها في سنة ١٧٨٠ . وكانت اسرته تشغل دورين من البيت في حدائق نابوليون ، أما الطبقة الثالثة فكان فيها انطون ماري بوتزو دي بورغو نسيب البونابرتيين من جهة زوجته ماري جوستين بوتزي ابنة فيرجيني بونابرت واقترن اغناطيوس بيانلي باثيليا ماريا بوتزو دي بورغو وسكن في بيت حمية ومثلت اسرنا بيانلي وبونابرت أمام المحكمة في سنة ١٧٨٢ لان السيدة جوستينا بوتزي صبت على شارل بونابرت اقذارا من وعاء اصابته ثيابه . واشترى يوسف بونابرت الدور الثالث من بيت بونابرت في سنة ١٧٩٥

وكانت السيدة لاتيستيادامولينو قد هجرتا كورسيكا في سنة ١٧٩٣ فعادتا الى اجاكسيو في ربيع سنة ١٧٩٧ وكتب الجنرال بونابرت من ايطاليا الى والدته انه يرغب في أن يرى بيته مرما بحيث يعود الى ما كان عليه فباشرت السيدة لاتيستيادامولينو في الحال اصلاح البيت وكتبت في شهر نوفمبر سنة ١٧٩٧ الى ضدبقتها عقيلة كلاري في مرسيليا ترحو منها أن ترسل اليها لوازم السطح والواح زجاج وثمانية كراسي كبيرة وغير ذلك من الاشياء اللازمة لترميم البيت وتجديده رباشه وانتهوا من اعمال الترميم في شهر ابريل سنة ١٧٩٨

ولما رجع نابوليون من مصر قضى سبعة أيام في بيته باجا كسيو من ٢٩ سبتمبر الى ٥ اكتوبر سنة ١٧٩٩ وقدم لوالدته هدية مذودا مصنوعا من العاج وخشب الابنوس وهو باق في البيت الى يومنا هذا وبراء الزائر فيه .

وذهب نابوليون اندريا رامولينو ابن عم والدته بيت بونابرت في ٢٢ مارس سنة ١٨٠٤ وتوفي اندريا رامولينو في سنة ١٨٣١ بلاعقب فانتقل ارثه الى ابن أخيه لاوي رامولينو إلا أن والدته نابوليون طلبت الاستيلاء على البيت في سنة ١٨٣٤ بصفة كونها وارثة لحفيدها الدوق دي ريشتادت وكرر يوسف بونابرت طلب الاستيلاء على البيت وأجريت تسوية بين الفريقين في سنة ١٨٤٣ فوضع يوسف بونابرت يده على البيت في شهر يونيو سنة ١٨٤٤ ثم أن ابنته الاميرة زناييد ورثته منه وقدمته لابن عمها الامبراطور نابوليون الثالث وقت مازار كورسيكا في سنة ١٨٦٠ ولم يكن في ذلك العهد شيء من الاثاث في البيت لان جميع اثاث الاميرة البونابرتية كان في حيازة اميرة لاوي رامولينو فاشترى نابوليون الثالث جميع ذلك الاثاث بخمسة وستين الف فرنك ونقله الى بيت بونابرت في ١٥ اغسطس سنة ١٨٦٩ بمناسبة انتضاء مئة سنة على ولادة عمه نابوليون الاول .

ورثت الامبراطورة اوجيني ايم نابوليون الثالث بيت بونابرت وانتقلت ملكية البيت بعد وفاتها في ١١ يوليو سنة ١٩٢٠ الى البرنس جيروم بونابرت كبير الاميرة البونابرتية فقدمه للحكومة الفرنسية في سنة ١٩٢٣ وهو الآن ملك للحكومة وقد جعلته متحفا . أما الدور الثالث من ذلك البيت فقد سكنت فيه الاميرة ماريان بونابرت حتى وفاتها في سنة ١٨٩١ .

اما الاثاث الذي في بيت بونابرت فيقال ان يوسف بونابرت جده عند رجوعه من ايطاليا وكان عين فيها مفضا حريبا ولكن يمكن القول ان الجانب الاكبر من ذلك الاثاث كان لاميرة بونابرت والداخل الى بيت بونابرت يشاهد فيه الغرفة التي كانت والدته نابوليون تنام فيها والسرير الذي كانت ترقد عليه والكرسي الذي نقلوها عليه من الكنيسة الى البيت لما شمرت بابتداء المخاض قبلما ولدت نابوليون . وردهة الاستقبال والغرفة التي كان يشغل فيها والد نابوليون وغرفة نابوليون الخاصة وفي ارض هذه الغرفة كوة ينحدرون بها

الى دهليز هرب منه نابوليون في ذات يوم من وجه رجال باولي وكانوا  
يتعقبونه طالبين هلاكه

وعند مدخل البيت سجل يكتب فيه الزائر اسمه وتاريخ زيارته ويستطيع  
الزائر ان يطلب من الحاجب ان يريه التاج الذهبي الذي صنعه فاليزي ليقدمه  
الاجا كسيمون بمناسبة انقضاء مئة سنة على انشاء القنصلية

وكان امام بيت بونابرت في القرن الثامن عشر منزل انجال ماري بياتراساتنا  
والدة لاتيسيا رامولينو فهدم ذلك المنزل في سنة ١٧٩٧ وجعل مكانه ميدان  
صغير يدعى ميدان لاتيسيا وهو لا يزال باقيا الى اليوم . والى يسار هذا  
الميدان شجرة صغيرة من الاشجار المعروفة باسم شجر العاشق وعليها كتابة  
على لوحة صغيرة تدل على انها جيء بها من مدفن نابوليون الثالث في  
تشيسترلهرست بانكلترا

هذه خلاصة ما تهتم القارئ معرفته عن البيت التاريخي الذي ولد فيه رجل  
داهية من اعظم الرجال الذين ظهروا في العالم .

ميدان الالماس - هو ميدان مربع الشكل مستطيله تبلغ مساحته هكتارين  
اي عشرين الف متر مربع وقد انشأه في سنة ١٨٠٢ المستشار ميو الذي ارسله  
القنصل الاول الى كورسيكا لتنظيم شؤونها العامة . ويحدها الميدان شمالا  
جادة القنصل الاول وشرقا شارع بونابرت وغربا المستشفى العسكري وثكنة  
فو وجنوبا البحر . وعند طرف الميدان من هذه الجهة قاعدة عالية من المحجب  
تعلوها تماثيل نابوليون وأخوته الاربعة وجميعهم متزيون بالزي الروماني فهو  
وحده راكب على جواده . واخوته واقفون على الزوايا الاربعة وتلك التماثيل  
مضبوقة من النحاس وقد ازاح البرانس نابوليون جيروم الستار عن ذلك الاثر  
في ١٥ مايو سنة ١٨٦٥ في حفلة شائقة شهدها جمهور غفير لا يقل عن اربعين  
الف تقاطروا الى اجا كسيمو من جميع انحاء الجزيرة فالقي البرانس نابوليون جيروم  
خطابا رنانا في تلك الحفلة قام له الامبراطور نابوليون الثالث وقعد لان ذلك البرانس  
اورد باسهاب ما كان من اعمال نابوليون الكبير ايام كان قسلا اول وهو يريد  
ان يبين ما كان في تلك الاعمال والاعمال التي تمت في عهد الامبراطورية من الفروق

من الفروق وعلى ذلك الأثر صفيحة من الدحاس وضعت الى جهته القبلية وحفرت عليها الكتابة الآتية :

« لتذكّر نابوليون الاول وإخوته الاربعة يوسف ولوسيان ولويس وجيرون من كورسيكا المعترفة بالجميل في عهد الامبراطور نابوليون الثالث وقد اقيم هذا الأثر بعناية البرنس نابوليون جيرون وبالتبرعات الاختيارية في ١٥ مايو سنة ١٨٦٥ »

اما ميدان الالماس فمحاط بمبانيه الثلاث بثلاثة صفوف من شجر الدلب وفي وسطه دكة عالية تعزف فيها موسيقى البلدية بالحانها المطربة ويعتبر هذا الميدان مجتمعاً للاجاسيين وهو مقسوم الى قسمين الجنوبي وفيه تنزه الطبقة العالية والشمالى وهو مختص بطبقة الشعب ، وفي الاعياد الكبيرة وايام المرافق يقيمون في ذلك الميدان الاماب المختلفة نهاراً وليلة .

ميدان النخل - هو ميدان لطيف غرست على جوانبه اشجار النخل واشجار الدلب وهو يمتد شرقاً الى رصيف المرفأً وغرباً الى جادة القنصل الاول ويتصل جنوباً بالمساكن المؤلفة منها المدينة القديمة وشمالاً بشارع الملك جيرون وشارع فش . وفي وسط ذلك الميدان تمثال من الرخام الابيض للقنصل الاول من صنع النحات مكسيميليان لاورور يبلغ ارتفاعه مترين و٦٥ سنتيمتراً وهو على قاعدة يحيط بها اربعة أسود من الرخام تنفث الماء من أفواهها وقد أزيح الستار عن هذا التمثال في ٥ مايو سنة ١٨٥٠ وهو هدية من الكردينال فش خال نابوليون الاول .

الكاتدرائية - لما بنى الجنرال بولس دي ترم قلعة اجا كسيو في سنة ١٥٥٤ هدمت كاتدرائية الصليب المقدس التي كانت في وسطها فصحت عزيمة الاجاسيين على تشييد كاتدرائية جديدة وقبل أن ترتفع الجدران عن سطح الارض منراً وخمسة وعشرين سنتيمتراً اوقفوا الاشغال لافتقارهم الى المال اللازم لانجازها ولما تخرمت المذبة السيد غيديشيوني مطران اجا كسيو في سنة ١٥٨٢ اجتمع شيوخ المدينة وكانوا يذكرون أن البابا غريغوريوس الثالث عشر الذي كان جالساً على كرسي مار بطرس في ذلك العهد كان قد اراد مدينتهم حينما كان اسمه الكردينال بونكبانيو

هو منطلق الى مدريد سفيرا للبابا بيوس الرابع وكانوا قد اكرموا وفادته  
اتفقت كلمتهم على أن يرسلوا اليه وفدا يرجو منه ارجاء سيامة اسقف عليهم  
لكي يخصص ربيع الاسقفية لاجال بناء الكاتدرائية فيادر قداسته الى اجابة  
الطلب الاجا كسين الموصوفين بالتدين وارسل اليهم نائبا رسوليا يدعى يوسف  
سكاردي وفوض اليه اتمام تشييد كاتدرائية اجا كسيو ولما كانت تسمية  
سكاردي اسقفا على اجا كسيو متعلقة باكمال بناء تلك الكاتدرائية صغر حجم تلك  
البناية لكي يعجل في ترقية الى المقام الاسقفي وكان عمله هذا باعثا على ادخال شيء  
من الخلل على هندستها ولكنه قضى نحبه قبل قضاء لباتته. واختير بعد ذلك جوليو  
جوستينيافي اسقفا على اجا كسيو في ٢٨ سبتمبر سنة ١٥٨٧ وهو اغريقي الاصل  
من جزيرة خيو وتقلد منصبه الجديد في سنة ١٥٨٨ فاقبل على العمل بهمة لا يدنو  
منها الملل وقد تيسر له المحاز بناء الكاتدرائية في سنة ١٥٩٣ ، وفوق رتاج  
الكنيسة صفيحة من الرخام حفرت عليها الكتابة الآتية ترجمتها :

« بنيت هذه الكنيسة من دخل ال كرسي الاسقفي وقد ظل ذلك الكرسي  
فارغا خمس سنوات وذلك بطلب شعب اجا كسيو المتدين وموافقة مجلس شيوخ  
جنوى والبابا غريغوريوس الثالث عشر ووضع آخر حجر فيها في سنة ١٥٩٣  
جوليو جوستينيافي الذي سامه البابا سكستوس الخامس اسقفا وباليته وفق الى  
وضع الحجر الاول فيها . »

ويروي أحد المؤرخين ان المطران جوليو جوستينيافي اشترى الرخام اللازم  
لرتاج ثلاث مرات ففقد ذلك الرخام في المرة الاولى في عاصفة هبت على البحر  
واغرقت المركب المشحون فيه . ووقع الرخام المجلوب في ايدي القرصان في  
المرة الثانية وعرف المكان الذي اخذوه اليه بعد ثلاث مئة سنة فقد وجدوه في  
أحد الجوامع في تونس وهذا ماجعل السيد لافييجري يزعم خطأ انه كان في  
القرن السادس عشر طارئة اجا كسية في تونس وانها كان لها كنيسة فيها . اما في  
المرة الثالثة فوصل الرخام وبني فيه رتاج الكاتدرائية .

وكاتدرائية اجا كسيو على هندسة مأخوذة عن هندسة كانت مألوفا في عهد  
النهضة العلمية وهي على شكل صليب يوناني وتعملوا قبة ضخمة . وسقف الكنيسة  
معمود بالحجارة . وفي الكنيسة ستة معابد أو مذابح فالكبير منها مصنوع من  
الرخام وقد تبرعت به الاميرة اليزا شقيقة نابوليون الاول وجراندوقه لوك

وبيومبينو في سنة ١٨١١ وهو مجلوب من كنيسة الموتى في لوك وقد كتب على أحد جوانبه إن الكردينال جوليو اسبينولا اسقف لوك كرسه في ٢٨ يناير سنة ١٦٨٠ .

والى يمين مدخل الكنيسة جرن المعمودية وفي هذا الجرن تلقى نابوليون سر العماد في ٢ يوليو سنة ١٧٧١ وهو مركز على اسطوانة حفر عليها شعار المطران جوستينياني . وعلى عمود الى يسار الداخل الى الكنيسة صفيحة من الرخام الفرنسي الاحمر نقشت عليها باحرف ذهبية الكلمات المؤثرة التي قام بها نابوليون الاول في جزيرة القديسة هيلانة واليك ترجمتها :

« اذا قضوا بابعاد جثماني عن باريس كما قضوا بابعاد شخصي عنها فارغب في أن يدفنوني الى جانب آبائي في كاتدرائية اجا كسيو بكورسيكا . عن جزيرة القديسة هيلانة في ٢٩ ابريل سنة ١٨٢١ . »

وكان للأسرة البونابرتية مدفون في تلك الكاتدرائية عند مذبح سيدة الوردية وهو المذبح الذي يناوح المحل الموضوع فيه الانجيل على المذبح الكبير وفي كاتدرائية اجا كسيو تحف كنائسية ثمينة وفي جملتها جرن المعمودية وقد تقدم بيانه وهو من الرخام الابيض البديع الصنع وقد جاء به المطران جوستينياني من ايطاليا وكان يعتبر في ذلك العهد تحفة ثمينة . وفيها أيضا شمعانان من الفضة عليهما نقوش جميلة وشعار جوستينياني . وكأس من الذهب وهي هدية من البابا غريغوريوس السادس عشر . وبدلة للتقديس بنفسجية اللون ويقال انها مأخوذة من رداء فلخر كان أحد ملوك الشرقيين يلبسه وهي هبة من الكردينال فش

تمثال الكردينال فش — نصب تمثال الكردينال فش في فناء مدرسة اجا كسيو وهو من صنع فكتور دوبراي وقد ازيح الستار عنه في ١٥ اغسطس سنة ١٨٥٦ وكانت له الايادي البيضاء على اجا كسيو فانشأ فيها المدارس المسيحية للاخوة ومدرسة راهبات ماريوسف والمدرسة الداخلية ووقف على المدينة جميع املاكه وقسم من الصور والتماثيل والتحف التي في داره ومكتبته واثاث بيته وملابسه السكنوتية عينها وله الفضل الاكبر في انشاء مكتبة اجا كسيو ومتحفها مغارة نابوليون — عند طرف جادة غرانفال للجهة الغربية ميدان كازوفي

وهو مربع الشكل كبيره تتكنفه اشجار الدلب وعند طرفه الغربي صخران كبيران يدعيان مغارة نابوليون والناظر اليهما عن بعد يرى فيهما شكل القبة التي كان نابوليون الاول يلبسها . وهم يزعمون أن نابوليون لا كان غلاما كان يعتزل في تلك المغارة للتأمل ولكن يتعذر تصديق تلك الحكاية لان نابوليون لما كان له من العمر تسع سنوات دخل مدرسة بريان . والمغارة علاوة على ذلك لم تكن في مكان يجري على ملك أسرة بوناپرت .

وحول اجا كسيو مناظر بديعة ومنتزهات جميلة من جهة البحر ومن جهة الجبل ونكتفي بقصر البونتنا أو قصر بوتزو دي بورغو فهذا القصر يبعد عن اجا كسيو ثلاثة عشر كيلومترا ونصف كيلومتر ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٦٥٠ مترا وهو مبني على بفاع منبسط يشرف على البحر وعلى جميع الانحاء المحيطة بالمدينة وقد شرعوا في بنائه في سنة ١٨٨٦ وكتب على صفيحة يعلوها شعار أسرة بوتزو دي بورغو ما تأتي ترجمته :

« بنى جيروم دوق بوتزو دي بورغو ونجمله شارل هذا القصر بحجارة مجلوبة من قصر التويلري وكانت النار قد اثلفته في باريس في سنة ١٨٧١ لكي يحفظا للوطن الكورسيكي ذكرنا ثميننا من الوطن الفرنسي وذلك في سنة ١٨٩١ مسيحية »

وهذا القصر متحف فيه كثير من الآثار النفيسة ذات القيمة التاريخية . ولا يخفى انه كان بين أسرة بوناپرت واسرة بوتزو دي بورغو صداقة قديمة العهد ومناظرة على نيل التفوق في الجزيرة إلا أن ما أصابه نابوليون الكبير من العظمة كسف شمس بوتزو دي بورغو من دون أن يجعله يلين مجسته للاقدار أو يطأطأ رأسه أمام ذلك الداهية الجبار .

وفي اجا كسيو ماعدا الكاتدرائية كنيسة مار روكز وهي مبينة في جادة نابوليون على هندسة حديثة ويمكن القول انه لا تخلو مدينة أو بلدة في كورسيكا من كنيسة على اسم القديس روكز والسبب في ذلك هو ان نوالي ظهور الطاعون لخوف في الجزيرة في ظابر الايام جعل القوم يلتجئون الى مار روكز شفيع المطمئنين وقيموون له المعابد تيمنا باسمه واستشفاعا به .

وفي اجا كسيو ازال مرتبة أهمها نزل كنتيننتال بمجادة غرانفال فنزل



بلفيدير على طريق سالاريو فنزل اوربا بجادة غرانفال فنزل الاجانب بجادة  
گرانفال فنزل فرنسا عند ميدان الالماس فنزل سولفيرينو بجادة نابوليون وغير  
ذلك من الانزال المهمة .

وفيها ثلاثة مصارف ( بنوك ) مصرف فرنسا بشارع الولاية ومصرف  
لانزي بجادة الملك جيروم ومصرف بوتزو كوستا بجادة الملك جيروم أيضا .  
وفيها كثير من القهوات والملاهي المتقنة المرتبة كقهوة اجاكسيو بجادة  
القنصل الاول وقهوة التجارة بجادة غرانفال وقهوة فرنسا بجادة نابوليون  
وقهوة نابوليون بجادة نابوليون وقهوة سولفيرينو بجادة نابوليون وقهوة  
الملك جيروم بجادة غرانفال .

وفيها جرائد يومية واسبوعية كجريدة كورسيكا الفتاة وجريدة الكورسيكي  
الصغير وجريدة الكولومبو وغير ذلك من الجرائد  
وفيها من الاطباء نحو عشرين ومن الصيادلة نحو عشرة  
وفيها نحو خمسة من مصوري الشمس  
وفيها مركز للبريد والتلغراف بشارع الولاية  
وفيها ملعب واحد لتمثيل الروايات وثلاث دور لعرض الصور المتحركة  
( السينما )

وليس فيها ترامواي كهربائي وقلمنا بلقي الانسان فيها سيارة ولكن فيها  
بضع عشرات من المركبات محرها الخيل وقد اتخذت موقعا لها في أول جادة  
گرانفال شمال ميدان الالماس .

والمدينة غير منارة بالكهرباء بل بالغاز في بعض جهاتها ويولدون الكهرباء  
بواسطة محرك في بعض الانزال الكبيرة .

الانتخابات في كورسيكا — ذكرت في عرض الكلام عن كورسيكا  
بالاجمال أن السياسة هي القطب التي تدور عليه رعى الاعمال في تلك الجزيرة  
وان الانتخابات هي المحرك لتلك الرعى وحيث انه جري انتخاب أعضاء لمجلس  
الشيوخ في اثناء اقامتنا في الجزيرة فقد رأيت أن اذكر شيئا عن ذلك الانتخاب:  
ان لكورسيكا الحق بانتخاب ثلاثة أعضاء لمجلس الشيوخ وخمسة أعضاء  
لمجلس النواب وقد كان أعضاء مجلس الشيوخ في اثناء اقامتنا في الجزيرة

المسيو بول دومر والمسيو تاداي غبريالي والمسيو فرنسوى غاليني . وكان اعضاء مجلس النواب المسيو دي مورو جافيري والمسيو ادولف لاندري والمسيو انطوان غافيني والمسيو مرقس سولستان كايوتوكولي والمسيو هنري بيارنجلي

وكانت قد انتهت مدة عضوية المسيو دومر والمسيو غبريالي فعين اليوم التاسع عشر من شهر يناير سنة ١٩٢١ موعدا للانتخاب وعينت مدينة اجا كسيو مكانا لاجتماع الناخبين كالعادة الجارية . وحدث ولا حرج عن تراحم الاقدام وتناظر الاحزاب وتنافسها وقد فاز من بين المرشحين المسيو دومر العضو السابق ووزير المالية في وزارة المسيو بريان في ذلك العهد وليس المسيو دومر من سكان كورسيكا بل من سكان القارة . وفاز ايضا الدكتور ساري رئيس بلدية باستيا أما المسيو كوتي صاحب معامل الروائح العطرية المشهور في باريس فانه مع ما بذله من المال الوافر لم ينل الا كثرية . ومع كل ما أبداه الاحزاب ورؤساؤها من التظاهرات الشديدة لم يقع ادنى حادث يكدر حياض السكينة بل كان الجميع يحركون عوامل دهائهم لاستمالة اصحاب الاصوات من دون أن يلجأوا الى القوة الوحشية كما هي الحال في لبنان في معظم الانتخابات على التقريب واحتشدت الجماهير في ميدان الالماس بعد الانتخاب وكان كل فريق على حدة فعالم رؤساء الاحزاب أن يخطبوا في الجمهور ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لان الاحزاب المعاكسة للخطيب كانت تضج وتصفّر وتقطع كلامه ناسبة اليه كل قرية وملقية على منكبيه جميع أسباب التقهقر في الجزيرة وكان كل مافعلته الاحزاب التي لم تحرز الا كثرية في الانتخاب أنها وجهت انظارها الى باريس وأخذت تسمى من ذلك الحين لالغاء الانتخاب وتقرير مخالفته للقانون في المرجع الاجباري أي في المجلس عينه المنتخب ذاك الشخصان عضوين فيه ولكن المجلس المشار اليه نظر في الانتخاب وقرر قانونيته لانه لم يجد فيه ما يخالف الانظمة الموضوعة .

الاحتفال بانقضاء مئة سنة على وفاة نابوليون الاول : — وكان أهم شيء شاهده في اثناء اقامتي في جزيرة كورسيكا الاحتفال الكبير الذي اقيم في اجا كسيو بمناسبة انقضاء مئة سنة على وفاة نابوليون الكبير في جزيرة القديسة هيلانة وقبل اليوم المعين للاحتفال ببضعة أيام أخذت مدينة اجا كسيو مسقط

رأس ذلك العاهل العظيم تستعد لاقامة الاحتفالات المنوية اقامتها فزينت الشوارع والحدائق والميادين والمعاهد والملاهي والاندية العامة والمنازل الخاصة بالاعلام الفرنسية واعلام الحلفاء واقواس النصر المعقودة بالازهار والرياحين وكان الانسان يشاهد تماثيل نابوليون وصوره وشارات وآثاره كيفما سار في جميع انحاء المدينة وكانوا يرون تحفا ثمينة واشياء كثيرة لنابوليون في واجهات المخازن وكانت باقية عند الناس كتذكارات ثمينة يحرمون عليه ويتباهون به . وعينت للاحتفال ثلاثة أيام متوالية وهي ٤ مايو و٥ و٦ منه .

وأرسلت الحكومة الفرنسية من لديها المرشال فرانسه دسبره ليرأس الاحتفالات فوصل الى اجاكسيو قادما من باستيا في يوم السبت في ٣٠ ابريل في الساعة ١٠ : ٥ بعد ظهر ذلك اليوم ولما انتهى الى موقف سكة الحديد أطلق احد عشر مدفعا من مركز البحرية اكراما له وهي التحية التي يحجي بها المرشال المفوضة اليه مهمة رسمية . وكانت هيئة الحكومة تنتظره في ميدان ابانوشي بجوار الموقف المذكور ومعه اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب الذين يمثلون الجزيرة في البرلمان الفرنسي وعمدة المدينة ووفود من قبل المجلس العمومي والمجلس البلدي ورجال الدين ووجوه المدينة واعيانها وجمهور غفير لا يقل عدده عن خمسة عشر الف نفس .

وبعد ما حيته الجنود المصطفة التحية العسكرية تقدم رجال الحكومة واستقبلوه رسميا وخطب المسيو جيروم ييري عمدة المدينة خطبا بترحيبيا فاشكر المرشال لهيئة الحكومة ولجميع المستقبليين ما أبدوه له من الحفاوة ثم توجه ومعه ذلك الجمع الغفير الى منزل الملازم مرشال لاني رئيس لجنة الاحتفال الاجاكسية وقد أثر السير مشيا الى ذلك المنزل الذي لا يبعد عن ميدان ابانوشي اقل من كيلومترين

ولما وصل امام التماثيل المنصوبة لنابوليون واخوته في ميدان الالماس وقف وحياد ذلك الرجل العظيم التحية العسكرية ثم واصل السير الى المحل المعد له وقضى غد ذلك اليوم عند مضيقه للاستراحة من وعناء السفر  
وقدم السيد ريفياري رئيس اساقفة اكس الخاضعة لجزيرة كورسيكا لولايته

الدينية في يوم الاثنين في ٢ مايو الى اجا كسيو لرأس الاحتفالات الدينية فاستقبل استقبالاً حافلاً .

ودخل المرشال فرنشه دسبره مدينة اجا كسيو دخولا رسمياً في يوم الثلاثاء في ٣ منه في الساعة الخامسة بعد الظهر فبالغوا في الاحتفاء به .

وافتمتحت الاحتفالات في صباح الاربعاء في ٤ منه فقام السيد سيميوني مطران اجا كسيو قداساً وجنازا في المعبد الامبراطوري في الساعة التاسعة صباحاً بحضور المرشال فرنشه دسبره ورئيس اساقفة اكس وجمهور كبير من عليّة القوم وكبار الموظفين وبعد ذلك زاروا المعبد الخاص المدفونة فيه والدة نابوليون وخاله الكردينال فش وافراد من الاسرة البونابرتية وهذا المعبد في شارع فش الى جانب المتحف والمكتبة والمدرسة

ثم ذهب المرشال ورئيس الاساقفة والمطران الى دار البلدية لاستقبال هيئة الحكومة واعيان المدينة استقبالاً رسمياً ووضعت ثلاث صفائح من الرخام الابيض بمناسبة هذا الاحتفال في ثلاثة اماكن بالمدينة : الاولى بشارع فش وقد كتب عليها ماترجمته :

« هنا بيت بو . في ٢٣ يناير سنة ١٧٩١ وهي السنة الثانية للحرية قرأ »  
« بونابرت الملازم في فرقة المدفعية باوكسون صورة الكتاب الذي كتبه »  
« للمسير ماتيو بوتو فاكو نائب كورسيكا رداً شديداً للهجة على الخطاب »  
« الذي خطبه ضد باولي وانصاره في الجمعية الوطنية وكان ذلك في جلسة عقدها »  
« للنادي الوطني الاجاكسي الملحق بنادي اليقويين الباريسي »  
والثانية بازاء الكاتدرائية واليك ترجمة ما كتب عليها :

« كان نابوليون بونابرت الليوتنان كولونل من الدرجة الثانية في الفرقة »  
« الثانية من الحرس الوطني بكورسيكا مهدداً بالقتل امام هذه الكاتدرائية »  
« في مساء يوم الاثنين الذي بعد احد الفصح في ٨ ابريل سنة ١٧٩٢ في »  
« اثناء الحوادث الدموية التي حدثت بين الاجاكسيين والحرس الوطني الا ان »  
« الانسة ماريان ترنانو نسيبته خلصته وادخلته بيتها فنجوا بدلهيز »  
« يتصل من المنزل بالمدرسة الاكيريكية وكانت فرقته نازلة فيها »  
« ووضعت الثالثة في شارع فش ايضا وقد عربنا ما كتب عليها بما يأتي : »

« كان رجال باولي والبريطانيون يتعقبون نابوليون بوناپرت في الثالث  
« من شهر مايو فالتجأ الى هذا البيت الذي يخص جان جيروم لاوي عمدة  
« المدينة السابق وقد حشد في منزله فريقاً من الجلبيلين المسلحين ولما جاء الجنود  
« للقبط على نابوليون بوناپرت تمكن جان جيروم لاوي من ابعادهم عن البيت  
« بلا قتال وأنقذ بوناپرت في تلك الليلة عينها وسيره الى كلني بحراً وسار  
« منها الى سواحل البروفانس واستولى بوناپرت على طولون بعد سبعة أشهر  
« ( ٢١ ديسمبر ) . »

وشاءت الحكومة الإيطالية أن تشترك في حفلات اجا كسيو التي نحن في  
صدد الكلام عنها فأرسلت النسافة « لاماذا » وفيها السنيور مالفرو حاكم  
ساساري والجرال زيكندي وحاشيتهما ولكن حدث في أثناء قدوم تلك  
النسافة انها حينما كانت على بعد خمسة عشر كيلومتراً عن اجا كسيو اشتدت عليها  
الانواء فغطاها الماء وجذب ثلاثة من بحارها الى البحر فغابوا عن الابصار  
وغاصوا في اللجنة من دون أن يتمكنوا من انقاذهم .

وافتتحت سلسلة الاحتمالات في يوم الخميس في ٥ مايو ١٩٢١ بقداس حافل  
اقامه رئيس اساقفة اكس في ميدان النخل على مذبح نصب أمام تمثال نابوليون  
بوناپرت حينما كان قنصلاً اول . وقبلها اخذوا في القداس هطل مطر مدرار ولكنه  
لم تطل مدة هطله فارجىء القداس الى الساعة العاشرة وكان الاجل المضروب له  
الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين ولم يكن عدد الجمع الحاضر يقدر بأقل من خمسة  
وعشرين ألفاً . وصعد السيد سيميو في مطران اجا كسيو الى المنبر في خلال  
القداس وأبى نابوليون بوناپرت تأييدنا بليغاً استفز حماسة الحاضرين فقاطعوه  
بالتصفيق رغمًا من مهابة المقام واستمرت تلك الحفلة الى الظهر .

واحتشدت الجماهير أمام دار البلدية في ميدان النخل في الساعة ١٥ : ٣ بعد  
الظهر فتألف موكب نفخ سار بانتظام الى ميدان كازوفي في ظاهر المدينة الى الجهة  
الغربية أمام مغارة نابوليون وقد نصبت منصة في وسط ذلك الميدان في المكان المعد  
لنصب تمثال للامبراطور نابوليون الاول فيه . ولما اكتمل الترتيب نهض المرشال  
فرنشه دسبره ووضع بيده الحجر الاول للقاعدة المعدة لنصب التمثال عليها  
ثم تعاقب الخطباء متبارين في ميدان الفصاحة والبلاغة فتكلم المسيو مرسل

لارتي رئيس لجنة الاحتفال الاجا كسية فالمسيو جان دي بيرتي عمدة بلدة لافي فعمدة أجا كسيو فالمسيو لاندري نائب كورسيكا في مجلس الشيوخ الفرنسي ومن وزراء البحرية السابقين فالسنيور مالفرنو الايطالي حاكم ساساري فالجنرال زيكندي الايطالي فالمسيو بياتري المندوب من جمعية الاحتفال بالعيد المئوي في باريس فالشاعر الكورسيكي لوشياردي . ولما فرغ الخطباء من الكلام تكلم المرشال بلهجة حماسية مفصحا عن الغرض الذي من أجله شاعت الحكومة الفرنسية أن تحتفل بذلك العيد لذكر الرجل العظيم المعدود كبرقائد في فرنسا وفي العالم . وانتهت الحفلة المدنية بخطاب المرشال .

ولما اذف الحين المعين لاقامة الحفلة الدينية عادت الجماهير الى ميدان كازوفي بعد ما كانت قد غادرته فتسلم رئيس اساقفة اكس متبر الخطابة وخطب خطبا مؤثرا عن نابوليون بوناپرت ككورسيكي وانتقل من ذلك الى وصفه كفرنسوي وتليت بعد ذلك الصلوات المعتادة تلاوتها في مثل تلك الحفلات وبعد الخطب ارفض الجمع عند الساعة ٣٠ : ٦ مساء .

واجريت الالعاب النارية على رصيف الميناء في الليل وكانت النسافة كالاي الفرنسية والنسافة لامازا الايطالية ترسلان الانوار الكهربائية وكان اجل منظر في تلك الالعاب شخص نابوليون المرسوم بالانوار الكهربائية وعلوه ثمانية امتار

اما الحفلات التي احتفل بها في ٦ مايو فنكتفي بان تعددها من دون ان نسهب في وصفها لنكتفي القاريء مؤونة التبرم :

١ — ذهاب الموكب في الساعة التاسعة صباحا الى البيت الذي ولد فيه نابوليون بوناپرت لوضع باقة كبيرة من الازهار فيه

٢ — اقامة حفلة اكرامية للجنود الكورسيكيين الذين خروا صرعى في الحرب العالمية الاخيرة في سبيل وطنهم

٣ — احتفل بسباق الزوارق الشراعية في الساعة ٣٠ : ١٠ صباحا واجرئ الغلمان العابا في ميدان النخل

٤ — احتفل بسباق الدراجات في الساعة الحادية عشرة صباحا

٥ — احتفل بسباق الزوارق بالمجاديف في الساعة الثانية بعد الظهر

٦ — اقيمت ألعاب رياضية بدنية في ميدان الالماس في الساعة ٣٠ : ٣٠ بعد الظهر

٧ — اقيم سباق للخيل في جادة غرانفال في الساعة الخامسة بعد الظهر .

٨ — اقيمت ألعاب نارية في الساعة التاسعة ليلا

٩ — اقيم مرقص عام في الساعة ٣٠ : ٩ ليلا

هذا مجمل وصف الحفلات التي اقيمت في مدينة اجا كسيو مستط رأس ذلك الرجل العظيم الذي قال عنه احد الكتبة الفرنسيين : ان الحق سبحانه وتعالى كسر بعد باخلقه القلب الذي افرغه فيه . وقالت عنه جريدة المورتنج بوست الانكليزية ما يأتي في عرض الكلام عن الحفلات التي اقيمت له :

« لقد انتقضت مئة سنة على وفاة نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة ومن حسن الحظ ان الفرنسيين والبريطانيين الذين كانوا اعداء الداء في ذلك العهد قد اصبحوا الآن اصدقاء حميمين يتسنى لهم أن يتأملوا معا باعجاب مشترك رجلا لا يمد فقط من اكبر رجال فرنسا بل من اكبر رجال العالم . »

وكانت علامات التحمس بادية على جميع الوجوه ولا بدع اذا كان القوم في اجا كسيو يظهرون مثل ما اظهروه من تلك العلامات تذكارا لتلك الداهية الكبير فقد خلد ذكر مدينتهم ورفع شأنهم في جميع انحاء المعمورة ماسح خال ولاح بدر

ولما كان هذا الاحتفال تذكارا لانقضاء مئة سنة على مصرع ذلك العاهل العظيم احب أن ابين الفرق بين هذه الاحتفالات وما كان من عدم اكتراث القوم في فرنسا لوفاته لما انتهى اليهم نعيه في سنة ١٨٢١ .

لما انتهى نبي مصرع نابوليون الكبير الى فرنسا لم يحدث فيها تأثيراً كبيراً ولم يصل ذلك النبأ الفاجع الا بعد وفاته بنحو شهرين وليس في ذلك شيء من الغرابة لان وصول الاخبار من مكان الى آخر في ذلك العهد لم يكن يحدث بمثل السرعة التي يحدث فيها في ايامنا هذه فلم يكونوا قد اخبروا البواخر ولا الاسلاك البرقية او التلغونية ولا اللاسلكي بل كانوا يضطرون الى ركوب السفن وانتظار الريح المؤاتية لهم . ووصل نعي نابوليون في بدء الامر الى انكلترا ثم الى فرنسا ومعلوم أن نابوليون قضى ست سنوات في المنفى وكانوا في اثنائها يعالجون محو اسمه من الازهار في فرنسا ولم يكن انصاره المخلصون له ولا

اصداؤه ولا خدامه يجرؤون على التلفظ باسمه جهاراً مخافة ان ينالهم الاذى من السلطة الغاشمة وكان شبح اسير جزيرة القديسة هيلانة ينتابها في المنام . والحق يقال أن نابوليون كان قد توارى عن ملعب السياسة قبل مصرعه بست سنوات بحيث ان نبأ موته الذي وصل الى باريس في يوم الجمعة ٦ يوليو سنة ١٨٢١ ولم ينتشر الا في صباح غد ذلك اليوم تلقاه الناس كما يتلقون خبراً عادياً . ونشرت صحيفة « المصاعقة » لسان حال الملاعب والفنون وعلم الادب نعيه في عددها الصادر في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢١ بالكلمات الآتية : « ان خبر موته الطبيعي كان كغيره من الاخبار العادية وقد تحدث الناس عنه يومين أو ثلاثة ايام على مثال تحدثهم عن المطر والصحو . واليوم لم يبق من يفكر به . » وقد كتبت الكونتنة دي بوانياي ما يأتي في مفكراتها : « سمعت باعة الجرائد يصيحون في الشوارع موت نابوليون بونابرت بصولدين . خطابه للجنرال برتران بصولدين بأس عقيلة برتران بصولدين . ولم يكن لتلك المناداة تأثير في الناس اشد من تأثير المناداة على كلب ضائع . » ثم كتبت تلك الكونتنة بعد ذلك : « لانتى ما كان ثقله اكتراث القوم لذلك الحادث من التأثير في وفي الاشخاص المفكرين »

وجاء بوتزودي بورغو عدو نابوليون الشخصي المشهور الى تاليران ليرى ما كان من تأثير ذلك الخبر فيه فكان تاليران مدهوشاً ثم انه حاول ان يتكلم برباطة جأش عن نابوليون كأنه يتكلم عن أمر عادي .

وكانت في باريس جريدة بونا برتية النزعة تدعى « جريدة التجارة » فبعد ما نشرت هذه الجريدة نعي نابوليون بكل تحفظ في ١٤ يوليو غقت عليه بما يأتي : « لانتهى دائماً بالموت حياة الرجال العظام فان حظ نابوليون كمل قبل • مايو سنة ١٨٢١ وافل بدره في سهول واترلو ومع ذلك لم تكن الاجيال المستقبلية قد جاءت اليه بعد ونحن نشك الآن في دنو ساعة العدالة »

ولما رفع الدوق دي ريشليو خبر وفاة نابوليون الى مولاه الملك لويس الثامن عشر في سان كلود لم يتأثر الملك كثيراً من ذلك الخبر ولسكن الجنرال راب الذي كان حاجباً لنابوليون ثم صار فيما بعد حاجباً للويس الثامن عشر لم يستطع كتمان حزنه بيد أن الملك لم ينقم عليه من جراء ذلك .

أما في انكارتا فقد كان لوفاة سجين هدمن لو تأثير شديد عام فاذيغت



اعلانات في الاسواق في ٧ يوليو تدعو جميع المعجبين بالدهاء والشجاعة العابثة بهما المصائب الى لبس الحداد على نابوليون بونابرت صريح المنية قبل حلول يومه فلبى تلك الدعوة كثيرون من اعيان البريطانيين وفي جملتهم المر روبرت ولسن وبعض الفرنسيين زلاء لندن وحبرت جريدة المورننج كرونيكل مقالة مسهبة عن نابوليون وكان ذلك الحادث شغلا شاعلا لافكار القوم في الديار البريطانية . ولما اخبر رئيس مجلس الهند هيئة المجلس عن وفاة نابوليون قال أحد الاعضاء واقعه المستر لوندس : « فلنتبادل التهنئة يا حضرة الرئيس » فاستاء جميع الحاضرين من كلامه وقال له احدهم : « تأنف الانسانية والكرامة من الاتهاج بموت رجل لم يبق من عهد بعيد يمثل دوراً ما على ملعب السياسة » ولم يكن لذلك الخبر الرسمي الخطير من الصدى في فرنسا بقدر ما كان له في بريطانيا العظمى ومع ذلك لم يكن حينئذ لتواري ذلك الرجل العظيم ما له اليوم من الاهمية في جميع أقطار المعمورة فلم تكن الحكاية الامبراطورية قد ابتدأت بعد بل كان يعوزها تقهقر التاريخ الى الوراء وقال السر جيمس ما كنتش أحد اعيان الانكليز في شهر يوليو سنة ١٨٢١ : « ما كان أشد وقع هذا الحادث لو وقع من تسم سنوات وما أشد ما سيكون له من التأثير ايضا بعد تسم مئة سنة »

وحرصت حكومة لويس الثامن عشر على منع الملاعب من تمثيل دور نابوليون لئلا يغتتم البونابرتيون الفرصة لقلب الحكومة . وتنكر طعنا الممثل المشهور وصديق نابوليون الحميم وجعل هيئة رأسه كرأس نابوليون في تمثيل دور سيلا بمأساة جوي في الملعب الفرنسي في ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٢١ وحينما كان ذلك الحاكم الروماني يجود بنفسه على مهل في الملعب كان النظارة يتمثلون أمامهم احتضار نابوليون الكبير في منقاه .

وأقام الفلاحون في المانيا الصلاة عن نفسه في أما كن كثيرة ولما ابصر غريلبارزر مؤلف الروايات التمثيلية النمساوي وكان شديد القلي لنابوليون ان نير مظالم مترنيخ ائقل من نير بونابرت نظم قصيدة عنوانها « موت الامبراطور » واليك خلاصتها معربة :

« لا استطيع أن أحبك ... فقد كانت مهمتك العنيفة في هذه الحياة الدنيا

ضربة من الله... ولكن يجب أن يصدر الحكم الآن مستقلا عن العواطف  
فالحياة تعرف الحب والبغض ويعتبر مجد الاموات من خصائص التاريخ المقدسة  
« ان ادنى غاية من بعثتك كانت ان تظهر بمظهر السناء وتكسو عرينا القبيح  
وتبين أنه يمكن أن توجد الخلائق الكاملة الشريفة والعظيمة في عالمنا حيث  
يكون كل شيء هباء منثورا وينحل بدونها ويعود الى العدم الذي خرج منه  
وتبين ايضا أن الجنس لا يزال حيا اي ذلك الجنس المستند الساعد الذي غلب في  
كان وجاهد جهادا حسنا في ترمويل

« فاجلس على الكرسي المعد لك بين الابطال الذين لا يزالون أحياء في  
أفواه البشر أي اجلس الى جانب الاسكندر الذي دوخ الاقطار والى جانب  
قيصر الذي سعى بعد ما أخطأ في اختياره وراء التسلط على ضفة الروبيكون  
الاخري . »

واطلعت ماري لويز أيم نابوليون وأميرة بارس على مصرع زوجها  
الامبراطور في جريدة « بيامونت » وانتهت اليها رسالة رسمية من البارون دي  
فنسان سفير النمسا في باريس في ٢٠ يوليو سنة ١٨٢١ تثبت لها صحة الخبر الذي  
قرأته في تلك الجريدة فكتبت الى عتيقة دي كرنفيل ما يأتي :

« أصرح لك بأن هذا الخبر كسف بالي على أفي وإن لم أكن أشعر نحوه  
بأدنى عاطفة حبية من أي نوع كانت لا يمكنني أن أنسي إنه والد ابني وانه لم  
يكن يسيء معاملتي كما يشوم بعض الناس بل كان يبدي لي كل رعاية وهذا كل  
ما استطاع تقاضيه من الزواج السياسي وقد أدخل مصرعه الاغتمام الشديد علي  
ومع إن الانسان يجب أن يسر لانه أنهى حياته التاعسة بموت مسيحي فقد  
كنت أتمنى له حياة طويلة مقرونة بالهناء بشرط أن يكون بعيدا عني . »

ولبس بلاط بارس الحداد ثلاثة أشهر من ٢٥ يوليو الى ٢٤ أكتوبر واليك  
نص المرسوم القاضي بلبس الحداد والمدح بيراعة نيبرغ من دون أن يكون  
محاطا باطار أسود وقد نشر في جريدة بارس في ٢٤ يوليو : « بناء على وفاة صاحب  
السموزوج أميرتنا المعظمة في الخامس من شهر مايو الماضي بجزيرة القديسة هيلانة  
تلبس جلاتها والسادة والسيدات المؤلف منهم بلاطها وجميع الاشخاص في القصر  
الدوقي ثياب الحداد ثلاثة أشهر من ٢٥ الجاري الى ٢٤ أكتوبر . »

وأمرت ماري لوز بان تقدم الف قداس عن نفسه في بارم ومثلها في فين وحضرت ومعها جميع بلاطها صلاة عن نفس نابوليون في المعبد الخاص بقصرها في السالا ولكن لم يكن على النعش شارة مامن شاربات الامبراطورية أو أي حرف يرمز به الى القعيد

وكانت ماري لوز وهي جالسة على مقعدها الخاص مشردة الافكار وقد سدت قناعا طويلا على رأسها ليغطي وجهها وجسمها عن الابصار ويحجب حبلها لانها ولدت غلاما من الكونت دي نيرغ بعد تسعة أيام وهو ثاني الاولاد الثلاثة الذين ولدتهم ولادة غير شرعية

وابلغوا خبر مصرعه الى مجله ملك رومية السابق ودوق ريشتاد من دون أن يقدموا له التعمية لتخفيف لوعة ذلك المصاب عنه وكان الدوق في العاشرة من عمره فذرف دمعا سخينا على والده ولم يعن أحد بكفكفة تلك الدموع

وكان منزوي الشاعر الايطالي الكبير قد أهدي كورنر قصيدة ضمنها كثيرا من الاغراض للتنديد بنا بوليون فلما انتهى اليه نبأ تخرم ذلك الداهية خشع طرفه وطلب من امرأته أن تمزق على البيانو يومين متوالين بلا انقطاع وأقام في منزله ذينك اليومين من دون أن يبرحه وألف منظومة عنوانها « ٥ مايو » ومن يتدبر تلك المنظومة لا يجد لها منسوجة على منوال القديح أو منظومة في سمط المدح لذلك الرجل العظيم بل يرى أنه يعتبره آية من آيات القدرة الالهية متجلية بمجالي الخير أو الشر .

وفي أثناء مقامنا في اجا كسيو ترجم الاستاذ بطرس بولتي أحد أصدقائي مرثاة منزوي الى اللغة الفرنسية فأطلعني عليها فراقطني كثيرا واستأذنته بترجمتها واليك تلك القصيدة

### ٥ مايو

قضى فغدا جثمانه الميت هامدا	وفارقه الفكر الذي كان سائدا
قضى عجباً كل الوري وقت مادروا	بمصرع من أمسى له النجم حاسدا
قضى رجل الاقدار لما قضى القضا	عليه واضحى للتصاريف ساجدا
قضى وهو لا يدري مقر رفاته	ولا زمنا يلقاه فيه مطاردا
لقد ابصرته مقلتي فوق عرشه	ولم اتوهم أن أرى العرش مائدا

وخيل لي أن القضاء بكفه  
فأطرقت والافكار تعبت بالنهى  
وما عثم النسر المحلق ان هوى  
وحينئذ هبت بصدري عواطف  
وأسدي تكرماً لمن يستحقه  
لنيل الذي يبغيه قد مد ساعدا  
ومن فرط تأثيري غدا الصوت خامدا  
فاصبح مصطادا وقد كان صائدا  
لأنظم في سمط القريض قصائدا  
يظل الى ما شاء ربك خالدا

\*\*\*

من الالب للاهرام في كل بلدة  
وللرين من مدريد قد بات بأسه  
وبين طنابيس وسلا صواعق  
فهل كان ما ابداه مجداً لقد غدا  
خولك يا باري الانام بمثله  
رأيناه بند المجد والعز عاقدا  
بكل فؤاد عسكر الذعر حاشدا  
غدا عضبها اعمار اعداه حاصدا  
بمؤتلف الايام ما كان شاهدا  
نرى لك فيه كل حين مقاصدا

\*\*\*

هنا جذل خفت به اليوم ضجة  
سعى نحو قلب ميزته صريمة  
يميل الى ادراك غايات سؤدد  
فهل ينثني عن نيل امر يريده  
وهل فاته شيء بدنياء مذ غدا  
واصبح ذا تاج تشع جواهر  
وروع الى الالباب نلقاه واخدا  
بها سهم احداث رأيناه صاردا  
ويركب كي يرقى اليها المناطدا  
وكل المني التت اليه المقلدا  
علي صهوة تدني من المجد قاعدا  
ترصعه فافت بحسن فرائدا

\*\*\*

ولكنما الاقدار خاتته مذغدت  
فن بعد ما نال انتصارا على العدى  
رأى النفي مقضيا عليه به ولم  
وذي شيمة الدنيا ارتفاع وسقطة  
لسؤدده السامي المقام حواسدا  
وامسى صروحا للمفاخر شائدا  
يجد ندحة عنه ولم يلق لاحدا  
وذو العقل في دنياه يلتقي شواهدا

\*\*\*

فريقان كانا في اقتتال كلاما  
فباننا على جبل انتظار قضاها  
وقال انظرا في وانركا الحرب عاجلا  
وكل الى استنجاده كان قاصدا  
لجاء الى كل معيننا مساعدا  
فاغدو لكل منكما اليوم رافدا

وبعد قليل قد نأى متوارياً واصبح من حوض المنية واردا  
وقد زج مأسورا بأضيئ مأزق وخلف ذاعطف وخاف حاقدًا

\*\*\*

طمت ليج فوق الخريق وثقلت عليه وفي قعر لها بات شاردا  
تقاذفه التيمار نحو شواطئ تشط مزارا نحوها كان رائدا  
وقد كان يأتها بجند مصر وطرف يرى افق الحجرة راصدا

\*\*\*

تزاحم في نفس له ذكر مجده ولكن غدا ذبالك الذكر بائدا  
وقد كان ينبغي ان يقص حياته على الناس عما كان فيه مجاهدا  
فأهوت على القرطاس منه يمينه وقد بات من جراء ذلك جامدا

\*\*\*

فكم مرة واليوم بالصمت ينقضي ويمضي ولا يلقى لديه فوائدا  
واصبح مكتوف اليدين وصوته غدا بعد ابراق بعينه راعدا  
وساوره ذكر الزمان الذي مضى وبات وعنه لم يجد قط ذايدا  
تذكر اسوارا تدك وحولها مضارب شتى لم يجدها جوامدا  
وأبصر في ذاك العراء كتائبًا تماثل اطوادا وتحكي جلامدا  
رآها على الاعداء تشن إغارة وتنصب للقالي علاه مصابدا

\*\*\*

كأنني به للغم بات دريئة وبين حناياه أرى اليأس راقدا  
وقد أشرعت بابًا بأعلى السماء ومدت اليه فاستقل المصاعدا  
فعلل بالأمال نفسا الى العلى جرت تبتغي اجرا لها فيه جاهدا  
وأبصر في ليل من الصمت حالكا نخار بني الانسان ملقى وراكدا

\*\*\*

فيا أيها الايمان ته وابق خالدا وفق في الورى مجدا طريفا وتلدا  
للحيلة لم يبحث في الناس سيد كرب العلى من بات للمثل قائدا

فن كلمات الحجر وقر رفاته ولا تك للفضل المؤئل جاحدا  
وان الذي يبنى المالك والذي يقوضها مازال في الكون واحدا

\*\*\*

وبمناسبة الكلام عن وفاة نابوليون الكبير في جزيرة القديسة هيلانة  
نذكر شيئا عن جغرافية تلك الجزيرة وتاريخها مأخوذا عن المجلد الثاني من مجلة  
الضياء لمنشئها فقيده اللغة العربية العلامة الكبير الشيخ ابراهيم اليازجي المشهور  
جزيرة القديسة هيلانة : — ليس في سكان المعمور من لم يقرع سمعه ذكر  
هذه الجزيرة الحفيرة بل الصخرة الموحشة المنفردة في أطراف الاتلنتيك بما اتصل  
بها من الحادث الشهير وهو تقي نابوليون الاول اليها في أوائل القرن التاسع  
عشر بعد وقوعه في قبضة الدولة الانكليزية على ما لا يحمله احد من تاريخه وقد  
تجدد ذكرها في هذه الايام بحادث آخر من مثله وهو تقي القائد كرنجبي أحد  
ابطال البوير اليها على يد الانكليز أيضا فهي سجنهم الذي يتقون به كرة عدوم  
فيحولون دونه بعمد المزار وأمواج البحار ويتركونه عرضة للذلة والصغار الى  
ان يقضي محبه وحيدا كندا منقطعا عن النصير والانيس .

ولما كان كثير من القراء لا يعلمون من أمر هذه الجزيرة الا القليل رأينا ان  
نذكر شيئا من صفاتها وتاريخها وبيان موقعها من الارض فلخصنا عنها هذا  
الفصل المختصر على قدر ما يحتمله المقام .

أما موقع هذه الجزيرة فهي مايلي الشاطئ الغربي من افريقية على ٦° و ٩°  
من طول باريس غربا وبين ١٥° و ١٦° من العرض الجنوبي وطولها نحو ١٧  
كيلومترا في عرض ١٠ وهي جزيرة صخرية تبلغ حوزنها البحرية في بعض  
الاماكن ٦٠٠ متر ارتفاعا واعلى قممها قمة ديانا وهي ترتفع ٨٥٥ مترا عن  
مستوى البحر وترى من هناك الجزيرة بأسرها وما حولها من البحر

وفي هذه الجزيرة مدينة واحدة تسمى جستون قائمة على الشاطئ الغربي  
منها على قارة من الصخر مثلثة الشكل والى غربي المدينة الجبل المسمى بجبل السلم  
لان فيه سلما مؤلفه من ٧٠٠ درجة يرتقى فيها الى المصانع الحربية المشرفة في  
قمة هذا الصخر والى شرقيها تل يقال له تل روبرت وعليه الطريق المؤدية الى

المنزل الذي اعتقل فيه نابوليون مدة وجوده في الجزيرة وقد ابتاع هذا المنزل الامبراطور نابوليون الثالث في سنة ١٨٥٨ .

اما تاريخ هذه الجزيرة فكان اكتشافها سنة ١٥٠٢ على يد ربان من البرتغال يقال له جوان دنوفا كان قد أضل سفينة له في تلك الناحية وكان اكتشافه لها في ١٨ اغسطس من تلك السنة وهو يوم عيد القديسة هيلانة فسمها باسمها . ولما كانت سنة ١٥١٣ نعى اليها البورك فأتى الهند الشرقية نفراً من عساكر البرتغال كانوا قد فروا من الجند وفيهم جماعة من العبيد فكانوا أول من استوطن تلك الجزيرة فقاموا بالوادي الذي فيه اليوم مدينة جستون وشرعوا في الحرث . وفي سنة ١٦١٠ دخلت الجزيرة في حوزة الهولنديين فلبثت في ايديهم الى سنة ١٦٥٠ ومذ ذاك دخلت في حوزة انكلترا وبعد ذلك توارد اليها اناس من الهولنديين والعبيد وفلاحى الصين وملقا فنشأت هناك سلافة ممزجة من عناصر شتى فيها جمال وبأس أما جلودهم فسمراء الى السواد .

وكانت هذه الجزيرة فيما ساف مرسى للسفن الواردة من جهات الاندلتيك والبحر الهندي فلما فتح خليج السويس نحوأت السفن اليه فأهملت ومذ ذاك أخذ أهلها يهاجرون الى نواحي الرأس فقل عديد سكانها وكانوا سنة ١٨٦١ نحو سبعة آلاف نفس فاصبحوا بعد عشرين سنة خمسة آلاف .

وأصل هذه الجزيرة جبل ناري شخس في ذلك الموضع ولا تزال فوهته ظاهرة الى اليوم إلا أن مواضع منها قد تفتت وانهارت وحوطها جبال مختلفة الارتفاع وصخور مائلة في الهواء يبلغ ارتفاع بعضها من ٧٠ الى ٩٠ مترا وبعضها قد تشكل باشكال غريبة ومنها اثنان يشبهان منظر السانين قاعين معاً أحدهما لوطا والآخر امرأة لوط

واما هواء الجزيرة ففي غيبة الاعتدال وحر الصيف فيها لا يتجاوز حر انكلترا لكن يكثر فيها انتشار الضباب الرطب وهو الذي أضر كثيرا بصحة نابوليون وكانت عند اكتشافها مكسوة بفابات عظيمة ولكن هذه الغابات انقضت شيئا فشيئا بتسليط المواشي عليها حتى اصبحت اليوم خمسة اسداس الجزيرة ارضا جرداء .

وقد كان نعي نابوليون اليها سنة ١٨١٥ فلبث فيها الى أن توفي سنة ١٨٢١

وبقيت رمته هناك الى سنة ١٨٤٠ حين نقلت الى باريس ودفنت في مدفنها المشهور تحت قبة الانفاليد حيث هي اليوم مزار الملوك والعظماء والسياح من اقاصي الارض

ومما يحسن ابراده هنا قصيدة ظفرونا بها من نظم حضرة الشاعر المجيد نقولا افندي الحداد وصف فيها أسر كرنجي ونفيه وما كان منه حين استقبل الجزيرة وتذكر اسر نابوليون فيها فتمثل له طيفه مظلا من اعلاها وكل ذلك من اختراع الخيلة والقصيدة طويلة تضيف على ثمانين بيتا فاقصرنا منها على الابيات الآتية قال في مطلعها:

لا تسل اذ تلتفت الهيجاء	حينما غص بالجيوش القضاء
حينما زلزل المجيبج الروابي	حين مادت باهلها الغبراء
وتوالى من البنادق برق	أشعلت من وميضه البطحاء
ودوى في القضاء قصف رعود	زلزلت من هزيمها الارحاء
وتعالى من الدخان غمام	فاكفهرت خوفا لذاك السماء
ومهي منه للقنابل سيل	هو نار فوق الثرى لاماء
فيلق اثر فيلق يثرامى	يا لجيش ضاقت به البيداء
انكابر مثل البحار اندفاقا	وبوير هم صخرة صماء
فرقة بالعرمرم الجم نرحى	لم تقدها شجاعة ودهاء
صدت الكثرة الشجاعة حينما	انما كان للنبات انقضاء
واخيرا غدا البوير محاط—بن	بسور جدرانہ الاعداء
حين امسى تهوذاً كل م	اقدام ولم يبق في النجاة رجاء
فاقتضت نوبة الجهاد وصارت	باطراح السلاح توفى الدماء

ومنها يصف اشراف كرنجي على الجزيرة وطيف نابوليون :

اقبل الليل غاشيا مثل بحر	فوق بحر لستره إرخاء
بحر هم على الاسبر خلا م	فيه باوهامه فطال الخلاء
فراى في القضاء طيف خيال	قد كساه الجلال والخيلاء
طيف جبار امتلا الافق منه	وبيمناه مست الجرباء
وكرملين قيصر تحت رجليه م	واهرام الجيزة القمصاء



كلما ماد موطئا قدميه عضدته بكفها الجوزاء  
 حوله للملوك تيجان عز ألبستها غبارها الهيجاء  
 وسيوف هام المعدي ثلثها وكستها لون العقيق الدماء  
 واكاليل الغار تزهو عليه لم ينلها مع التماذي العفاء  
 مشهد هائل لطيف جليل زلزلت منه الصخرة الصماء  
 بنجلي كلما دنا الفلك منه وتزبد الجلالة الشماء

\* \* \*

عم مساء ياذا الخيال المفدى ليت كل الملوك عنك فداء  
 لم نسمع اوربا علاك فأنى تحتوها جزيرة جرداء  
 كم عروش تزعزعت تحت م رجليك فلم لا يفوس هذا العراء  
 أنهاب البحار منك انتهارا ووقارا يرتد عنه الماء  
 ليت شعري هل حيث أمسيت تاج وسرير وصوله وبهاء  
 ومباني التويلري باذخات جلست في صروحها العليا  
 وقضاء ودولة وجنود لك منها الاطاعة العمياء

\* \* \*

أيها ذا النزيل أهلا وسهلا لا يركك السكون والادجاء  
 لك في الحي سلوة وعزاء لك فيه تجلة وسناء  
 لك معنا مقام مجد سني لك منا مودة واحترفاء  
 ليس ذنباً جهادك الحق لكن أصبح الحق ماله نصراء  
 سقطت دولة الضمير وولت وتولت مكانها الاهواء  
 لم تمد قوة تؤيد حقاً ففضى الحق للصحاب البقاء  
 طمع الناس في المني قد تناهى وما آل الاطاع طبعاً عداء  
 قطعى الموسرون والاقوياء ومني بالمظالم الضعفاء  
 لايسؤك الهوان فدرا وظلما لك من راحة الضمير جزاء  
 ولك القيد حلية بك تزهو وبك السجن قد كساء البهاء

ترسف الاسد في القيود ولكن يطلق الكلب والطبا والشاء  
لك في الكتب مدحة وثناء ولذي القدر سبة وهجاء

\*\*\*

قد كفاني بقي لمنفك اجراً فقامي فيما اقت علاه  
لي من طيفك الجليل انيس وبنجواك بهجة وعزاء  
ان سجنًا فيه سجن زمانا لي صرح ملاه منك السناء  
والنسيم الذي تنفست منه لي حياة بها يطيب البقاء  
وضريحاً فيه ثويت نعم فيه اثوي حين الآله يشاء

\*\*\*

## رأيي في نابوليون بوناپرت

لكل انسان كبير كان أم صغيراً عالماً أم جاهلاً صاحب منزلة رفيعة أم  
صاحب مقام عادي الحق في ابداء رأيي في الامور التي يبصرها أو يسمعها أو تتصل  
اليه اخبارها بالاستقراء بشرط ان يتوخى ايراد الحقيقة وأن يسترشد في ذلك  
بمشكاة النزاهة والتجرد عن الميل مع الهوى .

ولما كنت قد انققت وقتاً طويلاً في دراسة تاريخ نابوليون الكبير وتعمقت  
فيه وتدبرت عدة مؤلفات كتبها عنه مؤلفون مختلفون الاجناس والزعات السياسية  
والآراء الشخصية في أزمنة مختلفة في حياته وعلى اثر وفاته وفيما بعد ذلك حتى  
في أيامنا هذه وقد قبض لي ان استقي جانباً كبيراً من اخباره من مظانها في  
خلال ثمانية أشهر قضيتها في مسقط رأسه فلم أر بدا من ابداء رأيي في ذلك  
الرجل العظيم على نور التاريخ وسياقة ايراد حوادثه وبلاستنتاج المنطقي من  
دراسة حياته .

ان الاحكام الصادرة على نابوليون من مختلف المصادر يختلف برماها باختلاف  
وجهة نظر الذين اصدروها وقد نشرنا طائفة منها في ما سبق من الكلام فلتراجع  
مفصلة في مواضعها .

ان تلتسوي ينظر قبل كل شيء الى مصلحة بلاده ويبنى حكمه على ما جره

عليها نابوليون من التكببات والارزاء فهو يصوره سفاحا مدمراً وضربة من ضربات الخالق ولا ينسب له فضلاً ما في الاعمال العظيمة التي عملها بل يمزو ذلك كله الى صدفة او الى مجموع صدف من بدء حياته الى ختامها ويمر به من صفات سامية امتاز بها ويوشع الاسكندر الاول فيصر الروس ببرودها ولذلك يعتبر كلامه صادرا عن رجل محرك الوطنية اوتار عواطفه ولا ينبغي ان نعد رأيه كراي مؤرخ نزيه يورد الحوادث على علانها من دون أن يكون الميل مع الهوى شأن فيها فتلستوي ينظر الى نابوليون واعماله بمقلة واحدة ويفض المقلة الاخرى وهو يرى مساوئه - وجل من لا عيب فيه - ويتجاوز عن التنويه بمحاسنه .

\*\*\*

وتيارس السياسي الفرنسي العظيم والمؤرخ الكبير ! انتقد شكل حكومة نابوليون زاعماً أن ذلك الشكل لا يضمن لها البقاء ولا لفرنسا المعيشة في السلم والهناء وآتمه بانه كان آلة مصائب بلاده ولسكنه لم يسمعه الصمت عن القول ايضا انه كان في الوقت نفسه رقيق مآثرها الخطيرة وقد انصفه بالاعتراف بمقدرته على قيادة الجنود وادارة الممالك إلا انه ندد بافراطه وتجاوزته الحد وقال ان معاصريه اخطأوا بتفويضهم اليه حظوظ بلادهم تفويضاً مطلقاً ثم قال : ان اسناد السلطة اليه كان امراً محتوماً بعد ما كان من فواجع تلك الثورة الجارفة وغوائلها الويلة وتطرف الذين قبضوا بأيديهم على ازمة الاحكام في البلاد ولو ظهر شخص غير نابوليون في ذلك العهد وامتاز بشيء مما امتاز به نابوليون من الجرأة وسعة الحيلة وبعد النظر لعمل ماعمله نابوليون لان الامة الفرنسية كانت قد نصب معين صبرها في الحالة التي صارت اليها وبلغ منها التبرم مبلغاً عظيماً ولاستسلمت هي اليه برمتها ليسكن الاضطراب الذي باتت تتخبط فيه . وقال تيارس ايضا : ان نابوليون انتشى بعد ذلك بخمرة الغرور وأخذ يسوق الفياق الجرارة الى ساحات القتال فلم يقل عن مليون عدد الذين خروا صرعى فيها بسببه . فتألمت اوربا جمعا على فرنسا وقهرتها وسلبتها ثمرة انتصارات متوالية اصابتها في عشرين سنة . وختم تيارس حكمه على نابوليون بقوله : لا ينبغي ان تسلم ادارة الدولة الى فرد كينها كان ذلك الفرد وكنهها كانت الاحوال . ولكن لا يحسن بنا ان نذهل عن ان تيارس كان قلبه مشرباً بالمبادئ الجمهورية وكان ناظراً من شكل

الحكومة الملكية المطلقة فلم ير في نابوليون الا طاغية يعمل لهدم تلك المبادئ .  
ومع ذلك لم يحبس تيارس لسانه عن التنويه باعمال نابوليون الخطيرة الدالة  
على تفوقه بعد ما رأى ان نابوليون لم يكن في حروبه مهاجماً بل مدافعاً وأن  
الدول كانت تعتمد القضاء عليه والتملص منه بشهرها الحرب عليه منفردة ومتمحدة

\*\*\*

واللورد روزبري السيامي البريطاني الداهية كانت من اكبر المعجبين  
بنابوليون بونابرت واسرته وكان ذلك الاعجاب مبنياً على التروي والذكاء  
والفراسة وقد نشأ فيه منذ حداثة فانه بعد ما طالع جميع الاسانيد البريطانية  
والفرنسية التي استند اليها المؤرخون الذين كتبوا تاريخ نابوليون والابراطورية  
الاولى وتفهمها ومحورها كدور مدقق نظر اليها بعين السيامي الخبير  
بأظهار دقائق الامور للعيان بإبراده اعتبارات فلسفية اجتماعية يتصيد الفاريء  
من سرد حوادث تلك المأساة الالهية الذكر وقد حاول اللورد روزبري ان  
يدفع معرة الغضاضة عن بني قومه ومع اعتقاده بأنهم أنوا عملاً منكراً بمعاملة  
نابوليون بتلك المعاملة التي اشتهر امرها في مشارق الارض ومغاربها لم يشأ أن  
يدع وصمة الخزاية تلصق بهم وتعرضهم للتنديد فرأى أن يخفف شيئاً من  
وطأتها بقدر الامكان وهانحن نورد كلاماً موجزاً يعبر عن حكمة قال :

« ان مؤخر فينا يستحق اللوم على قضائه المبرم على نابوليون بالابعاد  
ولكن لم يكن بد من ذلك للتأمين العام وهذا ما جعل الحلفاء يقضون بحصر  
نابوليون حصراً غير محدود المدة مع انه لم يكن متمرداً ولا أسير حرب ولا  
جانياً حكمت عليه محكمة قانونية . وكانت ذمة البريطانيين بريئة من تهمة مقتل  
نابوليون لان تشريح جثمانه أثبت أنه لم يموت في جزيرة القديسة هيلانة بداء  
الكبد بل بالسرطان الذي ورثه عن ابيه . »

واستقبل البريطانيون بحماسة شديدة الكتاب الذي وضعه اللورد روزبري  
عن نابوليون لانه اماط لهم اللثام عن حقائق قاسية بكلام صريح وتلقاه  
الفرنسيون بارتياح لانه عبر عن عواطفهم الصادقة وبما قاله : ان انفراد الحكومة  
البريطانية بالقيام بخفارة نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة جلبها بمجلباب  
الخفارة ولا سيما اختيارها اشخاصاً لاخلاق لهم لاجراء أوامرها فاذا كانت

ذكرى القديسة ميلانة تثير الاشجان في قلوب القرنسويين فان ذلك الاسم يثير  
سلايقل عن ذلك في قلوب البريطانيين  
فيستنتج من كلام الاورد روزبري انه كان من اصحاب المبادئ الشريفة  
والوجدان الحي لا يوارب ولا يجاني بالوجوه فقد انتقد نابوليون حينما وجد  
مسوغا للانتقاد ولم يوفر حكومته حينما رأى انها جنحت عن الطريقة المثلى .

\*\*\*

ثم ان دي بوريان رفق نابوليون في حدائته وصباه وشيبيته وكاتب سره  
في عهد القنصلية كان اكثر اطلاعا من سواء على عجزه وبهجه وباده وخافيه  
وفي المقالة التي أخذناها عنه بعنوان « نابوليون الحقيقي » ونشرناها في التاريخ  
مايين خطأ الذين ينسبون الى نابوليون اموراً كثيرة تخالف الواقع سواء كان  
ذلك في المدح له او في القدح به . وعندى ان حكم دي بوريان عليه أسد من  
حكم غيره على أنه لا يخلو في بعض الاحيان من التحامل عليه وقد بعته على ذلك  
للتشفي منه بعد ما فصله من منصبه وجعله معرضا لضيق ذات اليد

\*\*\*

ومنزوي شاعر ايطاليا المطبوع كان يقيم النكير على كثير من اعمال نابوليون  
وقد نظم لذلك قصائد طويلة صممها التنديد به واسكنه لما انتهى اليه نعيه خشم  
طرفه فأوصد بابه واحتلى في منزله يومين كاملين متواليين وطلب من زوجته أن  
تعرف على البيانو عزفا متواصلا في خلال تلك المدة . ونسج برده منظومة جاءت  
نحفة في بابها ولم ينسجها على منوال القدح او المدح بل جعل موضوعها اعتبار  
نابوليون آية من آيات القدرة الالهية متجلية بمجالي الخير او الشر .

وقد ذكرتني تلك القصيدة بكلمة فاه بها نابوليون وهي « ان القبر يظهر  
فضل عظماء الرجال » وكأني بجميع الذين حملوا حملات شعواء على نابوليون في  
ابان حياته لم يسعهم بعد موته الا الاعتراف باعماله العظيمة وقد سلكوا طرقة  
مختلفة في التعبير عن تلك القضية التي لم يستطيعوا انكارها

\*\*\*

ان نابوليون هو ابن نفسه ولم ينشأ في وسط كالوسط الذي ينشأ فيه اولاد  
الملوك الذين يتخرجون في مدرسة خاصة يتلقون فيها من نعومة أظفارهم ما يحتاجون

اليه للقيام بالمهمة التي ينتدبون لها في مستقبل أيامهم ولذلك اضطر هو الى درس تلك المهمة وتجربتها بنفسه ليتسنى له الاضطلاع بها . وهذا هو السبب الذي من أجله يرى متدبر تاريخه اختلافا في افكاره ومراميه في ادوار حياته فالثورة التي اتخذها رفاة لنيل التقدم في معارج العلاء أصبحت — بعد وصوله الى منصة القنصلية — قذى في عينيه فجعل من وكده مكافئها سرّاً ابتغاء تقليم اظفارها وتمغية آثارها لانه كان متأكداً أن استمرار الغوغاء على الميث فسادا والعبث بالامن العام وركوب اهوائها يصير بالبلاد الى شر مصير . فامسى عدواً للثورة مع انه كان ابنها ولم يبق من هم بعد ذلك لذلك الابن الا خنق أمه .

واكبر خطأ ارتكبه نابوليون هو الابقاء على الملوك بعد انتصاره عليهم مع مقدرة على ذلك عروشهم وتقويض سلطانهم وتصيير شؤونهم أثراً بعد عين وقد اعترف هو بخطأه من هذا القبيل — بعد فوات الفرصة — وكان يجاملهم طمعاً باسمائهم اليه لتوطيد اركان عرشه وتمهيد السبيل لمستقبل مجله

ومن الهفوات الكبيرة التي اقترفها طلاقه لجوزفين فقد كانت — بقطع النظر عن خفتها وطيشها واسرافها وتقول الناس عنها — معينة له ومرشدة ومشيرة عليه بالخير وقد صحبتته في الضراء والسراء وكانت تحبه وتبغني هناء وراحته . وكان الفرنسيون يحبونها لفضائها وعطفها عليهم . ومما زاد في الطين بلة اقترانه بعد تطليقها بأميرة نمسوية فضلها على شقيقة قيصر الروس بعد ما دارت المفاوضات بين باريس وبطرسبرج على اقترانه بالغرندوقة الروسية . وقد كان لذلك شأن كبير في حمل قيصر الروس على حمل الحقده عليه لاعتباره تفضيل كريمة امبراطور النمسا على شقيقته ماساً بكرامة أسرته .

وكانوا ينتقدون نابوليون على اكناره من الكلام في الحين الذي يجب عليه فيه أن يكون مقلاً منه ولكنه بعد تقلده لمنصب القنصلية صار حريصاً على كتمان ما يمكنه ضميره . واصبح يحاذر أن يعرب عن حقيقة افكاره فكان يفصح عما يريد هو أن يجعل الناس يتوهمون أن كلامه يترجم عن افكاره

أما افسكاره في ما يتعلق بالدين فلم تكن صريحة من جميع وجوها فكان يعتقد بوجود الله وينكر الوحي وتغادى به الغرور الى المجاهرة بالتعال حقوق دينية زعم أن منصبه السامي يحوله اياها . ويمكن القول بالاحمال انه كان يستعمل الدين ذريعة لنيل اغراضه وله في ذلك آراء سقيمة تضرب عنها صفحا الآن وقد اوردناها في التاريخ .

وفي الفصل الذي نشرناه بعنوان « أحاديث نابوليون » أمور غريبة عن ذلك الرجل تدل على كثير من المتناقضات في أقواله من وجهة الدين والدنيا : وكان الذين يعرفونه حق معرفة من المقربين اليه يستدرجونهم في غالب الاحيان الى التصريح بأمور تعود عليه بالخزي وتدل على ضعف آرائه وسخافتها في بعض الموضوعات .



أما من جهة علاقته بالنساء فقد كان في شبابه خاضعاً لسلطان الهوى وقال هو عن نفسه انه كانت له سبع عشيقات . ولكنه لما جلس على عرش الامبراطورية أعرض عن معاشره النساء لزعمة أنه كان يخشى من تسلطن عليه وتأثيرهن فيه . ولم يكن على شيء من الكياسة في معاملته للنساء بل كان يغلظ لهن في الكلام في بعض الاحيان أو يخاطبهن بكلام يستن منه . وكان يزعم أن المرأة لم تخلق إلا لولادة الاولاد . وأظن انه لو بعث الآن وشاهد منهن الاعمال الكبيرة التي يزاجن فيها الرجال مما يدل على أن فيهن استعداداً فطرياً كامناً لا يقل عن استعدادهم له فهو كالنار الكامنة في الحجر يظهرها الاقتداح لغير اعتقاده فيهن ولا نصفهن حقهن .



ولم يكن نابوليون يعتقد بالصدقة ولذلك لم يكن يحب أحداً بحبة صادقة وقد جاهر هو بذلك .



واشتهر نابوليون بالبخل وكان من أهم أسباب الخلاف بينه وبين جوزفين زوجته الاولى إسرافها ويقال إنه ورث تلك الخلة عن والدته على أن بعضهم طالج

أن يخفف عن والدته الملامة من هذا القبيل وقال إن السبب في إمساكها هو أنها كانت في حياة زوجها وعلى أثر وفاته قد ذاق طعم شظف المعيشة وضيق ذات اليد ولذلك كانت تميل إلى الادخار ورأوا بعد سقوط دولة ابنها أنها كانت مصيبة في الادخار لأنها كانت تمد أولادها بالمساعدة مما اقتصدته ولولا ذلك لمعادوا إلى ما كانوا عليه قبلاً من الفاقة .

\* \*

وكان نابوليون شديد العطف على إخوته وأخواته وضعيفاً معهم وقد سعى لإجلاسهم على العروش وإحلالهم في الهيئة الاجتماعية مكانة طالية ولكنهم قابلوه بنكران الجليل ولم يكتفوا بما جاد به عليهم من الأيادي والموارف بل كانوا يطعمون بأكثر من ذلك وكانت حماقتهم تزين لهم التآمر عليه .

\* \*

وعندي أن من أكبر الاغلاط السياسية التي ارتكبها نابوليون كانت حروبه في اسبانيا وتدخله في شؤونها فأنها اضطرت إلى تجريد البعث وتجنيد الفياق وإرسالها إلى تلك البلاد وكان ذلك يقضي عليه بأن يترك خصومه الآخرين وشأنهم فكانوا يفتنمون الفرصة ويضمون متفرق شملهم ويعودون إلى موائنته وكان يجب عليه أن يتخذ من حروب لويس الرابع عشر في اسبانيا وتدخله في أحوالها وإجلاس حفيده على عرشها عبرة ومثلاً فقد كانت تلك الحروب شؤماً على ملك فرنسا وأفضت إلى ضعفة أركان حكومته .

\* \*

من المشهور أن مدبري الثورة الفرنسية لم يوقدوا نارها إلا على أثر استئراء الفساد في بلادهم واستبداد أصحاب السلطة فيها فان المظالم التي طفع كيلها أخرجت الشعب الفرنسي فأخرجته وكان قد قام بين ظهرائه طائفة من كبار الكتاب الاجتماعيين وبشوا في الأمة روح الحرية والنزوع إلى الاستقلال وزرعوا بذورهما في الافئدة فافرخت ونمت واثمرت ولما حان قطاف النار هبت الأمة وكان تمادي أصحاب السلطة في العنف والارهاق أكبر مساعد لها فانفجر رجل الثورة انفجاراً هائلاً لا يزال ذكره يهز أوتار القلوب رعباً وهلعاً وانتشر الشقاء وعم البلاء وكادت البلاد تدمر تدميراً والتهمت نار الثورة



جميع مضمربها المنتظرين الواحد منهم بعد الآخر وقد ظهرت الهيئة الاجتماعية الفرنسية من ادران المخازي وبثرت الاعضاء الفاسدة فيها وذب من بقي من العقلاء الى رشدهم بعد ما نهكت قواهم واصبحوا ميالين الى السكينة والى رؤية الاحوال تعذر دالى مجاريها . وبعد التجربة على يد الكنفسيون والديركتوار دبرت العناية الالهية ظهور شخص بعيد النظر حديد الفؤاد عالي الهمة اشد اعتدالا من سراه في مبادئه ومنازعه وهو الجيرال نابوليون بونايرت فاغتنم الفرصة من تضعض أحوال الديركتوار والشتاق الشاجريين أعضاءه وافضت مساعيه الى التدابير التي تمت في ١٨ برومير وكانت قضاء مبرما على الجمهورية وانهت للملحمة الكبرى التي جرت وقائمه في عهد القنصلية والامبراطورية وانتهت في سهول واترلو . وامتدت نار الثورة التي اصبح لسانها المندلع بلتهم الاخضر واليابس في آخر الامر . وقد استوسق له الامر في بلاده وضرب على ايدي الاحزاب الطامعة بهدم صرح حكومته والقضاء على سؤدده ولكن لم تصف له الحياة من جهة الدول الاجنبية فان خوفها من تعاطف مجده وتفوق بلاده بعها على تأليف المحالفات ومواصلة مقاتلته وقد كان لها ما ارادت في آخر الامر فأكرمته على لقاء سلاحه والخروج اعزل من ميدان القتال والقت به على صخرة صماء في عرض المحيط الاطلسي ففضى عليها محبه بعد ماذاق اشكالا والوا من العذاب المادي والادبي .



ويمكننا أن نحصر حكمنا على حسنات نابوليون بونايرت بالكلمات القليلة التي فاه بها دي شاتوبريان الكاتب الفرنسي المشهور ولم يكن من محبيه :

« ليس بونايرت عظيما بكلامه وخطبه وكتاباتة ومحبته للحرية ولم تكن فيه قط ولم يسع قط لتوطيد اركانها ولكن عظيم لانشاءه حكومة منظمة شديدة البأس ومجموعة قوانين يجرون بموجبها في بلدان كثيرة ومحاكم عدلية ومدارس وادارة قوية ونشيطة ومتنورة لا يزال الفرنسيون سائرين عليها الى يومنا هذا . وهو عظيم لانه بعث ايطاليا من موت الحمول واناها بمشكاة الرقي وال عمران وادارة شؤونها ادارة مقرونة بالحكمة والاسداد . وهو عظيم لانه جعل النظام في فرنسا ينشأ من العدم ورمم المعابد وجعل أنصار ثورة الشعب وأحلاف

التهيج والعلماء المتعجرفين والادباء القوضيين والجاهدين الفلتارين وخطباء الشوارع والقتلة في السجون والسبل والثرثارين الذين يعلون المناير ويتصدرون المجالس والمنتديات يسلسون قيادهم له ويأتمرون بأوامره . . . وهو عظيم لانه اين نفسه ولانه عرف — وليس له من هاد سوى دهائه — كيف يجمل ستة وثلاثين مليوناً من البشر يطعمونه في عصر لم تبق فيه العروش مكتنفة بالاوهام. وهو عظيم لانه قهر جميع الملوك المعاكسين له وكسر جميع الجيوش على اختلاف تدريتها وبساتنها وجمل الشعوب المتسكعة في ظلمات الهيمنة تعرف اسمها كما تعرفه الشعوب الرائعة في رياض المدنية . وقد فاق جميع الفاعلين الذين تقدموه وملا عشر سنوات اعمالاً عجيبة يتعذر على الانسان فهمها الآن . »

\*\*\*

وحسبنا أن نردد ما قاله الشاعر العربي « والفضل ما شهدت به الاعداء » بعد معرفتنا ما كان دي شاتوبريان يضمه من القلى لنابوليون بونابرت والنفور منه .

ولا تتوسع في الكلام في هذا الموضوع بل نترك القارىء يستنتج — بعد مطالعته لكتابنا هذا — مما يجده فيه من الحوادث العظيمة ان الانسان مهما عظم مقامه وسمت منزلته في الهيئة الاجتماعية لا يخلو من نقص في اعماله واخلاقه ومبادئه وجميع اطوار حياته وفي هذا ما يدل دلالة صريحة على أن السكال لله وحده . فنانابوليون بونابرت من الافراد الذين يندر وجودهم في العالم ويعدون من فلتات الطبيعة ولا يظهرون الا في فترات متباعدة كاسكندر المقدوني وقيصر الروماني وغيرهما من الذين حفظ التاريخ ذكرهم

واذا وضعنا في كفتي الميزان حسنات نابوليون وسيئاته رجحت كفة الحسنات لان السيئات ذهبت في حينها أما الحسنات فباقية الى ما شاء الله ولا بد من قراءة تاريخ نابوليون بونابرت بآمل ليرى القارىء ان ذلك الرجل كان آية من آياته تعالى في هذا العالم ؟

الباس طنوس الحويك

مصر في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣١

## جدول اسماء الاعلام في الجزء الثالث

لما كانت ترجمة بعض اسماء الاعلام من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية تبعث على الابهام والالتباس في بعض الاحيان رأينا ان نضع جدولا لاسماء الاعلام التي يحتوي عليها تاريخ نابوليون الاول وقد اتبعنا الترتيب فيها بحسب الحروف الهجائية العربية :

Oscar	اسكار	Abbattucci	اباتوسي
Scandinave	الاسكنديناوية	L'abbaye-au-Bois	الاباي آوبوي
Islande	اسلندا	Epervier	ابرفيه
Athalin	اطالان	L'Etoile	الاتوال
Egmont	اغمون	Ajax	اجاكس
Avesnes	آفن	Adjacio	ادجاسيو
Aviti	افيتي	Adhmar	ادهمار
Oxford	اكسفورد	Arbelles	اربل
Elbeuf	البوف	Arthur	أرثور
Albi	البي	Ardizoni	ارديتزوني
Eldon	الدين	Arcis-sur-Aube	ارسس سوراوب
Aldibert	الديبير	Archambauld	ارشمبول
Alvinzi	الفينزي	Arnoult	ارنول
Aleria	اليريا	Arrighi	اريني
Alezano	اليزانو	Emmanuel Arène	عمانوئيل آرين
George Eliot	جورج اليوت	Azincourt	ازنكور
Jacques Ambizora	جاك امبيزورا	Australie	استراليا
Eméry	اميري	Ostroweno	استروفنو
Angelo	انجلو	Stockholm	استوكهلم

Oro	اورو	Ingelurge	انجلورج
Campo del Oro	کمو دل اورو	Anjou	آنجو
Osopo	اوزوبو	Undaunted	اندنتد
Ossher	اوشر	Angoulême	انگولیم
Etou	ایتون	Inconstant	انکنستان
Esopo	ایزوب	Ancone	انکونا
Eichstadt	ایشستاد	Opéra	اوبرا
De Rousse	ایل روس	Eugénie	اوجینی
Emiltrude	ایملترود	Oedenbourg	اودنبورغ
		Udine	اودین

## ب

Porto Ferrajo	پرتو فراجو	Bathurst	باثرست
Berthollet	برتولای	Padro	پادرو
Bertoldi	برتولدی	Bastia	باستیا
Burton	برتون	De Bassano	دی باسانو
César Berthier	قیصر برتیه	Ballanche	بالانش
De Bernis	دی برنی	Palme	پالم
Briars	بریار	Palmerston	پالمرستین
Briand	بریان	Bahia	باهیا
Costa Di Bastelika	کوستادی بستلیکا	Pascal Paoli	پسکال پاولی
Ptolémée	بطولماوس	Hyacinthe Paoli	هیاسنت پاول
Becker	بکر	Bayard	بایار
Pellaprat	بلابرا	La Pépinière	البینیار
Le Palatinat	البلاتینا	Pezzo	پتزو
Palampin	پلامپین	Bedlam	بدلام
Mont Blanc	مون بلان	Le Brésil	البرازیل
Blanchard	بلانشار	Berbikaja	برییکا

Postanicho	بوستانيكو	La Belle - Poule	البل بول
Bouchet	بوشه	Belvédère	بلفيدير
Beauvau	بوفو	Blanqui	بلانكي
Anne de Boleyn	ان بولن	Balcombe	بلسكب
Pierre Poletti	بطرس بولتي	Block	بلوك
Capo di Polo	كابودي بولو	Blois	بلوى
Poli	بولي	Le Billard	البليارد
Noël-Pugliesi	نويل بوليازي	Billiard	بليارد
Bompars	بومبار	Le Bellérophon	اليليروفون
Marianne Bonaparte	ماريان بوناپرت	Plymouth	بليموث
Buonarroti	بوناروتي	Bonbury	بشري
Buonavita	بونافيتا	Pau	بو
Bonavanture	بوناونتورا	Poissy	بواسي
Bonifatino	بونيفاتزينو	De Boissieu	دي بواسيو
Pietri	بياتري	Raymond Poincaré	رايمون پوانكاره
Henri Biarengelli	هنري بيارنجلي	Poppleton	بوبلتن
Pierron	بيارون	Mathieu Botta -	ماتيو بوتافوكو
Piana	بيانا	foco	
Ignace Pianelli	اغناطيوس بيانلي	Pozzo di Borgo	بوتزودي بورغو
Biraldi	بيرالدي	Elysée - Bourbon	اليزه بوربون
Peretti	پيرتي	Portsmouth	پورتسموث
Béranger	بيرنجه	Porticciole	پورتيسيولو
Biron	بيرون	Portichio	پورتيكيو
Jean Piri	جان پيري	Portier	پورليه
Les Byzanthins	البيزنطيون	Le Morning Post	المورنينج پوست
Beysser	بيسه		

Pignerol	بينيارول	Bigolia	بينفوليا
Bignon	بينيون	Pillet	بيليه

## ت

Tscharner	تشارنر	Tavignano	تافينيانو
Churchill	تشرشل	Travot	ترافو
Chesterfield	تشرفيلد	Tristan	ترستان
Chiselhurst	تشيزلهرست	De Thermes	دي ترم
Thorwaldsen	تور والدسن	Marianne Ter -	ماريان ترناو
Toula	تولا	nano	
Tomino	تومينو	Le Concile de	المجمع التريدينيني
Tiburce	تيبورس	Trente	
Tyrrhéniens	تيرايني	Chatham	تشاتام

## ج

Jaucourt	جوكور	Giafferi	جافيري
Julie	جوليا	La Toison d' Or	الجزء الذهبية
Julio Justiniani	جوليو جوستينياني	Juan	جوان
Gérard	جيرار	De Joinville	دي جوانفيل
Gilly	جيلي	Giovanalli	جوفانالي

## خ

Chio	خيو	Cartouche	خرطوش
------	-----	-----------	-------

د

Doret	دوره	Darfour	دارفور
André Doria	اندره دوريا	Deptfort	دېتفور
Camille Doria	كاميل دوريا	D'Artois	درطوي
Duchâtel	دوشاتل	Jourdan Desour-	جوردان دزورسان
Douvres	دوفر	san	
MoutonDuvernei	موتون دوفر نه	Vincentello	فينسنت لودسېريا
Duphot	دوفو	d'Estria	
Les Dauphinois	الدوقينيون	Paul Deschanel	بول دشانېل
Paul Doumer	بول دومر	Delberg	دېلبرخ
Donnay	دوناي	Dalmeny	دالمني
Diana	ديانا	Dumbarton	دمېرتون
Les Débats	الديبا	Dumouriez	دموريه
Digne	دينېي	Dennewitz	دنوټز
Dillon	ديون	Victor Dubrav	فيكتور دوبراي
		La Dorade	الدوراد
		Alphonse d'Orn-	الفونس درناو
		ano	

ر

Rueil	روايل	Ramei	رامېل
Rubicon	روبيكون	Rameau	رامو
Rotondo	روتندو	Hanna de Roth schili	حنة دي رتشيلا
Roussin	روسان	De Reichstadt	دي ريشټاد
Ponti novo di	پنې نوو	Rambouillet	رامبويه
Rostino	دي روستينو	Ramleh	الرملة

Réal	ريال	Rossi	روسي
Thomas Reade	توماس ريڊ	Arrigo della Rocca	اريفو دلاروڪا
Richard	ريشار	Polo della Rocca	بولو دلاروڪا
Rigozo	رينغوزو	Judici della Rocca	جوديشي دلاروڪا
Aimée Dubuc de	ايمڊي بؤڪ	Roccabina	روڪا بينا
Rivery	دي ريفري	Rogliano	روليانو
De Rivière	دي ريفيار	Romanowsky	رومانوفسكي
Rinozo	رينوزو	Romay	روماي
		Romilly	روميلي

## ز

Zikendi	زيڪندي	Zénaïde	زنايڊ
---------	--------	---------	-------

## س

Saint Jean de Losne	سان جان دي لون	Sartrouville	سارتروفيل
Saint Germain en Laye	سان جرمان انلاي	Sartène	سارٽين
Saint-Daniele	سان دانيالي	Sarry	ساري
Saint-Denis	سان دني	Sassary	ساساري
Saint Sever	سان سيفر	Sacile	ساشيل
Saint Gothard	سان غوتار	Salario	سالاريو
Saint Florent	سان فلوران	Saint Antoine	سان انطون
Saint Marceau	سان مرسو	Angèle Marie	انجال ماري
Saint Weilh	سان ويله	Pietra Santa	پياترا سانتا
Sahuc	ساهوڪ	PontSaint-Esprit	بون سانت اسپري
Spa	سبا	Sainte Barbe	سانت بارب
Julio Spinola	جوليو سپينولا	Sainte- Croix d'Antin	سانت ڪروي دنطان
Strati	ستراتي	Saint Jean d'Ulloa	سان جان دولوي



Smorgoni	همورغوني	Steingel	ستنجل
Cinna	سنا	Marie Stuart	ماري ستوارت
Santini	سنطيني	Stokœ	ستوكو
Sanguinaire	سنگينار	Servioni	سرفيوني
Senhouse	سنهوس	Cernos	سرنوس
Superbe	سوپرب	Szabad hegy	سز ابا دهيجي
Soufflot	سوفلو	Sussex	سسكس
Solenzara	سولنزارا	Socrate	سقراط
Cornélius Sci pion	کرنيلوس سيلبيون	Scarambi	سکارامبي
Seras	سیراس	Skelton	سکلتن
Severoli	سيفيروله	Walter Scott	ولتر سکوت
Sylla	سیلا	Dona Emilie-Sal zi	دونا اميلي سلازي
Cicaldi	سيمکالدي	Sempiaro	سمپيارو
Seymour	سيممور	Le Cimbres	السمبري
Simioni	سيمیوني	Samanhoud	سمنود

## ش

Chartran	شرتران	De Chabot	دي شابو
Cinto	شنتو	De Rohan-Cha- bot	دي روهان شابو
Chantereine	شنترين	Les Chartreux	الشارتروز
Chandelier	شندليه	Charles XIII	شارل الثالث عشر
De Chauvelin	دي شوفلان	Chaptal	شپتال
Citarka	شيتارکا	Chebreis	شبريس
Cirelli	شيرلي	Cherbourg	شربورغ

ص

Sorbello	صوبيلو	Samuel	صموئيل
		Sceaux	صو

ط

Torbay	طورباي	Taravo	طارافو
Turenne	طورين	Thurgovie	طربوفيا
Touchard	طوشار	Troie	طروادة
James-Town	جيمس تاون	Ténériffe	طريف
		Tobie	طوبيا

ع

Emmanuel	عمانوئيل	Abd-ul-Hamid 1 <sup>er</sup>	عبد الحميد الاول
		Ali-Pacha	علي باشا

غ

Grassini	غراسيني	Gap	غاب
Gravone	غرافونا	Gaffori	غافوري
Les Gracques	الغراك	Gavini	غافيني
Granval	غرانفال	Gallieno	غاليانو
Granville	غرانفيل	François Gallini	فرنسوى غاليني
Grey	غراي	Gand	غاند
Giovani della Grossa	جواني دلا غروسا	Taday Gabriali	تاداي غبريالي
Grégoire VII	غريغوريوس السابع	Grasse	غراس

Gauricourt	غوريكور	Grégoire Grimaldi	غريغوريوس غريمالدي
Les Goths	الغوثيون	Henri Greville	هنري غريفيل
Goulo	غولو	Grenoble	غرينوبل
Du Guesclin	دي غيسكلان	Grenier	غرينيه
Guillois	غيلوي	Gustave IV	غستاف الرابع
Guillard	غيليار	Gladstone	غلادستون
Guyet	غيه	Gantz	غنتز

ف

Yorto-Vechio	بورتو فكيو	Le Var	الفار
Castel-Vechio	كاستل فكيو	Pharos	فاروس
Fleurus	فلوروس	Vasio	فازيو
Ventouriny	فنتوريني	Walewska	فالفسكا
Ventôse	فنتوز	Walewski	فالفسكي
Les Vandales	الفندال	Valézi	فاليزي
Vénézucla	فنزويلا	Fanny	فاني
Foy	فوي	Vizzavona	فيزافونا
Latour-Foissac	لاتور فواساك	Jacobo Ferratino	جاكوبو فراتينو
Fourès	فوراس	Ferrand	فران
Forest	فورست	Franz	فرانز
Foresti	فورستي	François 1 <sup>er</sup>	فرنسيس الاول
Fostina	فوستينا	Francfort-sur-le Mein	فرنكفورت على الماين
Les Phocéens	الفوسيون	Vernon	فرنون
Vauchamps	فوشان	Frioul	فريول
Volney	فولني	Frigozi	فريغوزي
Vizille	فيزيل	Victoria	فيكتوريا
Vivario	فيفارو	Idéologues	فكيريون

Le Phylloxera	الفيلوكسيرا	De Villèle	دي فيلال
Vignali	فينيالي	Villemain	فيلمان
Vio	فيو	Wilna	فيلنا
Vio Morio	فيو موريو	Le Véloce	الفيلوس
		Philippe-Auguste	فيليب اوغسطس

## ق

César	قيصر	Le Caire	القاهرة
		Le Cosseir	القصير

## ك

Mare—Celestin	مرقس سلسنان	Cap Corsino	كاب كورسينو
Caïtuli	كايتوكولي	Capitello	كايتلو
Cayres	كاير	Catania	كانانيا
Les capucins	الكبوشيون	Notaire	كاتب عدل
Corgheizi	كرغيزي	Cato Cambrizis	كانو كمبريزيس
Cornelie	كرنيليا	La Cadorique	الكادورية
Robinson Crusoe	روبنصن كروزه	Carenthie	كارنثيا
Kroni	كروني	Carrousel	كاروسل
LeMorningChronicle	المورننج كرونكل	Cazoni	كازوني
Chrysostome	كريستوم	Castania	كاستانيا
Jous campio	جانوس كمبيو	Casterie	كاستري
Clancarly	كلانكرفي	Les Calabrais	الكالابريون
Quilleboul	كلبوف	Calabre	كالبريا
Clarendon	كلارندن	Kalouga	كالوغا
Clauzel	كلوزل	Calais	كالاي
Calve	كلفي	Cannes	كان

Courser	كورسو	Clemen ceau	كليمينسو
De Coursay	دى كورساي	Le Masque de Fer	الكمامة الحديدية
Corner	كورنر	Companioni	كبايموني
Le Courrier	الكوريه	Canterbury	كنتربرى
Pozzo Costa	بوتزو كوستا	Canarie	كناري
Custine	كوستين	Kenza	كنزا
Coffin	كوفين	Canada	كندا
Cockburn	كوكبرن	Constant	كلستان
Coquereau	كوكرو	Constance	كنستانس
Mathieu Collin	متى كولن	La Concorde	الكنكرود
Colombo	كولومبو	Connétable	كنتابل
Colonna	كولونلا	Continental	كنتننتال
Conti	كونتي	Déspan-Cobières	دسبان كوبيار
Quiberon	كيبرون	Courbevoie	كوردفوى
Keith	كيث	Courtot	كورتوتو
Quinette	كينيت	Cortou	كوردفو
		Coti	كونتي

ل

Pont de la Roche	بون دي لاروش	La Parate	لاباراتا
Marcel Laretti	مرسل لارتي	Lapalud	لابالود
La Rochefoucauld	لاروشفو كولد	La Bédoyère	لابدويار
Lacédémone	لاسيديمون	Maximilien Labour- eur	مكسيميليان لابورور
Lafrète	لافريت	Lapi	لابي
Laffitte	لافيت	Marchal Latti	مرشال لاتي
Lavigerie	لافيجري	De la Drôme	دي لادروم
Lallemand	لالمان	Pont de l'Arche	بون دي لارش

Londes	لوندس	La Maza	لامازا
Longwood	لونود	Lamure	لامور
Saint Louis	القديس لويس	Adolphe Landry	ادولف لاندري
Louis le Débon- naire	لويس الحليم	Lanzy	لانزي
Louis—Philippe 1 <sup>er</sup>	لويس فيليب الاول	Val de La Haye	فال دي لاهاي
Liamoni	لياموني	Jérôme Levi	جيروم لاوي
Jean de l'épée	جان دي لييه	Léon XII	لاون الثاني عشر
Leipzig	ليزيغ	Leuchtemberg	لختمبرج
Letort	ليتور	Ledvoka	لدفوكا
Lydia	ليديا	Marie Leczinska	ماري لسكزنسكا
Liverpool	ليفربول	Lentivi	لنتيفي
Levinza	ليفنزا	Landolf	لندلف
Ligourie	ليفوريا	Lauzun	لوزان
Livourne	ليفورن	Luciardi	لوشياردي
Rinuccio di Lega	رينو تشيو دي ليكا	Luc	لوق
Lega	ليكا	Damiano Luxardo	دميانو لوكساردو
Lemercier	ليرسييري	Louvois	لوفوي
Ligny	لينبي	Lockner	لوكنر
		Lons-le-saulnier	لون ليسولنييه

م

Marlborough	مارلبورو	Alérius Matra	اليريوس ماترا
Masson	ماسون	Madalia	ماداليا
Massinajo	ماسيناو	Madère	ماديرا
Massyrie	ماسيريا	Maret	ماره
Maryoupol	ماريوبول	Mars	مارس

Malcolm	ملكهم او ملكولم	Mariana	ماريانا
Melloria	ملوريا	Macon	ماكون
Montecuculli	مونتيكوكولي	Malverno	مالفرنو
Montaletto	مونتالتو	Malaisie	ماليزيا
Manzoni	منزوني	Malaspina	مالاسبينا
La Bastide-Murat	البستيد مورات	Mantes	مانت
Morato	موارتو	Manuel	مانويل
Morand	موران	Maitland	مايتلاند
Morsiglia	مورسييا	De Mailbois	دي مايلبوي
Moïse	موسى	Mettruski	متروسكي
Molitor	موليطور	Mithridate	متريدات
Mohilew	موهيليوف	Mahmoud II	عمود الثاني
Monge	مونج	Middlemore	مدمور
Montchenu	مونشنو	Mortemart	مرتمار
Méjan	ميجان	Marguerite	مرغريت
Méri	ميري	Messe	مس
Millerand	ميلران	Muscardi	مسكاردى
Miot	مير	Mustapha	مصطفى
		Malborghetto	مليورغيتو

ن

De Nesselrode	دي نسلرود	Napoléon III	نابوليون الثالث
Nanzinetti	نزيني	Citi Navi	سيتي نافي
Noailles	نوايل	Le Northumberland	النمبرلاند
Neustadt	نوستاد	Normandie	نرمنديا
Novarre	نوفار	Norvège	نروج

Domenico Nigroni	دومنيكو نيغروني	Pietro di Novarie	پياترودي نوڤاريو
Nino	نينو	Théodore de Noheuf	تيودورد دي نو هوف
Niolo	نيولو	Noverraz	نوڤراز
Niolino	نيولينو	Niepperg	نييڤرغ
Newman	نيومان	Nippo	نيپو
		Nice	نيس



Henriette	هنريت	Harcourt	هاركور
Hotham	هوٿام	Harold	هارولد
Hormayer	هورماير	Ham	هام
Carlton-House	كارلٽن هوس	Hamilton	هاملٽن
Huchard	هوشار	Hobhouse	هوبوس
La Hogue	الهوڱ	HudsonLowe	هدسن لو
Victor Hughe-nins	فيكتور هوڱنان	Hernoux	هرنو
Holland	هولاند	Hambourg	همبورغ
Hérode	هبرودس	Henry VIII	هنري الثامن
Hume	هيوم	Hnri IV	هنري الرابع



Wilks	ولكس	Warden	واردن
William III	وليم الثالث	Westermann	ويسترمان
Windsor	ويندسور	Westminster	ويستمنستر
Edward Wyniard	ادورد وينليارد	Wells	ولس
		Robert Wilson	روبرت ولسن



ى

Saint-Jean

القديس يوحنا

Jaffa

Joachim

يافا  
بواكيم

شرعنا في اعداد تاريخ الامبراطور نابوليون الثالث وسيقع في مجلدين  
كبيرين يبلغ عدد صفحاتهما نحو ثمانى مئة

## فهرست الجزء الثالث

صفحة

- ١ كلمة المؤلف
- الفصل الاول - سقوط نابوليون وتنازله عن الملك - استقدام
- ٢ البوربون - وداع فننبلو - الشخوص الى جزيرة البا
- الفصل الثاني - الوصول الى برنو فراجو - الاقامة في جزيرة البا
- العودة الى فرنسا - النزول في كان - الرحف الى باريس
- ١١ بانتصار - ٢٠ مارس سنة ١٨١٥
- ٢٧ الفصل الثالث - المئة يوما
- الفصل الرابع - وصول نابوليون الى روشفور - رسالة الى الامير
- وكيل المملكة في بريطانيا العظمى - ركوبه متن الباير وفون
- وشخوصه الى بريطانيا - تصرف الوزارة البريطانية نحوه
- معا كسة العواطف الودية التي ابدتها له الشعب البريطاني
- اعترض نابوليون على المسكن الذي عينته له الوزارة
- البريطانية - ركوبه متن الترمبلند وانطلاقه الى جزيرة
- ٤٥ القديسة هيلانة
- الفصل الخامس - السفر في البحر - الوصول الى جزيرة القديسة
- ٥٠ هيلانة - المقام في هذه الجزيرة حتى سفر لاس كاس
- الفصل السادس - هدمن لو - مقاومة نابوليون المستمرة لمزاعم
- الحاكم المنكرة واعماله - اوجاع العاهل والمخطاط صحته
- ٥٨ اضطرار لاس كاس الى مفارقة نابوليون
- الفصل السابع - ايام نابوليون الاخيرة ووفاته
- ٧١
- الفصل الثامن - في نقل رفات نابوليون الى فرنسا
- ٨٧
- الفصل التاسع - مناجاة نابوليون
- ١٠٣

## ذيل الجزء الثالث

صفحة	
١١١	برنادوت واسرته
١١٧	نابوليون الاول وحرب روسيا
١٢٨	نابوليون الثاني أو ملك رومانية
١٤٢	فرنسا ونابوليون
١٤٤	مضرع مورات
١٤٩	اوجين بوهرنه
١٧٦	هرتس بوهرنه
١٨٤	الكردينال فش
١٩٠	نابوليون الحقيقي
٢٠٤	رأي اللورد روزبري في نابوليون بونابرت
٢١٠	النفي
٢١٧	نابوليون والديمقراطية
٢٢٦	احاديث نابوليون
٢٥١	من مفكرات الدكتور انطومرخي
٢٧٥	وصية الامبراطور نابوليون الاول
٢٨٢	ولدان طبيعيان لنابوليون الاول
٢٨٥	كلمات مأثورة لنابوليون الاول
٣٠٨	خاتمة الكتاب
٣٠٩	جزيرة كورسيكا
٣٤٩	كورني
٣٥٧	احاكسيو
٣٩٠	رأي في نابوليون بونابرت
٣٩٩	جدول اسماء الاعلام في الجزء الثالث
٤١٦	فهرست الصور

## فهرست الصور

### الجزء الاول

نجاه صفحه

جلالة الملك فؤاد الاول	
مهمو الامير فاروق	
اميرة بونايرت	١
لاتيسيا رامولينو	١٧
نابوليون في مدرسة بريان	٢٠
نابوليون ملازم في المدفعية	٢٨
نابوليون قائد جيش ايطاليا	٣٩
النصر يكل نابوليون	٤٤
نابوليون على جسر (كوبري) اركول	٥٢
نابوليون عند سفره الى مصر	٦٠
نابوليون قائد جيوش الجمهورية	٦٨
نابوليون في المالميزون	٧٦
نابوليون قنصل اول	٨٤
لوسيان بونايرت امير كانينو	٩٢
يوسف بونايرت ملك اسبانيا	٩٢
جبروم بونايرت ملك وستفاليا	١٠٠
لويس بونايرت ملك هولندا	١٠٠
يواكيم مورات ملك نابولي	١٠٨
المرشال ناي امير الموسكوف	١١٦
المرشال برنادوت	١٢٤
المرشال اوجرو دوق كستليون	١٣٢
المرشال ماسينا امير اسلنغ	١٤٠

تجاه صفحة

الجنرال مورو	١٤٨
الاميرال برويكس	١٥٦
تاليران امير بنينان	١٦٤
وليہ بت	١٧٢

## الجزء الثاني

نابوليون الاول امبراطور	
الامبراطورة جوزفين	
نابوليون في ملايسه الامبراطورية	٢٠
حفلة تنميج نابوليون وجوزفين	٢٨
جواو دوق ابرالتس	٣٦
المرشال غوفميون سان سير	٤٤
الموسال فيكتور دوق بلون	٥٢
المرشال لان دوق منتبلو	٦٠
المرشال دافو اميراهل	٦٨
المرشال ليفيفر دوق دنزيك	٧٦
نابوليون يوزع الرايات	٨٤
مرجة نابوليون	٩٢
معركة استرلنز	١٠٠
نابوليون وامبراطور النمسا	١٠٨
معركة ايانا	١١٦
نابوليون يزور ضريح فريديريك الثاني الكبير	١٢٤
معركة فريدلند	١٣٢
اجتماع الملوك الثلاثة	١٤٠
نابوليون يستقبل الملكة لويز البروسيانة	١٤٨
الحرس الامبراطوري	١٥٦

تجاء صفحة

١٦٤	ديمقراطية نابوليون
١٧٢	نابوليون يزور مستشفى الاطفال
١٨٠	مقتل لان
١٨٨	معركة وغرام
١٩٦	الاستيلاء على فيينا
٢٠٤	نابوليون يبحر في راتسن
٢١٢	مشهد الطلاق
٢٢٠	شارل الرابع وفردينان السابع في بايون
٢٢٨	تسليم مدريد
٢٢٦	مقابلة نابوليون لماري لويز في سواسون
٢٤٤	حفلة زواج نابوليون وماري لويز
٢٥٢	زواج نابوليون وماري لويز
٢٦٠	الامبراطورة ماري لويز
٢٦٨	الامبراطور والبابا في فنتنبلو
٢٧٦	حفلة عماد ملك رومانية
٢٨٤	ماري لويز وملك رومانية
٢٩٢	حلف المارشالية
٣٠٠	معركة روسيا
٣٠٨	معركة الموسكوف
٣٢٤	دخول النمساويين الى موسكو
٣٣٢	نابوليون يغادر موسكو المحروقة
٣٤٠	معركة لتزن
٣٤٨	موت بونياتوسكي بعد معركة ليبزيغ
٣٥٦	نابوليون وملك رومانية
٣٦٤	نابوليون في شمبرير
٣٧٢	شارل نابوليون عن العرش

تجاه صفحة

٣٨٠	وداع فنتنبلو
٣٨٨	مؤعر فينا
٣٩٦	نابوليون في جزيرة البيا
٤٠٤	قبعة نابوليون ورايته في جزيرة البيا
٤١٢	رجوع نابوليون من جزيرة البيا
٤٢٠	وداع الملك لويس الثامن عشر
٤٢٨	تمثال نابوليون في ميدان فندوم

## الجزء الثالث

تجاه صفحة

٠	صورة مؤلف الكتاب
٢٠	نابوليون الثاني ملك رومية
٢٨	نابوليون في حديقة سان كلودومعه اولاد مورات
٣٦	معركة سنة ١٨١٤
٤٤	هيكل المجد
٥٢	قبل معركة واترلو
٦٠	نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة
٦٨	معركة واترلو
٧٦	ولنتن في واترلو
٨٤	نابوليون في واترلو
٩٢	الحرس يموتون ولا يستسلمون
١٠٠	ارثور ولسلي دوق ولنتن
١٠٨	بلوخر
١١٦	كبرن في واترلو

نُجَاهُ صَفْحَةٍ

- ١٢٤ نابوليون يستسلم الى بريطانيا العظمى  
١٣٢ ركوب نابوليون السفينة بلوغون  
١٤٠ نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة  
١٤٨ احد مناظر جزيرة القديسة هيلانة وجيمستون  
١٥٦ الخيم البريطاني بمنع نابوليون عن المرور في جزيرة القديسة هيلانة  
١٦٤ نابوليون على مذكراته على لاس كاس الحدث  
١٧٢ نابوليون على سرير الموت  
١٨٠ سرير نابوليون النقال  
١٨٨ قبر نابوليون في جزيرة القديسة هيلانة  
١٩٦ اوجين بوهرنه  
٢٠٤ السفينة «البل بول» التي جلبت رفات نابوليون الى فرنسا  
٢١٢ شارل بونابرت والد نابوليون  
٢٢٠ ضريح نابوليون في الاصليد بباريس  
٢٢٦ بيت بونابرت في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا

